جامعة دمشق
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم التاريخ

اهداء من د احمد رزق،
لصلاب العمل، صدقة جاريه
وعنه والديه

دورقبرس في أحداث الحروب الصليبية

من أواخر القرن ٦هـ/١٢م حتى أواخر القرن ٨هـ/١٤م

٥٨٦-٧٨٤هـ/ ١١٩٠-١٣٨٢م

أطروحة مقدمة إلى جامعة دمشق لنيل درجة

الدكتوراه في التاريخ

تاريخ العرب والإسلام

إعداد الطالبة:

مها داوود

إشراف:

الأستاذة الدكتورة وفاء جوني

(١٤٣٠-١٤٣١هـ/ ٢٠٠٩-٢٠١٠م)

الإهداء

إلى روح أمي الطاهرة . . . .

إلى نبع الحنان الذي لا ينضب . . . .

إلى التي علمتني معنى الصبر

والعطاء . . . .

لن أنسى فضلك ما حييت . . . .

وإليك أهدي هذه الرسالة . . . .

رحمك الله



بطاقة شكر وعرفان بالجميل

إلى الدكتورة السيدة وفاء جوني التي كانت مثلاً

للأستاذة الكريمة والأم الحنون بنصحها وإرشادها

لي .

إليك أقدم شكري وامتناني عربون محبة ووفاء .

إلى الأستاذ الدكتور القدير سهيل زكار الذي

رعاني خير عناية وقدم لي الكثير من الكتب

العلمية التي أفادت البحث كثيراً فله مني الشكر

الجزيل . ولله الحمد أولاً وأخراً



المحتويات

الموضوع: دور قبرص في أحداث الحروب الصليبية من أواخر القرن ٦هـ/١٢م حتى أواخر القرن ٨هـ/١٤م(٥٨٦-٧٨٤هـ/١١٩٠-١٣٨٣م)	الصفحة

مقدمة :

إذا كان موضوع العلاقات بين الشرق و الغرب في العصور الوسطى من الموضوعات التي تحتاج إلى دراسات مستفيضة، فإن الحركة الصليبية كانت أهم ظاهرة من مظاهر تلك العلاقات في مختلف المجالات الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية و الدينية...الخ

ولما جذبت هذه الحركة أطرافاً أخرى من غير المسيحيين الغربيين إلى الصراع الدائر في الشرق الإسلامي من بيزنطيين ومغول وأرمن ، فقد أدى كل ذلك إلى تعقد وتشابك الموقف نتيجة لمروره بظروف متباينة ارتبطت في المقام الأول بأحوال كل من المسلمين في الشرق والمسيحيين في الغرب، فقد كشفت تلك الحقبة الزمنية عن المعنى الحقيقي للحروب الصليبية من خلال تلك العلاقات التي سادت بين الفرنجة الصليبيين والمسلمين في زمن أصبحت فيه مصر مركز الثقل بالنسبة للعالم الإسلامي ونقطه المقاومة الإسلامية ضد الفرنج الصليبيين، كما أصبحت هدفاً للحملات الصليبية بدءاً من القرن ٧هـ /١٣م الأمر الذي كان له أكبر الأثر في انحسار الضوء عن شمال بلاد الشام ومدنه الساحلية كمراكز للجهاد الإسلامي من جهة ، وفي تحول الهدف الصليبي من بيت المقدس إلى القاهرة.

وجزيرة قبرس موضوع هذه الرسالة كانت واحدة من القواعد الصليبية التي شغلت دوراً بارزاً في تطور أحوال الفرنج الصليبيين قوة أوضعفاً، وشاركت أيضاً في تشكيل السياسة الصليبية العامة تجاه المسلمين أو غيرهم، وهذا مايشكل داعماً تاريخياً يدفع دارسه إلى التعرض لتاريخ الحروب الصليبية من خلال هذه الجزيرة .

لقد كانت قبرس ولاتزال جزءاً لايتجزأ من المشرق العربي جغرافياً وتاريخياً وسياسياً واستراتيجياً في الماضي والحاضر والمستقبل، فجغرافياً قبرس ليست قريبة من الوطن العربي وحسب، بل هي أقرب إلى بعض أقطاره من قرب هذه الأقطار إلى أقطار عربية أخرى، فهي جزء من منطقة شرق البحر المتوسط الذي تطل عليه سواحل الشام (سورية و لبنان وفلسطين) تبتعد هذه الجزيرة عشرات الكيلومترات عن اللاذقية وبيروت وحيفا، والمسافة بينها وبين بور سعيد لاتزيد عن ٣٦٠ كيلومتر، وهذا الموقع الجغرافي الممتاز لقبرس بين قارات ثلاث سمح لها بأن تصبح مركزاً هاماً، لكنه كان سبباً رئيساً في طمع الدول المجاورة لها في الاستيلاء عليها منذ قديم الزمان حتى الآن.

وتلاقت في هذه الجزيرة تيارات شتى من الشرق والغرب، فكان لها من هذا كله طـــابع فريـــد يعكس بصمات الزمان وأصداء التاريخ، أما نحن فبين هذا وذاك لا نعلم من تـاريخ قبـرس إلا النذر القليل لاسيما فيما يخص دورها في حقبة العصور الوسطى الهامة. وبقيت المعارف عـــن هذه الجارة القديمة المطلة على الركن الشرقي من مياه البحر المتوسط تكاد لاتذكر.

لقد شكلت جزيرة قبرس قاعدة بحرية، عسكرية، ومركزاً لتجمع الصليبيين في البحر المتوسط فهي بالنسبة للساحل الشامي من أقوى المواقع، وصارت تمثل بعداً استراتيجياً للفـــرنج عامـــة ساهمت في تدعيم تلك القوى الصليبية، وكان ذلك على حدُ قول المؤرخ العربي ابن الأثير (قوةً للفرنج) كما أنها آوت مؤسساتهم حتى بعد سقوط آخر معاقل الصليبيين في الشرق الإســـلامي وأمنت سبل الاتصال من وإلى أوربة بلا انقطاع.

لقد قدر لهذه الجزيرة ألا يكون لها الخيار في الانتماء إلى أحد ولا حتى إلى نفسها، ظهر ذلـــك واضحاً من خلال الدسائس والمؤامرات التي قام فيها قناصل جنـــوه وفينيســـية (البندقيـــة) و غيرها من أجل السيطرة عليها فُسلبت ونُهبت بلا رحمةٍ.

إن دراسة تاريخ قبرس ودورها موضوع من الموضوعات الهامة في تاريخ سلســـلة الحـــروب الصليبية ودراستها دراسة علمية أكاديمية لفهم كثير من الأمور، و للوصول إلى الحقيقة أولاً و أخراً سواء في التاريخ بشكل عام، أو في الواقع الإسلامي و الأوربي معاً، نستطيع أن نرصـــد فيها الإيديولوجيات المختلفة للأطراف المتصارعة إبان هذه الحقبة، وواضعي السياسات و النظم عبر عشرات السنين، الأمر الذي يبرز احتياجاً أكثر فأكثر لهذه الدراسة فـــي حقبـــة الحـــروب الصليبية لا سيما عند رؤية ذلك التشابه القوي و الكبير بين الحقبـــة القديمـــة و بـــين زماننـــا المعاصر الذي نعيشه الآن، هذا و قد تم الاعتماد على مصادر جديدة أظهرت معطيات ووقـــائع جديدة و بالتالي كان هناك قراءة جديدة لدور قبرس في أحداث الحروب الصليبية ، والمعلومات المتعلقة به رغم قلتها فهي أساسيه من أجل إيضاح الصورة وإكمال الحقيقة.

لقد صبت جل الدراسات اهتمامها في دراسة الحروب الصليبية بمنظار عام دون أن تلتفـــت أو تعير اهتماماً لتاريخ الجزيرة الهام أو تخصها بدراسة مركزة، إنما اقتصر ذكرها فقـــط ضـــمن سياق الحدث التاريخي العام .

إن الدور الذي شغلته قبرس في أحداث الحروب الصليبية لم يدرس بعد بشكل أكاديمي واســـع ومركز، وهذا ما ينبغي القيام به هنا لأن بلاد الشام هي الأقرب الحالي إلى قبرس والأكثر أثراً وتأثيراً بأحداثها.

من هنا كان لابد من التطلع إلى الحروب الصليبية برؤية وهيكليه جديدة من خلال هذه الجزيرة وخصها بدراسة أكاديمية لم تتطرق إليها الدراسات السالفة لاسيما بعد الحملة الصليبية الثالثة، لا بل حتى بعد تحرير عكا وإنتهاء الحروب الصليبية في بلاد الشام.

لقد غدت قبرس ملجأ لجميع القوى الصليبية في بلاد الشام بمن فيهم المنظمات الرهبانية العسكرية، ومن ثم حكمت قبرس من قبل الأسرة التي تعود بأصولها إلى أخر ملوك القدس قبل حطين، و صارت المكان الذي تقلع منه الحملات الصليبية ضد الإسكندرية وضد السواحل الشامية، وادعى ملوكها بأنهم ملوك القدس و يريدون استردادها.

أما سبب اختياري لموضوع البحث فيعود إلى الأسباب التالية :

١ – نقص المكتبة العربية من بحث قائم بذاته حول هذا الموضوع يضم بين طياته تتبع تاريخ قبرس وعلاقاتها السياسية و الرغبة في رفد تاريخ جزيرة مجاورة لنا في حقبه زمنيه هامة جانباً من الأهمية بعد أن بقيت معارفنا عن هذه الجارة القديمة تكاد لاتذكر.

٢– كما أن ماكتبه المؤرخون الغربيون الحديثون عن دور قبرس في الحروب الصليبية لايعبر إلا عن وجهة النظر الغربية فقط، ولكن أحداً لم يفرد مساحة واسعة للبحث عن تاريخ هذه الجزيرة بشيء من الإسهاب المفيد من قبل المؤرخين العرب الحديثين في هذه الحقبة الزمنية بالذات باستثناء(د.سعيد عاشورفي كتابه قبرس و الحروب الصليبية) .

وتأتي أهمية هذه الدراسة من أهمية الفترة التي تناقشها وهي (قبرس والحروب الصليبية) وهي حقبة مهمة في تاريخ الشرق والغرب على السواء **ويهدف البحث إلى :**

تسليط الضوء على تاريخ جزيرة قبرس في حقبة أصبحت المتحكمة في ميدان الحروب الصليبية بعد أن تخلت أوربة عن ذلك الميدان، كما يهدف البحث إلى بحث العلاقات بين هذه الجزيرة وبين جيرانها من بيزنطيين، وفرنجة صليبيين، ومغول، ومماليك، ودويلات إيطالية بحرية، بالإضافة إلى ذلك فإن البحث يهدف إلى إبراز دور الزعماء الصليبيين الذين حكموا هذه الجزيرة في توجيه نداءات للقيام بحملات صليبيه انطلاقاً من قبرس.

وبناء على ماتقدم سيعتمد هذا البحث على منهج جمع بين سرد للأحداث وعلى دراسة تحليلية نقدية مقارنة محللاً الأسباب و الدوافع حسب المعلومات المتوفرة لموضوع صعب، متشابك الأطراف، متعدد القوى، متنوع المصادر والأصول، مليء بالقضايا والنقاط الهامة التي لابد من الوقوف عندها ومعالجتها من وجهة نظر عربية بغية الوصول إلى المعرفة التاريخية البحتة قدر الإمكان، و قد واجهتني خلال مراحل البحث صعوبات كثيرة سواء فيما يتعلق بقلة المادة

العلمية المتوفرة و كيفية الحصول عليها، فالمصادر العربية الإسلامية لم ترد فيها معلومات كافية ووافية عن هذه الجزيرة إلا ماندر و لا يعرف مرد ذلك الإهمال لها، و أمام هذه الحالة كان لابد من سد الثغرات من خلال المصادر الأجنبية غير المتوفرة في معظمها مع صعوبة الحصول عليها من مصادرها الأصلية مثل كتاب أرض قبرس الحلوة لمؤلفه مخارياس أو مكاريوس الذي عاصر تلك الحقبة، و لاغنى لهذه الدراسة عن هذا المصدر بالذات على الرغم من محاولات الاتصال بالمكتبات في كل من تركيا و قبرس عن طريق السفارة القبرسية بدمشق إلا أنهما لم تسعفاني بالمطلوب، و بعد سنوات من الانتظار تم تأمين نسخة من الكتاب بمساعدة الدكتور سهيل زكار فجزاه الله كل الخير، إضافة لما تقدم فإن المصادر الغربية قليلة بشكل عام.

و قد واجهت صعوبة في الحصول عليها من المكتبات أو غيرها، و تيسرت جل المادة العلمية من المصادر الأجنبية والمراجع المترجمة التي وردت أخبارها ضمن الموسوعة الشامية للأستاذ الدكتورسهيل زكار، واستفدت منها خير استفادة لتغطية الجوانب المفقودة خصوصاً و أنها تمثل وجهات النظر الغربية و مقارنتها ببعضها البعض مع إيضاح وجهات النظر بين الطرفين إن وجدت، كما تمت العودة إلى ما توفر من مراجع أجنبية سواء من المكتبات أو من الانترنت هذا من ناحية، أما من الناحية الأخرى، فقد واجهت صعوبة في النسخ المترجمة للكتب الأجنبية، فمثلاً في الحادثة الواحدة كان كل مصدر يذكر اسم المدينة بشكل مغاير عن الآخر، و كذلك الحال بالنسبة لأسماء الأشخاص ، فكل مصدر ذكرها على طريقته ولغته ربما ؟ حتى في المراجع المترجمة، وقد تمت ترجمتها وكتابتها بطرق مختلفة، فعلى سبيل المثال لا الحصر مدينة لفقسية في المصادر العربية وردت تحت اسم نيقوسيا ــ و النميسون ــ ليماسول .... الخ.

ومن يقرأ مثلاً كلمة **الماغوصة** كما وردت عند البدر العيني أو كلمة **أموخستوس** كما وردت عند **د.ق سبيريذاكس** في كتابه "**موجز تاريخ قبرص**" فهل سيعرف مباشرة أنه يقصد مدينة فاماجوستا؟

وفي أسماء الأشخاص وردت كتابتها بعدة طرق للشخص نفسه : مثل ليجرت ــ ريتشارد قلب الأسد ــ ريكاردوس، و ايزابيلا كانت ترد أحياناً باسم يولاند أو زابين عند ابن عبد الظاهر، و في بعض المصادر العربية ورد اسمها (الدبونة) و كذلك ورد اسم الملك ــ هيو ــ هيوج و هيوغ أوهوغ أو أوغوس، هامولاسترنغ = هامولاتريخ، جي لوزينيان = غي لوجنان = جاي

لوزينيان، ايزاك أو اسحق أو إيساك كومينينوس ، يوحنا،أو حنا أو جون أسماء لشخص واحد... ، الخ، كما أن أسماء الملوك، و الأمراء، و الشخصيات الهامة بالتالي تتشابه إلى حد كبير مع أنها من أسرات مختلفة و أماكن مختلفة، وهذه الأمور يجب مراعاتها بدقة خلال البحث مما يزيد من صعوبته، فبات علي مهمة البحث و معرفة الشخص المقصود ومدى قرابته وصلته بالأحداث، مما سبب عناءً كبيراً في محاولة البحث و استقراء ما بين السطور و اللجوء أحياناً إلى المقايسة التي يمكن أن تفيد في هذا الموضوع، فكان علي تعويض النقص و سد الفراغ عن طريق الاستفادة من المعلومة الصغيرة و إبراز أهميتها و التعليل بأن محور الأحداث كان مركزاً على القدس و عكا و مصر، لذلك لم تكن قبرس تحظى باهتمام المؤرخين إلا عندما يدق ناقوس الحرب مع المسلمين، فعند ذلك يتم الإعداد و التجهيزات في قبرس كونها الممول الرئيسي للحملات الصليبية.

ويشتمل البحث على أربعة فصول تسبقها مقدمة و دراسة تحليلية مقارنة لأهم المصادر العربية و الغربية و المراجع بنوعيها، كما ألحقت الدراسة بجريدة ذكرت فيها أسماء أهم المصادر و المراجع بنوعيها و الخرائط.

ففي **المقدمة** تم التحدث عن أهمية الموضوع و حدوده الزمنية و سبب اختياري له، و بعد هذا المدخل جاء الفصل الأول حاملاً عنوان (عرض عام : جغرافي – تاريخي) و قد قسم الفصل الأول إلى قسمين: شمل القسم الأول عدة نقاط أهمها:

- **التسمية و الموقع و الحدود الجغرافية لقبرس.**
- أماالنقطة الثانية : من هذا الفصل فتناولت البيئة الجغرافية و التضاريسية للجزيرة لأنه و اعتماداً على مقولة التاريخ و الجغرافية علمان متعاونان متكاملان، فلا بد من هذه اللمحة البسيطة.
- في حين تناولت النقطة الثالثة: دراسة عن أهم الموارد الاقتصادية و تمت معالجة عدة موضوعات رئيسية أهمها: الزراعة – الحرف– التجارة مع لمحة بسيطة عن السكان و أصولهم، و عن النشاط العمراني، أما القسم الثاني من الفصل الأول فبدأ بلمحة تاريخية – سياسية عن جزيرة قبرس حتى قدوم الفرنجة الصليبيين وشمل هذا القسم عدة نقاط: أهمها فتح المسلمين لقبرس و تطورالجزيرة عبر العصرين الأموي و العباسي إلى أن أعادتها بيزنطة إلى حوزتها.

أما **الفصل الثاني** من الرسالة فقد حمل عنوان **(قبرص و الحروب الصليبية)** يعد هذا الفصل من أطول فصول الرسالة تناول دراسة لأهمية الجزيرة و الأوضاع العامة لقبرص قبل احتلال ريتشارد قلب الأسد لها و الأسباب التي دفعته لاحتلالها، كما تم الحديث عن حكم العائلة اللوزينيانية الفرنسية لهذه الجزيرة إلى أن تم توحيد تاجي قبرص و بيت المقدس سنة ٥٩٥هـ/١١٩٨م و من ثم الأسباب التي أدت إلى انفصال التاجين من جديد بوفاة عموري، و نشوب الصراعات و الثورات المستمرة لاسيما بين الحزب الإمبراطوري و البارونات حتى نهاية الحروب الابلينية و القضاء على الحزب الإمبراطوري، بالإضافة إلى الحملة الصليبية السابعة التي جعلت قبرص قاعدة لها سنة (٦٤٢هـ/١٢٤٤م).

هذا وقد حمل **الفصل الثالث** من الرسالة عنوان (**قبرص و دولة المماليك الأولى**) تناول هذا الفصل دراسة قيام دولة المماليك و نشأتهم وانتصارات الظاهر بيبرس، الأمر الذي جعله يقدم على توقيع الهدنة مع ايزابيلا سيدة بيروت سنة ٦٦٧هـ/١٢٦٨م، و محاولته مهاجمة قبرص وإخفاقه في إخضاعها، و تم التوقف في الحديث عند توحيد تاجي المملكة سنة ٦٦٨هـ/١٢٦٩م إذا أضحى ملك قبرص يحكم المملكة اللاتينية، وتم الحديث عن أهمية الدور الذي شغلته قبرص في حماية عكا.

وكان لا بد من التطرق إلى العلاقات السياسية بين قبرص و القوى المجاورة لها من مغول و أرمن و أهم الأحداث التي جرت في قبرص و أثرت على مجرى الأحداث، و المتغيرات السياسية التي أدت فيما بعد إلى نتائج سلبية انعكست على قبرص نفسها أهمها الصراع بين ملك قبرص هنري الثاني و أخيه أملريك صاحب صور، و تدخل الرهبانيات العسكرية (الداوية و الاسبتارية) في هذا الصراع و تحريضهما على بعضهما البعض.

كما تم ذكر أهم الأسباب التي إلى أدت إلى إلقاء القبض على أفراد منظمة الداوية و محاكمتهم رسمياً إلى أن تم إلغاءها نهائياً، و كيف انتقلت المنظمة الرهبانية الأخرى (الإسبتارية) إلى جزيرة أخرى **رودس** (عند مدخل بحر إيجة و هي غرب قبرص بانحراف إلى الشمال) و أثر ذلك على الوضع السياسي و التجاري لقبرص حتى حكم هيو الرابع لقبرص و أهم الأعمال التي قام بها خلال مدة ملكه.

أما **الفصل الرابع** و هو الفصل الأخير من الرسالة و الذي حمل عنوان (**الاجتياح الصليبي القبرسي للإسكندرية و الحملات على الساحل الشامي – السوري و بعض المدن الأرمينية**)، عالج هذا الفصل عدة قضايا هامة مثل مشكلة أزمير و منعكاساتها على الصليبيين و المسلمين

و عن محاولات ملوك قبرس القيام بحملة صليبية كبيرة من أجل استرداد الأرض المقدسة و تولي بطرس حكم قبرس و محاولته احتلال كل من حصن كالورنوس (العلايا) و أنطاكية قبل رحلته إلى أوروبا من أجل طلب المساعدة في الإعداد لحملته الصليبية المقبلة، لكن المسألة التي أزمت الوضع و ساهمت في تأخير هذه الحملة الصليبية هو ماحدث في كريت تلك الجزيرة التي استعمرتها البندقية و نشوب الثورة فيها إلى أن خمدت الثورة وحدثت الكارثة الكبرى في اختيار الإسكندرية هدفاً لتلك الحملة سنة ٧٦٧هـ/١٣٦٥م، و الأعمال الوحشية التي ارتكبها الفرنجة بحق الأهالي و المدينة، و توالي الغارات الفرنجية، و أعمال القرصنة على الساحل الشامي (جبلة – اللاذقية، بانياس و بعض المدن الأرمنية مثل (إياس) إلى أن تم عقد الاتفاق و توقيع معاهدة السلام بين الطرفين، كما تم التحدث عن أهم الصراعات الداخلية التي حدثت في قبرس في هذه الحقبة و التخبط الذي وقعت فيه مما أدى إلى ضعفها و احتلالها من قبل جنوة سنة ٧٧٥هـ/١٣٧٣م .

وفي النهاية أضع جهدي المتواضع بين أيديكم وأرجو أن يكون قد وصل إلى درجة الرضى و القبول، ولا أدعي بأنني وفيت الموضوع حقه من الدراسة، لكنني وإن تعثرت قليلاً، أو لم أحقق الأمثل فإنما يعود ذلك إلى قلة المصادر التي لم أستطع الحصول عليها، وبالتالي نقص في المعلومات نظراً لأهمية الموضوع، والأهمية التي تشغلها الجزيرة في هذه الحقبة بالذات، لذا اكتفيت بالإشارة السريعة إلى المعلومة حين الافتقار إليها في المراجع والمصادر، علها تفي بالغرض المطلوب والاقتراب من الحقيقة قدر المستطاع لأنه و كما قال العماد الأصفهاني :"إني رأيت أنه لا يكتب إنساناًكتاباً في يومهإلا قال في غده : لو غير هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل ، و هذا من أعظم العبر على نقص البشر ".

وأخيراً لا يسعني إلا أن أقدم شكري الجزيل عرفاناً بالجميل لأستاذتي المشرفة الأم الفاضلة الدكتورة وفاء جوني على رعايتها الكريمة لي في محنتي و إشرافها على رسالتي طوال هذه المدة و تشجيعها المستمر فجزاها الله عني كل الخير، كما أنني أخص بالشكر الجزيل أستاذنا القدير الدكتور سهيل زكار الذي لم يتوان قط عن تقديم مختلف أنواع المساعدة لي منذ بداية مرحلة الدراسات العليا حتى الآن، و أشكر الدكتورة المحترمة اكتمال إسماعيل لمساعدتها لي وإرشاداتها الكريمة، و أعضاء اللجنة الكرام الدكتور محمد زيود، و الدكتور حسن مبيض، و لكل من ساهم في تقديم المساعدة العلمية لي.

و الله ولي التوفيق

دراسة لأهم مصادر البحث:

تناول البحث طرفاً من العلاقات بين الشرق والغرب في حقبة زمنية معينة من أحداث الحروب الصليبية، شهدت تغيراً وتطوراً كبيراً في تاريخ الحروب الصليبية، بدءاً من فتور الحماسة الصليبية لدى الفرنج في بلاد الشام، ودخولهم في منازعات فيما بينهم أدت إلى إضعافهم، في الوقت الذي فقدت فيه مدينة القدس أهميتها، وثقلها كهدف للحملات الصليبية، تاركة لمصر الفرصة لأخذ تلك الأهمية، بعد أن أصبحت مركز الثقل للمقاومة الإسلامية ولتطهير البلاد من هؤلاء الصليبيين، وقد جذبت الحروب الصليبية، ومحاولات البابوية اليائسة في البحث عن حلفائها أنظار طرف جديد في الصراع ألا وهو المغول، بالإضافة إلى وجود أطراف متعددة ومتصارعة مثل (بيزنطة، الفرنجة في بلاد الشام وقبرس والمماليك في مصر، والدويلات الإيطالية بمن فيهم الفرنجة في قبرس) من هنا تحتم الرجوع إلى المصادر الغربية والشرقية على حد سواء، ومقارنتها ببعضها البعض، سعياً وراء الحقيقة التاريخية أولاً و آخراً، وخشية من أن تتكرر الدراسة لذلك تم التركيز وإلقاء الضوء في هذا البحث على إبراز وجهة النظر الشرقية، والاعتماد عليها بصورة أكبر دون إغفال الأخرى، هذا إلى جانب المنابع العربية المتأخرة نوعاً ما عن الحقبة المدروسة، التي أغنت الموضوع بمعلومات هامة وقيمة، ومن الملفت للانتباه أن مؤرخي الغرب قد تعمدوا تشويه بعض الحقائق المتعلقة بالجبهة العربية الإسلامية، وجاءت مؤلفات الفريقين محشوة بكم من الروايات والأخبار والحوادث لا بل حتى في أسماء الأماكن والأشخاص المتباينة وهنا تكمن المشكلة ؟

المصادر العربية :

على الرغم من وفرتها، وأهميتها بالنسبة للبحث، فقد جاءت معلوماتها ضئيلة جزئية غير كاملة عن قبرس ودورها خلال هذه الحقبة التاريخية بالذات.

ويلاحظ أنها اتبعت في معظمها النظام الحولي في الكتابة التاريخية إلا الشيء اليسير منها الذي اهتم بالترجمة للأشخاص (العسقلاني) و(السخاوي)، وعلى الرغم من كثره المشتغلين من

العرب في تصنيف الكتب والموسوعات والمؤلفات الجغرافية، فلم تتم الاستفادة من المعلومات إلا شذرات في صور مختلفة، وليس ثمة قيمة حقيقية إلا لبعضها.

فقد أوردت هذه المصادر الحوادث بشكل مقتضب ومختصر ومتكرر، فباتت وكأنها نقلت عن بعضها وتشابهت إلى حد كبير، الأمر الذي جعل الإفادة منها ناقصة، فعلى سبيل المثال لا الحصر حادثة الاسكندرية أتت على ذكرها جل المصادر العربية، و جاءت معلوماتها متشابهة جداً باستثناء النويري الذي كان شاهد عيان وتميز بكتابه " **الإلمام** " وبحديثه المفصل والدقيق لهذه الكارثة، وكذلك المقريزي في كتابه السلوك يأتي في المرتبة الثانية في أهمية المعلومات التي قدمها، و قد ساهمت هذه المصادر إلى حد كبير في إغناء البحث، كما تم جمع المعلومات المتناثرة هنا وهناك من مختلف المصادر والإفادة منها قدر الإمكان، وعلى الرغم من ذلك كله تمت الإحاطة بمعظم جوانب الموضوع لأن كل عمل يبقى ناقصاً مهما حاول الباحث إكماله.

و أهم هذه المصادر حسب ترتيبها الزمني:

ابن الأثير(أبو الحسن علي بن محمد) (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م):

يأتي على رأس المصادر العربية الإسلامية ما كتبه عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد عبد الكريم بن واحد الشيباني المعروف بـ **ابن الأثير**، فقد ولد في جزيرة ابن عمر من أعمال الموصل من أسرة عملت في خدمة الملوك وعاش في البلاط الزنكي، نشأ نشأة علمية أرستقراطية، وتنقل بين المدن الإسلامية الكبرى مثل الموصل وبغداد ودمشق والقدس فكان لنشأته وتنقلاته الأثر العلمي الكبير على كتاباته، اعتمد ابن الأثير في تدوين تاريخه على الثقة من الرجال والرواة، لكن ما ميزه عن غيره من المؤرخين هو تعليله الكثير من الأمور الغامضة، وشرحه أحداثاً لم ترد عند بقية المؤرخين، أو من المؤرخين ويعد كتابه المشهور

" **الكامل في التاريخ** " مصدراً رئيساً غنياً ذا قيمة عظيمة حتى سنة ٦٢٨هـ / ١٢٣١م، ويتميز الكتاب بشمول النظرة، وعمق التفكير، وموازنة بين تاريخ الأقطار الإسلامية وعلى الرغم من أن عواطفه وميوله كانت مع الأتابكيه الزنكية، الأمر الذي أدى إلى عدائه لصلاح الدين الأيوبي وعلى الرغم من ذلك أبدى تقديره وإعجابه فيه، وان لم يخل من تعرضه له بالنقد في كثير من الأحيان، وكتابه الكامل – حولي – مؤلف من عدد من الأجزاء بدأها منذ

أول الخليفة حتى الحقبة التي سبقت وفاته، يعد هذا الكتاب من أهم المصادر التاريخية عن الحروب الصليبية لأن مؤلفه عاصر حقبة منها[1] وشهد أحداثها ، فسجلها تسجيلاً علمياً دقيقاً صادقاً، وقد حوى هذا الكتاب معلومات غنية جداً في أجزائه الأخيرة من العلاقات التي كانت قائمة بين المسلمين و الصليبيين، والمعاهدات التي أبرمت بين الطرفين، كما وجدت فيه مادة جديدة عن مرحلة المقاومة والاسترداد، وتحرير صلاح الدين للبلاد، وكتاب ابن الأثير خير ما ألف من الحوليات من حيث غزارة المعلومات، وجمعه أخبار الشرق والغرب معاً ،هذا بالإضافة إلى تبويبه الجيد وأسلوبه الشيق ولغته الواضحة، أما المصنف الآخرفهو كتاب " **الباهر في تاريخ الدولة الأتابكية** " وقد أرخه من وجهة نظر الأتابكية، وهو حولي أيضاً ، وكان كتاب الكامل الذي اعتمدت عليه مصدراً أساسياً وهاماً، وكان خير عون لي في معظم مراحل الرسالة تقريباً منذ الفتوحات الإسلامية الأولى لقبرس، مروراً بالعصر الراشدي ثم الأموي، والعباسي من بعده وأهم الأعمال التي قام بها صلاح الدين وسياسته القائمة مع بيزنطة و قبرس، كما تمت الاستفادة منه في أمور متعددة منها اقتصادية، لاسيما الزلازل والكوارث التي أصابت المنطقة العربية وتأثرت بها قبرس حسب السنوات، كما تحدث عن جوانب أخرى أهمها:

حملة ريتشارد على قبرس مع وصف دقيق لعدد من الشخصيات .

(ريتشارد وفيليب).

كما تحدث عن استيلاء الفرنجة على بيروت وتسليمها من قبل عز الدين سامة دون مقاومة تذكر سنة ٥٩٣هـ/١١٩٧م .

و كذلك عن إخفاق الفرنج في معركة المنصورة ٦١٨هـ/١٢٢١م .

النويري (ت٧٧٥هـ / ١٣٧٢م):

محمد بن قاسم بن محمد النويري الاسكندراني، واحد من أهالي بلدة نويرة، و كان شاهد عيان لحادثة الإسكندرية، تحدث عنها بالتفصيل، ودون دقائق الأمور، وكان قد قدم إلى الإسكندرية سنة ٧٣٧هـ / ١٣٣٧م وسكن فيها، وتزوج منها، ولطول إقامته فيها بات يعرف بالاسكندراني، وذكر النويري أنه جاء الإسكندرية بقصد زيارة المزارات، وأضرحة المشايخ

[1] - عطية (حسين) : إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون ، المعرفة الجامعية ، ١٩٨٩ ، ص ٧٥ – ٧٦

الإسلامية فيها فطاب له المقام بالمدينة، وعمل بنسخ الكتب مما أكسبه معارف واسعة جداً، لاسيما مع بعض الأوساط العلمية وسواها في المدينة[1].

كان النويري موجوداً في الإسكندرية عندما تعرضت للاجتياح الصليبي، لكنه استطاع الهرب وتمكن من النجاة مع من نجا، ثم عاد إليها من جديد، ودون لنا وقائع الاحتلال بصورة تنبض بالحياة، ووضع في كتابه كل ما توفر لديه من معلومات تاريخية وقصصية وشعرية وفقهية وسماه " **الإلمام بالإعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في وقعة الإسكندرية** " وهكذا تحول الكتاب إلى موسوعة، موادها مفيدة، نادرة، أما مصادرها فما زالت محجوبة ، حوى هذا الكتاب مادة جيدة للتاريخ أهمها حادثة الإسكندرية وكيفية استيلاء الجنوية على قبرس و مغانمهم منها، وعن توقيع الصلح بين المسلمين والقبارسة سنة ٧٠٠هـ / ١٣٠٠م، وعلى هذا فإن مادة النويري غنية، وذات أهمية عالية لا يستغني عنها أي باحث في تاريخ الإسكندرية والمهتم بالتاريخ الاقتصادي والعسكري للسلطنة المملوكية في مصر والشام، فقد ذكر النويري أصداء الكارثة، وكيف كان المسلمون أمة واحدة وكتلة متفاعلة مع بعضها، وخير مثال على ذلك دور المغاربة وخاصة إبراهيم التازي في القتال البحري، و شوهد في مادة النويري تمازجاً بين القرصنة والتجارة، والفطنة في استخدام السلاح، بالإضافة إلى أنه عكس من خلال كتابه صورة عن المجتمع المصري – الشامي إبان الدولة المملوكية و هي صورة مجتمع واعد بعصر نهضة جديد [2].

المقريزي (ت٨٤٥هـ / ١٤٧٨م):

يعد تقي الدين المقريزي أبو محمد أحمد بن علي من أبرز علماء عصره، ممن اتسعت معارفه وغلبت عليه صفة المؤرخ لكثرة ما دونه في هذا الجانب من مؤلفات نافعة ومتنوعة،

---

[1] - النويري(محمد بن قاسم) : الإلمام بالإعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في وقعة الإسكندرية ، من خلال الموسوعة الشامية دار الفكر ، دمشق / ٢٠٠٥م ،ج ٤٩ ، ص٧

[2] - النويري : الإلمام ، ص٨

ولد تقي الدين المقريزي في القاهرة سنة ٧٦٦هـ / ١٣٦٤م، ونشأ في كنف أسرة عرفت

أصولها بالمشاركة في تحصيل العلم [١] أما تسميته بالمقريزي نسبة لحارة في بعلبك عرفت بحارة المقارزة، كان أصله من بعلبك وجده من كبار المحدثين[٢] نشأ المقريزي نشأة حسنة فحفظ القرآن، وبعض المختصرات في الفقه، ثم تتلمذ في الفقه والحديث والقرآن واللغة والنحو والتاريخ، على عدد من أعلام العلماء، فضلاً على اتصاله الواسع ببعض الأمراء وقد تمكن المقريزي من مصادقة الظاهر برقوق وابنه الناصر، وشغل عندهما عدة وظائف وناب في الحكم، وكتب التوقيع وولي الحسبة[٣] وقف حياته على تدوين تاريخ مصر الإسلامية وتدوين أمجادها.

وقع فريسة لمرض طويل أدى به إلي الموت في ٢٦ رمضان سنة ٨٤٥هـ / ١٤٤١م، بعد أن ترك موروثاً ضخماً من الكتب جديراً بدراسته والانتفاع به.

للمقريزي مؤلفات هي على نوعين :

١- كتب موسوعية كبيرة الأجزاء .

٢- كتب أو كتيبات صغيرة أهمها ما عني فيه بتاريخ العالم ككتاب " **الخبر عن البشر** " أو " **الدرر المضيئة في تاريخ الدولة الإسلامية** "

وأكثره ما عني فيه بتاريخ مصر الإسلامية حيث وقف حياته على تدوين تاريخها وتدوين أمجادها في جميع النواحي السياسية والعمرانية والبشرية أهمها:

"**عقد الجواهر الأسفاط في تاريخ مدينة الفسطاط** "

" **اتعاظ الحنفا بذكر الأئمة الفاطميين الخلفاء** " ومن مؤلفاته " **شذور العقود في ذكر النقود**" و"**الخطط المقريزية** " و**السلوك لمعرفة دول الملوك**" وهذا الأخير أرخ فيه لمصر في العصرين الأيوبي والمملوكي إلى قبيل وفاته سنة ٨٤٥هـ / ١٤٤١م [١] وهو عبارة عن مؤلف طويل في تاريخ مصر الإسلامية. أراده أن يكون خاتمة لحلقة كبيرة عني فيها بالتأريخ لمصر في ظل السلاطين الأيوبيين والمماليك فيما بين سنتي (٥٦٧هـ / ٨٤٤هـ / ١١٧١ – ١٤٤١م) وقد نظمت مادته على حوليات سلاطين هاتين الدولتين والحاوية للحوادث والتراجم، ولكن يؤخذ

---

[١] - عز الدين (محمد كمال الدين) : المقريزي مؤرخا ، عالم الكتب ، ١٩٩٠م ، ص ٢٣ ، ٢٤ .

[٢] - السخاوي (محمد): (٨٣١-٩٠٢) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، بيروت ، مكتبة الحياة ، القاهرة ،١٩٣٦م، ص ٢١

[٣] - السخاوي : الضوء اللامع ، ص٢٢ ، / عز الدين : المقريزي مؤرخا ، ٣٣ ، ٣٤

على المقريزي أنه سار على أنماط الكتابة والإنشاء الشائعة في عصره، حتى كثرت أخطاؤه النحوية، لكنها بالمقابل عكست صورة وحالة اللغة في ذلك العصر[1] و[illegible] من المباحث التاريخية والجغرافية والاقتصادية مما جعله أشبه بموسوعة لتاريخ مصر السياسي والحضاري، وقد أفدت من كتابه السلوك بالذات في الكثير من الأمور الهامة على رأسها النواحي الاقتصادية فقد ذكر الكوارث الطبيعية التي حلت بالمنطقة وأثرت بقبرس لا سيما (الزلازل) كما أمد البحث بمعلومات هامة تعلقت بإرسال نجدات من قبرس ومساعدتها للصليبيين وكذلك مهاجمة القبارسة وشن هجومهم على إسماعيلية بلاد الشام سنة ٦١١هـ / ١٢١٤م والمفاوضات السياسية مع الفرنجة، وفداء الأسرى المسلمين، وكيف دفع النصارى أموالهم لفداء إخوانهم المسلمين في حملة الإسكندرية، والاهتمام بتقوية البحرية الإسلامية وحب الانتقام من قبرس و أمد البحث بمعلومات هامة عن نشاط قبرس ضد طرابلس والساحل السوري ومهاجمة ملك قبرس بطرس الأول لجبلة واللاذقية وبانياس، ومن ثم ميناء إياس .

وعن محاولة بيبرس فتح قبرس ٦٦٣هـ / ١٢٧٠م وكيفية إعداد الخطة لذلك ، كما أفاد الدراسة من حديثه عن توحيد التاجين ٦٦٨هـ/١٢٦٩م ، وتزعم قبرس للقوى الصليبية٠

وعن انعقاد الصلح بين السلطان و قبرس ٦٧٠هـ / ١٢٧١م وتبادل الأسرى.

أبو المحاسن (٨٧٤هـ / ١٤٦٩م):

جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي، عاش بين سنتي (٨١٣ – ٨٧٤هـ / ١٤٠٩ – ١٤٦٩م) أي أنه عاصر ستة عشر سلطاناً في دولة المماليك الجراكسة في حقبة تميزت بالضعف والتقهقر في حياة الدولة المملوكية[2] أي أن أصله من المماليك انحدر من أسرة ضمت عشرة أولاد كان المؤلف أصغرهم، تولى والده الأمير تغري بردي أرفع المناصب إلى أن توفي سنة ٨١٥هـ / ١٤١٢م، وهو على نيابة دمشق للمرة الثالثة، من أصل رومي يوناني من مماليك الظاهر برقوق بالإضافة إلى ذلك كانت تربطه بالطبقة الحاكمة صلة

---

[1] - المقريزي(تقي الدين أحمد) : السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، ط ١٩١٥،ج١،ص٦ .

[2] - أبو المحاسن(جمال الدين ابن تغري بردي) : النجوم الزاهرة ، قدم له محمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، ج ١ ، بيروت / ١٩٩٢ ، ص٣

النسب والمصاهرة التي وفرت له المكانة الرفيعة في عهد الظاهر برقوق وابنه الناصر والسلاطين من بعده [١] وبعد وفاة والده أمضى ابن تغري بردي حوالي تسع سنوات في كنف أخته (هاجر) وزوجها، وإلى هذه البيئة يرجع الفضل في تنشئته الدينية، وبعد وفاة زوج أخته أقبل على الدراسات الدينية والأدبية، ثم تعلم أنواع الفروسية، والعلوم العسكرية على يد أكابر المماليك وبهذا يكون قد جمع النواحي الأدبية والدينية والعسكرية، غير أنه اختار لحياته مساراً دينياً أدبياً علمياً.

ظل أبو المحاسن قريباً من بلاط السلاطين منذ أيام برسباي حتى قايتباي، اكتسب خلالها القدرة على الحكم على الناس وطبائعهم والقدرة على تفهم روح العصر، فصارت كتابته للتاريخ صورة صادقة إلى حد كبير، ويمكن القول إن أبا المحاسن كان مرآة عصره، بما يحمله من تناقضات وصراعات، وبعد ذلك عانى من مرض القولنج، بل زاد عليه حتى توفي سنة ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م [٢].

اتبع ابن تغري بردي النظام الحولي في سرد التاريخ بمقتضى تتابع السنين ورصد الحقائق المجردة دونما صلة أو رابطة عميقة، فقد انتهج خطين أساسيين في تدوين مادته التاريخية الأول مصري محلي، والثاني إسلامي عام مع عدم إغفاله لبعض الأحداث الهامة التي حدثت في ممالك الروم والمغول أو الفرنجة[٣] .

بدأ كتابه النجوم الزاهرة من فتح مصر على يد عمرو بن العاص سنة ٢٠ هـ حتى زمن الدولة الأشرفية الإينالية سنة ٨٦٥هـ / ١٤٦٠م، وشرع في التاريخ لسلطنة قايتباي غير أنه لم يكمل ذلك بسبب مرضه.

ويلاحظ في القسم الأول من تاريخ أبي المحاسن تتبعه لأخبار مصر معتمداً على مصادر موثوقة متخصصة لكل حقبة، أما القسم الثاني من تاريخه، فيرتفع به إلى درجة كبار المؤرخين لعصر المماليك بلا منازع لا سيما عصر الشراكسة[٤].

---

[١] - أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ،ج١ ، ص١٠

[٢] - أبو المحاسن : المصدر نفسه ، ص١٢

[٣] - أبو المحاسن : المصدر نفسه ، ص ١٧ ، ١٩

[٤] - أبو المحاسن : المصدر نفسه ، ص٢٤

ترك مكتبة عامرة بالمؤلفات في شتى أنواع العلوم التي ألفت في عصره وقبله لكنها لم تصل جميعها، والتي تعد بحق ثروة حقيقية، واغناءً للمكتبة التاريخية العربية أهمها "المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي" و "النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة" وحوادث الدهور في مدى الأيام و الشهور".

يعد كتابه النجوم على درجة كبيرة وعظيمة عرفها المستشرقون، فبادروا إلى تحقيق وترجمة أجزاء كبيرة منه، وترجم إلى عدة لغات أجنبية لأهميته في فهم ذلك العصر[1] أما أهم الأمور التي أفادت الدراسة، فهي حديثه عن فتوحات بيبرس والانتصارات التي حققها على الصليبيين بمزيد من التفاصيل، وعن المحاولة التي قام بها صاحب قبرص مساعدة عكا و استرجاعها من المسلمين، وكيف اضطر للانسحاب وإجراء المفاوضات مع المسلمين بقيادة الأشرف خليل .

كما تحدث عن احتلال الإسكندرية ومدة بقاء الفرنجة فيها حتى وصول النجدة الإسلامية من القاهرة.

ابن إياس الحنفي (٩٠٨هـ / ١٥٠٣م):

ولد شهاب الدين أحمد بن إياس الحنفي مؤلف بدائع الزهور في سنة ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م انحدر من عائلة من أصل مملوكي[2] .

كان جده الأمير إياس العمري الظاهري من جند أحد مماليك السلطان الظاهر برقوق .

وترقى في عهده إلى أن ولي **الدوادارية**[3] الثانية أيام ابنه السلطان الناصر أما والده شهاب الدين أحمد بن إياس فكان من مشاهير الناس كثير العشرة للأمراء أرباب الدولة[4].

---

[1]- أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ،ج١ ، ص٤٣ .

[2]- ابن إياس(محمد) : بدائع الزهورفي وقائع الدهور ، حققه د. محمد مصطفى ، دار المعارف بمصر، ١٩٥١م ، ص١٣

٣- **الدوادار** : منصب عظيم الشأن في الدولة ، وهو أحد الأمراء ، ومهمته تبليغ الرسائل عن السلطان و إبلاغ عامة الأمور و تقديم القصص و المشاورة على من يحضر إلى الباب ، و تقديم البريد ، وهو الذي يقدم إلى السلطان كل ما تؤخذ عليه العلامة السلطانية من المناشيرو التواقيع و اختلفت آراء ملوك الترك في الدوادار ، فتارة كان من أمراء العشرات و الطبلخات ، و تارة كان من أمراء الألوف للمزيد انظر :

البستاني(بطرس) دائرة المعارف ، دار المعرفة ، مج٨ ، بيروت ، ص ٨٥

[4]- ابن إياس : بدائع الزهور ، ص١٥

كان متواضعاً له خبرة واسعة ودراية بالأخبار، كما كان أميناً في كتابه لا تؤثر عليه عوامل الظروف أو المناسبات، وهذا ما نلاحظه في جميع كتاباته عن السلاطين الذين عاصرهم وعرج في كتاباته على معاصريه وغيرهم، بل ذكر أسماء من نقل عنهم [1] ساعده على ذلك امتلاكه لإقطاع وافر كان يدر عليه دخلاً كافياً للكتابة والتأليف في التاريخ، كما أنه نظم الشعر في مناسبات مختلفة. له عدة مؤلفات منها في الفلك " كتاب عجائب السلوك "، وكتاب " نشق الأزهار في عجائب الأقطار " وهو في الفلك أيضاُ، وكتاب " **عقود الجمان في وقائع الأزمان** وهو " ملخص عن تاريخ مصر، و كتاب " **نزهة الأمم في عجائب الحكم** " في تاريخ العالم، والأهم من ذلك كتابه " **بدائع الزهور في وقائع الدهور** " كتبه على طريقة الحوليات الشائعة في ذلك العصر، وصف فيه أحوال مصر الداخلية إبان الحقبة المملوكية بطريقة مريحة دون أي تحيز أو تميز، كما كتب عن النظم الإدارية والحربية والحالات الاجتماعية والاقتصادية وارتفاع الأسعار[2] والكوارث. كانت لغته سهلة وأسلوبه بسيط أقرب إلى العامية، وهو لا يعبأ بقواعد الإملاء كثيراً، وربما كان ابن إياس على صلة كبيرة بأعيان الدولة وخواص السلطان، وكان أخوه الجمالي يوسف موظفاً بالقلعة أي أنه كان يستقي أخبار الحوادث التي لا يراها بنفسه من مصادر موثوقة إذا شك في أمر ذكر ذلك[3] أما أهم النقاط التي تم الإفادة منها، فهي حديثه عن احتلال الفرنجة للإسكندرية، وعن القسوة و الوحشية التي مارسوها بحق المصريين، كما تحدث عن طوائف الفرنجة التي شاركت بهذا الاحتلال، وكيفية دخولهم إلى المدينة، وتحدث عن جهاد السلطان بيبرس ضد المغول والصليبيين، وعن مجابهة بيبرس للأرمن وكسر شوكتهم لاسيما عاصمتهم (سيس). كما تحدث عن دور قبرس في مملكة عكا سنة ٦٩١هـ / ١٢٩١م.

---

[1] - ابن إياس : بدائع الزهور ، ص١٧ ، ٢٠

[2] - ابن إياس : المصدر نفسه ، ص٢١ ، ٢٢

[3] - ابن إياس : المصدر نفسه ، ص ٣١

المصادر الأجنبية:

لا تقل أهمية عن المصادر العربية بالنسبة لموضوع قبرس، بل إن عدداً كبيراً من الكتاب الأوروبيين يرجحها على المصادر العربية، وباتت الأكثر اغناء من الكتب العربية في معظم معلوماتها، وإن تركزت على النواحي الدينية ومشكلة الدولة والعرش، والنواحي الاقتصادية فاكتملت بها الصورة و سدت النقص في المصادر العربية، وردت على بعض التساؤلات التي لم أجد لها جواباً في المصادر العربية لوحدها، وإن لقيت صعوبة جمة، سواء في الحصول على بعضها، أو من حيث اختلاف الترجمات والمعاني و الأسماء بين الكتب لا بل حتى في التواريخ.

كما أنها كتبت بأكثر من لغة من قبل كتاب غربيين غير مسلمين، وهذا ما جعلها تتلون بلون معاد للعرب والمسلمين، وتمثل وجهة النظر الغربية لدى الغزاة الفرنجة، إنما بدرجات، وحسب انتماءات كل كاتب سواء أكانت الانتماءات كنسيه أم إقليمية أم شخصية ... الخ.

وأهم هذه المصادر :

دي نوفار فيليب(٥٩١ – ٦٦٣هـ/١١٩٥ – ١٢٦٥م):

هو إيطالي الأصل قبرسي النشأة، ولد حوالي عام ٥٩١هـ / ١١٩٥م في مدينة نوفار في لومبارديا(مقاطعة بإيطاليا)، ومات بعد عام ٦٦٣هـ / ١٢٦٥م من أسرة نبيلة ينتمي أصلاً إلى المدينة اللومباردية التي حملت اسم نوفاريا في اللغة اللاتينية، أتى إلى قبرس ودخل في خدمة أحد النبلاء القبارسة هناك المدعو بيير شابي pierre chape، وصحبه في قراءة الروايات بصوت عال[1] ثم انتقل فيليب من خدمة شابي إلى خدمة رالف صاحب طبرية، الذي كان قانونياً شهيراً ومنه تعلم علم القانون الذي كان فيما بعد سبب شهرته، ثم انتقل فيليب من خدمة صاحب طبرية إلى خدمة جون أوف ابلين " أو "جون دي ابلين" صاحب بيروت " واستقر في قبرس، وما لبث أن حصل على مركز مهم، حيث أصبح واحداً من أهم مستشاري جون دي ابلين وابنه بالين، ومن أتباعهما الإقطاعيين، أما السنوات ما بين سنة (٦٢٧هـ – ٦٥١هـ/ ١٢٢٩م – ١٢٥٣) فهي الأكثر أهمية في حياة فيليب، فقد ذكر رواية كاملة عن محاولة وكلاء

---

[1] - عطية : إمارة أنطاكية ، ص ٤٢ ، ٤٣/ دي نوفار(فيليب) :حروب فريدريك الثاني ضد الابلينيين في سورية و قبرس من خلال الموسوعة الشامية ، دار الفكر ،١٩٩٨م، ج٣٤، ص١٥

الإمبراطور الخمسة في قبرس اغتياله لأنه رفض قبول حكمهم، هذا وقد نال دي نوفار سمعة جيدة في محكمة قبرس، كما حمل فيليب دعوى قبرس لدى البلاطات الغربية ضد الإمبراطور سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٢م، وكان فيليب حاضراً مع جون أوف ابلين عند التفريج عن بيروت للعام نفسه، وكانت قمة أعماله عندما استطاع في سنة ٦٤١هـ/١٢٤٣م إقناع صاحب بيروت وتبنين وكذلك محكمه القدس بتأجيل هجومهم على صور ، حتى يصل الملك كنراد إلى السن القانونية، وإقامة أليس صاحبة قبرس ملكة على المملكة، وكوفئ فيليب مكافأة جيدة من قبل الملكة ألـيس، بأن سددت عنه جميع ديونه، ومنحته إقطاعا في عكا[1]، كما كان فيليب دي نوفار خلال حياة الملك هنري واحداً من المستشارين المهمين في المحكمة وعلى الترتيب الـذي صـنفه حـول الإجراءات القانونية، لاسيما تلك التي اعتمدت في محاكم القدس وقبرس، له عـدة كتـب فـي القانون هي بمثابة حلقة وصل بين القوانين القديمة وبين القوانين القبرسية الجديدة التي وضـعها ابلين، وله كتب في الأدب منها: الأطروحة الفلسفية المعنونة " **الأخلاقية** " وكتـاب " **الأجيـال الأربعة** " .....الخ.

أما أشهر أعماله فهو كتاب وضعه وعالج فيه بصفة أساسية أحداث القـرن ٧هـ/١٣م وهـو المصنف الذي حمل عنوان " **أعمال القبارصة** " قسمه إلى ثلاثة أقسام :

الأول: بعنوان " حولية الأرض المقدسة " اعتمد في تدوينه على تاريخ هرقل وهو يغطي المـدة من عام ٥١٦هـ/١١٣٢م إلى سنة ٦٢١هـ/١٢٢٤م

أما الثاني: فهو بعنوان " تاريخ الحرب التي وقعت بين الإمبراطور فريدريك ويوحنا ابلين" وهو عبارة عن اقتباس للسيرة الذاتية لفيليب، ويغطي المـدة مـن عـام ٦٢٥هـ/١٢٢٨م إلـى ٦٤١هـ/١٢٤٣م .

أما الثالث والأخير: فهو عبارة عن تذييل للقسمين السابقين ، وضعه شخص مجهول يعتقـد أن الذي وضعه " جيرارد دي مونتريال " الذي كان كاتباً لدى مقدم الداوية وليم بوجيه[2] وربما كان القسم الثالث لشخص مجهول ؟

تميز فيليب دي نوفار بدقته وصحته في عرضه للحقائق وتركيزه على السمات الحسنة لبطلـه جون دي ابلين، فقد أراد تخليد ذكرى صديقه الحميم ومولاه لكن يؤخذ عليـه انحيـازه للبيـت الابليني بالإضافة إلى ذلك الشعر الذي نظمه وأودعه في ثنايا صفحات كتابه، لكن ومع ذلك يعد

[1] - دي نوفار: حروب فريدريك الثاني ، موسوعة ، ج ٣٤ ، ص ١٨ ، ١٩ .

[2] - عطية : إمارة أنطاكية ، ص٤٣/ دي نوفار : حروب فريدريك الثاني ،ج٣٤ ، ص ١١

كتابة وثيقة مهمة صورت واقع الفرنجة في المشرق في النصف الأول من القرن ٧هـــ / ١٣م

لاسيما فيما يخص الحملة الخامسة والسادسة ودور الألمان في كلتيهما[1] وعلى هذا الأساس جرى اعتماد تاريخ فيليب من قبل كل كاتب عالج تاريخ قبرس خلال القرن ٧هـ / ١٣م، فهو بلا شك المصدر الأول لهذه الحقبة وهو مصدر ثمين لتاريخ الشرق، ويكاد يكون المصدر الوحيد حتى نهاية القرن، أما فيما يخص موضوع البحث، ومدى الاستفادة من الكتاب فإن القسمين الأخيرين من أعمال القبارصة قدما للبحث معلومات تاريخية على غاية من الأهمية وكانت أهم تلك المعلومات فيما يتعلق بعلاقات أمراء أنطاكية بغيرهم من قادة الصليبيين في قبرس وبلاد الشام، وموقف بوهمند من الإمبراطور فريدريك حين كان في قبرس، وهروب بوهمند من الجزيرة وموقفه من صراع الإمبراطور وأسرة إبلين.

وتحدث عن كيفية استلام العرش في قبرس بعد وفاة جي لوزينيان، ومن بعده عموري وعن نشوب الحرب الأهلية بين بارونات المملكة، ونواب الإمبراطور(فريدريك) في قبرس، كما تحدث عن الحرمان الكنسي، وغضب البابا على الإمبراطور ومحاربته بمزيد من التفاصيل.

جو انفيل (٦٢١-٧١٨هـ/١٢٢٤-١٣١٨م):

ينحدر جان أو(جون) سيردي جو انفيل بن سيمون من زوجته الثانية بياترس البرجندية من إحدى الأسر الفرنسية العريقة بمقاطعة **شامبانيا** [2]، والتي برز الكثير من أفرادها على مسرح السياسة في فرنسا خلال النصف الأول من القرن ٧هـ /١٣م، ولد جوانفيل في سنة لم يتفق عليها المؤرخون، أما الأكثرية فترجح أنه ولد سنة ٦٢١هـ/١٢٢٤م، ومات حوالي ٧١٨هـ/١٣١٨م[3].

---

[1] - دي نوفار : حروب فريدريك الثاني ،ج٣٤ ، ص ٩

[2] - شامبانيا أو شامبني أو شامبين هو إقليم يقع بين فرنسا و الفلاندرز انظر: زيتون(عادل) العلاقات الاقتصادية ، ص٤٣

[3] - عطية: إمارة أنطاكية ،ص٥٧/ جو انفيل(جون) : القديس لويس حياته و حملاته على مصر و الشام ، ترجمة حسن حبشي، دار المعارف بمصر،١٩٦٨م ، ص ١٤

نسيم (جوزيف): العدوان الصليبي على مصر ، هزيمة لويس التاسع في المنصورة و فارسكور ، دار النهضة ،١٩٨١م ، ص ٢

لا يعرف الكثير عن حياته الأولى سوى أنه التحق بحملة الملك لويس التاسع على مصر وكان أقرب المقربين من الملك لويس وموضع ثقته، حيث كلفه الملك ببعض المهام الخاصة، كما ساهم في الحملة التي نهض بها لويس على مصر.

تدرب جو انفيل على السلاح، وفاضت نفسه بحب الدين ورجاله، ودخل في خدمة الملك لويس حين وصوله إلى قبرس للمشاركة في الحملة، وبقي ملازماً للملك، ولم يفارقه إلا حينما قام لويس بحملته على تونس أي ما يعرف بالحملة الصليبية الثامنة[1].

كان جو انفيل مخلصاً لعقيدته المسيحية، كتب مذكراته في كتاب سماه " **القديس لويس** " تخليداً لذكرى الملك لويس بناءعلى طلب(جين دي نافار) ملكة شامبانيا وزوجة الملك الفرنسي فيليب الرابع الجميل و ذلك على طريقة الحوليات، و لما توفيت جين دي نوفار، أهدى جوانفيل كتابه إلى ابنها لويس العاشر سنة ٧٠٨هـ/١٣٠٨م[2]، أما مصادرجوانفيل في كتابه الشهير فهي على ثلاثة أنواع: منها ما رآه بنفسه، ومنها ما سمعه من أفراد أو جماعة وكانوا بدورهم شهوداً لما رأوه، أما المصدر الثالث فهو استعانته بكتاب ضمن سيرة الملك لويس التاسع دون أن يأتي على ذكر ذلك الكتاب.

تحدث جو انفيل في كتابه عن الحملة الصليبية السابعة، وأورد معلومات هامة عن النيل، وموعد زيادته ونقصانه، وعن الإسماعيلية في الشام وعقيدتهم، وإن وجدت بعض الأخطاء في بعض التفاصيل يعود السبب في ذلك الأمر ربما لجهل الفرنج بالمنطقة، أو ربما لأنه دون مذكراته عن الحملة بعد سنوات عدة من الحملة و بالرغم من ذلك يعد كتابه أثراً أدبياً مهماً في هذه الحقبة[3] كما أنه يعكس صوراً مختلفة عن ضروب الفروسية في المجتمع الفرنجي وعن الإقطاع وعن النظم الإدارية والعسكرية التي كانت سائدة في فرنسا، وعن حياة المؤلف نفسه والعصر الذي عاش فيه، وعن الأعمال البطولية للملك لويس بالإضافة إلى الصفات الجيدة التي تحلى بها هذا الملك وعرضها بطريقة جديدة[4]هذا وقد تمت الاستفادة منها لاسيما فيما يتعلق بحملة ريتشارد قلب الأسد وحملته إلى عكا، ثم عودة ملك فرنسا إلى بلاده، كما تحدث عن التتار وطريقة حياتهم وعقيدتهم وسياستهم وتحالف ملك أرمينية مع المغول، والاتصالات

---

[1] - جو انفيل : القديس لويس ، ص٥

[2] - عطية: إمارة أنطاكية ،ص٥٨

[3] - نسيم : العدوان الصليبي ، ص١٤

[4] - عطية : المرجع نفسه،ص ٥٨

الصليبية المغولية[1] وكيفما كان الأمر فإن كتاب جو انفيل يعد بلا شك أثراً تاريخياً مهماً في هذه الحقبة، و على الرغم من أن محتويات كتابه تعبر عن وجهة النظر الرسمية وعن مواقف جوانفيل من سيده، غير أن المعلومات و الحقائق التي اشتمل عليها هذا الكتاب على جانب كبير من الأهمية، خاصة أن الكاتب كان شاهد عيان، و على صلة وثيقة بالأسرة الحاكمة، و إعجابه الشديد بشخصية سيده بقوله: "كان الملك القديس يحب الحق حباً شديداً حتى أنه لم يرض مطلقاً أن يكذب على المسلمين أو يتراجع في أي اتفاق اتفق و إياهم عليه " و تحدث جوانفيل بتفصيل واسع مطول، و أورد أمثلة عديدة للدلالة على ما اتصف به سيده من ورع و تقوى و صلاح و ما قام به في سبيل الكنيسة [2] و يلاحظ في كتابه حرصه القوي على إيراد أحداث تاريخية اعتمد فيها على ذاكرته أولاً، وإن تخللها بعض الثغرات، فهو مصدر هام وغني لا يستغني عنه أي باحث في التاريخ في هذه الحقبة ولاسيما حملة لويس على مصر.

فارس داوي صوري (٦٥٣هـ/١٢٥٥م):

وهو واحد من فرسان الداوية، عاش في صور، واشتق اسم (الفارس الداوي الصوري) من حقيقة أن المؤلف كان له علاقة واضحة بوليم بيجو بوجيه مقدم الداوية منذ سنة ٦٧٢هـ/١٢٧٣م حتى سنة ٦٩٠هـ/١٢٩١م، لم يعرف تاريخ ولادته بالضبط لعل ذلك كان في جزيرة قبرس، بحكم أن المؤلف كان منذ عام ٦٦٨هـ/١٢٦٩م مملوكاً أو تابعاً في خدمة مرغريت لوزينيان صاحبة أنطاكية، لمدة عام وهذا ما يجعل تاريخ ميلاده سنة ٦٥٣هـ/١٢٥٥م.

كانت مرغريت أخت هيوج الثالث صاحب قبرس، قد تزوجت من أعظم نبلاء مملكة القدس لذلك يبدو منطقياً بأن المؤلف كان على الأقل من النبلاء الأدنى درجة.

عاش في صور، وفي عام ٦٨٤هـ/١٢٨٥م خدم مقدم الداوية في عكا، وعمل لديه كاتباً، حيث تولى كتابة نص معاهدة سلام بين الداوية وملك قبرس، وبقي في عكا في العام التالي سنة ٦٨٥هـ/١٢٨٦م[1] عندما جاء ملك قبرس الشاب هنري الثاني إلى عكا حتى يتوج ملكاً على القدس وصف الكاتب الاحتفالات وأحداث أخرى، ثم ظهر بمثابة مستشار قريب لمقدم الداوية، ووردت إشارات إلى أن المؤلف ربما خدم كضابط مخابرات خاص لوليم أوف بيجو، ويبدو أن

---

[1] - جو انفيل : القديس لويس ، ص٧,٨ .

[2] - زيتون (عادل) تاريخ العصور الوسطى الأوربية ، جامعة دمشق ، ١٩٩٣،ص٣٠٨-٣٠٩

المؤلف أجاد اللغة العربية، كما أشار إلى نفسه حينما ترجم رسائل من السلطان الأشرف خليل،

ومقدم الداوية من العربية إلى الفرنسية لصالح المقدم، كما برهن وصفه للأحداث التي وقعت خلال حصار عكا في سنة ٦٩٠هـ/١٢٩١م على معرفته القريبة بالوقائع، وجاءت تفاصيل وصفه تنبض بالحياة، وكأنها حصلت الآن، ومن صيدا ذهب المؤلف مع اللاجئين إلى قبرس، وعرف عن قرب معاناة اللاجئين في قبرس وعدم المبالاة تجاه آلامهم التي أظهرها القبارسة.

كان له علاقات قليلة ومباشرة بالأحداث التي وصفها، و التي تبين أنه استقر نهائياً في قبرس وكثير من مواده ذات قيمة.

وقيل أن محقق الكتاب ربما كان فارساً اسمه "جيرارد" دي مونتريال، و مضى جيرارد يغطي أواخر القرن ١٣/٧م وأوائل القرن ٨هـ/١٤م، وفي سنة ٩٢٨هـ/١٥٣١م، فقد قام البنادقة الذين كانوا يمتلكون قبرس بالبحث في تاريخ قبرس، و ذكروا بأن واحد اسمه جيرارد رجل قضاء مشهور قد جمع نسخة من قوانين قبرس وقد مدح البنادقة عمل جيرارد، وأثنوا عليه [1] بصرف النظر عن معرفة اسم المؤلف (الداوي الصوري) يبقى الكتاب مصدراً لا يقدر بثمن حول الأحداث التي يغطيها، ولاسيما حول تحرير عكا عاصمة مملكة القدس الثانية سنة ٦٩٠هـ/١٥٩١م، وهو شاهد عيان على الأحداث، وأخباره ذات سمات عالية، وعندما كان المؤلف يصف أحداثاً بعيدة عن أماكن وجوده، اضطر إلى الاعتماد على تقارير من الدرجة الثانية ووجد المؤلف صعوبات في بعض الأحيان في الحصول على تفاصيل دقيقة وصحيحة حول وصول البابوات إلى العرش البابوي، وقد وقف المؤلف على الحياد عندما كان يعرض آراء الفئات المتصارعة، وكان شعره متحرراً من الميول لاسيما حول سقوط عكا(٢) على حد قوله.

اتبع المؤلف في كتابه خطة دقيقة، وجرى عرضة للوقائع بانتظام حسب وقوعها ، فقد وقف على الأعمال المتنوعة لفردريك الثاني في الغرب والشرق، والصراع الرئيسي بين مختلف المدن الايطالية، وغطى الحملة السابعة، كما أمضى بعض الوقت في مناقشة أصول المغول وأسرهم الحاكمة، وحملاتهم المختلفة، كما تحدث عن قيام بيبرس بحملاته المدمرة على الدول الصليبية حتى وفاته سنة ٦٧٦هـ/١٢٧٧م .

---

[1] - داوي(فارس صوري) : أعمال القبارصة من خلال الموسوعة الشامية ، دار الفكر ،ج٤٩ ، ٢٠٠٥م ،ص ٧ ،٨ ، ٩

[2] - داوي : أعمال القبارصة ، ص ١٤ – ١٥

سانوتو (مارينو) (٦٦٨هـ - ٧٤٣هـ / ١٢٧٠ - ١٣٤٣م):

كاتب ومؤرخ وسياسي صليبي، ولد مارينو سانوتو عام ٦٦٨هـ / ١٢٧٠م في البندقية، ومات في عام ٧٤٣هـ / ١٣٤٣م، وهو ابن أحد التجار الايطاليين وابن عم الدوق ناكسوس الذي شاركت أسرته في الحملة الصليبية الرابعة، تعلم مارينو اللغة الفرنسية القديمة إلى جانب اللغة اللاتينية واليونانية، ثم امتهن التجارة كباقي أفراد أسرته، وحضر إلى عكا سنة ٦٨٤هـ / ١٢٨٥م وهو ابن الخامسة عشرة[1] وبقي فيها لمدة عام كامل، وفي سنة ٦٩٩هـ / ١٣٠٠م توجه إلى شرق أوربا، وطاف ببلدانها وزاد من معرفته بأحوال تلك البلاد وجغرافيتها، ثم عاد إلى البندقية ٧١٧ هـ / ١٣١٨م، ليكمل تاريخه الذي كرسه من أجل إحياء الحماسة الصليبية لدى حكام غرب أوروبا، وأهم أعماله " **كتاب أسرار المؤمنين بالصليب لاسترداد الأراضي المقدسة والاحتفاظ بها** "[2] امتاز عن غيره بأنه لم يضع تاريخه بناء على رغبة أحد الملوك أو الحكام، أو حتى لتمجيد شخص بعينه وتسجيل أعماله، بل كانت لديه دوافع صليبية بحته، توخى في كتابه الدقة والموضوعية، وزاد من أهميته غزارة المعلومات التاريخية و الجغرافية التي وردت فيه عن الشرق اللاتيني، فلم يترك مصدر معلومات عن الأحداث السالفة إلا ورجع إليه ونقل عنه، وفي سنة ٧١٦هـ/ ١٣١٦م م قدم إلى أفينون (بفرنسا) وقدم للبابا كتابه الذي استغرق في تأليفه خمسة عشر عاماً، عبر فيه عن أحد الآراء التي سعت البابوية للاسترشاد بها بعد نجاح المماليك في طرد الصليبيين من بلاد الشام، وهو عبارة عن مشروع صليبي لاسترداد بيت المقدس من المسلمين.

أشار سانوتو في كتابه إلى أهمية مصر، وأهم السلع التي يتم الاعتماد عليها في الحرب، إلا أن مشروعه قوبل بعدم مبالاة ومات دون تحقيق هدفه المرجو، ومع ذلك ترك للمهتمين بتاريخ الحروب الصليبية والعلاقات بين الشرق والغرب مادة تاريخية مهمة عن الشرق، لم ترد في مصادر من عاصره من المؤرخين[3].

---

[1] - سانوتو(مارينو) : الأسرار من خلال الموسوعة الشامية ، ترجمة سهيل زكار، دار الفكر، دمشق،١٩٩٩،ج٣٨،ص ٢٩١-٢٩٣-٢٩٤/ عطية : إمارة أنطاكية ، ص٤٥

[2] - عطية : إمارة أنطاكية ، ص٤٦

[3] - عطية : المرجع نفسه ، ص٤٧

بل زاد على ذلك في معلومات مهمة عن الصليبيين والمسلمين على حد سـواء، أمـا بالنسـبة لموضوع الرسالة، فقد أمد البحث بمعلومات إدارية واقتصادية هامـة،(عن صناعة السـكر والحرير) كما تحدث عن أهم صادرات قبرس من المنتوجات، وكيف قامت قبـرس بمسـاعدة الصليبيين، ودعمها المستمر لهم، طوال مدة وجودهم في المنطقة.

كما أشار إلى البعثات التبشيرية المسيحية إلى المغول من قبرس.

ماخوت(غليوم دي):

شاعر فرنسي مشهور، ولد سنة ٧٠٠هـ/١٣٠٠م، من شامبين، خدم لدى ملك **بوهيميـا**(فـي تشكيكيا)[1] جون أوف لوكسمبورغ سنة(٧١٠-٧٤٩هـ/١٣١٠-١٣٤٦م) بمثابة عضـو مـن موظفي ديوانه، تولى تدوين أخبار الحملة الصليبية على الإسكندرية وتمجيدها شـعراً و باللغـة الفرنسية، بعدما سمع أخبارها من ملك قبرس، ومن عدد من الذين شاركوا فيهـا فـي ملحمـة شعرية أطلق عليها عنوان " **الاستيلاء على الإسكندرية** ". احتوت هذه الملحمة على ٩٠٠ بيـت من الشعر، ثماني المقاطع و أقحم غليوم في شعره نصوص ثلاث رسائل كتبت نثراً، و قد نظم غليوم شعره فيما بين وصول خبر موت بطرس في كانون الثاني سنة ٧٧١هـ/١٣٦٩م إلـى شمال فرنسا، و موت غليوم في سنة ٧٧٩هـ/١٣٧٧م، كتب غليوم عدد من الروايات الشعرية، كما أنه كتب أربع قصائد قصيرة، وهناك كمية من الشعر الغنائي، قام بنفسه بوضـع معظمهـا على شكل موسيقى بلغ عدد القصائد الطوال عشرة، كان آخرها "الاستيلاء على الاسـكندرية"، وكانت هذه القصيدة محاولة غليوم الوحيدة لأن يكتب سيرة شعرية، ومن الممكن عد القصـيدة على أنها اعتراف من قبله بالرعاية والإحسان الذي تلقاه من بطرس اعتمد غليوم دي مـاخوت بشكل مطلق على ما أخبره به الناس، كما جمع بعض الروايات عن أعمال بطرس من آخرين، وعلى هذا يتوجب النظر إلى رواية الاستيلاء على الاسكندرية على أنها رواية للأحـداث مـن وجهة نظر المغامرين الفرنسيين مع الصليبيين الذين أسهموا في حـروب بطـرس فـي تلـك السنوات، وهي المعلومات التي رووها و تركوا صياغتها على عاتق غليوم التي نظمهـا فـي

[1] - تنقسم جمهورية تشيكيا(بلاد الشمال الجميل) إلى ثلاث أقسام: بوهيميا و مورافيا و سيليزيا (شليزيا) يخترق نهر الإلبة و نهر فلتافا منطقة بوهيميا السهلية المحاطة بجبال منخفضة الارتفاع كجبال السوديت (موقع غوغل ، منتديات قصر الإمارات ، ٢٠٠٧/١/٢٥م

قصيدته،[1] قام غليوم خلالها بتعداد إنجازات بطــرس الأول (٧٦١ – ٧٦٨هـــ / ١٣٥٩ – ١٣٦٩م) [2] ملك قبرس حتى وفاته، ولقد خلد بطرس بفضل حملته الصليبية التي اجتاحت الإسكندرية سنة٧٦٧هـــ / ١٣٦٥م [3] في القرن ٨هـــ / ١٤م.

وأهم النقاط التي أشار إليها وأفادت الدراسة هي :

– تحالف الأرمن مع المغول ضد المسلمين، واعتناق المغول للإسلام.

وقد أشار إلى زواج ريتشارد قلب الأسد من برينجاريا وتتويجها ملكة على بريطانيا .

وعن اتصالات غازان إيلخان المغول مع الصليبيين ولاسيما الاسبتارية في قبرس ووعده بتقديم المساعدات اللازمة للصليبيين.

كما تحدث عن الصراعات والمنافسات القائمة بين الصليبيين أنفسهم وبين الجنويين والبنادقة وعن حادثة الإسكندرية والاجتياح القبرسي الفرنجي لها، وعن تتويج الملك هيوج الرابع ملكاً في قبرس وسياسته مع المسلمين، كما أشار إلى أهمية قبرس التجارية وسيطرتها على الطرق التجارية الهامة بين الشرق والغرب.

leontios makhaeras (مخارياس) أو ماكارياس ليونتيوس:

مؤرخ قبرسي، لم يعرف تاريخ مولده بالضبط؟، كتب حوالي سنة (٧٥٣-٨٥٤هـــ/١٣٥٠- ١٤٥٠م) من أسرة ارستقراطية ذات علاقة طيبة مع الأسرة اللوزينيانية الحاكمة، نشأ موالياً للحكم اللوزينياني، وأجاد اللغة الفرنسية، وكان شاهد عيان لكل الأحداث التي كتب عنها. لذلك عد المؤرخ القبرسي الرئيسي لأيام بطرس.

غلبت عليه نزعته الطبقية على حساب الحس الوطني، ومن ثم كان لا يتعاطف مع ثورة الفلاحين الفقراء حتى أنه وصفهم " بأنهم قرويون ذئاب"[4] كما كان متحمساً لعودة الملك القبرسي المأسور لدى المماليك عندما عاد في سنة ٨٣١هـــ/١٤٢٧م، بعد دفع فدية كبيرة و جزية سنوية للمماليك.

---

[1] ماخوت(غليوم دي) :الاستيلاء على الإسكندرية من خلال الموسوعة الشامية ، تأليف د. سهيل زكار ،دار الفكر ، دمشق، ٢٠٠٦م ، ج٤٩، ص١٥-١٦-١٩

[2] - ماخوت: الاستيلاء على الاسكندرية ، ص٨

[3] - وليم كالين : شاعر بحث حول الرواية الشعرية لغليوم ماخوت .

[4] - عثمان (أحمد) تاريخ قبرص جزيرة الجمال و الألم منذ القدم و إلى اليوم، القاهرة ، ١٩٩٧م ،ص١٥١

- تحدث مخارياس عن كثير من الأمور الهامة في تاريخ قبرس خلال هذه الحقبة بالذات وصولاً إلى زيارة القديسة هيلينا بقبرس وتنتهي بارتقاء جون الثاني بن الملك جانوس إلى عرش قبرس سنة ٨٣٦هـ/١٤٣٢م، أما أهم المعلومات التي تم الاستفادة منها بشكل كبير في هذا البحث منها حديثه عن الداوية و اتهامهم بالهرطقة، و نعت نظامهم بالقذر، و كثرة شرورهم و جرائمهم، كما أنه تحدث عن حكم جودفري ملك القدس ومن خلفه بعد ذلك، ووقف عند بيع ريتشارد قلب الأسد لقبرس وقيامه بصفقة رابحة مع الملك جي الذي كان ملكاً على القدس و بيعه الجزيرة (لأجل مئات ألوف الدوقات البيزنطية)، الأمر الذي جعل الملك جي يستدين مبلغاً كبيراً من الجنوية لشراء قبرس من الداوية، أضف إلى ذلك حديثه عن حكم الأسرة اللوزينيانية الفرنسية لقبرس وعن الملوك الذين حكموا فيما بعد وتحدث عن مرض الطاعون الذي اجتاح البلاد و سبب هلاك الكثير من الناس لا سيما في سنة ٧٥١هـ/ ١٣٤٨م، و في سنة ٧٥٤هـ/ ١٣٥١ وكذلك الأوبئة ومهاجمة الجراد للجزيرة ومدى المعاناة، ومعاودة الطاعون للجزيرة في سنة ٧٦٥هـ / ١٣٦٣م حيث هاجم الأطفال، كما أنه تطرق إلى ذكر العملات المستخدمة في قبرس مثل (البيزنت) و كيف مزجوا النحاس بالفضة لدوام العملة، إضافة إلى اللغات المستخدمة في قبرس، كما تحدث عن الملك بطرس وأسرته وعن تتويجه، وعن ظهور أمير شاب (هيوج) ومناهضته لبطرس، و مطالبته بالعرش إلا أنه علل ذلك الحادث على أنه و ببساطة طيش شباب [1]، هذا وقد رأى مخارياس أن بطرس قد قصد من سفره إلى الغرب بشكل رئيسي أن يصد التحدي لحكمه الذي صدر عن ابن أخيه، لكن ما أعتقده ليونتيوس من أن البابا قد استدعى بطرس إلى الغرب ، استهدف تمتين وزيادة نجاحاته الأخيرة بتجنيد قوات من الغرب لتقاتل في حملاته المقبلة ضد المسلمين [2]، كما أن مخارياس توقف ملياً عند حملات الملك القبرسي بطرس على كل من كوريكوس وأزمير والعلايا، وعن تجمع الأساطيل البحرية وإعدادها من أجل القيام بالحملة، وسرية الحملة وتوجههم إلى الإسكندرية واحتلالهم لها، وردة الفعل الغربي والعربي لهذا الاحتلال، ووقف عند غارات بطرس على الساحل الشامي ومهاجمته لبيروت وطرابلس وصيدا واللاذقية وجبلة بالإضافة إلى ميناء آياس "الأرمني في كيليكيا، كما أنه وقف على المراسلات التي تمت بين السلطان المملوكي و البندقية من أجل إقناعه بعقد الصلح، وعن السفارات العديدة التي تم إرسالها والهدايا المحملة للسلطان المملوكي

---

[1] - ماخوت :الاستيلاء على الاسكندرية ، ص٢٨

[2] - ماخوت: المصدر نفسه ، ص ٨

إلى أن تم في النهاية عقد الصلح، كما تطرق مخارياس إلى الأمور الشخصية لبطرس وعن عواطفه وقدم تفاصيل عن علاقته بزوجته وبخليلاته وقد روى مخارياس حادثة مقتل بطرس الأول والخطة التي قتل بها الملك القبرسي وحكم بطرس الثاني من بعده وأظهرت روايته على أنه كان متعاطفاً كثيراً مع القتلة، حيث بذل قصارى جهده لتبرئة إخوان الملك الذين تورطوا بالعملية وحضروا مقتله، لا بل و بفضل وجودهم حصل القتلة الفعليون على الإذن بالدخول إلى غرفة الملك ولكنهم لم يكونوا على دراية بنواياهم ولم يشاركوا بذبح الملك[1] ، كما أنه تطرق إلى الحديث عن الجنوية و صراعها مع البندقية، وعن استيلاء جنوة ومهاجمتها لقبرس سنة ٧٧٥هـ/١٣٧٣م، واقتياد سكانها لحياة العبودية، والكثير الكثير من الأمور الهامة التي تعد مرآة ذلك العصر لا سيما وأنه كان شاهد عيان لكل الأحداث التاريخية دلل على ذلك بقوله " وأنا قد رأيته بعيني" أو " أنا رأيته أيضاً"[2]، لذلك يعد مصدراً هاماً لا يستغنى عنه لتلك الحقبة الزمنية بالذات لا سيما بالنسبة لتاريخ قبرس.

بالإضافة إلى ما تقدم فقد تم الرجوع والاستفادة من عدد كبير من المصادر مثل "**تاريخ ابن خلدون**" لابن خلدون، و"**تاريخ ابن الفرات**" لابن الفرات ، و"**تاريخ ابن قاضي شهبة** "الأسدي الدمشقي وكتاب "**التحفة الملوكية في الدولة التركية** " لبيبرس المنصوري والكثير من المصادر، كما تمت العودة إلى المراجع بنوعيها العربية والأجنبية التي تناولت دراسة تاريخ قبرس خلال الحروب الصليبية وألقت الضوء على الأحداث التي جرت فيها خلال هذه الحقبة وقد تم الإستفادة منها بشكل كبير لا سيما عند عدم توفر المعلومة في المصادر الأم، فتم سد الثغرات من خلال هذه المراجع لإكمال المعلومة وإيضاح الالتباس قدر المستطاع، وأهم هذه المراجع كتاب "**قبرس و الحروب الصليبية**" لمؤلفه سعيد عبد الفتاح عاشور، وكتاب" **قبرص والحروب الصليبية**" لمؤلفه بيترو اديوري، وكتاب "**البابوية و الحروب الصليبية**" لسيتون، وكتاب " **تاريخ الحروب الصليبية**" لستيفن رنسيمان وهناك الكثير من المراجع التي حوت على معلومات مفيدة ساهمت في إغناء البحث.

[1] - ماخوت : الاستيلاء على الاسكندرية ، ص٢٣-٢٦

[2] - ماكارياس (ليونتيوس) تاريخ قبرص خلال الحروب الصليبية ، من خلال الموسوعة الشامية ، ترجمة د. سهيل زكار ، ملحق ،دمشق ٢٠١٠م، الفقرة رقم ٦٩



الفصل الأول

عرض عام :جغرافي– تاريخي لجزيرة قبرس:

أولاً: لمحة جغرافية – اقتصادية:

١– التسمية – الموقع والحدود.

٢– البنية الجغرافية والتضاريسية.

٣– موارد الجزيرة الاقتصادية:

أ– الزراعة

ب– الصناعة

ج– التـــجارة

٤– السكان

٥– النشاط العمراني

ثانياً: لمحة تاريخية – سياسية عن جزيرة قبرس حتى قدوم الصليبيين:

١–الفتح الإسلامي لقبرس.

٢– أوضاع قبرس زمن الأمويين.

٣– أوضاع قبرس زمن العباسيين.

٤– اســـتـــرداد بيزنطة لقبرس.



أولاً: لمحة جغرافية – اقتصادية:

١ – التسمية – الموقع والحدود :

قبرس: (CYPRE)أو(chypre) :

كلمة رومية وافقت من العربية القبرس أي " النحاس الجيد"[١]، ولأنه كان النتاج الرئيسي لهذه الجزيرة، حيث أخذت اسمها من هذا المعدن المكتشف في الجزيرة منذ بداية العصر الألفي الثالث ق. م، والذي كان يستخرج بكثرة [٢] وعرف باسم " **آلازيـــا** " أو " أرض النحـــاس "[٣] ويخالف هذا الرأي البكري الذي عزا تسمية قبرس بهذا الاسم نسبة لمدينة هناك تسمى – قبـــرو – التي كانت معظمة منذ القديم للوثن المسمى فانوس (الالهة فينوس) وهو على اســم كوكــب الزهرة [٤]، كما أطلق على الجزيرة اسم القديسين نسبة إلى العدد الكبير من القديسين بالجزيرة، وانتشار حياة الرهبنة التي بدأت منذ القرن الرابع الميلادي [٥] وفي الواقع أطلق عليها تسميات عدة منها " كيبرو"، كما ينطق باللغة اليونانية، وقبرس باللغة التركية بشكل يتطابق مــع نطقــه باللغة العربية[٦]، أو "**جيفرو**" وهذه التسمية سورية وتعني في القــاموس الســرياني الظفــر أو المخلب وهي بالفعل تمد رأسها كالمخلب صوب الساحل السوري مابين اللاذقية وأنطاكية[٧].

---

[١] - الحموي (ياقوت) : معجم البلدان ، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،ج ٤ ، ص ٣٤٦

[٢] - حطيط (عدنان) : قبرص ولعبة الأمم ، بيروت ، ٢٠٠٢ ، ص ٣٢

[٣] - بندس أشيل اميليا : تاريخ قبرص ماذا أعرف ، شركة انترسيس للنشر قبرص مكتبة ريمون الجديدة ، لبنان لم يرد تاريخ الطبع ، ص ١١ ، ص ١٤٤ إلى ٥٢

[٤] - البكري(عبد الله بن عبد العزيز) : المسالك والممالك ، حققه أدريان فان ليوفن ، المؤسسة الوطنية للترجمة ، دار العربية للكتاب ، ١٩٩٢ م ، ص ٢٠٣

[٥] - د .ق سبيريد اكيس : موجز تاريخ قبرص ، ترجمة يعقوب الكليمي ، نشره مكتب الإعلانات العامة ، قبرص ، مطبعة التجارة الإسكندرية ١٩٧١ ص ٩٠ ، ص ٧٤

[٦] - حطيط : المرجع نفسه ، ص ٢٣

[٧] - داوود (أحمد) تاريخ سورية الحضاري ، دار المشرق للطباعة والنشر، ٢٠٠٤ م،ج ٢ ، ص ٢١٥.

الموقع والحدود :

منذ فجر تاريخ الحضارات في الشرق والصراع مستمر على سيادة جزيرة قبرص التي استمدت أهميتها من أهمية موقعها الجغرافي، الذي يوحي للناظر إليها أنها أشبه بمدفع يدوي (مسدس) فوهته مصوبة إلى إقليم الشام " ولها ذنب في شرقيها ويقرب إلى ساحل الشام" [١] . تقع جزيرة قبرص في الإقليم الرابع "[٢] في البحر المتوسط[٣] ويحيط بها البحر مائتي ميل[٤] تقريباً [٥]، كما تشغل الجزيرة ركناً ممتازاً عند الزاوية الشمالية الشرقية في حوض البحر المتوسط، في مكان التقاء القارات الثلاث (آسيا- إفريقيا- أوربا)[٦]، الأمر الذي جعلها تتحكم بسهولة في مياه هذا الجزء بما تطل عليه من البلاد، يبلغ طولها ٢٣٥كم ولكن عرضها ليس واحداً في كل الأماكن، أما مساحتها فتبلغ ٩٢٥٠كم^2، لذلك فهي تحتل المرتبة الثالثة من حيث

---

[١] - أبو الفداء (عماد الدين اسماعيل): تقويم البلدان ، طبع مدينة باريس، ١٨٥٠م ، ص ١٩٤

[٢] - الإقليم الرابع: عمد المصنفون الأوائل إلى تقسيم العالم إلى أقاليم جعلوها في أربعة عشر إقليما ست منها عربية وثمانية غير عربية وقبرص تقع في هذا الإقليم الذي هو إقليم الشام . انظر:

الإدريسي (محمد بن عبد الله): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، عالم الكتب ، بيروت، ط ١، ١٩٨٩م، مجلد٢، ص٦٤٣

المقدسي(محمد بن أحمد) : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، تحقيق د. محمد مخزوم ، دار إحياء التراث ، بيروت ، ١٩٨٧ص ٥٤ / البكري: المسالك والممالك ، ج ١ ، ص١٨٤.

[٣] - البكري :المسالك والممالك، ص١٨٤/ الحموي : معجم البلدان، ص٣٤٦/ البغدادي(صفي الدين) : مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، تحقيق تحقيق محمد البجاوي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان، ج٣ ، ١٩٥٥ص١٠٦٣/ أبو الفداء :تقويم البلدان، ص١٩٤/ القلقشندي (أحمد بن علي): صبح الأعشى في صناعة الانشا، مطبعة دار الكتب القاهرة، ج ١ ، ١٩٦٣، ص٤٤.

[٤] - الميل : هو مقياس للطول كان قديماً يقاس على منتهى مد البصر، أما حديثاً ، فالميل البري يساوي ١.٦٠٩كم أما الميل البحري فيقدر بـ ١٨٥٢م.

ابن الشحنه (محمد) : الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب ، دار الكتاب العربي في سوريا ، ١٩٨٤، ص١٨١ / محمد خير أبو حرب : المعجم المدرسي ، إصدار وزارة التربية ، ١٩٨٥م ، ص١٠١٥.

[٥] - البكري : المصدر نفسه ، ص٢٠٣ / أبو الفداء : المصدر نفسه ، ص١٩٤

[٦] - حطيط : قبرص ولعبة الأمم ، ص٢٣

الكبر بين جزر هذا البحر بعد صقلية[١] وسردينية[٢] وللوصول إليها من المدن القائمة على شاطئ البحر (مصر – سوريا) لا يحتاج المرء أكثر من سفر يوم واحد[٣].

مدن الجزيرة:

تقع العاصمة **نيقوسيا** أو ليفكوسيا (وهي المدينة الرئيسية في قبرص)[٤] في قلب الجزيرة، بناها أهالي البندقية، تبعد نيقوسيا مسافة مائة ميل بحراً عن مدينة قبرس، هذا يعني وجود مدينة على اسم الجزيرة نفسها، ويحيط بمدينة **فاماجوستا** مرفأ قبرس الرئيسي ويقع على ساحلها الجنوبي الشرقي، فكانت فيما مضى أكبر مركز تجاري في البحر الأبيض المتوسط الشرقي، و**ليماسول** أو ليميسو المدينة البحرية التي تبعد عن **بافا** (بافوس) مدة يومين براً وهي مدينة طائفة الاسبتارية فرسان القديس يوحنا المعمدان، كما أنها مركز لفرسان الداوية أيضاً والمسافة من ليماسول إلى فاماجوستا، تبعد يوماً واحداً بالبحر[٥] أما مدينة بافا أو بافوس بافوس الصغيرة فتقع شمال الجزيرة [٦]، وتبعد عن قبرس مسافة مائة ميل، يعد مينائها أقدم موانئ قبرس[٧]، تشتهر بكرومها وأعشابها العطرية، وأحجارها الثمينة وفيها مختلف البضائع التجارية [٨] بالإضافة إلى الكثير من المدن الصغيرة مثل لارنكا، فاسيليا، لمبوزا، ألميس،

---

[١] - **صقلية** : إحدى جزر البحر المتوسط وتمتلك عدداً كبيراً من المدن الحصينة والمواقع الجميلة وهي جزيرة مثلثة الشكل يعني اسمها تين وزيتون وللمزيد انظر

بورتشارد : وصف بورتشارد راهب جبل صهيون للأرض المقدسة من خلال الموسوعة الشامية ، ج ٣٧ دار الفكر، ١٩٩٩م، ص٢٧٦، ٢٧٧/ القلقشندي: المصدر نفسه ، ص٤٤

شاكر (محمود) : المسلمون في قبرص ، منشورات العصر الحديث ، ١٩٧٤م ، ص٩

[٢] - **سردينية** : جزيرة في المغرب كبيرة فتحها المسلمون سنة ٩٢م بقيادة موسى بن نصير.

الحموي : المصدر نفسه ، ص ٢٣٦/ البغدادي : المصدر نفسه ،ج ٢، ص ٧٠١

[٣] - بندس : تاريخ قبرص ماذا أعرف ، ص٥

بورتشارد : المصدر نفسه ، ص ٢٩٨.

[٤] - فابري(فيليكس): جولات الراهب فيلكس فابري ورحلاته حوالي (١٤٨٠-١٤٨٣م) من خلال الموسوعة الشامية، تأليف د٠سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٠،ج٣٨،ص٣٠١

[٥] - حاج مجهول من القرن١٢ : رحلات غربية ،ج ٣٧ من الموسوعة الشامية ، ص٢٢

[٦] - حاج مجهول القرن ١٢: المصدر نفسه ، ص٢١

[٧] - فابري: المصدر نفسه،ص ٣٠١

[٨] - بندس : تاريخ قبرص ماذا أعرف ، ص ٧

بالوزا[1]، هذا وقد بني فيها الكثيرمن الأديرة والكنائس [2]، وهذا ما جعل منها متحفاً لحضارات البحر المتوسط كلها.

أما من ناحية البنية الجغرافية و التضريسية :

تتباين المظاهر التضاريسية بشكل ملحوظ، حيث نميز ثلاث وحـدات تضاريسـية هامـة تتألف منها أرض قبرس أولها :

١- سلسلة جبلية بمحاذاة الساحل الشمالي ، وكأنها تتمة لجبال الأمانوس[3] في سـورية تمتـد نحوها مشكلة رأس أندرسيس[4] سميت جبال الكوباس[5].

٢- المرتفعات من الوسط التي تحتل مساحات تقارب ثلث الجزيرة، وتمتد إلى الجنوب والغرب وهي أكثرعرضاً ، ويصل ارتفاعها إلى ٣١٠٠م في قمة ترودوس، وتعد تتمة لجبال الأقرع[6] وتمتد سلسلة أخرى من الجبال هي سلسلة جبال كيرينيا[7].

---

١ - العبار(أحمد عبد اللطيف) : مشكلة قبرس بين الماضي والحاضر ، لم يرد مكان وتاريخ الطبع ، ص ١١

٣الشابشتي(أبي الحسن) الديارات، تحقيق كوركيس عواد ، دار الرائد العربي،ط٣،١٩٨٦،ص٤٠٩ ملاحظة ذكر حاج مجهول في القرن ٦هـ/١٢م بأن عدد مدن الجزيرة الكلي فبلغ أكثر من مائة وثلاثين مدينة على حد قوله، وهو المصدر الوحيد الذي أشار إلى وجود مدينة قبرس انظر حاج مجهول من القرن ١٢، ص ٢١

٤- **جبال الآمانوس** : تبدأ من آخر جبل طوروس في آسية الصغرى وتنتهي عند مصب نهر العاصي ، وعرفت قديماً بأسماء عدة منها الجبل الأسود ، جبل اللكام ، وهذه الجبال من أكثر جبال المنطقة ارتفاعاً ووعورة .

الإدريسي : نزهة المشتاق ، ص ٦٥٢ / ابن الشحنة : الدر المنتحب ، ص ٢٢١ / القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص٨٠ ، ٨٤ ، ٨٩

٥ - إديوري (بيترو) : قبرص والحروب الصليبية ، دار الملتقى ، بيروت ، ١٩٩٧ ، ص ٢٥

٦- أطلس العالم الصحيح : إعداد جماعة من أساتذة التاريخ والجغرافيا في لبنان والعالم الفرنجي ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ،لبنان ، ١٩٨٥م ، ص ٦٩

٦ - **جبال الأقرع** : تعد أعلى جبال الشام وتصل قمتها حوالي ١٧٦٨م ، وسميت هذه السلسلة باسم جبال النصيرية أو بجبال العلويين ، وقديما كانت تعرف بجبال بهراء وتنوخ للمزيد انظر :

ابن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، حققه د.عبد الهادي التازي ، الرياض ، ١٩٩٧ ، ص ٢٩٤

أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص ٣٢٢ / القلقشندي : المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٢٤٨ /جوهر(دلال) جغرافية العالم الإسلامي ، مطبعة الصباح ، دمشق ،ط١٩٩٢،ج١،ص ٢٠٤

٧ - إديوري:قبرص والحروب الصليبية،ص ٢٥

و كيرينيا أو (كيرين- سيرين شيرنيس- سيروني) بلدة صغيرة لها مرفأ يقع على الساحل الشمالي من قبرس تشتهر بقلعتها الحصينة شبه المستطيلة مع أبراجها المستديرة وأسوارها السميكة، جعلها اسحق كومنينوس البيزنطي ملاذاً له سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م، ولكنه وقع بالأسر، وعندما جاء الفرنج الصليبيون حاصروا كيرينيا واستولوا عليها انظر:

العسلي(بسام) فن الحرب الإسلامي في أيام الحروب الصليبية، دار الفكر، ١٩٨٨، مج ٤، ص٥٩٧

٣- يقوم بين القسمين السالفين أودية وسهول (سهل ميسوريا)

الذي يعد من إهراءات[١] الجزيرة[٢] والتي تضيق أحياناً وتتسع أحياناً أخرى.

٣ – موارد الجزيرة الاقتصادية :

تعد جزيرة قبرص الخضراء غنية بمعالمها ومظاهرها الطبيعية، مما ساعد على نمو شتى المحاصيل الزراعية، أما زروعها فغالبها على المطر(بعلي) وقليل منها مروي يعتمد على سقي الأنهار، وتحتل الزراعة مركزاً هاماً فيها، فهي مصدر للغذاء وللمواد الأولية الخام الضرورية في الصناعة المحلية، كما تعد مورداً للربح والاتجار بالمحاصيل، وللزراعة الناجحة مقومات أساسية وفرتها لها أرض قبرص أهمها :

أ – التربة الخصبة :

تمتاز تربة قبرص بأنها تربة غنية بعناصرها المعدنية والمتنوعة[٣]، جاء لونها الأحمر من أكسيد الحديد، ويتحول هذا اللون إلى الأسمر إذا ارتفعت فيه نسبة أكسيد المنغنيز، وتتنوع هذه التربة تبعاً لتنوع التضاريس من جبال وسهول ووديان[٤] .

ب – المناخ :

مناخها صورة صادقة عن المناخ في سواحل البحر الأبيض المتوسط والمناطق الساحلية فهو مناخ متوسطي، تهطل أمطارها في فصل الشتاء بين تشرين وآذار، بينما تصبح حارة رطبة صيفاً، أما المرتفعات فمعتدلة في الصيف، مما جعلها مصايف ممتازة، ولا سيما وجود الأشجار المتنوعة والدائمة الخضرة، وفي الشتاء تكللها الثلوج الأمر الذي أضفى على الجزيرة منظراً طبيعياً خلاباً[٥].

---

[١]- اهراءات : مفردها هري وهوبيت كبير تجمع فيه الحبوب ومواد الغذاء.

خير حرب : المعجم المدرسي ، ص ١١٠٧

[٢]- بندس : تاريخ قبرص ماذا أعرف ، ص ٦

[٣]- راجع الفقرة المتعلقة بالزراعة حول هذا الأمر .

[٤]- المعجم الجغرافي لسوريا : مركز الدراسات العسكرية ، ط١ ، ١٩٩٢م .

[٥]- شاكر : المسلمون في قبرص ، ص ٩ / بندس : تاريخ قبرص ماذا أعرف ، ص٦ .

جـ - المياه :

المياه في هذه الجزيرة نادرة ومجاري السيول فيها جافة[١] فهي تعتمد على هطـول الأمطـار بسبب النقص
في الأنهار والسدود[٢] ولا سيما في فصل الصيف.
افتقرت الجزيرة إلى أنهار صالحة للملاحة، فنيقوسيا المدينة الرئيسية في الجزيرة تقع على نهر بيذيوس الذي لا يجري باستمرار طوال السنة[٣].
ومع ذلك كان هنالك خطر حدوث الفيضان، كما حدث سنة ٧٣١هـ / ١٣٣٠م، حـين أتلـف الفيضان الكثير من الممتلكات.
قام الاقتصاد في هذه الجزيرة على دعامتين أساسيتين هما الزراعة والتجارة، بالإضـافة إلـى بعض الصناعات التي اشتهرت بها قبرس.

أ- الزراعة :

أظهرت الدراسات وجود شعب ممارس لمهنة الزراعة، كما اشتهرت قبرس بكثرة الحيوانـات لاسيما (الحمير)[٤] فالمجتمع القبرسي مجتمع ريفي على الأغلب، ساعد على ذلك طبيعة قبرس الخلابة، وتربتها الغنية بالمعادن الخام كالنحاس[٥]، والكروم [٦]، والبيريـت[٧]، وغيرهـا[٨]،

---

١ - العبار : مشكلة قبرس بين الماضي والحاضر ، ص٧

٢- بندس : تاريخ قبرص ماذا أعرف ، ص ٦

٣- سانوتو : الأسرار ، ص ٢٥٧ .

٤ - شاكر (محمود): المسلمون في قبرص، منشورات العصر الحديث، بيروت ١٩٧٤، ص٩، ١٠

٥ - النحاس : cu يصادف في الطبيعة بحالة حرة أو بشكل معادن مختلفة ، وهو فلز أحمر اللون قابل للسحب والطرق وهو ناقل جيد للحرارة والكهرباء وتستعمل أملاحه في مكافحة الحشرات الصادرة بالمزروعات وكسماد للتربة .

ا_ بوسيف ، أ . يفيموف : المنجد في الكيمياء ، ترجمة د. عيسى مسوح ، دار موسكو ، ١٩٨٧م ، ص٣٧٣.

٦ - الكروم : التسمية مشتقة من كلمة يونانية chroma ، يوجد في الطبيعة في معدن كروميت ، وهو فلز رمادي اللون قاسي جدا صعب الانصهار ، يستعمل في صناعة الزجاج والخزف .

بوسيف ، يفيموف : المرجع نفسه ، ص ٣٠٤ ، ٣٠٥ .

٧ - البيريت : fes2 معدن لونه أصفر فاتح ذو بريق فلزي يستخدم في الصناعة الكيميائية .

بوسيف ، يفيموف : المرجع نفسه ، ص ١٠٤

٨ - بندس : تاريخ قبرص ماذا أعرف ، ص٦

فهي كثيرة الخيرات (رخائها شامل وخيرها كامل)[١]، و(بها قرى ومزارع وأشجار وزروع ومواشي)[٢]، متنوعة النباتات[٣]، اشتهرت بالأعشاب العطرية التي تجمع من الشجر وتحمل إلى ملك القسطنطينية لأنها تعادل العود الطيب[٤].

اخترق الجزيرة واد كبير من الغرب إلى الشرق، وكان يغلّ كثيراً من الحبوب أهمها (القمح)[٥] وفي الزمن الغابر كانت الغابات تغطي جزءاً كبيراً من ذلك الوادي الذي سمح لها بتصدير بتصدير كميات كبيرة من الأخشاب إلى اليونان وإلى جهات أخرى[٦].

كان من أهم محصولاتها الزراعية الكرمة (العنب)[٧] وكانت غالبية حقول الكروم قائمة على المنحدرات الجنوبية من ترودوس[٨] كما تزرع الحمضيات التي زنرت مدينة فاماجوستا[٩] والزيتون والبطاطا والخرنوب[١٠] وأشجار مثمرة أخرى، هذا وقد توجه سكان الجزيرة بعد الركود التجاري إلى تكريس خبراتهم في الزراعة، لكن الفلاحين ظلوا يتحملون عبء الضرائب الثقيل عليهم، الذي فرضته بيزنطة[١١] وغيرها فيما بعد، بالإضافة إلى ما تحملوه من هجوم الجراد المتكرر الذي كان يقضي على المزروعات أحياناً كثيرة بالإضافة إلى الكوارث الطبيعية وما تسببه من خسائر عديدة على مختلف الأصعدة مثل الزلازل، ولاسيما في الجزء الجنوبي من الجزيرة الذي يقع على خط النشاط الزلزالي الواسع ، حيث سجلت اهتزازات متكررة في السنوات الآتية:

---

[١] - الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، عالم الكتب ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٩ ، مجلد٢ ، ص ٦٤٤.

[٢] - الإدريسي : نزهة المشتاق ، ص ٦٤٣ .

[٣] - حاج مجهول : رحلات غربية ، ج ٣٧ ، ص٢١

[٤] - القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٠ ، ص ٢٤٠ / حاج مجهول : المصدر نفسه ، ص٢١

[٥] - شاكر : المسلمون في قبرص ، ص٩ ، ١٠ / أمبرويز : صليبية ريتشارد قلب الأسد من خلال الموسوعة الشامية ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٩٨م ، ج ٣٢ ، ص ١٥٦

[٦] - حاج مجهول : المصدر نفسه ، ص ٢١ .

[٧] - أطلس العالم الصحيح : ص ٦٩ / اديوري : قبرص والحروب الصليبية ، ص٢٧

[٨] - اديوري : المرجع نفسه، ص٧

[٩] - بندس : تاريخ قبرص ماذا أعرف ، ص٦٥ / أطلس العالم الصحيح : المرجع نفسه ، ص٦٩ .

[١٠] - فابري: جولات الراهب فيلكس فابري، ص٣٠٤

[١١] - بندس : تاريخ قبرص ماذا أعرف ، ص٥٧

سنة ٦٠٠هـ /١٢٠٤م، ٦١٩هـ / ١٢٢٢م ، ٦٦٦هـ / ١٢٦٧م، وكان الزلزال الأسوأ فيها

الذي حدث في سنة ٦١٩هـ / ١٢٢٢م، ٧٠٢ هـ / ١٣٠٢م[١]، بالإضافة إلى ذلك تعرضت جزيرة قبرص لزلزال كبير جداً في ٧٠٣ هـ / ١٣٠٣ م ،أحدث أضرارا بها، لكنه تسبب بأضرار كبيرة في كل من كريت، ورودس، وقتل عدداً كبيراً من الناس[٢].

كما كثرت الأوبئة، وانتشرت الأمراض التي ألمت بالسكان مثل مرض الموت الأسود (الطاعون)[٣] سنة ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م[٤]، الذي " أفنى نصف سكان الجزيرة " على حد قول أحد المصادر[٥].

ب- الصناعة:

شغلت هذه الحرفة حيزاً هاماً في مناحي الحياة المختلفة للمدن، نتيجة لتوافر المواد الأولية اللازمة لها، والمستخرجة من سطح أرضها، أو من بطنها.

فقد توفرت فيها مواد هامة للصناعة منها: مادة الخشب التي استخدمت في صناعة السفن وفي صهر المعادن[٦]، وسرعان ما حل معدن النحاس محل الحجر في صنع الأسلحة والمعدات والمواعين[٧]، وبدأت صناعة الخزف تزدهر في الجزيرة، وبات إنتاجه يصدر إلى سورية لكن النتاج الأساسي لقبرص كان النحاس[٨]، الذي بدئ باستخراجه منذ الألف الرابعة ق . م وازدهر تعدينه وتصديره مع مرور الأيام، لذلك اجتذب هذا المعدن البالغ الأهمية آنذاك بحلوله محل

---

[١] - أديوري : قبرص والحروب الصليبية ، ص ٢٧ / المقريزي (تقي): السلوك ، ج٢ ، ص ٣ ، ط١ ، القاهرة ، ١٩٨٥م ، ص ٧٧٥ / ابن قاضي شهبة: تاريخ ابن قاضي شهبة من المخطوط ، حققه د. عدنان درويش ، ١٩٩٤م ، ج١ ، ص ٥٤٢ .

[٢] - ماخوت : الاستيلاء على الإسكندرية، الموسوعة، ج ٤٩، ص ٩٩ .

[٣] - **الطاعون** : وردت لفظة الطاعون بمعنى الوباء والطاعون وباء فتاك ، قال عنه الفرنج إنه وباء منشأه مصر وما جاورها من البلاد ، وفي القرن ٨ هـ / ١٤م تفشى في أوربا هذا الوباء تحت اسم الطاعون الأسود أو الموت الأسود وفتك بالكثير من الأهالي فتكا ذريعا وأهلك ربع سكانها ويذكر بأنه سمي بالوباء الأسود لشدة ما أحدث هذا المرض من فناء للناس، وظهور بقع سوداء على رقبة المصاب وتحت الإبط ، انظر

البستاني : دائرة المعارف ، ج١١ ، ص١٥٦ – ١٥٧ / هامش المقريزي : السلوك ، ج٢ ،ص٧٥٩ / ابن قاضي شهبه : المصدر نفسه، مج٢، ص ٥٤٢.

[٤] - المقريزي : المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٧٧٦ / ابن قاضي شهبه : المصدر نفسه، ج ٢، ص ٥٤٢

Makhiaras.(recita l concerning0. the sweet land of cyprus.edited bydawkins(2vols)oxford,1932,p.61)

[٥]- ابن العبري : تاريخ الزمان، ص ٢٤٣ / المقريزي : المصدر نفسه، ج ١، ص ١٩٦ .

[٦] - بندس : تاريخ قبرص ماذا أعرف ، ص ٥٧

[٧]- حطيط : قبرص ولعبة الأمم ، ص ٣٢

[٨]- بندس : تاريخ قبرص ماذا أعرف، ص ١١ ، ١٢/زيتون (عادل): العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ،دار دمشق ط١، ١٩٨٠، ص ٢٥٣

الأدوات والآلات الحجرية، والفخارية انتباه الكثيرين، وقد صنعت منه التماثيل وغيرها في سائر البلاد المحيطة بالحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط[1]، كما تطورت عملية استخراج الملح من الأحواض الطبيعية في لارنكا، وليماسول، ولاقت اهتماماً واسعا، بدليل أنها بقيت حكراً على الملك وحده، وتم تصدير الملح إلى الخارج[2]، ودليل ذلك ما جاء عند فليكس فابري فابري في جولاته عن صناعة الملح في قبرص قوله "و عندما كنا على الشاطئ ذهبنا إلى المكان الذي يعمل فيه الملح، حيث تبين من خلال الخرائب أنه قد كانت هناك مدينة ذات حجم لم يكن صغيراً، وكان خلف المدينة مكان محاط بتلال، تكونت هناك عندما يفيض البحر، بحيرة صغيرة، وعندما تتراجع مياه البحر بسبب الجزر، تتعرض المياه التي تبقى هناك إلى الجفاف بسبب حرارة الشمس، والذي يبقى عبارة عن أفضل أنواع الملح، وأعظمها بياضاً وثمناً، ويحمل هذا الملح إلى كثير من البلاد للبيع، وتتلقى ملكة قبرص كثيراً من المال من الذين يتاجرون بالملح" [3] وهذا إن دل فإنه دلالة مؤكدة على أنها تجارة ذات أهمية كبيرة[4]، كما دخلت إلى الجزيرة صناعة الحرير فيما بعد[5]، وكان حريرها من أجود أنواع الحرير[6].

بالإضافة إلى تقدمها في صناعة الفضة، والصواني الفضية التي كانت معروفة في هذه الجزيرة منذ عصور قديمة[7]، اشتهرت بصناعاتها الزراعية والغذائية أهمها: صناعة الخمور المستخرجة من العنب، وجمع العسل[8]، وصناعة القطن، كما اشتهرت قبرص بانتاج المنسوجات الصوفية الملونة وغيرها ،حيث أن التجار الايطاليين قاموا بنقل هذه المتاجر الى مصر والشام.

---

[1] - بندس : تاريخ قبرص ماذا أعرف، ص ٥٧

[2] - اديوري : قبرص والحروب الصليبية ، ص ٢٧ / سانوتو (مارينو) : الأسرار ، ، ج ٣٨ ، ص ١٨٠.

[3] - فابري: جولات الراهب فيلكس فابري ورحلاته، ج٣٨،ص٣١٠

[4] - اديوري : المرجع نفسه ، ص ٢٧

[5] - بندس : المرجع نفسه، ص ٥٧

[6] - بندس : المرجع نفسه ، ص ٦

[7] - سبيريذاكيس : موجز تاريخ قبرص ، ص ٩٤

[8] - الإدريسي : نزهة المشتاق ، ص ٦٤٣ / حاج مجهول : رحلات غربية ، ص ٢٢

وهناك بعض الصناعات التي لم تشر إليها المصادر بشكل صريح، منها على سبيل المثال: صناعة السكر، التي نوه إليها سانوتو، ولمح إلى وجودها في الجزيرة حيث تكمن أهمية الاستغناء عن منتجات المسلمين وتأمين الكميات المطلوبة من السكر من الجزيرة[١].

ت- التجارة:

ساعد موقع قبرص على انتشار تجارتها مع بلدان ما وراء البحار ، فمعظم تجارة قبرص المزدهرة كانت مع مصر[٢]، نظراً لقربها من هذه الجزيرة، وقد حصلت على ثراء كبير عن طريق استغلالها لمناجم النحاس، وقد ذكر اسم العاج والخشب[٣]، بين البضائع التجارية بالإضافة إلى المعدن الأول (النحاس)، مما جعل هذه النعمة أساساً للتجارة الخارجية للجزيرة[٤]، للجزيرة[٤]، وهذا يعطي فكرة بأن الجزيرة كانت مركزاً للتجارة العابرة (ترانزيست)، ويبدو أيضاً أن هذه التجارة المتقدمة، والرابحة تطلبت أسطولاً ضخماً من السفن، سيطر على المنطقة الشرقية لحوض البحر الأبيض المتوسط عدة حقب، إذا أصبحت قبرص مركزاً تجارياً لأهالي الدويلات الإيطالية (جنوه – البندقية) وجنوب فرنسا[٥]، كما تطلبت هذه الحرفة وجود الأسواق الأسواق لتصريف البضائع فيها، وهذا وفره لها وجود مدن ومرافئ بحرية هامة[٦].
من هذه المدن على سبيل المثال لا الحصر " النميسون(ليماسول) مدينة تجارية في جنوب الجزيرة " حسنة الأسواق والعمارات الكثيرة، وفيها مدينة لفقسية* (نيقوسيا) في وسط الجزيرة وكيرينيا وكلتاهما مدينتان حسنتان ذواتا أسواق وقصب، وفيهما معاشر وصنائع وأرزق واسعة"[٧] ولما وصلت السلطنة المملوكية إلى الحكم سنة ٦٤٨هـ /١٢٥٠م، واستطاع المماليك

---

١ - سانوتو : الأسرار ، ص ٦٩/ زيتون (عادل)العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب، ص ٢٥٣-٢٥٤

٢ - سانوتو : الأسرار ، ص ١٨٠

٣ - تعد مادة الخشب والحديد والقار من المواد التي تتحكم بتطور الملاحة البحرية ، وجودتها وكلها توفرت في جزيرة قبرص انظر: سانوتو : الأسرار، ص ص ٧١ .

٤ - بندس : تاريخ قبرص ماذا أعرف ، ص ٥٧ / شاكر : المسلمون في قبرص ، ص ١٠

٥ - العبار : مشكلة قبرص بين الماضي والحاضر ، ص ٣٢ / حطيط : قبرص ولعبة الأمم ، ص ٣٣ – ٣٤/ زيتون:العلاقات الاقتصادية ،ص٢٥٤

٦- الإدريسي : نزهة المشتاق ، ص ٦٤٣، ٦٤٤

ملاحظة : النميسون : هي ليماسول، ولفقسية هي: نيقوسيا، وهي تسميات قديمة لتلك المدن.

٧- الإدريسي : المصدر نفسه ، ص ٦٤٤

المماليك تحرير المناطق التي استولى عليها الفرنج الصليبيون سنة ٦٥٩هـ/١٢٦٠م في الشام ، حيث تمكنوا خلال العقود الأربعة المقبلة من طرد الصليبيين من الساحل الشامي، وكان من حسن حظ قبرس أن المماليك لم يقوموا حتى القرن ٨هـ/١٤م بتطوير تقاليد تتعلق بالحرب البحرية، وهكذا تبين أنه وعلى الرغم من أن الجزيرة كانت عرضة للهجوم عليها من القواعد في بيروت، أو طرابلس، فإنها لم تواجه هجوماً جدياً سيق ضدها حتى عشرينات القرن ٩هـ/١٥م، ولقد اعتمد الازدهار التجاري لقبرس إلى حد بعيد على التجار المحليين الذين كانوا يجلبون بضائعهم من موانئ الشام التي كانت تحت حكم المماليك، ومن ثم يبيعونها إلى التجار في الغرب، وهكذا كان من صالح ملوك قبرس منع التجار الغربيين من الذهاب بشكل مباشر إلى الأراضي المملوكية، أو حتى القضاء على الموانئ التجارية الإسلامية وساعد في أواخر القرن ٧هـ/١٣م وأوائل القرن ٨هـ/١٤م الحظر البابوي على هذا، لكن ومع ذلك فإن الحظر البابوي تمت مخالفته من قبل بعض الدويلات التجارية الايطالية، لأن الدولة المملوكية ظلت قائمة طالما تجارتها مع الغرب قائمة، ولما انقطعت عنها تلك التجارة زالت دولة المماليك باستثناء فترات قصيرة منها تلك التي ذكرت في نهاية القرن ٧هـ/١٣م وبداية القرن ٨هـ/١٤م.

ومع منتصف القرن ٨هـ /١٤م بدأت تجارة قبرس بالانحدار، وقد أثر عليها بشكل كبير انتشار مرض الموت الأسود (الطاعون)[١] لعامي(٧٤٨ـ٧٤٩هـ /١٣٤٧- ١٣٤٨م) وكان بداية لتناقص حجم التجارة بحكم أنه بات هنا الآن منتجين أقل ومستهلكين أقل، فلا ريب أن اقتصاد المنطقة قد أصيب بالانكماش نتيجة لتناقص المنتجين والمستهلكين في بلدان البحر الأبيض المتوسط، ولا بد أن تغيير الطرق التجارية بالإضافة إلى التأثيرات الاقتصادية التي تركها الطاعون الأسود عنى خفضاً كبيراً في حجم التجارة مع الجزيرة، وبدأت تظهر دلائل الركود التجاري في قبرس، ولاسيما مينائها فاماجوستا بدليل أن المسكوكات في عهد بطرس الأول كان أقل مما كان عليه في بداية القرن، ومن المحتمل أن الاضطرابات في آسية الصغرى وتناقص العناية بطرق التجارة، قد زاد من تسارع هذه الحالة، لكن التهديد الحقيقي من وجهة النظر القبرسية جاء نتيجة لتغير السياسة البابوية التي بدأت بالترخيص للرحلات التجارية الغربية بالذهاب إلى سلطنة المماليك، فمع خمسينات القرن ٨هـ/١٤م أخذ قسم كبير من سفن

---

[١] ـ للمزيد عن ذلك الوباء وأثره على البلاد انظر جلال الدين السيوطي " ما رواه الواعون في أخبار الطاعون "

البنادقة بالذهاب إلى الإسكندرية بعد ما كانت قبل بضع سنوات تبحر مباشرة إلى قبرس[١] وهكذا صار للفلاحين أهمية أكبر من أهمية العمال الحرفيين، والتجار الذين شكلوا خلال قرون القاعدتين الأساسيتين للتركيبة الاجتماعية في الجزيرة، وأصبح الاقتصاد القبرسي رهناً بالزراعة ، كما ساهمت عوامل خارجية في نهضة قبرس الاقتصادية خلال حروب بيزنطة ضد الفرس، لأن قرب قبرس منها جعلها مركزاً، ومرصداً، وقاعدة للتموين العسكري[٢]، وبقيت كذلك حينما احتلها الفرنج الصليبيون.

أهم صادرات الجزيرة:

النحاس الذي ازدهر تعدينه وتصديره في الجزيرة منذ الألف الثالث ق . م، وربما قبل ذلك[٣]، واللادن[٤] الجيد، والعود الطيب، والزاج[٥] القبرسي مشهور كثير المنافع ، وهو أفضل الزاجات كلها[٦] ومنها (أي قبرس) " يتجهز به إلى سائر الأقطار المتنائية والمتقاربة "[٧]، كما كانت تصدر الحبوب، والخمرة والمواشي الكبيرة، والصغيرة ، والملح للفرنج[٨]، وكذلك الأخشاب[٩]، الأخشاب[٩]، الأمر لاسيما في الحفاظ على منفعة اقتصاد الجزيرة[١].

---

١ - ماخوت : الاستيلاء على الإسكندرية، ص٦

٢ - بندس : تاريخ قبرص ماذا أعرف ، ص ٥٧/اديوري:قبرص والحروب الصليبية، ص١٢٤،١٣٤/

Makhiaras,recital concerning,p.61

٣- بندس : المرجع نفسه ، ص ٥٧ / د. أحمد علي (عبد اللطيف) : التاريخ اليوناني ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧١م ، ص ٣٣

٤ - اللادن : هو معدن أو مجموعة مختلطة من المعادن أو (اللدائن) وربما كان المقصود هنا في جزيرة قبرس ،إما الحديد أو الزنك أو النحاس حتى إن البكري قال " وفي جزيرة قبرس اللادن ولا يجمع في غيرها " البكري : المسالك ، ص ٢٠٣.

٥ - الزاج القبرسي : ذكره الإدريسي على أنه معدن ، أما القزويني فعرفه على أنه حجر تتألف أجزاؤه من أجزاء مائية وأجزاء أرضية محرقة إذا اختلط بعضها ببعض ولها ألوان مختلفة الأخضر والأبيض والأزرق والزمردي ، وأما منافعه فإنه ينفع من الجرب والرعاف وتآكل الأسنان ، حتى إذا دهن البيت به هرب من رائحته الفار والذباب .

الإدريسي : نزهة المشتاق ، ص ٦٤٣ / القزويني : عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، تحقيق فاروق سعد ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٧٧ ، ص ٢٦٢

أما في الدراسات الحديثة فيعرفونه على أنه الاسم التجاري للكبريتات المائية لبعض الفلزات الثقيلة والزاج الأخضر يستعمل في صناعة النسيج وكمبيد للحشرات وفي الأصبغة المعدنية .

بوسيف ، يفيمون : المنجد في الكيمياء ، ص ٢٠٤

٦- القزويني : آثار البلاد ، ص ٢٤٠ / الإدريسي : المصدر نفسه ، ص ٦٤٣ – ٦٤٤

٧ - الإدريسي : المصدر نفسه ، ص ٦٤٤

٨ - سانوتو : الأسرار ، ص ١٠٨ ، ١٠٥/ فابري: جولات الراهب فليكس فابري ورحلاته، ص٣١٠

٩ - حاج مجهول : رحلات غربية ، ص ٢١

أما واردتها:

فلم تذكر المصادر أية معلومات حول هذا الأمر، وأغلب الظن أنها كانت مكتفية ذاتياً، وإن تطلب الأمر، فإنها على الأقل استوردت الأصناف والمنتجات القادمة من الهند لاسيما التوابل أو المواد التي لا تنمو أو تتواجد فيها، أو التي لا تستطيع تصنيعها كالأسلحة مثلاً .

٤- السكان :

وقبرص جزيرة وسط البحر، وهي بذلك تفرض على سكانها الذين يعيشون فيها نوعاً من العزلة والانغلاق على الذات[٢]، لكن مع تغير الظروف والأوضاع السياسية، وكثرة الطامعين بها والاحتلال جاءها العديد من البشر على اختلاف جنسياتهم، وتعددت الآراء حول الأصول البشرية الأولى للسكان، إحدى هذه الدراسات تقول بأن سكانها الأوائل قبرسيون، والذين قدموا على الأرجح من ساحل الأناضول إلى قبرس نحو الألف السادس، وذلك من خلال الاكتشافات الأثرية الحديثة[٣]، لقد لفت اكتشاف معدن النحاس، وشهرة غابات قبرس انتباه الشعوب والبلدان المجاورة إليها، وسرعان ما وصل المستعمرون إلى قبرس من الأناضول وسورية الأمر الذي جعل فيها خليطاً من البشر الذين استوطنوا هذه الجزيرة[٤]، وهناك رأي آخر يقول بأن الموجة البشرية التي سكنت قبرس من خمسة آلاف سنة كانت من الأناضوليين المنحدرين من المناطق الجنوبية لآسيه الصغرى، وقد كانت هذه الجزيرة من المناطق المعروفة في العالم القديم الذي كان يمتد من المحيط الهندي والخليج العربي إلى شواطئ البحر المتوسط، لذلك تعرضت لعدة غزوات وهذا ما دفع أصحاب هذه النظرية إلى القول: بأن اليونانيين هم أهالي الجزيرة الأصليين، لكن الأتراك عارضوا هذه المسألة مستندين إلى أن السكان الأوائل الذين سكنوا الجزيرة، قد قدموا من آسية الصغرى التي تعرف اليوم بتركية، لم يكن اليونانيون الذين فروا من شرق أوربا غير دخلاء على الجزيرة[٥]، في حين يقول حطيط بأن اليونانيين جاؤوا إلى قبرس في أواخر الألف الثاني وأسسوا فيها مدناً هامة[٦].

---

[١] - ماخوت : الاستيلاء على الإسكندرية، ص ٤

[٢] - الزنتاني : قبرص من معاوية إلى أجاويد ، ص ٤١

[٣] - بندس : تاريخ قبرص ماذا أعرف، ص ١١

[٤] - حطيط : قبرص ولعبة الأمم ، ص ٢٣ / بندس : المرجع نفسه ، ص ١٢

[٥] - العبار : مشكلة قبرص بين الماضي والحاضر ، ص ٣٠

[٦] - حطيط : المرجع نفسه ، ص ٣٤

غير أن قبرص، وبحكم كونها أقرب الجزر إلى الساحل السوري القديم، وبمدنه ومرافئه التي يزيد عمر بعضها على ستة آلاف عام ق.م (مثل أوغاريت وعمريت) وبما أن قبرص تعد من الناحية الجيولوجية الجغرافية امتداداً طبيعياً لجبال أنطاكية قبل أن ترتفع مناسيب مياه البحر ولما كان السوريون أول من أنزل سفينة في البحر المتوسط منذ العهد الأموري، فقد كان من الطبيعي أن يكونوا أول من استوطن قبرص وبحرها، "ولقد منحها السوريون اسمها الذي يدل على هيئتها منذ الزمن الموغل في القدم ، وأطلقوا اسم جيفر وتعني في القاموس السرياني ظفر أو مخلب، حتى أن هيردوت قد استخدم في تاريخه لفظة الجفريين للدلالة على سكان قبرص"، هذا وقد أنشأ السوريون في الجزيرة عدة مدن لا تزال قائمة إلى اليوم أهمها سلامين[1] ويمكن القول بأن هذه النظرية هي الأقرب إلى التصديق.

ومن الغريب في تلك الجزيرة ثنائية انتمائهم، فمنذ القديم، وبعد الفتح العربي كان انتماء السكان للمسلمين وللرومان معاً[2]، وبالرغم من اختلاف الآراء فإنه من المعروف عن الجزيرة منذ القرن السابع حتى الحادي عشر الميلادي هو قليل نسبياً، فقد حكمها العرب والقبارسة اليونانيون حكماً مشتركاً[3]، حتى استيلاء البيزنطيين عليها استيلاء تاماً، وبالتالي فإن القبارسة المسلمون في الأصل كانوا عرباً، وليسوا أتراكاً، ولكنهم أضحوا وعدوا في عداد هؤلاء حينما حلت اللغة التركية بينهم لغة بديلة للعربية[4]، ومن الواضح أن عرب جزيرة قبرص ظلوا بها وخضعوا للحكم البيزنطي حينما تبعت الجزيرة للآخرين[5]، وجاء إلى قبرص أقوام مارونيون[6]من الشام [7] استوطنوا فيها في دير القديس يوحنا (شمال نيقوسيا) وبالمثل انتقل إلى قبرص أرمن من أرمينية الصغرى في عهد يوانس الثاني كومينينوس (٥١٢-٥٣٨هـ/١١١٨-١١٤٣م) أما في عهد مانويل كومينينوس(٥٣٨-٥٧٦هـ/١١٤٣-١١٨٠م)،

---

[1] - داوود : تاريخ سوريا الحضاري ،ج ٢ ، ص ٢١٥ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩

[2]- بندس : تاريخ قبرص ماذا أعرف، ص ١١ – ١٢

[3] - اديوري : قبرص والحروب الصليبية ، ص ١٠

[4] - الزنتاني : قبرص من معاوية إلى أجاويد ، ص ٦٩

[5] - بندس : المرجع نفسه، ٧٣

[6] - وجدت آثار المارونيين في أكثر الشمال الغربي للجزيرة في أربع قرى ، وبلغ عدد السكان حوالي ٤٠٠ نسمة .

سبيريداكيس : موجز تاريخ قبرص ، ص ٨٩

[7]- ذكر مخارياس في مؤلفه باستيطان وقدوم أعداد كبيرة من السوريين واللاتين إلى قبرص.

Makhiaras,recital concerning,p25.

فقد ازداد دخول الفرنسيين إلى قبرس، هذا بالإضافة إلى وجود جاليات ايطالية، حصلت على امتيازات تجارية في قبرس [١] مما كان له أخطر النتائج على تاريخ الجزيرة[٢].

٥- النشاط العمراني:

على الرغم من ندرة المعلومات حول هذا الموضوع يمكن القول بأن الجزيرة شهدت نهضة عمرانية شاملة، دلّ عليها كثرة المنشآت التي تمثلت ببناء المساكن والمساجد والأديرة[٣] والكنائس والحصون والقلاع [٤]، والمدن، هذا ما دل عليه الإدريسي حينما تحدث عن بعض مدنها(النميسون) قائلاً:" وهي مدينة حسنة بها الأسواق والعمارات الكثيرة"[٥].

ولما فتح العرب المسلمون الجزيرة لم يقيموا فيها بداية، لكنهم تركوا حامية عربية سنة ٣٦هـ/٦٥٦م، فقد ذكر ابن الأثير أن العدد كان إثنا عشر ألفا بأسرهم، ولذلك فقد بنوا المساكن والمساجد (مسجد أم حرام [٦]) حتى يصدوا غزوات الروم عنهم[٧]، هذا وقد كثر بناء الأديرة الأديرة التي حظيت برعاية الأباطرة البيزنطيين مثل دير "كيكو" على جبال بافوس في عهد الامبراطور اندرونيقوس.أحد أقارب الامبراطور الكسيوس كومينينوس(٤٧٤-٥١٢هـ/١٠٨١-١١١٨م).

وبمرور الزمن أصبح هذا الدير أهم وأغنى دير في قبرس، كما أنشئت أديرة أخرى مثل دير ماشيوا على جبال تردوس، ودير القديس نيوفينوس، ودير حزيسور، وباتيسا الذي تبع لمطرانية بافوس، ونظراً لانتشار حياة الرهبنة في قبرس ،أنشئ دير القديسة هيلانة وهو أقدم أديرة الجزيرة، هذا بالإضافة إلى أعداد أخرى من الأديرة الصغيرة التي تتبع لرئيس الأساقفة ولمطرانيات الجزيرة [٨].

---

[١] - اديوري : قبرص والحروب الصليبية ، ص ١٠

[٢] - سبيريداكيس : موجز تاريخ قبرص ، ص ٨٩

[٣] - الشابشتي: الديارات، ص٤٠٩

[٤] - حاج مجهول: رحلات غربية،ج٣٧،ص٢٢

[٥] - الإدريسي: نزهة المشتاق،ص٦٤٤

[٦] - أم حرام: هي ابنة ملحان الأنصارية وزوجة عبادة بن الصامت من الصحابة الذين فتحوا قبرس، وجد القبر في حائط الكنيسة الشرقية وهو الآن مسجدا.

مسجدا.
الهروي: الإشارات إلى معرفة الزيارات، حققه جانين سوريل،دمشق،١٩٥٣م/ص٥٦/ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ط١/١٩٩٧م،ج٢،ص٤٦٨-٤٧٠

[٧] - الزنتاني: قبرص من معاوية إلى أجاويد، ص٦٨

[٨] - سبيريذ اكيس: موجز تاريخ قبرص، ص٩٠-٩١

لقد انعكس الحماس الديني لشعب قبرس، ليظهر واضحاً في الصور الحائطية والأيقونات المستقلة في الكنائس القليلة، التي بنيت على الجبال، حيث كان الشعب يهرب طلباً للخلاص نتيجة لكثرة الطامعين والمحتلين، ومن المؤكد أن اهتمام الأباطرة البيزنطيين بقبرس ساهم إلى حد كبير بتشجيع الحياة الدينية في الجزيرة حتى القرن ٦هـ/١٢م[١]، أما في زمن الاحتلال اللاتيني، فقد كانت ثلاث قمم من قمم جبال كيرينيا متوّجة بحصون تمتد من الشرق إلى الغرب، ويبدو أن الجزيرة على حد قول بيترو لم يكن لمدنها أي من الأسوار قبل ذلك، ثم تطورت في ظل احتلال هؤلاء لها[٢]، وهذا إن دل على شئ، فهو دلالة على مواجهتها للخطر من الحدود الحدود الشمالية للبلاد لاسيما من قبل الأتراك العثمانيين، كما ظهر جلياً آثار الفن الغربي وتقدمه في كثير من الرسوم الحائطية، وكان تقدم رسوم الأيقونات على قدم المساواة مع الرسوم الحائطية[٣]، وهذا دليل على حدوث تطور ثقافي ونهضة عمرانية، فالفن مرآة عصره، وهو يعكس مدى الازدهار والتقدم الذي وصل إليه مجتمع ما.

ثانياً: لمحة تاريخية – سياسية عن جزيرة قبرس حتى قدوم الصليبيين:

حافظت جزيرة قبرس على طابعها اليوناني على الرغم من كثرة الدول التي حكمتها، فقد خضعت لبيزنطة وللمسلمين وللصليبيين وللبنادقة والعثمانيين والبريطانيين.

١–الفتح الإسلامي لقبرس:

ما إن خرج العرب المسلمون بالإسلام من شبه الجزيرة العربية إلى مشارق الأرض ومغاربها وأصبحت لهم ثغور على سواحل البحار، حتى بدأوا يفكرون في ركوب البحر والسيطرة عليه ومن هذا المنطلق أدرك المسلمون أهمية قبرس التي كانت تابعة لبيزنطة، وخطورتها عليهم منذ فتوحاتهم الأولى في سبيل مهاجمة الدولة البيزنطية، التي كانت تغير عليهم باستمرار وتهدد أمنهم، وكان معاوية بن أبي سفيان والي الشام في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (ر) أول من فهم الحقائق وأدركها، فقد واجهته مشكلة الدفاع عن بلاد الشام ضد الروم، لأن البحر المتوسط بقي لعدة قرون الطريق الرئيسي للدولة البيزنطية التي هيمنت عليه.

---

[١] - سبيريذ اكيس: موجز تاريخ قبرص، ص٩٥

[٢] - اديوري: قبرص والحروب الصليبية، ص٢٥-٢٧

[٣] - سبيريذ اكيس: المرجع نفسه، ص٩٥

فما هي أهم الأسباب التي دفعت معاوية إلى فتح جزيرة قبرس بالذات دون غيرها من بقية الجزر؟

لقد قام معاوية بتوجيه كل الإمكانيات المتوفرة لديه لبناء أسطول بحري يداهم به هذه الجزيرة لأسباب أهمها:

١- حماية أطراف الدولة الإسلامية الناشئة، لاسيما موانئ بلاد الشام ومصر وفلسطين من غارات بيزنطة.

٢- مواصلة الجهاد ضد الدولة البيزنطية.

٣- لقرب قبرس من بلاد الشام حتى قيل في ذلك " إن قرية من قرى سواحل حمص ليسمع أهلها نباح كلابهم، وصياح دجاجهم "[١] وألح معاوية على ابن الخطاب في هذا الأمر والسماح له بفتح الجزيرة، لكن الخليفة عمر لم يشأ حقيقة أن يغامر ويخاطر بمصير الجنود المسلمين، ومع ذلك كتب إلى عمرو بن العاص يستشيره في هذا الموضوع ويبين له رأيه في وصف البحر، فأجابه عمرو" بأن تحرك البحر أراع العقول، يزداد فيه اليقين قلة والشك كثرة والناس فيه دود على عود"، فلما قرأ الخليفة كتابه قال: " لا والذي بعث محمد بالحق لا أحمل فيه مسلماً أبداً "[٢].

ولتلك الأسباب جميعها تأجل مشروع فتح قبرس حتى عهد الخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عفان (ر)، فقد ظلت الفكرة تراود معاوية، وكتب إلى الخليفة يستأذنه في غزو البحر مراراً إلى أن أذعن له عثمان في نهاية الأمر، بعد أن اشترط عليه شروطاً أهمها:

١- اشترط أن يكون الجند الذين يغزون عبر البحر متطوعين غير مجبرين على ذلك.

٢- أن يصطحب المسلمون زوجاتهم معهم، دل على ذلك قوله عندما أجاب معاوية بالقبول"فإن ركبت البحر ومعك امرأتك فاركبه مأذوناً لك، وإلا فلا"[٣].

---

[١]- ابن الأثير: الكامل، ج٢، ص٤٦٨،٤٦٩/الطبري(محمد بن جرير): تاريخ الأمم، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار سويدان، بيروت، ج٤،ص٢٥٨/البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر):البلدان وفتوحها وأحكامها، حققه د.سهيل زكار، دار الفكر،ط،١٩٩٢م،ص١٨٠ / بورتشارد:وصف بورتشارد راهب جبل صهيون، ص٢٩٨.ربما استشهد بمدينة حمص دلالة على قربها من قبرس أو لأن قبرس فتحة لاتعيقها الجبال وبالتالي من السهولة مرور الصوت فيزيانيا واغلب الظن أنه لم يرد حمص نفسها إنما أراد قرية من قرى الساحل السوري الذي كان يعرف تحت اسم سواحل حمص قديما

٢ - ابن الاثير: المصدر نفسه، ص ٤٨٦ / الطبري: المصدر نفسه، ص٢٠٨، ٢٠٩ / القرماني : أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، تحقيق د.أحمد حطيط،مجلد٣،عالم الكتب،بيروت،ط،١٩٩٢م،ص٤٧٧.

[٣]- ذكر ابن خياط أن معاوية لما غزا قبرس سنة ٢٨هـ/٦٤٨م اصطحب معه امرأته فاخته بنت قرظة من بني عبد المناف، لكن بعض المصادر ذكرت بأن فاخته أخته، كما اصطحب عبادة بن الصامت زوجته أم حرام بنت ملحان الأنصارية التي توفيت في قبرس.

حشد معاوية أساطيله وقواته في ميناء عكا، وخرجت أولى الحملات الإسلامية البحرية بقيادته لفتح قبرص سنة ٢٨هـ/٦٤٨م، بعد أن شاركت فيها مصر بعدد من أهالي الإسكندرية تحت قيادة عبد الله بن أبي سرح (أمير مصر).

كما اشترك بهذه الحملة عدد كبير من الصحابة من بينهم (أبو ذر الغفاري،عبادة بن الصامت، وزوجته وأبو الدرداء......الخ)[١] وحينما وصلت الحملة بأمان إلى قبرس، نجح معاوية في النزول على شواطئها، ثم أرسل إلى أهلها من يخبرهم بأنه لم يأت معتدياً، وإنما جاء للاتفاق معهم على صيغة تؤمن مصالح كل من الطرفين، فرفضوا الدخول معه في مفاوضات واعتصموا بأسوار عاصمتهم قسطانطيا قديماً[٢]، فحاصرها معاوية، وسقطت بيده، واستولى على الكثير من كنوزها وأهلها، ثم نزل جنود الحملة بعد ذلك، وانتشروا في أرجاء الجزيرة فقتلوا خلقاً كثيراً وسبوا سبايا كثيرة وغنموا مالاً جزيلاً[٣] عندها أذعن أهالي الجزيرة وأرسلوا في طلب الصلح، فصالحهم معاوية على شروط أهمها:

١- أن يدفع القبارسة جزية سنوية للمسلمين مقدارها سبعة آلاف دينار، على أن يدفعوا للدولة البيزنطية مثلها، هذا يعني أن العرب المسلمين لم يهتموا بأن يكونوا سادة الجزيرة وحدهم، بل قبلوا أن تكون مناصفة بينهم وبين الروم، كما أنهم لم يهدفوا للسيطرة على الجزيرة وإنما لغاية التأديب وحماية بلادهم من غارات البيزنطيين فقط .

٢- إخبار المسلمين بما سوف يتجهز به الروم للإغارة على البلاد الإسلامية حتى يحتاطوا ويأخذوا حذرهم.

٣- أن تكون قبرس طريق المسلمين إلى البلاد البيزنطية، أي أنهم أرادوا أن يجعلوا من قبرس قاعدة للهجوم على بلاد الدولة البيزنطية فيما بعد.

٤- اشترط العرب المسلمون على القبارسة عدم تقديم أية معونة إلى أعدائهم.

ولم يلبث أن هم معاوية والمسلمون بالخروج سريعاً من الجزيرة، حينما علموا باقتراب حملة بيزنطية بقيادة الإمبراطور قسطنطين الثالث(٦٤١-٦٦٨م) لذلك عاد العرب أدراجهم إلى

---

[١] - ابن خياط(خليفة بن خياط العصفري): تاريخ خليفة بن خياط، حققه د. سهيل زكار، ج١، لم يرد تاريخ الطبع ،ص١٦٦

[٢] - كانت العاصمة بافوس(أقدم موانئ قبرس) قبل قسطانطيا ثم انتقلت العاصمة في منتصف القرن ٥هـ/١١م إلى ليفقوسيا (نيقوسيا) في السهل الأوسط لكن الأسقفية ظلت في قسطانطيا حتى أواسط القرن ٧هـ/١٣م انظر عثمان : تاريخ قبرص ، ص١٤٦

[٣] - الطبري: تاريخ الأمم، ج٤،ص٢٥٨/البلاذري: البلدان وفتوحها، ص١٨٠/١٨١
ابن كثير: البداية والنهاية،ج٧،ص١٥٣

بلادهم، في هذه الأثناء ذكرت المصادر العربية عن وقوع أم حرام عن ظهر بغلتها ووفاتها في لارنكا [١].

لقد تحدثت معظم المصادر عن هذه الحقبة، ومعظم المعلومات التي وردت فيها وضعت قبرس في حالة من الحياد تحت قيادة مشتركة عربية إسلامية بيزنطية إلى أن نقض القبارسة عهدهم للعرب سنة ٣٣هـ /٦٥٣م.

وصلت الأخبار إلى معاوية بأن أهل قبرس نقضوا عهدهم له، وبأنهم أمدوا الدولة البيزنطية بسفن حربية ليستعينوا بها على حرب المسلمين، كما بلغه بأن الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الثالث عمل على تعزيز قواته في قبرس وزيادتها، الأمر الذي جعله يعزم على غزو قبرس مرة أخرى بأسطول مكون من خمسمائة سفينة[٢].

وهاجم المسلمون الجزيرة التي هرب سكانها إلى الجبال، ولم يكتفِ المسلمون بالغزو بل ظلوا بها حتى فتحوا البلاد جميعها إلى أن انتهى بهم المطاف إلى إقرار شروط الصلح المتقدمة الذكر، وهنا لم يفكر معاوية بالجلاء عن الجزيرة، كما فعل أول الأمر، بل أرسل إليها غداة عودته إلى الشام جالية إسلامية مؤلفة من اثني عشر ألفاً من الجنود، كما نقل إليها جماعة من أهل بعلبك، وأغراهم على البقاء فيها بعد منحهم رواتب عالية[٣].

اهتم معاوية كل الاهتمام بأمر تلك الجالية، فشيد أصحابها مدينة خاصة بهم، كما أقاموا عدداً من المساجد، مما دفع ببعض المؤرخين إلى القول بأنها أولى محاولات الاستيطان بالجزيرة والاستيلاء عليها بشكل دائم.

٢-أوضاع قبرس زمن الأمويين:

لم يواصل يزيد بن معاوية (٦١هـ/٦٨٠م) سياسة أبيه نفسها بعد وفاته، فقد قام باستدعاء تلك الجالية وأمر بهدم المدينة التي بناها المسلمون[٤] ربما حتى لاينتفع الأعداء منها أو ربما بطلب من أهل قبرس أنفسهم حتى يحافظوا على شروط المعاهدة، أو لأسباب أخرى غير معروفة، وخلال هذه الحقبة لم يشن القبارسة أي عمل عدواني ضد المسلمين، بل ظلوا يدفعون الجزية المقررة عليهم، كما حافظوا على شروط الصلح حتى كان سنة ٦٩هـ/٦٨٨م،

---

١ - البلاذري: البلدان وفتوحها،ص١٨١

٢ - البلاذري:البلدان وفتوحها،ص١٨١.

٣ - نداء: قبرس البحرية الإسلامية،ص١٢

٤ - البلاذري: المصدر نفسه،ص١٨١

السنة التي صالح فيها الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦ هـ/٦٨٥-٧٠٥م) الإمبراطور البيزنطي جستنيان الثاني (٥٦٥-٥٧٨م) على أرمينيا وقبرس، على أن يكون للخليفة ألف دينار زيادة على النصف الذي يخص المسلمين من الجزية القبرسية[١]، أحس جستنيان بأن المعاهدة بمثابة صفقة خاسرة له، لذلك أخذ يتلمس الأعذار لبعضها، وأتيحت له الفرصة في سنة ٧٣هـ/٦٩٢م حيث قام بنقل السكان المسيحيين في قبرس إلى الدردنيل، لكي يقيموا على الشاطئ الأوروبي، وربما فعل ذلك ليحرم المسلمين من نصيبهم من دخل قبرس حتى قيل أن عدداً من المسلمين نقلوا عن الجزيرة مع المهاجرين القبارسة، الأمر الذي ترك أثر سلبياً على مختلف مناحي الحياة في قبرس، ولم تدم هذه الهجرة إلا بضع سنوات، بعدها عاد هؤلاء المهجرون إلى بلادهم لأنهم لم يستطيعوا التأقلم في حياتهم في المنفى، كان ذلك في عهد الإمبراطور طبريوس الثالث(٧٩-٨٦هـ/٦٩٨-٧٠٥م) الذي أمر بإعادة القبارسة إلى جزيرتهم سنة ٧٩هـ/٦٩٨م لما أحس بفداحة الأمر، وقلة اليد العاملة في قبرس نتيجة للنقص الكبير في سكانها، حتى أنه أرسل إلى الخليفة الأموي عبد الملك ثلاثة من النبلاء القبارسة يطلبون منه إرسال القبارسة الموجودين ببلاد الشام إلى جزيرتهم، فأجابه الخليفة إلى طلبه، وأمر بإعادة سائر القبارسة في مختلف البلاد إلى قبرس لإعمارها؟.

ولم تلبث أن استؤنفت الهجمات بين المسلمين والبيزنطيين، وعادت قبرس مسرحاً للتنازع بين الطرفين، حيث أغار معاوية بن هشام بن عبد الملك ومعه ميمون بن مهران على قبرس سنة ١٠٧هـ/٧٢٦م[٢].

إلا أن المصادر صمتت عن ذكر أسباب تلك الإغارت على قبرس ولم توضحها؟

وفي سنة ١٢٥هـ /٧٤٣ م أرسل الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك حملة بقيادة الأسود بن بلال المحازي " و أمره أن يسير إلى قبرس فيخيرهم بين المسير إلى الشأم إن شاءوا و إن شاءوا إلى الروم ، فاختارت طائفة منهم جوار المسلمين فنقلهم الأسود الى الشأم ، و اختار آخرون أرض الروم فانتقلوا إليها"، ربما فعل الوليد ذلك محاولة منه التقليل و الحد من خطرهم على الدولة العربية الاسلامية، وهذا الأمر الأقرب إلى المنطق لأنه لا يمكن إخلاء الجزيرة من أهلها بتلك السهولة وكأنها قرية صغيرة؟ لذلك أمر الخليفة الوليد قائد تلك الحملة تخيير أهل

---

[١] - البلاذري: البلدان و فتوحها، ص١٨٢

[٢] - الطبري: تاريخ الأمم،ج٧،ص١٤٠/ابن الأثير: الكامل،ج٤،ص١٨٢

قبرس بين المسير إلى الشام والعيش في كنف الدولة الإسلامية أو الذهاب إلى حيث شاءوا من بلاد الدولة البيزنطية، فاختار بعضهم الشام، في حين اختار الآخرون بيزنطة[1]. لكن هذا العمل لم يلق ترحيباً من قبل المسلمين، فأنكروا على الوليد عمله بتشريد القبارسة، فلما مات أعاد ابنه يزيد بن الوليد بن عبد الملك القبارسة جميعهم إلى جزيرتهم[2]، هذا وقد استفاد الوليد من جزيرة قبرس لا سيما من رصاصها عند بنائه للجامع الأموي، كما قال أحد المؤرخين"وقيل إنه لما أراد الوليد بن عبد الملك أن يسقفه(أي الجامع الأموي) بدمشق بالرصاص وما وجد في دمشق ما يكفيه فسير إلى ملك الإفرنج صاحب قبرس يطلب رصاصاً بثمنه، فلم يجدوا في قبرس رصاصاً إلا عند امرأة فساوموها على بيعه فأبت، فقالوا لها إن خليفة المسلمين قد عمر جامعاً لهم وقد اعتازوا فيه فوهبتهم الرصاص جميعه للجامع"[3].

وفي أواخر أيام الدولة الأموية، إبان عهد الإمبراطور قسطنطين الخامس(١٢٣-١٥٩هـ/٧٤٠-٧٧٥م) أرسل العرب المسلمون حملة كبيرة توجهت من الإسكندرية للإغارة على جزيرة قبرس سنة ١٣٠هـ/ ٧٤٧م تمكنت من الاستيلاء على أحد الموانئ القبرسية، وأقامت به مدة لإعداد العدة لفتح الجزيرة كلها، لكن ولسوء الحظ باغتهم أسطول بيزنطي وسد عليهم مدخل الميناء، فأخفقت الحملة الإسلامية وتحطمت معظم سفنها، ترتب على ذلك عدم السماح بخروج أية حملة من مصر أو من غيرها من القواعد الإسلامية ضد قبرس.

٣-أوضاع قبرس زمن العباسيين:

عندما قامت الدولة العباسية (١٣٢هـ/٧٤٩م) رأى أبو جعفر المنصور(١٣٦-١٥٩هـ/٧٥٤-٧٧٥م) ثاني خلفائها التخفيف عن القبارسة وردهم إلى صلح معاوية، وألغى الزيادة التي كان قد فرضها عليهم الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ/٦٨٥-٧٠٥م) بموافقة جستنيان الثاني، لكن العباسيين لم يلبثوا أن حذوا حذو الأمويين في الإغارة على الجزيرة،كلما أرادوا مضايقة البيزنطيين، وهذا ما حدث سنة ١٥٨هـ/٧٧٥م حينما وقع حاكم الجزيرة

---

[1] - الطبري: تاريخ الأمم،ج٧،ص٢٢٧

[2] - البلاذري: البلدان وفتوحها، ص١٨٤

[3] - محمد بن صصري: الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية، حققه د.وليم بيريز،أستاذ الدراسات الشرقية في كاليفورنيا، لم يرد تاريخ الطبع،ص١٢٠

البيزنطي أسيراً لدى المسلمين[1] أما في عهد الخليفة هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/ ٧٨٦-٨٠٨ م) فقد أرسلت ثلاث غارات على الجزيرة كان أولها:

في سنة ١٧٤هـ /٧٩٠م عندما أغار العرب المسلمون على جزيرة قبرص، حيث جرت معركة بالقرب من الساحل الجنوبي لآسيا الصغرى عند خليج أضاليا (أنطاليا) بالشمال الشرقي من الجزيرة، لكن الإمبراطورة البيزنطية – ايرين– أرسلت أسطولاً لإحباط المسلمين ، ودارت معركة أسفرت عن أسر أحد قواد الأسطول البيزنطي واسمه طفيل (٢١٤-٢٢٦هـ/٨٢٩-٨٤٢م) أو ثيوفيلوس (THEOPHILUS) [2] الذي أرسل إلى بغداد، ووعده الخليفة هناك بإطلاق سراحه إذا اعتنق الإسلام، لكنه أبى، فأمر بقتله.

أما الغارة الثانية فقد حدثت في سنة ١٩٠هـ/ ٨٠٥ م، وكان سببها أن الخليفة غزا آسيا الصغرى، واستولى على الكثير من مدنها وحصونها، حتى امتثل في نهاية الأمر الإمبراطور نقفور الأول إلى عقد الصلح بشروط:

١- أن يدفع الإمبراطور غرامة مالية كبيرة للخلافة العباسية.

٢- التعهد بعدم إعادة بناء الحصون والقلاع المهدمة بأطراف آسيا الصغرى،

لكن نقفور نقض الصلح، ولم يراع شروطه، الأمر الذي دفع بالخليفة هارون الرشيد إلى إرسال حملة بحرية بقيادة حميد بن معيوف إلى قبرص، فأحرقت وهدمت، كما أسرت عدداً كبيراً من أهلها، فبيعوا في الأسواق، وبلغ ثمن أسقف قبرص آنذاك ألفين دينار[3]، ولم تلبث أن تبدلت العلاقات القبرسية الإسلامية تدريجياً، وحسن القبارسة علاقاتهم بالدولة العباسية، مما جعل الرشيد يأمر برد جميع الأسرى إلى قبرص، من غير فدية، وتشير المراجع إلى إغارة ثالثة على قبرص في عهد هارون الرشيد، ولم يذكر أحد المراجع سوى أن قائدها كان معيوف بن يحيى[4].

ظلت قبرص بمنأى عن الغارات الإسلامية قرناً من الزمان، نتيجة للخلافات التي نشبت بين الأخوين الأمين والمأمون، وانتقال المعتصم من بغداد إلى سامراء، فضلاً على التغلغل التركي

---

[1] - البلاذري: البلدان وفتوحها،ص١٨٥

Vasilevs :history of the b yzantine,emire vol.1,p32.7

[2] - اكبر ابناء ميخائيل الثاني (٨٢٠-٨٢٩م)امتاز بنشاطه وحبه للحرب وأمضى الشطر الأكبر من حكمه في محاربة العباسيين انظر:

عاشور(سعيد عبد الفتاح) أوربا العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية ،١٩٨٦، ص٤١٣

[3] - ابن الأثير: الكامل،ج٥،ص٣٧١-٣٧٢/ابن كثير: البداية والنهاية، حوادث سنة ١٩٠ هـ ،ص٤٦/الطبري:تاريخ الأمم،ج٨،ص٣٢٠,٣٢٢

[4] - الطبري: المصدر نفسه، ص٣٢٢/ عاشور: قبرص والحروب،ص١٤.

في جسم الخلافة العباسية، كل ذلك أدى إلى فتور الفتوحات الإسلامية، إلا أن قبرس بقيت تدفع الجزية بانتظام للخلافة حتى زمن الخليفة المكتفي بن المعتضد(٢٩٠-٢٩٦هـ/٩٠٢-٩٠٨م) والإمبراطور ليو السادس (٢٧٣-٢٩٩هـ / ٨٨٦-٩١١م) فقد كلف الإمبراطور نائبه في قبرس(همريوس) أن يمنع الاتصال بين المسلمين في كريت، وقواعدهم بساحل الشام، وعد المسلمون هذا العمل منافياً لحياد قبرس، ومخلاً بالشروط، فأغاروا على قبرس في سنة ٢٩٩هـ/٩١١م، وأرسلوا إليها حملة تأديبية بقيادة – دمنانة – أو دميان أكبر الفاتحين المسلمين في البحر المتوسط في القرن ٤هـ/١٠م[1] .

خرج دمنانة سنة ٢٩٩هـ/٩١١-٩١٢م للثأر من القبارسة، فنزل بشواطئها، وأقام بها أربعة أشهر يسبي ويقتل ويحرق المواضع التي يستولي عليها.

و لما ضعف شأن البحرية الاسلامية في العصر العباسي، أسرع الروم لاغتنام الفرصة، فاحتلوا الجزيرة سنة٢٦٣هـ/ ٨٧٦ م، وبسطوا سيطرتهم عليها، ولكن الأسطول الإسلامي في مصر في عهد الطولونيين استطاع أن يستعيد فتح قبرس سنة٢٩٢هـ/٩٠٤م، وبقيت تحت حكم المسلمين حتى سنة٣٥٤/٩٦٥م ، حيث أعاد الروم قبرس لحكمهم.

٤-استرداد بيزنطة لقبرس:

وبدءاً من القرن ٤هـ/١٠م تمركزت سياسة الإمبراطور نقفور الثاني فوكاس (٣٥١-٣٥٨هـ/٩٦١-٩٩٦م) على تخليص الأجزاء التي كانت تابعة للإمبراطورية من المسلمين، لذلك هاجم كيليكيا واستولى عليها، ثم غزا قبرس سنة ٣٥٤هـ/٩٦٥م[2] وخلص أمرها نهائياً للبيزنطيين، وأنهى أي نفوذ سياسي للمسلمين فيها، فلم يعودوا يحكمونها، ولم يحاول الفاطميون استعادة الجزيرة لانشغالهم بأمر مصر، ولضعفهم بحراً ثانياً، فلم يجدوا لهم مصلحة في ذلك الأمر[3] وهكذا عادت جزيرة قبرس إلى كنف الدولة البيزنطية بعد أن ظلت سبعين سنة يغلب عليها النفوذ الإسلامي، فلماذا توقف العرب المسلمون عن غاراتهم وفتوحاتهم في الجزيرة؟.

---

[1]- المسعودي (علي بن الحسين): مروج الذهب، تحقيق محي الدين عبد الحميد، ١٩٦٤م،ج٨،ص٢٨٢

[2]- الأنطاكي: تاريخ الأنطاكي،ص١٠٦

[3]- زنتاني: قبرص من معاوية إلى أحاويد، ص٧٣

في الحقيقة توقف العرب عن مهاجمة قبرس، بل وعن مضايقة الدولة البيزنطية، ولاسيما منذ أواخر القرن ٤هـ/١٠م لأن الدولة العربية الإسلامية لم تعد قادرة على القيام بجهودات حربية ضخمة بعد الانقسامات التي حدثت بداخلها، وكثرة القلاقل السياسية والفتن الداخلية.

لقد أثر التنافس بين الدولتين العربية الإسلامية والبيزنطية سلباً على موارد قبرس وأحوالها الاقتصادية، فأصبحت في حالة لا تحسد عليها، حتى نقص عدد سكانها، وتعطلت تجارتها وموارد ثروتها، كما قل عدد الحجاج الذين يمرون فيها وهم في طريقهم إلى بيت المقدس، بل زاد الأمر سوءاً أن الأباطرة البيزنطيين استخدموها منفى لأعدائهم وخصومهم، وبذلك غدت قبرس ملجأ وملاذاً للكثير من رعايا الإمبراطورية البيزنطية الذين ضاقوا باللايقونية وأباطرتها لأن بيزنطة كانت ضد عبادة الصور والأيقونات على عكس أوربا الغربية، واستمرت أحوال قبرس على ذلك حتى قدوم الفرنج الصليبيين إلى المشرق، أي قبل ثلاثة عقود تقريباً من وصول قوات الحملة الصليبية الأولى إلى بلاد الشام.

فهل وقفت قبرس مكتوفة الأيدي أمام مجيء الحملات الصليبية إلى المشرق، ووقفت موقف المتفرج ؟ أم أنها قدمت لهم المساعدة، وما هو الدور الذي قامت به عقب وصول أولى هذه الحملات هذا ما سوف تبينه الأحداث اللاحقة؟.

الفصل الثاني

(قبرس والحروب الصليبية)

١-قبرس زمن صلاح الدين الأيوبي .

٢-احتلال ريتشارد قلب الأسد للجزيرة سنة(٥٨٧ هـ/١١٩١م)

٣-حكم العائلة اللوزينيانية الفرنسية للجزيرة (٥٨٧هـ/١١٩١م-٨٩٥هـ/١٤٨٩م).

-حكم جي لوزينيان(٥٨٨-٥٩١ هـ/١١٩٢-١١٩٤م)

-حكم عموري لوزينيان(٥٩١-٥٩٥هـ/١١٩٤-١١٩٨م)

٤- توحيد تاجي قبرس وبيت المقدس(٥٩٥ هـ /١١٩٨ م).

٥- قبرس منذ الحملة الصليبية الرابعة حتى انفصال التاجين (٦٠١-٦٠٣هـ/١٢٠٤-١٢٠٦م).

٦- انتهاء دور قبرس عند مجيء الحملات الصليبية إلى الشرق.

٧- التبعية القبرسية وطرد القوات الإمبراطورية (٦٣١ هـ / ١٢٣٣ م) .

٨- نهاية الحروب الإبلينية والقضاء على الحزب الإمبراطوري (٦٣٢-٦٤١هـ/١٢٣٤-١٢٤٣م)

٩- قبرس قاعدة للويس التاسع في الحملة الصليبية السابعة (٦٤٢ هـ / ١٢٤٤ م)

أهمية قبرس بالنسبة للفرنجة وللحروب الصليبية:

وقع اختيار الفرنج الصليبيين على قبرس ليؤسسوا بها قاعـدتهم العسـكرية مـن أجـل حملاتهم الصليبية على الشرق، والسؤال هنا: لماذا اختار الفرنج أن تكون جزيرة قبرس مركزاً وقاعدة حربية لهم ؟ وليس في جزيرة أخرى مثل أرواد ؟ على الرغم مـن أن جزيـرة أرواد بقيت بأيدي الفرنج ولم يستطع صلاح الدين تحريرها عندما حاول تحرير طرطوس[١]؟

في الحقيقة ليس لجزيرة أرواد أهمية إذا ما قورنت بجزيرة قبرس، فـأرواد جزيـرة صـغيرة المساحة ليس فيها ماء أو ذات أهمية وثروات إذا ما قورنت بالأخرى، ولذا كان لابد من تنظيم الحملات، وإمدادها بالمؤن من جزيرة قبرس في عرض البحر[٢].

وتأتي أهمية قبرس من ثلاث نواح:

١- أهمية استراتيجية :

فهي تمثل بعداً استراتيجياً لأنها من أقوى المواقع بالنسبة للساحل الشامي[٣] انطلقت هذه الأهمية من أهمية موقعها الذي لفت إليه أنظار المحاربين، وأصحاب المطامع والتوسع منذ القديم حتـى اليوم .

فهي تحتل ركناً ممتازاً في الزاوية الشمالية الشرقية لشرقي البحر الأبيض المتوسط يجعل لهـا سهولة التحكم في مياه هذا الجزء من البحر بما يطل عليه من البلاد، إذ يمكن للمرء أن يبحـر من قبرس مباشرة إلى بلاد الشام و مصر و أسية الصغرى في وقت قصير ، لـذا فهـي تعـد مركزاً استراتيجياً لأية دولة تريد أن تتزعم منطقة الشرق[٤] وبما أن هذه الجزيرة لـم تخضـع لحكمٍ واحدٍ، فقد فكركل خصم في احتلالها ليتخذها قاعـدة يهـاجم منهـا عـدوه ، إذ جعلهـا البيزنطيون مركز رصد وقاعدة لهم في شن هجماتهم على الدولة العربية الإسلامية وغيرها[٥]،

---

[١]- للمزيد عن تحرير طرطوس وبقية المدن الساحلية الشامية انظر إلى /ابن شداد:النوادر،ص٤٨ / أبو شامة:عيون الروضتين،ج٤، ص١٢-١٧/ ابن العديم: زبدة، الحلب ، ص٥٨١/ أبو المحاسن:النجوم، ص٢٠٣ / الأصفهاني:الفتح، ص٢٢٩/ العمري (ابن فضل الله) مسالك الأبصار في ممالك الأنصار ، تحقيق دورديتا كرافولسكي ، بيروت ،ط ١ ، ١٩٨٦،ج٢١، ص٩٤

[٢]- رنسيمان (ستيفن) : تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة د. الباز العريني ط ١ ١٩٦٨ ، ج ٣ ، ص (٧١٧)

[٣]- عطية (د. حسين) : إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون ، المعرفة الجامعية القاهرة ، ط ١ ١٩٨٩ ، ص ٢٣٩

[٤] - حاج مجهول، القرن ١٢ (هذا هو الطريق إلى الأرض المقدسة) من خلال الموسوعة الشامية، ترجمة سهيل زكار، ج ٣٧، ص ٢/ ندا(صبحي) : قبرص البحرية الإسلامية، دار البشير للثقافة والعلوم، طنطا ١٩٩٩، ص ٧

[٥]- شاكر : المسلمون في قبرص، ص٩/ رنسيمان: المرجع نفسه ،ج٢، ص٢٤/ بندس(اشيل اميليا) : تاريخ قبرص ماذا أعرف؟، شركة انترسبيس للنشر قبرص، مكتبة ريمون الجديدة لبنان، لم يرد تاريخ الطبع، ص٢٧ .

كما فكر الفرنج الصليبيون فيما بعد في جعلها قاعدة ينطلقون منهـا إلـى السـواحل العربيـة الإسلامية، وتكون بالوقت نفسه مركزاً لتجمع جيوشهم[١]، وهذا ما فعله ريتشارد قلب الأسـد حينما اتخذها قاعدة لحروبه الصليبية ضد صلاح الدين والمسلمين، ومن هذا التـاريخ ظهـرت أهمية الجزيرة الإستراتيجية بصفتها قاعدة عسكرية لتهديد بلاد الشام ككل[٢].

٢- أهمية اقتصادية :

كما تأتي أهميتها من ثرائها وغناها بثرواتها الطبيعية وخاصة النحاس الذي أعطـى الجزيـرة أهمية بالغة وساهم مساهمة فعالة في زيادة تطويرها[٣]، ولهذا نرى الفـرنج يتبعـون الطريـق الساحلي من أجل تأمين الإمدادات لهم في الساحل الشامي بسهولة[٤] وقد وجد القبارسة مصلحة كبرى وفائدة عظيمة في دعم الجهود الرامية لحماية طرق التجارة إلى الغرب، فقبـرس تـنعم بازدهار كبير كونها تمثل ثغراً للتجارة الأوربية وتسيطرعلى الطرق التجاريـة بـين الشـرق والغرب[٥].

٣- أهمية دينية :

لقد بشر فيها عدد كبير من القديسين، ومنهم القديس مرقص الإنجيلي، القديس باتريك، والقديس يوحنا (يحيى) وأسسوا بها الأديرة الكبيرة التي أصبحت فيما بعد مزارات يؤمها المسيحيون من كل أصقاع الشرق والغرب، أما كنيستها فقد تمتعت باسـتقلال ذاتـي بمنـأى عـن مطالبـات بطريركية، أو أية كنيسة مسيحية أخرى[٦]، كما كانت قبرس محطة رئيسـة للمسـافرين إلـى الأراضي المسيحية في فلسطين ولاسيما القادمين من الشمال والشمال الغربي[٧].

---

١ - شاكر : المسلمون في قبرص ، ص٩ / رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ص٢٤/ بندس: تاريخ قبرص ماذا أعرف، ص٢٧.

٢ - العبار(أحمد عبد): مشكلة قبرص بين الماضي والحاضر وأثرها على الموقف الدولي،مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،ط١٩٥٦/٢م،ص٣٢

٣ - حاج مجهول القرن ١٢: هذا هو الطريق إلى الأرض المقدسة، ص٢٢/ أرسلان (الأمير شكيب): تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وايطاليا وجزائر البحر المتوسط، منشورات مكتبة الحياة، ١٩٨٣،ص٨٩/رنسيمان: المرجع نفسه، ج٢،ص٥٥٩.

٤ - حاج مجهول القرن ١٢: المصدر نفسه، ص٢٢/ جوني :(وفاء): دمشق والمملكة اللاتينية في القدس، دار الفكر، ١٩٩٧م ، ص٧٢.

The king Dom ofcypyas 1191-1297- Wolff , H.W / The later crusades, 1969,p 600

٥ - ماخوت (غليوم دي ماخوت): الاستيلاء على الإسكندرية من خلال الموسوعة الشامية، ترجمة د. سهيل زكار، ج٤٩، دار الفكر ٢٠٠٦م / ص٤.

٦ - حاج مجهول القرن ١٢: المصدر نفسه،ص٢٢ / بندس : المرجع نفسه، ص٦٤، ٥٢.

٧ - عثمان (أحمد): تاريخ قبرص جزيرة الجمال والألم منذ القدم وإلى اليوم، القاهرة ١٩٩٧م ص١١٩.

Wolff , The king Dom , p 600 -

دور قبرص عند مجئ الحملات الصليبية إلى الشرق:

لم تقف قبرص التي تبعت إدارياً لبيزنطة مكتوفة الأيدي حينما جـاءت أولى الحملات الصليبية إلى المشرق، إلا أنه وعلى الرغم من أن المراجع لم تنوه إلى دورها خلال هذه الحقبة إلا بشكل مقتضب ومختصر، تبين أن دورها كان مقتصراً على تموين الصليبيين، ودعمهم مادياً من خلال المتاجرة معهم، وتقديم البضائع والمؤن اللازمة لهم، فالفرنج كانوا مطمئنين ضـمنياً لوجود قبرص بقربهم كونها الملاذ الآمن لهم، والمستودع الضروري لتأمين حاجاتهم فـي بـلاد غريبة عنهم هي بلاد المسلمين، فقد تاجرت مع الصليبيين بالشام تجارة رابحة، ومدتهم بمختلف أنواع البضائع والمؤن اللازمة لتلك الحملات بلا انقطاع، لأن نموها التجاري تطلـب توطيـد العلاقات مع مملكة بيت المقدس [١]، مما لم يخف على المسلمين، لذا تعرضت مراراً لهجماتهم عليها من أجل تعطيل تلك التجارة التي مثلت العصب الرئيسي والشـريان الحـي لاسـتمرار الوجود الصليبي في المنطقة[٢] .

وإبان وصول الحملة الصليبية الأولى إلى بيت المقدس، بعد أن ظلت قرابة خمسة عشر شـهراً في شمال الشام، رأى فريق من الفرنجة الصليبيين وعلى رأسهم ريمونـد الصـنجيلي اتبـاع الطريق الساحلي حتى يصلوا إلى بيت المقدس، وذلك لسهولة الحصول على الإمـدادات عـن طريق البحر، لاسيما من قبرص والدولة البيزنطية، والغرب الأوربي[٣]، هذا ما أفاد وأكد عليـه قول وليم الصوري " وغالباً ما جاءت هذه السفن من قبرص، ورودس وجزر أخرى، جاءت في غالب الأحيان محملة بمواد تجارية، كانت ذات فائدة كبيرة لفيالقنا"[٤] ومع مرور الوقـت عـدّ الفرنجة الصليبيون بيزنطة عدوة لهم، بل سبباً رئيساً لجميع المصائب التي حلت بهم، وتركزت تلك العداوة حول أنطاكية، التي أسس بها الصليبيون ثاني إمـاراتهم[٥] وهنـا لـم يبـق أمـام الامبراطور البيزنطي إلا الحرب، لذلك أراد الإفادة من الأمر من خلال موقع قبرص، خوفاً من أي هجوم مرتقب من ناحية بوهمند أمير أنطاكية، هذا يعني أن قبرص كانت بمثابة العتبة إلـى بيزنطة، وهي القاعدة لمواجهة إمارة أنطاكية – أي كانت قبرص مفتاح الطريق بين الدولتين فإذا

---

[١] - بندس: تاريخ قبرص ماذا أعرف، ص ٦٦.

[٢] - عاشور: قبرص والحروب، ص٢٣

[٣] - جوتي(وفاء): دمشق والمملكة اللاتينية في القدس، دار الفكر،١٩٩٧م، ص٧٢

[٤] - الصوري (وليم): تاريخ الأعمال المنجزة فيما وراء البحار، ترجمة د. سهيل زكار، دار الفكر، ط١، ١٩٩٩، ص٣٩٨

[٥] - عاشور : قبرص والحروب الصليبية، ص ٢٠، ص٢١

أرادت بيزنطة تأديب أنطاكية كان الطريق يمر من قبرس، وهذا ما حصل في سنة ٤٩٣هـ/١٠٩٩م، حيث قام حاكم قبرس من قبل الامبراطور فليوكاليس على رأس قوة لدفع بوهمند عن اللاذقية حتى أجبره على العودة إلى إمارته أنطاكية، وبالمقابل أغار أرناط (رينالدي شاتيون) أمير أنطاكية في سنة ٥٥١هـ/١١٥٦م على قبرس التي كانت آنذاك تحت قيادة يوحنا كومينينوس(٥١٢-٥٣٧هـ/١١١٨-١١٤٢م)[1]، ابن شقيق مانويل، ودارت معارك قاسية بين الطرفين، إلا أنها انتهت بهزيمة ساحقة للقوى البيزنطية الموجودة في الجزيرة وأسر حاكمها، وبذلك أذعنت الجزيرة البيزنطية لأمير أنطاكية، الذي راح يكتسحها دون شفقة، فنهب وخرب قبرس، وطرد السكان وانتزع ثرواتهم، وجرد سيفه على رقابهم، إلى درجة جعلته يقطع أنوف وآذان رجال الدين القبارسة الإغريق (الذين لا يتبعون الكنيسة اللاتينية) فلماذا فعل أرناط كل ذلك ؟ أكان تشفياً وحقداً عليهم،أم كان في نيته احتلال قبرس، والاحتفاظ بها لنفسه ؟ رأى المؤرخ وليم الصوري أن السبب الذي دفع أرناط لفعل ذلك ،هو عدم إرسال العاهل البيزنطي مانويل كومينينوس الأموال التي وعده بها حينما كلف أرناط بحملة على الأرمن، لكن كان لدى الامبراطور البيزنطي مسوغاته لعدم ايفائه بوعده ودفع الأموال لأمير أنطاكية، ولعل أهم تلك المسوغات، هو أن الحملة التي قادها أرناط الى كيليكيا الأرمنية ضد ثوروس لم تحقق ما هدف إليه مانويل، وبالتالي كان أرناط وحده المستفيد من ذلك، والواقع أن ما حدث في قبرس أثار بل صدم بيزنطة نفسها، لكنه بالوقت نفسه لم يكن بمقدور بيزنطة رد اعتبارها، والانتقام من أرناط بسبب انشغال مانويل كومنينوس بالصراع مع الملك النورماني وليام الأول (٥٤٩-٥٦٢هـ/١١٥٤-١١٦٦م).

أما عن **علاقة بيزنطة مع المسلمين وفرارهم إلى قبرس**، فقد تأثرت طبيعة العلاقات بين بيزنطة، والمسلمين سلباً أو ايجاباً على قبرس، فعندما تكون العلاقات بين بيزنطة والمسلمين حسنة يتخذها المسلمون ملاذاً على سبيل المثال، كما حدث في سنة ٥٠٤هـ / ١١١٠م حينما استولى بلدوين الأول على بيروت، فر أميرها المسلم[2] ليلاً ملتجئاً إلى قبرس، وحذا حذوه الكثير من المسلمين [3] .

[1]- كان يوحنا قصيرا وأسمر اللون، أسود العينين ،ضامر الجبهة لقب بالمغربي لهذه الصفات كما كان جريئا، شجاعا، تبوأ العرش وهو في الثلاثين انظر رستم (أسد) الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم، دار المكشوف، لبنان ١٩٥٦م، ص١٣٩

[2]- لم يذكر المرجع اسم ذلك الأمير المسلم.

[3]- Stevenston : The crusades in The east , p.59/زيتون (عادل) العلاقات السياسية والكنسية بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني في العصور الوسطى، دار دمشق ،ط١، ١٩٨٠ ، ص٢٠٥-٢٠٦

ولم تستمر تلك العلاقات الودية بين الجانبين نتيجة لاستمرار متاجرة القبارسة مع الصليبيين لمختلف أنواع البضائع، والمتاجر بما فيها الخضار والفواكه التي كانت تصلهم طريّة[1] وأمام هذا الواقع، كان الرد من قبل المسلمين الإكثار من غاراتهم على تلك الجزيرة، فقد حدث في سنة ٥٥٣هـ / ١١٠٨م، أن قام عساكر المسلمين (الفاطميين) بغارة بحرية على قبرس وعادوا بالكثير من الأسرى القبارسة، وفي سنة ٥٨٧هـ / ١١٩١م، غنم المسلمون كثيراً من الغنائم من قبرس، وعادوا بسفنهم محملة بالنفائس إلى اللاذقية، حيث اقتسمت تلك الغنائم، فبلغ نصيب كل فرد، وعلى كثرتهم أربعة آلاف دينار[2]، وهنا يمكن القول بأن الغارات الإسلامية على قبرس تميزت بسرعتها لاسيما في سنة ٥٨٧هـ / ١١٩١م، ولم تهدف إلى شيء أكثر من تعطيل تلك التجارة، هذا يعني أن غزوات المسلمين لم تكن من أجل السيطرة والاحتلال، بل من أجل تأديبها، وتعطيل تجارتها، وليس من أجل هدف آخر، وإزاء تلك الأخطار التي تعرض لها القبارسة منذ أواسط القرن ٦هـ / ١٢م واستيلاء اسحق كومينينوس على جزيرة قبرس، تطلع ريتشارد قلب الأسد لاحتلالها في السنة نفسها.

قبرس زمن صلاح الدين الأيوبي:

لم تشترك قبرس في الحروب الفرنجية منذ قدوم الحملة الصليبية الأولى بشكل عسكري فعلي وإنما كان دورها تجارياً معهم، ومع ذلك فإن تجارتها لم تكن مرهونة بهم، حتى تزعزعت العلاقات بينها وبين الحكم المركزي في القسطنطينية شيئاً فشيئاً، إذ تطلب نموها التجاري توطيد العلاقات مع بيت المقدس وأجبرتها الحاجة المعيشية على الخروج من عزلتها، ولكن علاقتها ما لبثت أن انقطعت فجأة مع بيزنطة سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م بوصول اسحق كومينينوس قريب الإمبراطور مانويل[3] (٥٣٨-٥٨٦هـ/١١٤٣-١١٨٠)إلى الجزيرة، فقد استولى على الحكم في سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م، وكان حاكماً في كيليكيا في منتصف السبعينات من القرن ٦هـ/١٢م، ثم قضى بعض الوقت سجيناً لدى الأرمن الذين استولوا على السلطة حين انهارت السلطة البيزنطية في المنطقة ، وأطلق سراحه سنة ٥٧٨هـ/١١٨٢م، بعد ما افتدته الداوية

---

[1] - سانوتو : الأسرار، ص١٨٠ / الصوري : الأعمال المنجزة، ص٣٩٨ / ابن العديم : زبدة الحلب، ص١١٣ / عاشور : قبرس والحروب، ص٢٣

[2] - أبو شامة : (عبد الرحمن بن اسماعيل) : عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، حققه د.إبراهيم الزيبق، ج ٤، مؤسسة الرسالة،١٩٩٧، ص٢٤٣ / الأصفهاني : الفتح، ص٤٧٦ / ابن شداد : النوادر السلطانية، ص١٤٤ / العليمي : الأنس الجليل، ص٥١٨

[3] - ذكر سميث بان اسحق هو ابن الأخ الأكبر للامبراطور مانويل أما عادل زيتون فذكر بان اسحق هو قريب أيضا للامبراطور أندرونيقوس انظر: سميث (جوناثان) الاسبتارية فرسان القديس يوحنا في بيت المقدس وقبرص، ترجمة العميد صبحي الجابي، مركز الدراسات العسكرية ،١٩٨٤م، ص١١١/ زيتون (عادل) العلاقات السياسية والكنسية بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني في العصور الوسطى ،دمشق ،١٩٨٠، ص ٢٨٦

على أساس أن يتولى القبارسة الذين يعطفون على اسحق تسديد ما دفعوه من الفدية، وعندئذ لجأ اسحق إلى قبرس، واستقل بها عن بيزنطة ونسي كل ما يتعلق بدينه[١].

حينما وصل اسحق كومينينوس إلى جزيرة قبرس استولى عليها بوثائق مزورة، إذ قدم نفسه حاكماً معيناً من قبل الإمبراطور، وفور تسلمه الحكم في الجزيرة أعلن استقلالها تحت سلطته الذاتية وبمساعدة من صقلية نجح اسحق برد الأسطول الإمبراطوري المرسل ضده، وهكذا أصبح سيد الجزيرة بلا منازع[٢]، وباستقلال اسحق كومينينوس بجزيرة قبرس أضيف عدو جديد إلى قائمة أعداء (أندرو نيقوس الأول الإمبراطور البيزنطي (٥٧٨-٥٨١هـ/١١٨٢-١١٨٥م)[٣] التي تضم (الإمبراطور الألماني فريدريك بربروسا وحلفاءه نورمان صقلية) وكان هؤلاء هم أنفسهم أعداء صلاح الدين، الأمر الذي ساعد على التقارب بين بيزنطة وصلاح الدين الأيوبي في مصر، كل ذلك حدث في سنة ٥٨١هـ / ١١٨٥م في الوقت الذي كانت فيه مشكلة وراثة العرش قد ثارت بين الفرنج من جديد لتزيد من انشقاقهم، وتضعف جيشهم في الوقت الذي أخذ فيه صلاح الدين يستعد للإطباق عليهم بكل قوته[٤]، عرف صلاح الدين أهمية قبرس[٥] في الوقت الذي تخوف فيه الفرنج من نمو البحرية الإسلامية في عهده، فأول خدمة أداها له هذا الأسطول وهو يجوب البحر المتوسط هو إعلام صلاح الدين عن قوة بحرية بيزنطية ، توجهت من قبرس إلى فلسطين ليستعد لمحاربتها سنة ٥٦٥ هـ / ١١٦٩م، ثم قام الأسطول بعمليات حربية، وتوغل في البحر منذ سنة ٥٧٤ هـ / ١١٧٦م إلى أطراف بيزنطة وقبرس وكريت السواحل الجنوبية لآسيا الصغرى" لأن الأعداء هبطوا مرات عديدة على ساحل الشام وأضرّوا بالنشاط التجاري والحربي وأنزلوا خسائر فادحة"[٦] وعندما انتهت موقعة حطين وقع عدد كبير من القادة والأمراء والنبلاء بالأسر وفي مقدمتهم ملكهم (جي لوزينيان وشقيقه

---

[١] - رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ،ج٢ ، ص ٦٩٤ ، ٦٩٥./ زيتون : العلاقات الاقتصادية، ص٢٨٦

[٢] - رنسيمان : المرجع نفسه ، ج ٢ ، ص ٦٩٥ / عطية : إمارة أنطاكية ، ص ٢٠٤ / بندس : تاريخ قبرص ماذا أعرف ، ص ٦٧ ،٦٨.

[٣] - كان طويل القامة، جميل الطلعة ،اشتهر بأنه فارس مغوار، فصيحا، طمع في الملك، وتآمر على سلامة ابن عمه الامبراطور

رستم : الروم، ص١٥٩

[٤] - عطية : المرجع نفسه ، ص ٢٠٤ / بندس: المرجع نفسه ، ص ٦٩

[٥] - زنتاني: قبرس من معاوية إلى أجاويد ، ص ٧٥

[٦] - د. زكار(سهيل) _ بيطار(أمينة) : تاريخ الدولة العربية في المشرق من السلاجقة حتى سقوط بغداد مطبعة دمشق ، ط ٣ ،١٩٩٨م ،ص ٣٢٣ .

جفري)[١] وفي هذه الأوقات والانتصارات الباهرة، سعى كل من القادة إلى الصلح مع صلاح الدين، وهذا ما حدث من جانب اسحق كومينينوس بعد استيلاءه على جزيرة قبرص، الذي طلب صلحاً مع السلطان وقدم وعوداً له، ولم يكن لدى صلاح الدين نية في مهاجمة قبرص في ذلك الوقت لأنه كان منهمكاً في الإعداد لتحرير بيت المقدس.

ففي سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م لما استولى إسحق كومينينوس على السلطة في جزيرة قبرص وأعلن نفسه حاكماً[٢] بعد أن قام أندرو نيقوس بالانقلاب في أواخر ذلك العام في بيزنطة، فكر اسحق كومنينوس في تأمين الدعم لنفسه، لذلك تحالف مع الصقليين الذين عجل غزوهم لبيزنطة سنة ٥٨١هـ/١١٨٥م بخلع أندرو نيقوس. وفي سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م هزم الأميرال الصقلي مرغريتون (مرجريت) السفن التي بعث بها الإمبراطور الجديد اسحق الثاني انجيلوس[٣] (٥٨١-٥٩٢هـ/١١٨٥-١١٩٥م) لاستعادة الجزيرة، وإعادتها إلى حضن الامبراطورية، غير أن وفاة الملك الصقلبي وليم الثاني المفاجئ جعل أسطول مرغريتون يضطر إلى الرحيل في سنة ٥٨٤هـ/١١٨٨م[٤]، فخسر اسحق كومنينوس دعمهم له، ولم يحالفه الحظ للاحتفاظ بالجزيرة.

كان اسحق كومينينوس حسب وصف مخارياس له:"رجلاً شريراً أثيماً حكم قبرص حكماً جعله يتقرب سياسياً من عدو الصليبيين صلاح الدين الأيوبي "[٥]، وبدا ذلك واضحاً في سياسته أثناء حصار الصليبيين لعكا، فقد فرض مكوساً باهظة الثمن على المؤن الخارجة من قبرص إلى بلاد الشام، كما أنه حرم النزول إلى الجزيرة مهما كانت الأحوال.

لكن الظروف لم تقف إلى جانبه، فقد خانه الحظ للمرة الثانية، بقدوم حملة صليبية ثالثة بقيادة ريتشارد قلب الأسد واحتلاله للجزيرة[٦].

---

[١]- دي فتري : المنتقى من تاريخ قبرس، ص ٢٢٩ / زنتاني : قبرس من معاوية إلى أجاويد ، ص ٧٦

[٢]- ذكر عاشور أن الامبراطور اندرونيقوس الأول عين قريبه اسحق كومنين على الجزيرة سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م، غير أن اسحق لم يكد يصل إلى الجزيرة حتى استبد بالأمر وقطع صلته بالقسطنطينية ولقب نفسه امبراطور قبرس انظر عاشور: قبرس والحروب، ص٢٤

[٣]- تنحدر هذه الأسرة المالكة من قسطنطين الفيلادلفي معاصر الكسيوس كومينينوس الأول وصهره زوج ابنته، كما كان أكولا يهوى اللحم والخمر

رستم : الروم، ص١٦٩

[٤]- صراع الحيتان : لم يرد أسماء المؤلفين، ص ١٥ ،١٦ / اديوري : قبرص والحروب الصليبية ، ص ١١ ، ١٢

[٥]- ماكارياس(ليونتيوس) : تاريخ قبرص خلال الحروب الصليبية (مرويات تتعلق بأرض قبرص الحلوة) تأليف وترجمة وتحقيق، سهيل زكار من خلال الموسوعة الشامية ،ج٤٩(ملحق) دمشق ٢٠١٠م الكتاب الأول، الفقرة رقم ٩

[٦]- عاشور : قبرس والحروب الصليبية ، ص ٢٥ وللمزيد انظر الفقرة المتعلقة باحتلال ريتشارد للجزيرة .

Wolff , The king Dom , p600

التقارب بين السلطان صلاح الدين والامبراطور البيزنطي اسحق الثاني انجيلوس :

سعى اسحق الثاني إلى التقرب من صلاح الدين الأيوبي، عندما علم باقتراب الحملة الصليبية الثالثة، كما تخوف الامبراطور البيزنطي من الحملة وعمل لها ألف حساب، فقد أرسل في شهر رجب سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م رسله إلى معسكر صلاح الدين في مرجعيون، ويبدو أن مناقشة قد جرت حول ما سوف تلجأ إليه بيزنطة مستقبلاً من إخضاع سلاجقة الروم ، والاستيلاء على أرمينيا الصغرى وأنطاكية، والراجح أن صلاح الدين لم يتردد في أن يبذل لاسحق من الأراضي التي ليست بحوزته، مقابل قيامه بتدمير الجيش الألماني، كما أن اسحق كان يأمل في أن يحصل على مساعدة عسكرية من صلاح الدين من أجل التصدي للألمان، وبخاصة بعد أن نجح هؤلاء في التغلب على الحاميات العسكرية البيزنطية في البلقان، كما جرى إضافة بند يتعلق بالقيام بعمل مشترك ضد جزيرة قبرس، وكي يمتن علاقته مع صلاح الدين طلب منه أن يرسل بعثة من علماء الدين لإقامة الخطبة باسم الخليفة العباسي في جامع القسطنطينية[1]، ولما غادر الجيش الألماني الأراضي البيزنطية، اجتاز أراضي سلاجقة الروم دون مقاومة تذكر، فتلقى صلاح الدين تقارير عن سيرهم كان من بينها الرسالة الواردة من أسقف أرمينيا الصغرى[2] لكن اتضح لصلاح الدين الأيوبي أن ما زعمه إسحق الثاني انجيلوس في رسالته الأخيرة من تدمير الجيش الألماني هو من قبيل الوهم وطمس الحقائق.

وفي أواسط سنة ٥٨٧هـ/١١٩٣م أرسل اسحق رسالة شفهية إلى صلاح الدين كرر فيها موقفه من الصليبيين، وطلب منه أن يجعل الإشراف له على بيت المقدس، وأن يشترك معه في الهجوم على قونيه، وعرف صلاح الدين بأن الإمبراطور البيزنطي بذل كل ما يستطيعه لتحطيم قوة الجيش الألماني بهدف حماية بلاده فقط، لا كما يزعم أنه يعمل لصالح المسلمين، كما أنه رفض طلبه المتقدم الذكر خوفاً من أن يكون لمذهب من المذاهب المسيحية السيادة على بيت المقدس، لذلك رفض صلاح الدين آخر الأمر كل طلباته.

وهكذا كانت سياسة بيزنطة الخارجية في الأعوام (٥٨١ – ٥٨٨ هـ / ١١٨٥ – ١١٩٥ م) تقوم على التقرب من المسلمين للاستفادة من قوتهم في مهاجمة أعدائها النورمان والبيازنة والجنويين والبابا والسلاجقة ، لكن هذا التقارب أوقع اسحق الثاني انجيلوس في مشاكل لم يستطع التخلص منها ،إذا كان لزاماً عليه مقاومة كل جيش صليبي يجتاز بلاده ، وبالمقابل فترت علاقة صلاح الدين مع بيزنطة، فقد وضع ثقته بادئ الأمر بقوتها، ولما تبين له حقيقة

---

[1] - ابو شامة: عيون الروضتين في أخبار الدولتين، ج ٤ ، ص١٤٩

[2] - ابن شداد : النوادر ، ص ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧

الوضع العسكري للإمبراطورية بعد اضمحلال قوة الألمان، لم يعد التقارب معها من بين اهتمامه، على الرغم من أنه لم يقطع المفاوضات مع بيزنطة، وبقيت قبرص بيد الاتين وأما تقدير المسلمين لهذا التقارب فيظهر صراحة في رسالة القاضي الفاضل التي حررها في الوقت الذي كان فيه جي لوزينيان ملك قبرس حليفاً لصلاح الدين بقوله: "وهذا الملك العتيق (جي لوزينيان) قد صار لمولانا صديقاً ولا اعتبار بحديثنا مع صاحب القسطنطينية إسحق الثاني انجيلوس في أنّا ننجده على قبرس، فإنا إنما وعدناه بالنجدة عليها لما كانت بيد عدونا"[1] وفي النهاية أخفق التقارب الأيوبي البيزنطي في عهد صلاح الدين في تحقيق غايات وأهداف كلٍ من الطرفين، وما إن توفي صلاح الدين حتى غير اسحق الثاني سياسته، فقد تحالف مع أعدائه جنوة وبيزا والبابا والنورمان في صقلية، وكان يأمل من وراء ذلك استبدال قوة المسلمين بقوى جديدة .

احتلال ريتشارد قلب الأسد للجزيرة سنة ٥٨٧ هـ / ١١٩١ م:

نجح صلاح الدين الأيوبي بعد موقعة حطين سنة ٥٨٣ هـ / ١١٨٧م في استعادة معظم الموانئ الهامة على الساحل الشامي في وقت قصير (عكا[2] – يافا – بيروت) ثم أتبعها كلاً من (صيدا– جبيل – جبلة واللاذقية) هذا ولم يكد الملك الفرنسي جي دي لوزينيان يخرج من الأسر في حطين حتى أسرع ببقايا جيشه المهزوم لفرض الحصار على عكا، وكان على أوربا المسارعة لنجدة ما تبقى لها من ركائز في بلاد الشام فكانت الحملة الصليبية الثالثة[3] سنة ٥٨٧ هـ/١١٩١م بقيادة ريتشارد (قلب الأسد)[4] وفيليب أوغسطس ملك فرنسا وملك الجرمان (ألمانيا) فريدريك الأول بربروسا لتخليص بيت المقدس من المسلمين، وتحركت القوات الألمانية

---

[1] - أبو شامة : عيون الروضتين ، ج٤ ، ص٢٢١

[2] - عكا: تحتل المدينة موقعا استراتيجيا هاما، فإذا تم الاستيلاء عليها صار الطريق إلى بيت المقدس مفتوحا أمام الصليبيين

شبارو(عصام): تاريخ بيروت منذ أقدم العصور حتى القرن العشرين دار مصباح الفكر، لبنان، ١٩٨٧،ص٧٤. وعن حصار الفرنج لعكا انظر:

ابن الأثير: الكامل في التاريخ، حققه د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي،ط١، بيروت ١٩٩٧م،ج١٠ من ص ٧٢ إلى ص٧٦. أحداث سنة ٥٨٥هـ

[3] - ابن شداد: النوادر السلطانية، تحقق د.جمال الشيال، ط ١ /١٩٦٤م ص١٢٨،١٢٧ وما بعدها / سمباط : (التاريخ المعزو إلى القائد سمباط الأرمني) من خلال الموسوعة الشامية،ج٣٥، دار الفكر /١٩٩٩ ص٣٧١،٣٧٠.

[4] - ريتشارد بن هنري الثاني ملك إنكلترا، وهو كما وصفه ابن الأثير بأنه (رجل زمانه شجاعة ومكرا وجلدا وصبرا بلي المسلمون منه بالداهية التي لا مثيل لها)

ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٠ ص٩٥/ الأصفهاني (عماد الكاتب): الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق محمد صبح، دار القومية، لم يرد مكان وتاريخ الطبع ص٤٧٧/حجازي (حسين): جزيرة أرواد والجذور الفينيقية على ضوء الاكتشافات الجديدة، دار أماني، ط ١ ١٩٨٩ ص٢٩٣.

قبل غيرها، وكانت قرابة ٣٠ ألف من الفرسان والمشاة، ولكن غرق بربروسا وموته في سنة ٥٨٦ هـ/١١٩٠م أحدث توتراً في صفوف الصليبيين، فعاد بعضهم، ولكن الباقون حتى وصلوا إلى عكا، والتقى الملكان(الإنكليزي والفرنسي) في صقلية وأقاموا بها عدة أشهر [١] بينما انتظرهم الفرنج الصليبيون الذين كانوا يحاصرون عكا بفارغ الصبر فلماذا لم ينطلق الملكان مع بعضهما دفعة واحدة ؟ هل كان ذلك ضمن خطة موضوعة أم لا؟

في الحقيقة بدا الخلاف[٢] واضحاً بين الملكين ولم يكونا على وفاق أبداً، فقد بارح الفرنسيون أولاً صقلية في أواخر آذار سنة ٥٨٧ هـ / ١١٩١ م نحو فلسطين، بينما بارحها الإنكليز بعد ذلك بعشرة أيام على رأس أسطول كبير ضخم مؤلف من ١٨٠ سفينة ركاب وحمولة كبيرة و٣٩ سفينة حربية، فوصل أولاً إلى كريت[٣] ثم إلى رودس[٤] وأخيراً إلى قبرس[٥] بينما وصل الفرنسيون إلى عكا في ثاني عشر ربيع الأول / ٢٠ نيسان للعام نفسه[٦]، في الوقت الذي كانت كانت فيه المعارك محتدمة حولها، فأضافوا للصليبيين بعكا قوة أخرى، وشدوا من أزرهم فما الذي حصل وجعل ريتشارد يتوجه إلى جزيرة قبرس، هل كان يخطط لاحتلالها وما هي دوافعه لذلك؟.

لم يتأخر ريتشارد وأسطوله عن الإقلاع من صقلية واللحاق بفيليب، غير أنه وعلى الرغم من الخطة التي وضعها لسير أسطوله بحيث تظل السفن متقاربة من بعضها، شاءت الأقدار

١- قدرت بعض المراجع المدة ب ستة أشهر انظر:

عطية : إمارة أنطاكية ،ج١ ص ٢٢٩.

٢ - لم تكن الخلافات والنزاعات بين القادة الصليبيين أمرا جديدا أو مفاجئا فقد اعتدنا على مثل هذا الأمر مثلما بدأ النزاع الذي نشب بين كنراد الثالث امبراطور ألمانيا ولويس السابع ملك فرنسا في الحملة الثانية نشب نزاع بين ريتشارد وفيليب أغسطس إبان الحملة الثالثة وفي كل مرة كان السبب الأساسي في النزاع من أجل الزعامة وقيادة الجيوش وتوسيع نفوذهم بالسيطرة على الأماكن،و ذكر عاشور أنه لما دب الخلاف بين ريتشارد وفيليب فسخ ريتشارد خطوبته من شقيقة فيليب واستعاض عنها بخطوبة برنجاريا أميرة نافار.

/http:=ar:wikipedia.org./wiki/ عاشور: أوربا العصور الوسطى ، ص٤٥٤

انظر عطية: إمارة أنطاكية،ص٧٦/ اديوري (بيترو) : قبرص والحروب الصليبية، دار الملتقى، بيروت،١٩٩٧م ص٤٥،٤٤.

٣- **كريت** : جزيرة خصبة في البحر المتوسط كثيرة الخيرات والميرة وكان سكانها مسلمون انظر:

الكرخي : المسالك والممالك، ص٥١ / ابن حوقل: صورة الأرض، ص٨٤.

٤- **رودس** : جزيرة في البحر المتوسط غربي قبرس بانحراف نحو الشمال فتحها المسلمون زمن معاوية / الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ،عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٩ط ٢، ص٦٤٣

٥ - المطوي (محمد العروسي) الحروب الصليبية، دار الغرب الإسلامي، تونس ١٩٨ص٨٩/زكار (سهيل): مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية من خلال الموسوعة الشامية، ج٣، دار الفكر،١٩٩٥، ص٣٨٢.

٦ - أبو شامة: عيون الروضتين في أخبار الدولتين، ص٢٤٢/ العليمي (مجير الدين) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق عدنان يونس مج ١ مؤسسة الكتب الثقافية، مكتبة ونوس ط ١ /١٩٩٩م ص٥١٧.

والصدف أن جزءاً من الأسطول قد جنح إلى موانئ قبرس إثر عاصفة بحرية شديدة سنة ٥٨٧ هـ / ١٢ نيسان ١١٩١م ، فرقت سفنه وبعثرتها [١]، وكانت على متن إحدى هذه السفن خطيبته البافارية (برينجاريا) ابنة ملك نافار وشقيقته الأرملة العجوز (جوانا)[٢] ولما عرف اسحق كومينينوس حاكم الجزيرة[٣] بالخبر أسرع إلى ميناء ليماسول وأسر رجال ريتشارد معلناً السيطرة على المراكب، كما أمر بإنزال المرأتين إلى اليابسة بالقوة[٤] في الوقت الذي كان فيه ريتشارد يبحث عن بقية سفنه الضالة التي بلغ عددها خمساً وعشرين سفينة، وعندما لم يجدها بظاهر كريت اتجه إلى جزيرة رودس ولم يعثر عليها، وهنا قصد جزيرة قبرس حيث وجد ضالته فيها، ففي ٢٤ نيسان للعام نفسه، وصلت إلى ميناء ليماسول ثلاث سفن إنكليزية تحمل إحداها جوانا وبرينجاريا وجزءاً كبيراً من المتاع الملكي[٥]، ولما وصل خبر تلك السفن إلى اسحق توجه على الفور إلى ليماسول محاولاً إغراء الأميرتين بمختلف الطرق كي ينزلهما إلى البر ليعتقلهما، ولكنهما أصرتا على الرفض، وأخبرتاه أنهما لا تستطيعان النزول إلى اليابسة بدون إذن الملك ريتشارد، عندئذ لجأ إسحق إلى استخدام التهديد والوعيد حتى قبلت الأميرتان النزول إلى الشاطئ خوفاً منه، وبينما كانت الأميرتان تستعدان للنزول، ظهرت سفن ريتشارد قادمة من بعيد، الأمر الذي ساهم في تغيير الموقف تماماً ؟.

---

[١] - العليمي: الأنس الجليل ، ص ٥١٧/ عاشور: قبرس والحروب الصليبية، ص٢٦/رنسيمان: تاريخ الحروب،ج٣، ص٨٩

From: new man,p,(1940)"a short his to ry of Cyprus ",long mans,grs hg[gdgeen co,London,p1

Cyprus in the middle ages-wikipedia,thefree ency clopedia.htm,fle:ep2.

[٢] - كانت جوانا ملكة صقلية انظر:

Cyprus (ahistorical sketch) pub wshed by the pres and information republicofcyprus .p8

-new m an,p,"ashort his to ry of cypras",p1

Wolff , The king Dom , p 60

[٣] - أطلقت المصادر العربية على الحكام الذين سيطروا على قبرس اسم متملك وقد ذكر القلقشندي بأنه قيل متملك قبرس لأنه تم فتحها من قبل المسلمين ثم تغلب عليها النصارى وملكوها فقيل لمن غلب عليها متملك ولم يقال له ملك؟

القلقشندي: صبح الأعشى،ج ٨، ص٥٤.

[٤] - بلدمس: تاريخ قبرص، ص٧٠.

http:=www.kypros.org/cypras/intory.htmi

[٥] - عاشور : قبرس والحروب الصليبية، ص ٢٧.

وصل ريتشارد إلى قبرس في ٢٦ شهر ربيع الآخر" حاملاً جموعاً كالسيل الجارف في البحر الزاجر"[١]، لم يكد ريتشارد يرسو بسفنه على الجزيرة حتى أرسل اسحق يحتج على ما حدث ويطلب منه تقديم التوضيحات اللازمة، لكن ريتشارد عزم على تأديب اسحق بعد أن عرف بما حصل[٢]، لذلك استولى على خمس سفن قبرسية راسية في ليماسول، ثم أنزل رجاله إلى اليابسة واستولى على ليماسول في ٦ أيار سنة ٥٨٧هـ/ ١١٩١م، وحدث اشتباك في اليوم التالي بين ريتشارد ورجاله واسحق وجنوده في سهل مجاور، أسفر عن هزيمة القبارسة، وفرار اسحق تاركاً رجاله، وذخيرته، وخزائنه، ورايته الإمبراطورية كلها للإنجليز[٣] فاحتل الجزيرة رداً على الإهانة للمرأتين[٤] هذا ما دلل عليه قول ريتشارد في رسالة مؤرخة في ٦ أب للعام نفسه قوله: " فيما كنا نتابع رحلتنا ، جرفنا إلى قبرص حيث أملنا أن نجد الملاذ الذي لجأ إليه رفاقنا الذين تحطم مركبهم ، غير أن الطاغية (إيزاك كومنينوس) ...أتى على عجل بقوة مسلحة تسليحاً كثيفاً ليمنعنا من دخول الميناء ، سرق و نهب ما أمكن من رجالنا الذين عانوا من تحطم المراكب و سجن أولئك الذين كانوا يموتون جوعاً، لم يكن غير طبيعي أن نهب إلى الثأر، خضنا المعركة مع عدونا، و أحرزنا بفضل المعونة الإلهية نصراً سريعاً هو مهزوم و مقيد، فقبض عليه مع ابنته الوحيدة، لقد أخضعنا لسلطتنا كامل جزيرة قبرص بكل نقاطها القوية " [٥] وبعد ستة أيام من الاحتلال تزوج ريتشارد الخطيبة التي توجت ملكة وغنم أموال قبرس بمساعدة ملك بيت المقدس جي دي لوزينيان[٦] المهزوم الذي قدم إلى الجزيرة لمساعدة ريتشارد ضد اسحق من جهة، ولكسب عطف ملك انجلترا، وتأييده ضد الكارهين لآل لوزينيان بالشام، وعلى رأسهم كونراد مونتفرات، هذا وقد رافق جي إلى قبرس بوهمند الثالث أمير

---

[١]- الأصفهاني : الفتح القسي ، ص ٤٧٧ / أبو شامة : عيون الروضتين ، ج ٤، ص ٢٤٤ / ابن العبري (أبو الفرج جمال الدين): تاريخ الزمان، نقله إلى العربية .إسحق رملة ، دار المشرق ، ١٩٨٦،ص ٢١٨ / الزنتاني : قبرص من معاوية إلى أجاويد، ص٦٤/ بندس : تاريخ قبرص ماذا أعرف، ص٧٠

* ملاحظة : لم يذكرابن شداد شيئا من تلك الأسباب وذكر سببا آخر هو أنه لما مر بها (أي ريتشارد) لما "وصل إلى جزيرة قبرس ولم يران يتجاوزها إلا وأن تكون له في حكمه ، فنازلها فخرج إليه صاحبها وقاتلهم قتالا شديدا فأنفذ ملك الانكتار إلى عكا يستنجد إليه الملك جي لوزينيان شقيقه جفري ليعينه على مقصوده، ابن شداد : النوادر ، ص ١٤٤.

[٢]- رنسيمان: تاريخ الحروب ،ج٣،ص٩٠ وما بعدها.

[٣]- عاشور : المرجع نفسه ، ص ٢٧

[٤]- ابن العبري : تاريخ الزمان ،أحداث سنة ٥٨٦هـ ص٢١٨

[٥] - إديوري(بيترو): قبرص و الحروب الصليبية ، دار الملتقى ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٧م، ص ١٥

[٦] - أبو شامة : عيون الروضتين ، ج ٤ ص ٢٤٤ / ماخوت: الاستيلاء على الإسكندرية ،ص٢،

New man,ashort history of cypras,p.2

أنطاكية وريموند الرابع أمير طرابلس وغيرهما من الفرسان، كما اقتنع مقدم الاسبتارية بالذهاب معهم لأنه أراد أن يضع حداً للانقسامات الصليبية – الصليبية، وكم ودّ لو انصرفت جهود ريتشارد لمحاربة المسلمين في بلاد الشام ، ولا سيما (عكا) بعد أن طالت مدة حصارها بقيـاده فيليب أغسطس، لهذا توسط مقدم الاسبتارية لإصلاح الأمور بين إسحق وريتشارد إلى أن انتهى الأمر بأن قدّم اسحق فروض الطاعة لملك انجلترا، وتعهد بدفع مبلغ كبير من المال تعويضاً لما حدث، فضلاً عن الذهاب إلى الشام لمحاربة المسلمين تحت راية ريتشارد، لكنه ما إن حلّ الليل حتى نقض إسحق الصلح[1]، وهرب من نيقوسيا إلى فاماجوستا، عندها قرر ريتشارد احـتلال الجزيرة كلها، فقسم قواته إلى قسمين الأول بحري بقيادته، والآخر برّي بقياده جي لوزينيـان، غير أن ريتشارد لم يصل إلى فاماجوستا إلا بعد أن غادرها اسحق[2]، فأرسـل بعـض سـفنه لمراقبه الشواطىء خشيه فراره من الجزيرة وإفلاته، وفي تلك الأثناء قدمت رسل من قبل فيليب أغسطس تستحث ريتشارد على الإسراع إلى عكا في لهجة شديدة، فرد عليهم بمثلها وإنـه لـن يبرح قبرس حتى يقبض على إسحق ويستولي على قبرس ويضمن مواردها للصليبيين، وهنـا تختلف الروايات وتتضارب من حيث الأحداث، ومن حيث الشخص الذي ساعد ريتشارد علـى احتلال الجزيرة، فرأي قال بأن إسحق هرب من نيقوسيا إلى فاماجوستا، فلحق به ريتشارد إلى هناك وتناشبا القتال إلى أن استسلم إسحق وتراسلوا في الصـلح، وبـالرغم مـن أن صـاحب الجزيرة اجتمع بملك الإنجليز حاملاً له الهدايا والتحف والأموال، وبذل له الإمداد، لكن ريتشارد لم يلبث أن غدر به واعتقله وحمله معه إلى عكا[3] في حين خالف البعض هذا الرأي بقـولهم: إنه حدثت معارك ومطاردة انتهت بلجوء إسحق إلى قصر القنطرة في منطقة فاماجوستا، وبعـد

---

[1] - عاشور : قبرس والحروب الصليبية، ص ٢٨

[2] - عاشور : المرجع نفسه ، ص ٢٨

[3] - هذا وقد اختلفت الآراء حول الشخص الذي ساعد ريتشارد على احتلال الجزيرة فقال الأصفهاني وغيره بأن ريتشارد طلب من الفرنج الذين على عكا نجده فارسلوا له جفري شقيق الملك العتيق جي، في حين ذكر أمبرويز بأن ريتشارد انتزع الجزيرة بمساعدة جي لوزينيان .

الأصفهاني : الفتح القسي ، ص ٤٧٧ / سمباط : التاريخ المعزو إلى القائد سمباط ، ص٢٩٩ / ابن الأثير : الكامل، ج١٠ ، ص٩٤

أمبرويز : صليبية ريتشارد قلب الأسد ،من خلال الموسوعة الشامية ، ترجمة سهيل زكار، دار الفكر ،ج٣٢، ١٩٨٨م ص ١٣٤ ـ ١٣٥ .

Wolff , The king Dom , p 599

العبادي ـ سالم : تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام ،بيروت ،دار النهضة ، ١٩٨١م ص ٢٩٥.

حصاره هرب إلى حصن (سانت هيراليون) بين نيقوسيا وكيرينيا[1] وذكر رأي آخر بأن ريتشارد لم يرد أن يضيع وقته في مطاردة إسحق، بل سارع لإطباق الخلالة على الجزيرة كلها، فاحتل فاماجوستا، ثم توجه إلى نيقوسيا(العاصمة) فاستولى عليها، لكن وعكة صحية ألمت به، الأمر الذي اضطره إلى ترك أمر مطاردة اسحق، لكن جي لوزينيان توجه شمالاً، وألقى القبض على ابنته في قلعة كيرين (كيرينيا) بهدف الضغط عليه وإرغامه على تسليم نفسه، فسلم نفسه والبلاد[2]، واستولى الفرنجة على خزينة اسحق في كيرينيا، وهنا تتفق الروايات على أن ريتشارد عندما قفل من الجزيرة كان بحوزته قدرٌ ضخمٌ من المنهوبات وبقي اسحق سجيناً في حصن الاسبتار في المرقب شمال سورية حتى إطلاق سراحه سنة ٥٨٩هـ / ١١٩٣م، ثم توفي مسموماً سنة ٥٩٢هـ/ ١١٩٥م[3]، وهكذا تم الاستيلاء على جزيرة قبرس، وبدأت حقبة جديدة من الحكم اللاتيني فيها، فدخلت دائرة الحروب الصليبية ضد المسلمين وأصبحت بعد ذلك محوراً لكثير من الحركات الصليبية، كما أصبحت مركزاً دائماً لتموين الحملات والبقايا الصليبية الموجودة في الشرق.

والسؤال هنا ما هي سياسة ريتشارد في الجزيرة؟

في الحقيقة اختلفت قبرس عن البلاد التي احتلها الفرنج الصليبيون من عدة نواح، فبما أنها كانت تابعة لبيزنطة، فهي لم تنتزع من المسلمين بل من البيزنطيين المسيحيين، ثم إن المجتمع القبرسي الذي خضع للسيطرة الغربية بعد ذلك بقي إلى حد كبير يونانياً في ثقافته ولغته وطقوسه، وجاء استيلاء الصليبيين على أرض مأهولة من قبل المسيحيين، خضعت لحكم مسيحي جديد من نوعه، جلب معه المزيد من الأجناس المختلفة كاللاتين والموارنة والأرمن والانجليز وغيرهم....[4]، وبسبب وجود حاكمان طبيعيان في العالم:الأول زماني، والآخر روحاني في هذه الجزيرة الصغيرة هما (امبراطور القسطنطينية، والبطريرك الكبير لأنطاكية إلى أن استولى اللاتين على البلاد، ولهذا السبب أرغم الفرنجة القادمين من الغرب على معرفة بلغة اغريقية جيدة من أجل ارسال رسائل إلى الامبراطور، وكذلك اتقان اللغة السريانية من أجل البطريرك) وهكذا اعتاد الناس على تعليم أولادهم، وظل الأمر كذلك حتى قدوم واستيلاء

---

[1] - زنتاني : قبرص من معاوية إلى أجاويد ،ص٧٧.

[2] - عاشور : قبرس و الحروب الصليبية ، ص ٢٨

[3] - إديوري : قبرص والحروب الصليبية ، ص ١٩

[4] - اديوري: المرجع نفسه، ص٦

آل لوزينيان اللاتين على البلاد، عندها بدأ الناس يتعلمون اللغة الفرنسية، فأصبحت أغريقيتهم غير فصيحة مع مرور الأيام بسبب تتالي الاحتلال اللاتيني عليها [١] وتطورت في ظل الحكم اللاتيني للجزيرة خلال القرن ٦هـ/١٢م[٢].

لم يعمل ريتشارد على تدمير المؤسسات القبرسية القائمة آنذاك بل عمل على استغلالها، وحاول قبل رحيله إنشاء حكومة قبرسية تحت الإشراف الإنكليزي، فقد أبقى القوات على ما كانت عليه، لقاء ضريبة فرضت على نصف الممتلكات التي يمتلكها القبارسة، وفي البداية كان على رجال (فرسان) ريتشارد في قبرس تقديم المؤونة إلى الصليبيين الإنكليز في فلسطين، ولكن الملك ريتشارد باع الجزيرة قبل مغادرته لها[٣] إذ كان عليه اللحاق برفاقه الذين سبقوه إلى عكا، لذلك عين اثنين من رجاله يحكمان هذه الجزيرة باسمه (هما ريتشارد كامفيل وروبرت تورنهام)[٤] وأوصاهما بإرسال كل ما يحتاجه الفرنج الصليبيون بالشام من مؤن ودقيق ومواش ونبيذ وغيرها من غلات الجزيرة [٥] اللازمة لهم.

بدأت حقبة جديدة ومريرة في تاريخ هذه الجزيرة، إذ تحولت فيها إلى ورقة رابحة بيد ريتشارد في معترك السياسة وميادين القتال، وأصبحت قبرس منذ ذلك التاريخ قاعدة بحرية جديدة للفرنج الصليبيين، ومركزاً دائماً لتموين إماراتهم في الشرق .

أصبحت قبرس بعد احتلال ريتشارد لها قاعدة للحروب الصليبية ضد صلاح الدين والمسلمين من بعده، ومن هنا ظهرت أهميتها، وتفتحت أعين الفرنجة عليها لتهديد الأراضي المقدسة[٦] لكن الغريب في الأمر أنه قبل سقوط عكا بيد الفرنجة، لم يلبث ريتشارد أن باع الجزيرة كلها لفرسان الرهبان الداوية (فرسان المعبد الهيكليين)[٧].

[١] - ماكارياس : تاريخ قبرص خلال الحروب الصليبية، الفقرة رقم ١٥٨

[٢] - زابوروف(ميخائيل): الصليبيون في الشرق، دار التقدم، موسكو،١٩٨٦م، ص١٦٧

[٣] - إديوري : قبرص و الحروب الصليبية ،ص١٩

[٤] - عاشور: قبرس والحروب الصليبية، ص٢٩

[٥] - لقد كانت قبرس ورودس وجزر أخرى في غالب الأحيان تمد الصليبيين بمواد تجارية كثيرة ذات فائدة للصليبيين، فقد كانت تمدهم بالجند والمال كما كانت قبرس تصدر للصليبيين الخضراوات والحبوب والخمرة والمواشي الصغيرة والكبيرة والملح أيضاً.

الصوري (وليم): تاريخ الأعمال المنجزة فيما وراء البحار ، تحقيق سهيل زكار دار الفكر، ط ١، ١٩٩٠/ ج ١ ، ص ٣٩٨ /

سانوتو: الأسرار، ج ٣٦، ص ١٨٠/بادربورن(أولفر)الاستيلاء على دمياط من خلال الموسوعة الشامية، تأليف سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٨م ج٣٤، ص٨٦

[٦] - العبار: مشكلة قبرس بين الماضي والحاضر، ص ٣٢، ٣٣

[٧] - عثمان : تاريخ قبرص ، ص ١٤٨/ العبادي: تاريخ البحرية الإسلامية، ص٢٩٥ /عطية : إمارة أنطاكية، ص٢٣٦

فما هي الأسباب التي دعت هذا الملك إلى التخلي بهذه السرعة عن قبرص وبيعها بعد أن لمس أهميتها بالنسبة له ولنجاح حملته، فالحملة الناجحة لا بد لها من مقادير كبيرة من المؤونة والمال، وجميعها وجدت في قبرص، هل كانت هي الحاجة الماسة إلى النقود؟ أم هي لمجرد رغبته في الانتقام وتأديب اسحق كومينوس الذي أهان خطيبته وشقيقته العجوز؟ أم أن قبرص لم تكن ضمن المخطط الموضوع في الحملة إلى الأراضي المقدسة؟ أم لتأجج الثورات التي قام بها اليونانيون الساخطون على الحكم والتي أثارت حفيظة ريتشارد، فقام ببيعها لتفادي المزيد منها، أم لتلك الأسباب جميعاً؟.

في الحقيقة لم يرد ريتشارد البقاء طويلاً في الجزيرة بعد أن أصبح سيدها بلا منازع، لأن عليه إتمام مهمته الأساسية وواجبه الصليبي الذي جاء من أجله، وبسبب اضطراره للرحيل، وافق على بيعها لرجال الهيكل الداوية، فباعها بمبلغ مئة ألف دينار وصله أربعون ألفاً نقداً، أما الباقي يقوم بتحصيلها فيمابعد من واردات الجزيرة[1] .

زنتاني : قبرص من معاوية إلى أجاويد، ص ٦٥

الاسبتارية والداوية: هي تنظيمات عسكرية دينية في العصور الوسطى خلال الحروب الصليبية.

الداوية مهمتها حماية الصليبيين القادمين من أوربا إلى بيت المقدس ومحاربة المسلمين وقد عرفت هذه الطائفة بفرسان المعبد أو الهيكل وسرعان ما انقلبت إلى محاربين أشداء يرتدي فرسانها أردية بيضاء عليها صلبان حمراء اللون أما الاسبتارية أو فرسان القديس يوحنا في بيت المقدس كانوا في الأصل هيئة غرضها تأسيس الفنادق والخانات لراحة المسافرين الحجاج إلى بيت المقدس وتأسيس المستشفيات كما ادعوا فيما بعد لكنهم انقلبوا إلى فرسان أشداء يتعاطون القتال وسرعان ما نمت هاتان المنظمتان وشغلتا دوراً هاما في حياة الفرنجة الصليبيين للمزيد انظر:

الحموي: معجم البلدان، ص٢ص٣٥٠/ابن شداد: النوادر،ص٧٧/ أبو شامة: عيون الروضتين، ص٣٠٤، ص١٧٠ أما المصادر الأجنبية انظر : حاج مجهول: قبل١١٨٧ من خلال الموسوعة الشامية ، ترجمة د. سهيل زكار موسوعة ، ص ٢٧ ، دار الفكر ١٩٩٩م، ص٣٨ وما بعدها / بادربورن (أولفر) : الاستيلاء على دمياط، ص٧٦-٧٧ / إ. ح، كنغ: ملاحق كتاب الاسبتارية في الأرض المقدسة، من خلال الموسوعة الشامية ترجمة سهيل زكار، ص ٣٣ دمشق ١٩٩٨م، ص٢٤٨ / سمباط: التاريخ المعزو إلى القائد سمباط ، ص ٣٥/ دوبوا(بيير) استرداد الأرض المقدسة، من خلال الموسوعة الشامية ، ، دار الفكر،١٩٩٩، ج٣٦، ص١٠٥

ماب (وولتر) ما جاء عند وولتر ماب عن الحروب الصليبية من خلال الموسوعة الشامية ص٣٥، دار الفكر، ١٩٩٩م،ص٣٧٩

[1] - بندس ، تاريخ قبرص ، ص٧٠-٧١ ويبدو هنا اختلاف المراجع في تقدير قيمة أو نوع العملة وكيفية بيعها فمنهم من قال بأنه باعها بمائة ألف بيزنت

زنتاني: قبرص من معاوية إلى أجاويد، ص٦٥/عاشور : قبرص والحروب الصليبية، ص٣١

أما الراي الأخر فقال بأنه باعها بمئة ألف دينار

بندس : المرجع نفسه ، ص٧٢

وراي ثالث قال بأنه لم يبعها بل منحها منحا إلى جي بعد أن تركها له الداوية.

عطيه: إمارة أنطاكية ، ص٢٣٦

وراي قال بأنه لم يكن مهتما بالجزيرة لذلك منحها إلى الداوية .

Cyprus,1000 years of history and civilization,

Cyprus toRism organization,2002,p,8

أما عاشور فذكر بأن ريتشارد قد باع الجزيرة بمبلغ مئة ألف بيزنت، دفعوا منها ستين ألف وتبقى عليهم أربعين ألف، تعهدوا بدفعها عند تسلم الجزيرة [1].

لقد كان ريتشارد بحاجة للنقود ولتسخير كل إمكانياته للحملة ضد صلاح الدين الأيوبي، وعندما وجد من يشتري البلد الذي احتله حديثاً لم يتوان عن بيعه أو التخلي عنه[2]، وهذا إن دل على شيء فهو دليل على أن الملك البريطاني لم يكن معنياً إلا بأمور الحملة ونفقاتها دون أي شيء آخر؟

لكن البعض عد هذه العملية (البيع) بمثابة إنقاذ لقبرس من بيزنطة، وما أن اشترى رجال الداوية الجزيرة حتى مارسوا فور توليهم شتى أنواع الابتزاز والتكبر نحو أحبار الكنيسة اليونانية وفرضوا الضرائب، ولم يستطيعوا ممارسة سلطتهم إلا بالقوة[3]، فأرهق أهل قبرس كثيراً من جراء هذه السياسة هذا إلى جانب الفوضى والمذابح بالإضافة إلى تحمل القبارسة الدين المتوجب دفعه لريتشارد .

وتتابعت الاغتيالات، ثم حدثت مذبحة مروعة شملت كل من احتمى بالكنيسة في نيقوسيا، فثار أهل قبرس ضد أعمال الداوية التعسفية، ورفضوا دفع الضرائب الأمر الذي لم يحتمله رجال الداوية، فلم يستطيعوا الصمود واحتواء السكان والتنكيل بالمتمردين، لذلك غادروا قبرس سنة ٥٨٨ هـ / ١١٩٢م قسراً وخوفاً من الثأر، وأعادوا ملكية الجزيرة إلى ريتشارد من جديد[4] ورد المبلغ الذي دفعوه، وهنا توجب على الملك الانكليزي البحث عن مشترٍ آخر، فكان هذه المرة الملك جي دي لوزينيان ملك القدس المعزول[5] لكن وحسب ما ذكره مخارياس بأن مقدم الداوية قدم إلى عند ملك انكلترا (ريتشارد) وملك فرنسا (فيليب) ورجاهما أن ينتزعا قبرس منهم (أي الداوية)الأمر الذي جعل ريتشارد يلتفت إلى جي الذي كان ملك القدس، فعقد معه

---

[1] - عاشور : قبرس والحروب الصليبية ، ص٣١

[2] - العبادي : تاريخ البحرية الإسلامية ،ص٢٩٥/ عطية : إمارة أنطاكية ، ص١٣٦

عثمان: تاريخ قبرس، ص١٤٨/ زنتاني : قبرص من معاوية إلى أجاويد ، ص ٦٥- ٧٧

[3] - زنتاني : المرجع نفسه، ص ٦٥/ العبادي : المرجع نفسه، ص٢٩٥/ عطية: المرجع نفسه ، ص ١٣٦/ بندس : تاريخ قبرص ماذا أعرف ، ص٧٢-٧٣

[4] - عثمان: تاريخ قبرص، ص١٤٨/ زابوروف : الصليبيون في الشرق ، ص١٦٧/ عاشور: قبرس والحروب الصليبية، ص٣١

بندس : المرجع نفسه ، ص ٧٢ - ٧٣ / زنتاني : قبرص من معاوية إلى أجاويد ، ص٧٧ / صراع الحيتان الكبيرة على الجزيرة الصغيرة ، دار العروة الوثقى ، بيروت، لبنان، وزارة الإعلان ، لم يرد تاريخ الطبع ، ص١٥/سميث :الاسبتارية، ص١١١

[5] - الأصفهاني: الفتح القسي ، ص ٥٩٠ / فارس داوي صوري: أعمال القبارصة، ج ٤٩، ص٢./سميث :الاسبتارية، ص١١١

صفقة البيع، وباعه قبرس مقابل مائة ألف دوقية ذهبية[١]، كان جي قد استلف المبلغ من الجنويين واشترى البلاد وفقاً لشروط الداوية [٢] .

حكم العائلة اللوزينيانية الفرنسية للجزيرة(٥٨٨-٨٨٧هـ/١١٩٢-١٤٧٢م):

تمرد القبارسة في سنة ٥٨٨ هـ / ٤ نيسان ١١٩٢م على الداوية كما سلف القول، وأخفقت هذه المنظمة في حكم الجزيرة إلى درجة أنها أعادتها، ثم راحت الأحداث تتلاحق سريعاً، لا سيما بعدما اختير – هنري دي شامبني ملكاً على بيت المقدس سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣م، الأمر الذي جعل ريتشارد يبدو في نظر المعاصرين، كأنما ضيع على الملك جي حقوقه في القدس، وهو الذي أسرع إلى نجدة ريتشارد في قبرس، وساعده على إتمام احتلالها والسيطرة عليها، لذلك أعطى الملك جي فرصة شراء الجزيرة بالمبلغ ذاته، مقابل أن يدفع جي للداوية مبلغ الستين ألف التي دفعوها لريتشارد مقدماً من ثمن الجزيرة، كما تعهد بدفع الباقي لريتشارد بعد تسلمه الجزيرة [٣].

لم ينته الصراع على السلطة في قبرس، ففي السنة نفسها قتل كنراد دي مونتفرات[٤]، قبل أن يتسنى لجي تسلم مملكته الجديدة في قبرس[٥]، وخاب أمله سريعاً بأن يستعيد مكانته السابقة حين حين تزوجت الملكة إيزابيلا[٦] أرملة كنراد من القائد الفرنسي

---

[١] - كانت قيمة الدوقية تساوي أربع بيزنطات قبرصية بيضاء٠

ماكارياس : تاريخ قبرص خلال الحروب الصليبية ،ج٤٩، الكتاب الأول، الفقرة ٩

[٢]- ماكارياس: المصدر نفسه، الكتاب الأول، الفقرة ٢٠

[٣] - عاشور : قبرس والحروب الصليبية، ص٣٢

[٤] - قتل كنراد دي مونتفرت وزوج إيزابيلا (الثاني) على يد شخصين تبين أنهما من اتباع الإسماعيلية، أما السبب الذي ذكره رنسيمان في سبب قتله أنه أساء لسنان شيخ الجبل عندما أغار على سفينة تجارية محملة ببضائع تعود لهم، انظر رنسيمان : تاريخ الحروب ج ٣ ، ص١٢٤

[٥] - مؤرخ مجهول: حملة ريتشارد من خلال الموسوعة الشامية ترجمة. سهيل زكار،ح٣١، دار الفكر دمشق ١٩٩٨،ص١٥٩ / امبرويز: صليبية ريتشارد، ريتشارد، ص٥٣٩ / إديوري: قبرص والحروب الصليبية، ص٤٨،٤٧.

[٦]- ايزابيلا: ابنة ماريا التي تزوجت من يوحنا دي بريين ملك بيت المقدس سنة ٦٠٧ هـ / ١٢١٠م وتوجت في صور، توفيت ماريا سنة٦٠٩ هـ/١٢١٢م بعد أن وضعت طفلة اسمتها ايزابيلا، وانتقلت بذلك المملكة إلى ايزابيلا بعد وفاة أمها، لكن والدها ظل يحكم البلاد بوصفه وصياعلى ابنته حتى تتزوج ايزابيلا.

كانت ايزابيلا سيدة بالغة الجمال في مقتبل العمر تزوجت أربع مرات، أولهم همفري سيد تبنين، وكان شابا وسيما مثقفا، إلا أنه لم يكن صلبا، فقد كان شديد الخوف من تحمل المسؤولية السياسية، ولم ينس البارونات مطلقا تخليه عن قضيتهم سنة ٥٨٢هـ/ ١١٨٦م حينما اتخذ جي التاج متحديا للشروط الواردة في وصية الملك – بلدوين الرابع – لذلك قرروا أنه لابد من طلاق ايزابيلا والغاء الزواج.ثم تزوجت ايزابيلا من كنراد مونتفرات في ٢٢ تشرين الثاني سنة ٥٨٦هـ/ ١١٩٠م وغضب مؤيدوا لوزينيان من هذا الزواج، ولقي هؤلاء المؤيدون كل عطف من أتباع ريتشارد القادمين من انجلترا ونورمندة، لذا لجأ كنراد وايزابيلا إلى صور، فأنجبت منه ابنة اسمها ماريا، لكن كنراد قتل سنة ٥٨٨ هـ / ١١٩٢م على يد أحد الاسماعيلية، ولما سمع هنري كونت شامبني بمصرعه سار من عكا إلى صور، حيث أغلقت الأميرة الأرملة أبواب القلعة، ولم يكد هنري كونت شامبني يصل إلى صور حتى هتف له سكان المدينة بأنه الرجل المناسب ليتزوج أميرتهم ويرث العرش، فاستجابت ايزابيلا لهتاف الجماهير وتزوجت منه.

هنري دي شامبني[١] وبموافقة ريتشارد على اختياره ملكاً للقدس، حيث احتفلت مدينة صـور بتتويج ايزابيلا وهنري في يوم الخميس ١٥ ربيع الآخر سنة ٥٨٨ هـ/١١٩٢م[٢]

على أن جي رفض أن يقتنع بقبرس، وتورط مع البيزيين بمؤامرة للاستيلاء على صور، ويقال إن ملك إنكلترا الذي لم يلح في الأصل على جي للإسراع في تسديد مبلغ ٤٠٠٠٠ بيزنت الباقية له إلى حد ذهب ووعد هنري دي شامبني بأن تكون قبرس له بالإضافة إلى الممتلكات المسيحية في فلسطين غير أن هذا الوعد لم ينفذ، حتى ولو كان الأمر كذلك على سبيل الافتـراض، فقـد سمح ريتشارد لهنري بقبض الرصيد المتبقي له من بيـع الجزيـرة، كمـا اتفـق الصـليبيون والمسلمون في السنة نفسها على هدنة أو ما سمي بـ(صلح الرملة)[٣] وبعدها أقلع ريتشـارد عائداً إلى الغرب، أما جي فقد أخذ أنصاره الذين أرادوا مرافقته إلى قبرس .

تميزت الحقبة التي مضت بين وصول جي إلى الشرق وشرائه قبرس، وباستيطانه في الجزيرة بالصراعات المتواصلة، فمن الطبيعي أن يلتفت إلى أنصاره، ويرفعهم إلى مراتب بارزة، لكنـه بالمقابل لم يرض بأي مصالحة مع هنري ،إذ ظل يطالب بمملكة القـدس حتـى وفاتـه سـنة ٥٩١هـ / ١١٩٤م[٤].

قامت الأسرة اللوزينيانية بحكم قبرس، والتي تعود بأصولها إلى عائلة ذات نفـوذ فـي بواتـو (غربي فرنسا) وحكمت ثلاثة قرون (٥٨٨-٨٨٧هـــ / ١١٩٢- ١٤٧٢م)[٥]، وأثـرت فـي

رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج٣، ص ٢٣٩، ٢٤٠، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ١٢٦، ١٢٧

[١] - **هنري دي شامبني**: كان حفيد الملك لويس السابع الفرنسي من زوجته الأولى اليانور أكوتين وذكر رنسيمان بانه ابن أخت الملك ريتشارد، تمتع بالدعم الكامل من القادة الإنكليز والفرنسيين في الشرق.انظر رنسيمان : المرجع نفسه، ص١٢٧

[٢] - الأصفهاني: الفتح القسي، ص٥٨٩/ابن شداد: النوادر ص٢٠٨ /ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٠،ص١٠٦.
أرنولد: ذيل تاريخ وليم الصوري ١١٨٤-١١٩٧م ترجمة د. سهيل زكار من خلال الموسوعة الشامية ح٨ دمشق ص٤٢٤.
امبرويز: صليبية ريتشارد، ص٥٤٢/ميخائيل السوري الكبير: (روايات ميخائيل السوري الكبير) من خلال الموسوعة الشامية دار الفكر، ١٩٩٥م ،ص٣٠٦/ ابن أبي الدم (إبراهيم بن عبد الله) (التاريخ المظفري) من خلال الموسوعة الشامية، دار الفكر،دمشق ١٩٩٥م ص٢٧٤/مؤرخ مجهول:المصدر نفسه، ج ٣١، ص١٥٩.
هذا وقد ذكر بعض المؤرخين أنه لم يتوج ربما كان يرجو تأجيل هذه الخطوة حتى يسترد بيت المقدس من المسلمين منهم الفيتري: تاريخ بيت المقدس، ص١٦٩/ رنسيمان :تاريخ الحروب الصليبية، ص١٢٧

[٣] - عن هذا الصلح انظر إلى:

ابن شداد: النوادر، ص١٨٧ وما بعدها/ ابن الأثير: الكامل، ح١٠، ص١٢٠/ الأصفهاني: الفتح القسي، ص ٦٣٦ / أبو شامة: عيون الروضتين في أخبار الدولتين، ج٤، ص٣٢٦/ابن خلدون (عبد الرحمن): تاريخ ابن خلدون، مراجعة د .سهيل ذكار، دار الفكر،ط١/١٩٨١م،ج٥، ص٣٨٢

ابن الوردي (سراج الدين)(خريدة العجائب وفريدة الغرائب)، حققه محمود فاخوري، دار الشرق العربي، سوريا، ١٩٩١م ص١٥٨ت١٦٠/ ابن العديم (كمال الدين) (زبده الحلب من تاريخ حلب)، حققه سهيل زكار دار الكتاب العربي دمشق، ط ١ ١٩٩٧، ج٢، ص : ٥٩٧ / مؤرخ مجهول: حمله ريتشارد، ج٣١، ص٢٠٨/ امبرويز: صليبية ريتشارد، ص٦٣٤، ٦٩٢.

[٤]- إديوري : قبرص والحروب الصليبية ، ص٤٩

[٥] - إديوري : قبرص و الحروب الصليبية ،ص٣٩،٤٢ / Cyprus 1000 years of his to ry: p 8

الحروب الصليبية تأثيراً قوياً، ويعد عصر هذه الأسرة من أزهى عصور التاريخ القبرسي على العموم، لأن قبرس قامت خلالها بدور بارز، حيث تحكمت وملوكهـا من آل لوزنيان فـي الحروب الصليبية بعد أن تخلت أوربا عن ذلك الميدان، وأول من حكم هذه الجزيرة من الأسرة اللوزينيانية:

- حكم جي لوزينيان (٥٨٨-٥٩١هـ/ ١١٩٢-١١٩٤م):

كان جي بن هيوج الثالث[١] ملكاً على بيت المقدس[٢]، يشعر بالخزي لأن الأرض المقدسة ضاعت أثناء عهده[٣] لذلك انتقل جي الى قبرس سنة ٥٨٨هـ/١١٩٢م واضعاً حجر الأسـاس للمملكة الإقطاعية الجديدة، إلا أنه اتخذ من قبرس مقراً له وجعل من نيقوسيا مركزاً وعاصـمة للجزيرة، فكر جي حول كيفية تجنب المشاكل والاضطرابات التي حدثت في قبرس لأن الـبلاد كانت مليئة بالإغريق الثائرين فوجد أراض فارغة بحاجة إلى إعادة توزيع، كما عمل خلال مدة حكمه القصيرة لقبرس على إصلاح أحوال الجزيرة، لكنه خشي من أمرين اثنين:

أولهما: أن يكرر القبارسة معه دورهم مع الداوية والثورة عليه، لذلك شجع جي غـداة رحيلـه عن الشام الناس على اختلاف طبقاتهم بمنحهم الإقطاعات الوافرة لكل من لحقه إلى قبرس مـن الصليبيين، فتبعه كثير من فرنجة بيت المقدس ، طرابلس، أنطا كيـة، وأرمينيـة الصـغرى، للتغلب على أهلها الأصليين فيما إذا فكروا بالتألب عليه، ولذلك نرى أن عدداً مـن الحـذاءين البؤساء والبنائين وعموم الكتاب قد أصبحوا فجأة في جزيـرة قبـرس فرسـاناً ومـن كبـار المالكين[٤].

ثانيهما: خشي من محاولة الإمبراطورية البيزنطية إعادة قبرس إلى حظيرتها، لذلك قرر محالفة السلطان صلاح الدين الأيوبي ضد الإمبراطور البيزنطي كي ينصرف إلـى أمـوره الداخليـة بأمان، فكيف يثق به صلاح الدين بعد أن خانه ونكث بالعهد، أم كانت لدى صلاح الدين أمـوراً أهم جعلته يتنحى عن أمر مساعدته؟

---

[١] Wolff,r.l:hazard,h.w.(ed) the later crusades 1189-1311(1969)p1-XIII:the/ringdom of Cyprus,1191-1291,p.p,599,629

[٢]- أطلق المسلمون على الملك جي لوزينيان اسم الملك العتيق وذلك لما اعتقه السلطان صلاح الدين من الأسر في معركة حطين انظر: الأصفهاني: الفتح القسي، ص٤٧٧، ٥٩٠/ أبو شامة: المصدر نفسه، ج٤، ص٢٢١

[٣]- الفيتري: تاريخ بيت المقدس، ص١٥٩/ Wolff , The king Dom , p 602

[٤]- pernoup:lafamme dutemps,p184

ماكارياس : تاريخ قبرص من خلال الحروب الصليبية، الفقرة ٢٦-٢٧/ Newmam,ashort his to ry,p2

أرسل جي إلى صلاح الدين وفداً " يعاهده على أن يكون صديقاً وفياً ويطلب مساعدته في حال اعتداء الإمبراطور البيزنطي على جزيرته، على أن يقوم هو بتنبيه السلطان إلى نوى الإمبراطور مهاجمته " وللمرة الثانية وحسب ما جاء عند مخارياس طلب الملك جي من السلطان صلاح الدين النصيحة والرأي كيف ينبغي أن يحكم شعبه، فكان رد السلطان عليه" يا بني، أعط إلى الجميع، تربح الجميع، ابعث واجلب من بين أصدقائك، ومن بين أبناء دينك فرساناً جيدين يتولون اقطاعياتك، وعين ضباطاً منهم، واجعل مملكتك شراكة بينك وبينهم واعطهم مواريث يمكنهم أن يكونوا فيهم مرتاحين، ووقتها سوف يكونوا مخلصين في إدارة ممتلكاتك، وهم سوف يكونوا مرتاحين مستقرين، وأنت سوف تكون مرتاحاً مستقراً، ذلك أنهم لن يقلقوك ويزعجوك من أجل الدفع مقابل أتعابهم، وأنت سوف لن تكون خائفاً من إصدار الأوامر إليهم والطلب منهم القيام بأعمالك وحاجياتك، كما أنك سوف تفكر حول الذي ينبغي أن تدفعه إليهم ومفيد لك إعطاء هدايا كثيرة جداً، لجلب عظماء إليك، وذلك أفضل من إعطاء القليل وفقدان البقية، وأرسل مبعوثين يمتلكون الحكمة والجدارة، ولا تبعث رجالاً من دون فضائل حتى لا تخسر كثيراً" [1]، وبالفعل نفذ الملك مانصحه به سلطان المسلمين، هذا دليل على الثقة الكبيرة بمشورة وسدادة الرأي لدى السلطان صلاح الدين، وكما جاء عند ابن شداد ضمن أحداث سنة ٥٨٨هـ / ١١٩٢م أن رسولاً حضر من عند الإمبراطور إسحق الثاني انجيلوس يطلب مساعدة صلاح الدين الأيوبي على قصد قبرس[2] غير أن صلاح الدين لم يستجب إلى رغبات الطرفين، لانشغاله بأمور دولته الجديدة ' وعندما يئس جي لوزينيان من مساعدة صلاح الدين الأيوبي التفت إلى محالفة البيازنة أنصاره القدامى، فوعدهم بامتيازات وافرة، وكان هؤلاء قد غضبوا لما أبداه هنري دي شامبني من العطف على الجنويين، فوضعوا خطة لانتزاع صور من مملكة بيت المقدس وتسليمها إلى جي الذي تورط معهم في تلك المؤامرة، وذلك في شهر جمادى الأولى ٥٨٩هـ /أيار١١٩٣م، لكن محاولتهم أخفقت في أخذ صورلأن هنري اكتشف أمرهم، وألقي القبض على مدبري المؤامرة، وخفض عدد جالية البيازنة إلى ثلاثين شخصاً، فانتقم البيازنة لأنفسهم بأن أغاروا على القرى الساحلية الواقعة بين صور وعكا[3].

---

[1] - ماكارياس: تاريخ قبرص من خلال الحروب الصليبية، الكتاب الأول، الفقرة، ٢٥

[2] - ابن شداد : النوادر ، ص ٢٠٣ / عاشور : قبرس والحروب الصليبية ، ص ٣٢ ، ٣٣.

[3] - أبو شامة : عيون الروضتين في أخبار الدولتين ، ج٤ ، ص ٢٢٠ ، ٢٢١.

عندها أمر هنري بطردهم من عكا ومن المملكة كلها، وحين تدخل **كنـد سـطبل** المملكـة أي (المسؤول الأمني لها) عموري لوزينيان شقيق جي لصالح البيازنة عندها أمر هنري بإلقـاء القبض عليه بسبب هذا التدخل، ولم يطلق سـراحه إلا بعـد أن توسـط لـه مقـدمو الداويـة والاسبتارية مقابل تخليه عن منصبه في القدس، ثم سمح له اللحاق بشقيقه في قبرص، فلجأ إلـى يافا ولم يتخل عن وظيفته كند سطبل المملكة، لكن هنري عده فاقداً لحقه فيها سـنة ٥٩٠هـ/١١٩٤م، فعين خلفاً له يوحنا ابلين[1] وسرعان ما تقرر عقد الصلح مع البيازنة، إذ عاد إلـيهم جيشهم بعكا واعترفوا منذئذ بحكومـة هنـري، صـحيح أن جـي تـوفي فـي أيـار سـنة ٥٩١هـ/١١٩٥م، لكنه لم يكتسب لقب ملك قبرس، وإنما سيدها، ربمـا لأنـه كمـا وصـفه معاصروه كان ضعيفاً لايمتلك حس التمييز، لابل حتى وصفوه بالسذاجة، وعلى الرغم من أنـه كان متساهلاً في توزيع تلك الأراضي، لكنه أظهر الحكمة، وحسن المنطق، في تنظيمه وإدارته لقبرس، ولما كان ريتشارد قد أعطى الجزيرة لجي لوزينيان طيلة فترة حياته فقط (وهو المرجع الوحيد الذي أشار إلى هذه الناحية ؟) وإذا افترض أن هذا الأمر صحيحاً، فقد كان من الطبيعي أن تنتقل الحقوق التي أعطاه إياها من بعده إلى هنري دي شامبني بعد موت جي؟ ولكن أياً كان من ريتشارد وهنري، لم يطالبا بحقوق الملكية [2] طالما أن ريتشارد قد أعطى الجزيرة لجـي طيلة حياته فقط، هذا يعني أن جي لم يدفع ثمن الجزيرة، لكن جي كما ورد عند شرائه للجزيرة دفع ثمنها، وبذلك أصبحت قبرس حقاً متوارثاً له ولأسرته[3] ، وعند موت جي لوزينيـان فـي قبرس لم يستلم شقيقه جفري[4] لوزينيان، والذي كان من المفترض أن يكـون خلفـاً لـه فـي قبرس[5] لأن جفري لم يبد اهتماماً بالغاً بقبرس، وفضل أراضيه في بواتو عائداً إلى وطنه منـذ سنة ٥٨٨هـ/١١٩٢م، وبناء عليه تم اختيار شقيقه الآخر عموري لوزينيان (ايمـري) خليفـة

[1] - **يوحنا ابلين بن بالين** : هو اخ غير شقيق للملكة ايزابلا زوجة هنري دي شامبني وسيصبح زعيم البارونات في حربهم ضد الإمبراطور فريدريك الثاني فقد كان أعظم شخصية في الشرق الفرنجي ، فضلا عن درايته الواسعة بتاريخ مملكة القدس وقوانينها انظر: دي نوفار (فيليب) : حروب فريدريك الثاني ضد الابلينين في سورية وقبرس من خلال الموسوعة الشامية ،ج ٣٤ ، دار الفكر ١٩٩٨ ، ص ١٧٣ ، ١٧٤ / رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ،ج ٣،ص ١٥٧ ، ٣٢١.

[2] - The king dom of Cyprus p,603

[3] - عاشور : قبرس والحروب الصليبية ،ص٣٣

[4] - كان جفري لوزينيان رجلا شجاعا ونشيطا، تبوأ مركز الصدارة على الحجاج الأوروبيين بفضل أخيه جي لوزينيان انظر : الفيتري : تاريخ بيت المقدس ، ص ١٦٠ / Wolff , The king Dom ,p 602

[5] - اديوري : قبرص والحروب الصليبية ، ص ٤٩ وهو المرجع الوحيد الذي أشار إلى هذه الناحية .

لجي، وبما أن عموري هو الشقيق الأكبر لجي فإن تسلمه للعرش لا يمكن عده كقضية وراثة[1]

وبذلك سهل إجراء الوفاق العام، حيث استلم عموري حكم قبرس، وهنا إشارة إلى تبعية عموري لإمبراطور ألمانيا في استلامه حكم قبرس.

- حكم عموري لوزينيان :(٥٩١هـ ـ ٥٩٥هـ/١١٩٤ ـ١١٩٨م):

يعد المؤسس الحقيقي للدولة اللوزينيانية في قبرس، التي أصبحت القاعدة الرئيسية للصليبيين في شرق البحر الأبيض المتوسط[2] بعد تحرير عكا من قبل المسلمين، افتتح عهده بمصالحة مع هنري دي شامبني ملك بيت المقدس، وتعززت تلك المصالحة برباط قوي هو رباط المصاهرة حيث تم تزويج ثلاثة من أبناء عموري من بنات هنري الثلاثة، وبذلك راودهم الأمل في أن تتحد ممتلكاتهم في الجيل الثاني، أي بتوحيد تاجي قبرس وبيت المقدس، وهذا ما حدث فيما بعد[3] لأن الحاجة كانت ماسة إلى مثل هذا الأمر، فلم يكن الغرض من تملك الفرنج لجزيرة قبرس سوى الإفادة منها في فلسطين، ومن أجل مدهم بقاعدة بالغة الأمان، فإذا كان سادة قبرس يودون اجتياز البحر للقتال من أجل الصليب كلما اقترب الخطر، فسوف تكون قبرس بالغة الأهمية للشرق الفرنجي، ولو وقعت خصومات فسوف تصبح قبرس قوه هامة خطيرة[4] ، كما عمل عموري على إنشاء كنيسة لاتينية، ورفع قبرس إلى مرتبة ملكية هو أول ملوكها.

لقد بدأت أولى أعماله بإرسال رئيس شمامسة[5] اللاذقية إلى البابا برسائل تتعلق بمستقبل الكنيسة في الجزيرة، فوافق البابا على مطلبه، وأصدر سنة ٥٩٣ هـ / ١١٩٦م مرسوماً بابوياً دشن فيه إنشاء أبرشية[6] لاتينية بقبرس، ولكن أوجب لرئيس أساقفة نيقوسيا اللاتيني أن يكون

---

[1] - اديوري : قبرص والحروب الصليبية ، ص ٤٩

Pernoup:lafamme autemps,p184

New man,ashort history of cypras,p.2

[2] - عاشور : قبرص والحروب الصليبية ، ص٣٤ / حجازي : جزيرة أرواد ، ص ٢٩٣، ٢٩٤.

[3] - عاشور : المرجع نفسه ، ص ٣٤ .

[4] - رنسيمان : الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ١٥٨، ١٥٩.

[5] - يتربع البابا على قمة الهرم الكنسي ثم الكرادلة ثم البطارقة يليهم رؤساء الأساقفة و رؤساء الكنائس و الأديرة ثم القساوسة ثم الرهبان و الشمامسة و صغار رجال الدين . انظر

كينا موس : أعمال يوحنا كينا موس من خلال الموسوعة الشامية ، ج٢٩ ،

[6] - الأبرشية: كلمة يونانية و معناها المجاورة، عربت باصطلاحات النصارى الكنانسيةو أصلها دائرة الخوري الكنائسية ، فاستعملها العرب لدائرة المطران المطران و الأسقف مع أنها سميت بالأفرنجية يوسس و معناها باليونانية الادارة و قد جعلت عند الكاثوليك لدائرة الأسقف أو رئيس الأساقفة.=

له مساعدوه في بافوس، وليماسول وفاماجوستا، بذلك أفسح المجال للمذهب الكاثوليكي اللاتيني الذي زاحم المذهب الأرثوذكسي المنفرد بالجزيرة، وأصبح هنالك كبير (الأساقفة) في نيقوسيا، وأسقف في كل من فاما جوستا، وليماسول، وبافوس، ومنحت الكنائس اللاتينية الكثير من الأراضي التي انتزعتها من الكنائس اليونانية الأرثوذكسية، وحلت الكنيسة اللاتينية رسمياً مكان الكنيسة الأرثوذكسية، وتم اخضاع الأساقفة الأرثوذكس للاتينيين خضوعاً كنسياً واقتصادياً، وظهر واضحاً كل الوضوح الاضطهاد الديني الذي وقع على رجال الدين (الكهنة الأرثوذكس) الذين أعدموا حرقاً بالنار على يد الحكام اللاتين بسبب رفضهم لبعض المعتقدات الدينية الكاثوليكية[١] وأقحم النظام الإقطاعي الغربي، كما عرفت المجتمعات في قبرس (عبيد الأرض) وطبقة البرجوازية والسادة الإقطاعيين بالإضافة إلى فرض اللغة اللاتينية كلغة رسمية في الجزيرة، وازدحمت المدن الساحلية بالتجار الإيطاليين من بنادقة وبيزيين وغيرهم[٢] كما عمل على استجماع مملكته التي استنزفت نتيجة لسخاء جي، وبما أن جي كان قد وزع تقريباً جميع الأراضي، فقد قام عموري بجمع الفرسان والنبلاء، وطلب إليهم التخلي عن جزء من أملاكهم وواردتهم له، وقد اتخذ عدة إجراءات لتنفيذ ذلك، مستخدماً سلاح الصداقة مرة والقوة مرة أخرى، وهكذا فقد تزايدت عائداته من قبرس، ووصلت إلى أكثر من مئتي ألف بيزنت[٣] عند وفاته، وهنا يمكن القول بأن الفرنجة أدخلوا إلى قبرس نظاماً جديداً للحكم لم يكن معروفاً لدى اليونانيين حتى ذلك الحين، وهو نظام التقسيم الإقطاعي، الفرسان والأشراف كانوا سادة إقطاعيين، وكان أهالي قبرس كالعبيد يعملون لديهم، وهم مجردون من الملكية، ولم يكن لهم حقوق مدنية على الإطلاق[٤] هذا يعني أنه أصبح لقبرس تقاليدها الخاصة بها، فقد تألفت البارونية القبرسية من الأسر نفسها والأفراد، وعليه كان الأساس الذي استند عليه القانون القبرسي الأخير، أما **المحكمة العليا** في نيقوسيا، فكانت الهيئة الحاكمة الرئيسة صاحبة الكلمة، وهي التي تنتخب الملك والوصي على العرش، والتي تمتعت بالسلطان القضائي على النبلاء باستثناء القضايا التي تحفظ للمحاكم الكنسية أو محاكم المواطنين، ومع ذلك فقد كان التاج

=البستاني: دائرة المعارف، مج(١)، ص ٢٧٧-٢٧٨

١ - سبيريذاكيس: موجز تاريخ قبرص ، ص ١٠٢-١٠٣

٢- زنتاني : قبرص من معاوية إلى أجاويد ، ص ٧٨

٣ - The king dom « p 604

٤ - سبيريذاكس: المرجع نفسه، ص١٠١-١٠٢

في قبرص أقوى منه بكثير في بيت المقدس، لقد كانت الإقطاعات القبرسية وراثية لكنها كانت تعود للورثة الشرعيين من الهيئة الحاكمة، وكانت الممتلكات تعود إلى الملك في حال عدم وجود وريث شرعي مباشر، وحافظ الملوك في الوقت نفسه على حقهم في وضع شعاراتهم ورموزهم على العملة وأحياناً قاموا بتعديل بعض الوظائف مثلما فعل بطرس الأول فيما بعد بعد تتويجه، كما احتفظ السادة الإقطاعيين بأراض ومبان، في حين شغل الفرنج اللاتين المجالات العليا في المجتمع القبرسي دون أن يبدلوا كثيراً في النظام الزراعي الإغريقي، وازداد مع مرور الأيام ازدهار المدن بسبب تشجيع الملك لنشاطات التجار الايطاليين الذين استقروا في قبرص [1] ونالوا الكثير من الامتيازات التجارية فيها لاسيما تجار جنوة والبندقية

- توحيد تاجي قبرص وبيت المقدس (٥٩٥ هـ / ١١٩٨م):

اضطربت الأجواء بين أبناء البيت الأيوبي بعد وفاة صلاح الدين سنة ٥٨٩ هـ /٣ آذار ١١٩٣م، الأمر الذي شجع الغرب على التفكير بحملة صليبية جديدة، لاسترجاع الأماكن التي انتزعها منهم صلاح الدين لاسيما وأن صلح الرملة عدّ ملغياً بوفاة ملك إنكلترا وصلاح الدين الأيوبي [2].

وجاءت جموع الصليبيين من أوربا إلى عكا سنة ٥٩٤ هـ / ١١٩٧م، وأخذت تنتظر القادة الذين تخلفوا بقبرس للمشاركة في تتويج عموري لوزينيان باعتباره من أتباع الإمبراطور الألماني (هنري السادس والد فريدريك الثاني) حيث عدت قبرس إقطاعة ملكية منذ أن استلم عموري السلطة من هنري السادس، وبعد تتويج **هنري الأول**[3]، أصبح فريدريك وحده صاحب الحق في العرش والمطالبة بالوصاية[4] وفي تلك الأثناء هاجم السلطان العادل (أبو بكر بن أيوب) يافا واحتلها عنوة[5]، لكن هنري دي شامبني لم يجد أمامه لنجدة المدينة سوى عموري

---

[1] - سميث: الاسبتارية ، ص١١٣

[2] - ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص ٢٢٩ / عاشور : قبرص والحروب الصليبية ، ص ٣٦ / شبارو (عصام) : تاريخ بيروت منذ أقدم العصور حتى القرن العشرين ، دار مصباح الفكر ، لبنان ، ١٩٨٧ ، ص ٧٧.

[3] - هنري الأول بن هيوج الأول وامه اليس دي شامبني، توفي هنري الأول سنة ٦٦٠هـ/شهر آب م١٢٦١و كان عمره ٢٢سنة فتوج بعده هيوج الذي توفي سنة ٦٦٦هـ/١٢٦٧م.

Makhiaras,recital concerning,p41

[4] - Wolf,the later crusades,p.610

[5] - ابن الأثير : الكامل ، ج١٠ ، ص ١٤٤ / أبو شامة :عيون الروضتين في أخبار الدولتين، ج ٤ ، ص ٤٤ / ابن العبري : تاريخ الزمان ، أحداث سنة ٥٩٣هـ / ١١٩٦م ، ص ٢٢٩ . لكننا نجدها عند أبي الفداء وردت ضمن أحداث سنة ٥٩٤هـ / ١١٩٧م ، وبأنه وصل جمع كبير من الفرنج واستولوا على قلعة بيروت ، ثم سار الملك العادل إلى يافا وملكها . أبو الفداء : مختصر تاريخ البلدان ج٣ ،، ص ١٢٢

لوزينيان ملك قبرس بسبب مرض الإمبراطور، الأمر الذي أعاقه عن قيادة الحملة وتأخيرها، فغرض عليه يافا إذا هو استرجعها من المسلمين .

على أن المسألة لا تبدو عملية إنقاذ للمدينة بقدر ما تعد إنقاذاً لهنري ملك عكا (كونت شامبانيا) نفسه من أتباع الإمبراطور الألماني في حال أخذ المسلمين لهاالذين كانوا أصدقاء للامبراطور لكن هذا الأمر لم يكن يعني عموري، لذا لم يحرك ساكناً إلا بعد استيلاء العادل على يافا[١] وسرعان ما أرسل الفرنج في ساحل البحر إلى أصحابهم يقولون: " الحقونا سريعاً وإلا احتل العرب كل السواحل " فوجه الفرنج جيوشاً ضخمة وعلى رأسهم رجل من الأكليروس الكهنة (رجال الدين) يقال له شنسلير وزحفوا إلى تبنين ، وحاصروها حصاراً شديداً، وكادوا يحتلونها لو لم يفاجئهم الخبر بأن هنري دي شاميني ملك الفرنج سقط من مكان عالٍ ومات[٢] اضطربت أوضاع عكا لهذا النبأ، فأجلوا الحرب إذ لم يبق لهم ملك وأرسلوا في استحضار صاحب قبرس(عموري الثاني) الذي اتصف بالحزم والقوة، وزفوا إليه أرملة هنري دي شامبني(ايزابيلا) وبذلك تم توحيد التاجين تاج قبرس وبيت المقدس سنة ٥٩٥ هـ /١١٩٨م[٣]، صحيح أنه تم توحيد بين المملكتين، لكن الوحدة العسكرية والاقتصادية للمملكتين لم تتحقق، وذلك لأن عموري الثاني أعلن "أن المملكتين سوف تجري إدارتهما منفصلتين، وأنه لن ينفق أموال قبرس من أجل الدفاع عن بيت المقدس "[٤] عندها وجد عموري بأن مملكة عكا على عكس قبرس تحتاج إلى الثروات لإعداد القوات العسكرية والدفاع عنها، لذلك أوجد إدارة منفصلة لكلا المملكتين، وبعد وفاة هنري توجه عموري إلى الشام، لكنه لم يفكر في مناجزة القتال ، بل جمع إليه الألمان أتباع فريدريك، واستعاض بمساعدتهم عن يافا ببيروت، وقرر الاستيلاء عليها[٥].

---

[١] - عاشور : قبرس و الحروب الصليبية ، ص ٣٦ .

[٢] - ذكريعقوب الفيتري بأن هنري كونت شمبانيا تزوج من الملكة إيزابيلا وأصبح سيدا لعكا وصور إلا أنه رفض أن يتوج ويصبح ملكا لأنه كان تواقاً للعودة إلى بلاده ولكنه وقع من إحدى نوافذه فوق صخرة أدت إلى وفاته.

الفيتري : تاريخ بيت المقدس، ص ١٦٩ / Wolff , The king Dom , p 604

[٣] - ابن الأثير : الكامل .ج ١٠ ، ص ١٤٧ أحداث ٥٩٣هـ / ابن العبري : تاريخ الزمان، ص ٢٣٠

الفيتري : تاريخ بيت المقدس ، ص ١٧١ أحداث سنة ٥٩٤ هـ / ١١٩٨م / عاشور : قبرس والحروب الصليبية ، ص ٣٧ .

وهكذا أصبح واجباً ولزاماً على ملوك قبرس حشد الجيوش وتسخير القوى وجمع المؤن للذود عن مملكتهم الجديدة .

[٤] - رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية ،ج٣، ص١٧٥

[٥] - ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص ٢٢٩ .



- الاستيلاء على بيروت :

تجمع الصليبيون في عكا بهدف الزحف شمالاً نحو بيروت، وعندما علم العادل الأيوبي بتحركاتهم ،قرر تخريب المواقع الساحلية التي لا يستطيع الدفاع عنها[1]، فسيّر لهذه الغاية فرقة من عسكره إلى بيروت، لهدم سور المدينة وتخريب قلعتها في ٧ ذي الحجة ٥٩٣ هـ / تشرين الأول ١١٩٧م، لكن الأمير **سامة بن منقذ**[2] أمير المدينة من قبل العادل[3] عارض هذا الأمر، ومنعهم من إنجاز مهمتهم بحجة قدرته على الدفاع عن بيروت، لكنه بالغ في تقدير هذا الأمر حيث زحف الصليبيون بقيادة ملك قبرس عموري لوزينيان إلى المدينة، وحينما اقتربوا منها سلمها إليهم بدون قتال[4] في يوم الجمعة ١٠ ذي الحجة ٥٩٣ هـ /أيلول ١١٩٧م، وبتفريطه هذا جعله عرضة للنقد الشديد من الأهالي المسلمين حتى قال عنه أحد الشعراء :

سلم الحصن ما عليك ملامة	لا يلام الذي يروم السلامة
عطاء الحصون من غير حرب	سنة سنها ببيروت سآمة

و بينما كان عموري يحتل بيروت[5] كانت السفن تجلب المؤن والأقوات للصليبيين من قبرس ولما سمع الألمان بوفاة إمبراطورهم (هنري السادس)، أخذوا يستعدون للعودة إلى بلادهم ، مما جعل عموري يبادر إلى طلب الصلح مع العادل (اتفاق شعبان) سنة ٥٩٤ هـ /أول تموز

[1] - جرت عادة هدم المواقع الحصينة والقلاع وإخلائها كثيراً في هذه الحقبة وذلك من أجل منع الصليبيين من العودة والاعتصام بها مرة أخرى

العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأنصار ، ط١٩٨٦، ص ٤١ .

[2] - **سامة بن منقذ** هو عز الدين سامة بن منقذ الكناني الشيزري ،أحد أمراء بني منقذ (وهو غير أسامة بن منقذ الذي توفي سنة ٥٨٤هـ/١١٨٨م) .

صالح بن يحيى : تاريخ بيروت وأمراء بني العرب ، دار الفكر الحديث ١٩٩٠م ، ص ٢٠ ، ٢٢

[3] - كان سامة أمير بيروت ولم يكن لمراكب العدو بد من الجواز بها أو بقربها ، وإن عبرت أخذت وإن كانت مستعدة لحربها ، فغنم هو ورجاله مغانم، وكثرت في البحر غزواته ، وكانت سفنه تجهز على الفرنج وتقطع الطريق عليهم انظر:

أبو شامة : عيون الروضتين في أخبار الدولتين ،ج ٤ ، ص ٢٤٤/ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون،ج٥، ص٣٨٦

[4] - قال ابن الأثير وغيره بأن الفرنج قصدوا بيروت " ولما سمع بوصولهم إلى صيدا خرج بجماعته منها وسار بأهله ودخلها الفرنج بعد يوم من غير مطاولة " انظر:

ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ، أحداث سنة ٥٩٣ هـ ، ص ١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٤٧ / أبو شامة : المصدر نفسه ،ج ٤ ، ص ٢٤٤.

[5] - عن الاستيلاء على مدينة بيروت انظر :

صالح بن يحيى : تاريخ بيروت ، ج٢١ ،٢٢ / أبو شامة : عيون الروضتين ، ج ٤ ،ص ٢٤٤ وما بعدها ./ابن خلدون:المصدر نفسه، ج ٥، ص٣٨٦ / النويري : نهاية الأرب، ج ٢٧، ص ٤٥٣ - ٤٥٤

١١٩٨م، وعودة الاحتلال الصليبي إلى بيروت، ثم كان الاتفاق بين المسلمين والصليبيين ببيروت، في حين ظلت تبنين تابعة للمسلمين ، وتقاسم الفريقان صيداً، فأما الملك عاد العادل إلى دمشق[١].

وهكذا عاد وضع الصليبيين في بيروت إلى ما كان عليه قبل انتصارات صلاح الدين الأيوبي وبذلك عاد الاحتلال الصليبي لبيروت في فترته الثانية التي استمرت خمس وتسعون سنة (٥٩٤ – ٦٩١هـ / ١١٩٨ – ١٢٩٢م) أي إلى نهاية الاحتلال الصليبي.

وصارت بعد ذلك "بعض مراكب الفرنج تتردد إليها (بيروت) بالمتاجر قليلاً، وكانت مراكب البنادقة تحضر إلى قبرس، فيرسل صاحب قبرس بضائعهم في شونتين[٢] كانتا له إلى بيروت نقلة بعد أخرى، كما وكان للقبارسة سكن ببيروت وجماعة من التجار يسكنون فيها، ولهم خانات[٣] وحمامات"[٤].

قبرس منذ الحملة الصليبية الرابعة حتى انفصال التاجين (٦٠١-٦٠٣هـ/١٢٠٤-١٢٠٦م):

قامت هذه الحرب وكانت وجهتها مصر والقضاء عليها حتى يتسنى الوثوب على بقية أجزاء المشرق العربي[٥]، ولكن لما كان يشترك فيها البنادقة أصحاب المصالح التجارية بمصر، فقد أرادوا العمل على تحقيق تلك المصالح بالقوة وفي سنة ٦٠١هـ/١٢٠٤م أصبحت قبرس ملاذاً ومستقراً لمختلف العساكر الوافدة من الأراضي المقدسة وغيرها (أرمينيا ـ أنطاكية ـ عكا) أي أثناء الحملة الصليبية الرابعة، والتي شارك فيها ملك قبرس عموري، ولكنه انسحب في النهاية بسبب انحرافها عن هدفها الأساسي فاتجهت نحو القسطنطينية، مما دفع عموري إلى الصلح، ووقع معاهدة مع السلطان العادل سنة ٦٠٢هـ/١٢٠٥م، امتدت لست سنوات، لما علم

١- ويبدو أن السبب في انتظام الصلح عند أبي الفداء : هو حول القتال الذي جرى بين العادل والفرنج الأمر الذي أدى إلى عقده لمدة ثلاث سنين أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، مج ٣، ص ١٢٢، ١٢٣

٢- شون: مفردها شونة أو شيني وهي مركبة كبيرة تعلوها الأبراج والقلاع ويتخذ جنودها الأسلحة الحربية والكلاليب والنفط وغيره. القلقشندي : صبح الأعشى، ج٣، ص٥٢٣.

٣- خان: كلمة فارسية تعني فندق التجار أو محطة القوافل، والحانوت، وتعني كلمة خان أيضا لقب السلطان عند الأتراك ورؤساء العشائر الإيرانية. محمد خير حرب: المعجم المدرسي، وزارة التربية، ط ١، ١٩٨٥، ص٣٣٥.

٤- صالح بن يحيى: تاريخ بيروت، ص٢٤/ شبارو: تاريخ بيروت، ص٧٩

٥- jean thoraval :les grandes etapes dela civili satiom frangise , bordas, Paris , 1978 .p.18

بالصداقة التي جمعت بين السلطان العادل، والبنادقة أصحاب النصيب الأكبر في تلك الحملة[1]

وكانت هذه ثمرة أطماع اللاتين في بيزنطة، لكن هذا لم يكن يعني أن الو[illegible]ة في الأرض العربية قد انتهت، لقد ظلت كامنة، وهذا ما كشفت عنه الحملات المتتالية ولا سيما الحملة على مصر.

مات عموري الثاني سنة ٦٠٣هـ/١٢٠٦م بعد توقيع المعاهدة الأنفة الذكر مع العادل، فخسر الصليبيون في شخصه مرشداً أميناً وسياسياً حازماً وقائداً عاقلاً بذل كل ما في وسعه لتقوية مراكز الصليبيين في الشرق، لكن موته أثر سلباً على المملكة، وأدى إلى انفصال تاج مملكة عكا عن تاج مملكة قبرس لعدة سنين[2]، إذ عادت مملكة عكا إلى صاحبتها إيزابيلا التي لحقت بزوجها إلى القبر بعد وقت قصير، فانتقل عرش المملكة إلى (ماريا) مونتفرات كبرى بناتها من زوجها الأول كنراد مونتفرات[3]، وقد نعمت عكا بالهدوء في عهد ماريا، وذلك لأن المعاهدة التي عقدها عموري الثاني مع المسلمين كانت لا تزال سارية المفعول، وفي الحقيقة وعقب وصول فريدريك إلى الشرق تولدت حرب جديدة بين الصليبيين أنفسهم لاسيما بين أتباع الامبراطور ومؤيديه وهم (نوابه في عكا وقبرس، وفرسان التيوتون الألمان وقوات بيزا الإيطالية[4] وبين معارضيه الممثلين (ملك قبرس هنري الاول لوزينيان والوصي عليه يوحنا إبلين وسيد بيروت، والداوية والقوات الجنوية، الأمر الذي أثر وانعكس سلباًعلى مجريات الأحداث، أما قبرس فقد آل العرش فيها إلى ابن عموري **هيوج الأول** وهو ابنه الوحيد السالم من زوجته الأولى **أسكيفا إبلين**[5]، تزوج هيوج الأول أليس دي

---

[1] - فليها ردين : الاستيلاء على القسطنطينية، ترجمة د. سهيل زكار، من خلال الموسوعة الشامية، دمشق ١٩٩٥ م ،ج ١١، ص ٩٠ / روبرت دي كلاري :المصدر نفسه، ج ١١ ص ٩٤٦ / ابن العبري : تاريخ الزمان، ص ، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣ / ابن الأثير : الكامل، ١٠٥، ص ١٣٧ أحداث سنة ٦٠٠ هـ / ١٢٠٣ م ص، ١٩٧ / المقريزي : السلوك، ج ١، ص ١٩٦

Hunt,sir david(ed)1994.footprints in cypress London,fle:lle.p.5

[2] - ذكر عاشور بأن ماريا هي ابنة إيزابيلا من هنري دي شامبني وليس من كنراد مونتفرات

[3] - عتمان : تاريخ قبرص، ص١٥٠، أما رنسيمان فلم يذكر سوى ابنه وحيدة من كنراد اسمها ماريا تيمناً باسم جدتها البيزنطية ماريا كومينينا (رنسيمان: تاريخ الحروب،ج٣، ص٦٧

[4] - جروسيه(رينيه): الحروب الصليبية صراع الشرق و الغرب ، ترجمة أحمد إيبش ، دار قتيبة ، دمشق ،٢٠٠٢ ص٨ ٥/ رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج ٣ ، ص٣٤١

[5] - **أسكيفا إبلين** او كما ورد اسمها عند فارس داوي اسشيفا eschiva كانت ابنة صاحب بيروت المعروف باسم (جون أوف أبلين) او يوحنا الثاني تزوجت من هنفري دي مونتفرات أو همفري وكان فارساً ممتازاً وعظيماً وشقيقا لفيليب أوف مونتفرات صاحب صورو تسلمت السيادة على بيروت عند وفاة شقيقتها إيزابيلا سنة ٦٧٩هـ/١٢٨٠م.في حين ذكر رنسيمان بأن همفري هو الابن الأصغر لسيد بيروت،

داوي : أعمال القبارصة، ص٦٥٧- ٦٨٢/صالح بن يحيى: تاريخ بيروت، هامش، ص٧٣/اديوري:المرجع نفسه، ص ٩٣/ رنسيمان: المرجع نفسه ص٥٦٤

شامبني ابنة ايزابيلا، وقد حكم من (٦٠٢هـ/١٢٠٥م) إلى (٦١٥هـ/١٢١٨م) وولي الحكم بعد أبيه عموري لوزينيان الذي احتل بعض موانئ آسيا الصغرى، وحصن القلعة البيزنطية في كيرينيا بهدف حماية شمال قبرس من مواجهة الأطماع البيزنطية ولقد حافظ على طرق المواصلات مع أوربا الحليف الطبيعي لمملكته في قبرس لمواجهة أي عصيان شعبي ضده[١] بعد ذلك خلفه ابنه الوحيد هنري الأول(٦١٥ــ٦٥١هـ/ ١٢١٨ــ١٢٥٣م)[٢].

١- إديوري : قبرص والحروب الصليبية، ص٥٥.

٢- regine pernoud-lafamme au tempsdes cyoisades.p185

ويذكر هذا المرجع بأن هيوج توفي بعمر ٢٣ سنة ٦١٥هـ/١٢١٨م ولم يترك إلا ابن وعمره تسعة أشهر فقط.

- **توقيع الصلح بين السلطان العادل وحنا دي بريين (٦٠٨ـ٦١٤هـ/١٢١١ـ١٢١٧م)**

استولى الفرنج المقيمون في قبرس سنة ٦٠٤هـ/١٢٠٧م على عدة قطع من أسطول مصر وأسروا من فيها، فأثار ذلك غضب السلطان العادل، وخرج من مصر بالعساكر الإسلامية قاصداً مدينة عكا[١] وكان العادل قد أرسل إلى الوصي على مملكة بيت المقدس (حنا دي برين) أكبر شخصية بين الصليبيين في الشرق يذكره بالمعاهدة الموقعة بين المسلمين والصليبيين في رد ما أخذ قائلاً: " نحن في صلح فلم غدرتم بأصحابنا؟ فاعتذر بأن أهل قبرس ليس لي عليهم حكم، وأن مرجعهم إلى الفرنج الذين بالقسطنطينية، ثم أن أهل قبرس ساروا إلى القسطنطينية بسبب غلاء كان عندهم، وتعذرت عليهم الأقوات، وأعاد العادل مراسلته فلم ينفصل حال، فخرج بالعساكر، فأجابه حينئذ صاحب قبرس إلى ما طلب وأطلق الأسرى"[٢] لكي يوقف القبارسة عند حدهم فأجاب حنا دي بريين بأنه لا يملك أن يشير على حملة قبرس بشيء وأن الفرنجة ببلاد الشام لا يتحملون نتائج ما يقوم به قراصنة قبرس من أعمال إلى أن انتهى الإشكال أخيراً على قاعدة استقرت على إطلاق ورد الأسرى المسلمين للعادل[٣].

لكن القبارسة لم يلبثوا أن كرروا فعلتهم وأغاروا من جديد على الشواطئ المصرية سنة ٦٠٧هـ/١٢١٠م بقيادة نائب المملكة المعروف باسم البال، وكان الهدف هذه المرة بلدة نورة الواقعة على ساحل النيل غربي دمياط القديمة[٤] ثم اشترك القبارسة بعد ذلك في بعض الهجمات المحلية التي قام بها الصليبيون على الإسماعيلية[٥]، وحينما بلغت ماري (ماريا) الوريثة الشرعية في بيت المقدس سن الرشد تزوجها الفارس الشامباني يوحنا دي بريين سنة ٦٠٧هـ/١٢١٠م، فأصبح ملكاً على عكا، ورزق بعد عامين من زواجه منها بطفلة اسمياها – ايزابيلا – وبقي يوحنا دي بريين وصياً على ابنته ملكة عكا بعد وفاة والدتها، وقد كانت هي الأحق من خالتها – أليس– التي تزوجت من هيوج الأول بن عموري الثاني لوزينيان ،لأن

---

[١] - ابن الأثير: الكامل، ج١٠ ص٢٦٣/ ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق جمال الدين الشيال، وزارة الثقافة دار القلم، القاهرة، ١٩٦٠، ج٣، ص٢٠١ أحداث سنة ٦٠٧هـ/١٢١٠م.

[٢] - ابن الأثير: المصدر نفسه، ص٢٦٣.

[٣] - ابن الأثير: المصدر نفسه، ص٢٦٣/ ابن واصل: المصدر نفسه، ص٦٠٧/ الذهبي (الحافظ شمس الدين): تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام، حوادث ووفيات ٦٤١- ٦٥٠هـ ،حققه د.بشار معروف-مؤسسة الرسالة،ط١-١٩٨٨،ص٥٤-٥٥

ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ص٣٩٥ .

[٤] - عاشور: قبرس والحروب الصليبية، ص٣٨.

[٥] - المقريزي: السلوك، ج٣، ص٢١٣ ، أحداث سنة ٦١١هـ/ ١٢١٤م .

الطفلة ايزابيلا تنحدر من البنت الكبرى لايزابيلا[١] هذا وقد رفض البابا الاعتراف بفريـــدريك، لكن البارونات في القدس سارعوا للاعتراف به ملكاً عليهم بصفته زوجاً لمليكتهم ايزابيلا[٢] بينما كان يوحنا إبلين وصياً على ملك قبرس هنري الأول بن هيوج الأول دي لوزينيـــان، فمـــا الذي حصل عقب وصول فريدريك إلى الشرق، هل بقي الحال على ماهو عليه ؟أم أصبح هناك فرقاء، وبدأت الصراعات والاختلافات تظهر إلى الوجود، ولاسيما بعد ما سيطرت الرغبة على فريدريك في انتزاع عكا وقبرس ؟

ولكي يتفرغ حنا دي برين لشؤون المملكة الجديدة عقد صلحاً مع الملك العادل لمدة ست سنوات (٦٠٨ــ٦١٤هــ/١٢١١ــ١٢١٧م)[٣] جاءت في أثناءها حملة صليبية إلى الشرق بقيـــادة دوق النمسا ليوبولد وأندريه الثاني ملك المجر[٤]، فشاركت قبرس برجالها وملكها هيوج الأول الـــذي توفي أثناء عودته عند طرابلس في شهر شباط ٦١٥هــ/١٢١٨م وتوافقت هذه النهاية مع نهاية الصلح القائم بين برين والسلطان العادل[٥] ففكر حنا دي برين آنذاك بتوجيه ضربة قاسية للدولة للدولة الأيوبية، ووقع اختياره على دمياط مما أدى إلى قيام مـــا عـــرف **بالحملـــة الصـــليبية الخامسة، فلماذا تم اختيار دمياط، ولم يكن سواها لتوجيه الضربة؟**

قبرس والحملة الصليبية الخامسة:

خرج حنادي بريين للهجوم على دمياط وجاءته جموع صليبية بإمرة مندوب البابـــا الكاردينـــال بلاغيوس، وجموع من قبرس شاركوا بالحملة وبصحبتهم أساقفة نيقوسيا، وبيـــت لحـــم وعكـــا ودوق النمسا، والداوية والاسبتارية والتيتون .

كان الغرض من هذه الحملة إنقاذ بيت المقدس واستخلاصها من أيدي المسلمين، فقد قرر ملـــك مملكة عكا مع بقية الصليبيين التوجه إلى البلاد المصرية واحتلالها لأنها المفتاح، لذلك كانـــت

[١] - جروسيه :الحروب الصليبية صراع الشرق والغرب، ص٨٢-٨٣

[٢] - دي نوفار :حروب فريدريك ضد الابلينيين ،ج ٣٤،ص٣٤

[٣] - ابن واصل : مفرج الكروب، ج ٣، ص٢٠١ لكنه لم يحدد مدة الهدنة / المقريزي: السلوك، ج ١، ص ١٩٦/ عاشور: قبرس والحروب، ص٣٨.

[٤] - أواندراوس عند بروكلمان انظر:

بروكلمان (كارل) : تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله إلى العربية نبيه أمين فارس – دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦٨، ج٣ ص٣٦١.

[٥] - عاشور: المرجع نفسه، ص٣٨/ ووردت الحملة الصليبية الخامسة عند دي نوفار ضمن أحداث سنة ٦١٤هـ/١٢١٧م.

دي نوفار: حروب فريدريك،ج٣٤، ص٣١-٣٢

خطة الصليبيين تقتضي مهاجمة دمياط[1]، نزلت قوات الصليبيين وحاصرت دمياط يوم الثلاثاء ١٤ ربيع الأول/٨ حزيران، فصار النيل بينهم وبين البلد، وحدث أن مات الملك العادل[2] أثناء حصار دمياط، فعم الاضطراب والفوضى على الجيوش الإسلامية، الأمر الذي هيأ فرصة للصليبيين للتغلب عليها في شعبان، فشعروا بنشوة الظفر وقرروا متابعة زحفهم إلى القاهرة، إلا أن الملك الكامل[3](ابن العادل) استطاع أن يرجع الأمور إلى نصابها وطلب نجدة من أمراء الشام ضد الصليبيين، واستعد لملاقاتهم في المنصورة، إلا أن جهل الصليبيين بالطريق الضيق أدى إلى هزيمتهم الساحقة، وانتهت الأمور باستسلام الفرنج وخروجهم من مصر دون مقابل سنة ٦١٨ هـ / ١٢٢١م[4]، وهكذا استمرت قبرس في المشاركة بالحملات الصليبية حتى هذه المرحلة.

انتهاء التبعية القبرسية وطرد القوات الإمبراطورية (٦٣١ هـ / ١٢٣٢م):

بعدما أخفقت الحملة الخامسة أدركت قبرس عدم الجدوى من مشاركتها للصليبيين القادمين إلى الشرق وهذا ما جعلها تلتزم الحياد حتى سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٣٨م أي حتى وصول الحملة السادسة بقيادة الإمبراطور الألماني فريدريك الثاني، فقد أراد فريدريك تتبيع قبرس للإمبراطورية تبعية فعلية لا اسمية، لذلك قام بعدة محاولات آخرها المطالبة بالوصاية على الطفل هنري الأول بعد موت أبيه هيوج الأول سنة ٦١٥ هـ / ١٢١٨م، لكن الوصي على الطفل فيليب ابلين[5] عجل بتتويج هنري في نيقوسيا سنة ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥م خوفاً من حدوث

١- المقريزي : السلوك، ج١ ، ص٢٢٣/ ابن واصل: مفرج الكروب ، ج٣ ص٢٠٨ / المطوي(محمد العروسي): الحرب الصليبية، دار الغرب الإسلامي، تونس ١٩٨٠م، ص١٠٥.

٢ - توفي الملك العادل قرب دمشق في ٦ جمادى الأولى ٦١٥هـ / ١٢١٨م وكان عمره ثلاثا وسبعين سنة، أما بروكلمان فيشير إلى أن الملك العادل توفي قبل وصول الحملة إلى دمياط انظر:المنصوري (بيبرس) مختار الأخبار، تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك، حققه د. عبد الحميد حمدان، الدار المصرية، ص ١٩٩٣ ص١٠٥ / بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص٣٦١.

٣- الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبو بكر استقل بملك الديار المصرية سنة ٦١٥هـ /١٢١٨م

المنصوري : مختار الأخبار، ص٦.

٤- أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ، ص١٨/ ابن واصل، مفرج الكروب، ج٣ ص٢٥٨ / ابن الأثير: الكامل، ج١٠ ص٣١١/ بادربورن (أولفر): الاستيلاء على دمياط، ترجمة د.سهيل زكار من خلال الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، دمشق ١٩٩٨ ص٣٣/دي نوفار: المصدر نفسه،ج٣٤، ص٣٢

Gabrieli Francesco, arab his to rians of the crusades,London,p257-263

٥- كانت عائلة ابلين أبرز العائلات النبيلة في قبرس أثناء العصور التي حكم فيها آل لوزينيان. أصولها السابقة للقرن الثاني عشر مجهولة، هنالك رواية أشارات على أنها من بيزا أوسردينيا ، على أن مؤسس مكانة الابلينين في الشرق هو باليان الكبير آمر قلعة يافا في القرن ٦ هـ /١٢م

إديوري: قبرص والحروب الصليبية، ص٥٩.

حدوث أي أمر مفاجئ، لأن هنري لم يبلغ سن الرشد بعد وأيد تلك الخطوة أعضاء بيت اللوزينيان والفرسان اللاتين بالشرق الذين خشوا من أطماع الأباطرة (الألمان في الشرق)، ثم مات فيليب ابلين سنة ٦٢٥ هـ / ١٢٢٧م، وحل محله في الوصاية ابنه حنا (يوحنا دي ابلين) في الوقت الذي جاءت فيه الحملة الألمانية السادسة إلى الشرق بقيادة الإمبراطور فريدريك الثاني وحينما علمت الملكة الوالدة (أليس) في قبرس بمجيء فريدريك، طلبت مساعدته ضد(حنا) أو يوحنا دي ابلين رغم قرابتها الشديدة لآل ابلين، وهنا سنحت الفرصة لفريد ريك بتحقيق رغبته، وتوسيع نفوذه في الشرق بالسيطرة على جزيرة قبرس، ومن أجل تغطية نفقات الحملة بعد أن أفهمه رسل الملكة الوالدة بأن موارد قبرس تكفي لذلك، ومن أجل ذلك قصد فريدريك قبرس، فوصل إلى ليماسول في حزيران ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥م، أما إديوري فقال بأن فريدريك حمل الصليب منذ عام ٦٢١ هـ / ١٢٢٤م، وأجل حملته إلى عام ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨م[1] على أن اهتمامه بقبرس يعود إلى أنه صاحب حق السلطة في قبرس لأنه كان والد وارث العرش فيها ، بعد أن تزوج من يولاند بنت حنا دي برين التي اشتهرت باسم إيزابيلا الثانية[2] ، وقبيل موعد سفره إلى الشرق توفيت زوجته بعد أن وضعت له طفلاً ذكراً اسمه كنراد، ورأى بأن الملك والمقطعين في قبرس ملزمون بالولاء له[3]، تزوجت ايزابيلا من فريدريك الثاني سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٥م"، حيث جرى تتويجها في كاتدرائية صور بشكل مهيب ملكة على القدس "[4] وبادر فريدريك عقب زواجه منها يطالب بتاج مملكة عكا من حنا دي بريين، لأن ايزابيلا ملكة بموجب الشرع، وما أن تزوجت فريدريك حتى انتهت نيابة والدها يوحنا، وانتقلت النيابة إلى زوجها فريدريك، ولكن حنا كان قد اشترط على الأخير أن يحتفظ بتاج المملكة مدى الحياة، لكن البارونات الذين رافقوا ايزابيلا إلى إيطاليا اعترفوا به ملكاً عليهم بدلاً من يوحنا، وقدموا له الولاء والطاعة، الأمر الذي دفع بفريدريك إلى إرسال قوة عسكرية

[1] - دي نوفار : حروب فريدريك الثاني ضد الابلينين في سورية من خلال الموسوعة الشاملة ،١٩٩٨م ، ج٣٤، ص٣٨، ٣٩ / جوانفيل(جون): القديس لويس حياته وحملاته على مصر والشام، ترجمة حسن حبشي، دار المعارف بمصر، ط ١٩٦٨م ص٨٦/ عاشور : قبرس والحروب الصليبية ، ص٤٠، ٤١ . / اديوري: قبرص والحروب الصليبية، ص٦٦،

[2] - توفيت ماريا سنة ٦٠٩ هـ/١٢١٢م بعد أن وضعت طفلة أسمتها إيزابيلا وهو اسم جدتها غير أنها اشتهرت باسم يولاند

رنسيمان: تاريخ الحروب،ج٣، ص٢٤٠

[3] - دي نوفار: المصدر نفسه، ص٣٨ / اديوري: المرجع نفسه، ص٦٦، ٦٧.

[4] - دي نوفار : حروب فريدريك الثاني ضد الابلينيين ،ج٣٤، ص٣٣

مؤلفة من ثلاثمئة فارس بقيادة أسقف مدينة أمالفي الإيطالية، وذلك لضمان الحصول على ولاء البارونات الصليبيين في بلاد الشام.

حينما وصل الإمبراطور فريدريك استقبله حنا أحسن استقبال، وعقد معه اتفاقية ألت بمقتضاها قبرس ووفقاً لقانون الإقطاع الجرماني إلى الإمبراطور الألماني (فريدريك) وبذلك يكون فريدريك قد قضى على عهد الابلينيين في قبرس لوقت محدد على الأقل، وقد عين فريدريك نائباً صقلياً عنه في قبرس، كما بث الحاميات الصقلية في مختلف قلاع الجزيرة بالإضافة إلى تعيينه لموظفين ماليين لجمع الضرائب والدخل ، فما الذي جعل يوحنا ابلين يوافق على ذلك وينفذ الأمر؟

يبدو أن السبب الذي جعل يوحنا إبلين يرضى بالأمر الواقع، وينفذ تلك الأوامر اعتقاده بأن الإمبراطور ينوي القيام بحرب ضد المسلمين، لكن الأمر المفاجئ أن ما حصل خالف توقعاته فقد ذهب الإمبراطور وبصحبته بعض الفرسان القبارسة ليعقد معاهدة مع السلطان الكامل[1] دعيت **معاهدة يافا** شباط ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩م مدتها عشر سنوات وخمس أشهر وأربعين يوماً[2]، أعيدت خلالها القدس إلى السيطرة المسيحية، لكنها لم تخفض عدد المبغضين المتزايدين للإمبراطور، ثم توجه نحو قبرس لحضور خطبة الملك الشاب هنري الأول إلى الكسي دي مونتفرات في ليماسول، إلى أن اضطر إلى مغادرة قبرس بعد سماعه بأخبار سيئة عن ألمانيا، فوكل نيابة عنه بالوصاية عليها خمسة فرسان، وهم السير عموري برلياس و عموري صاحب بيسان وكان هذان أبناء عم من بيت واحد، السير جوفيان، وكان الرابع السير وليم دي ريفت، وكان هذان الرجلان ينتميان إلى بيت واحد، أما الخامس فكان هيوج صاحب جبلة عرفوا بعدائهم الشديد لبيت إبلين، لكن الأحوال لم تستقر في قبرس، إذ تحالف الفرسان اللاتين بزعامة آل ابلين، وتمكنوا بعد سلسلة من الحروب الداخلية هزيمة قوات الإمبراطور وطردهم من الجزيرة سنة ٦٣١هـ / ١٢٣٣م ، وهكذا لم تبق قبرس تحت ظل الإمبراطورية أكثر من ثلاث سنوات، وانتهت محاولة الإمبراطور بالإخفاق الذريع .

[1] - دي نوفار : حروب فريدريك الثاني، ص٤٤، ٤٥، ٤٦، ٩١/ اديوري: قبرص والحروب الصليبية ، ص٦٨ / ابن الأثير: الكامل، ج١٠ ص٤٣٥/ ابن واصل: مفرج الكروب، ج٤ ص٢٤١/ أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين، ج٤، ص٣٢٦- ٣٢٧.

[2] - الأمر الذي ساعد على توثيق الصداقة بين فريدريك وحكام مصر سياسة التسامح الديني التي سار عليها في عصر امتاز بالتعصب الأعمى في هذه الناحية، حتى عده بعض المؤرخين المسلمين انه أميل إلى الإسلام منه إلى النصرانية وأنه كان يؤثر القرآن على الإنجيل ويكفي للدلالة على محبة المسلمين لفريدريك أنه لم ينقذ المؤرخ جوانفيل من الموت عندما وقع في أسر الأسطول المصري في المنصورة إلا عندما صاح أحد المسلمين بأنه أحد أقارب الإمبراطور فريدريك فكان في ذلك سلامته.

البدر العيني: عقد الجمان، ص١٩٩/أبو الفداء: المختصرفي أخبار البشر،ج٣، ص١٤٨/نسيم: العدوان الصليبي، ص١٢١

لقد خلفت الحملة الصليبية السادسة وراءها حرباً أهلية بين بارونات المملكة ونواب الإمبراطور فريدريك الثاني في قبرس وفي مملكة بيت المقدس[1]، فما الأسباب التي تولدت ودفعت إلى مثل هذه الحروب؟.

اختلفت نظرة كل من البارونات وفريدريك الثاني إلى صلاحيات ملك القدس، فهو عند البارونات ملك مقيد بدستور، ولا يزيد على أنه رئيس المحكمة العليا والقائد الأعلى، غير أن فريدريك جعل نفسه ملكاً مستبداً، فكان مصدر القوة والقانون معاً[2] لكن البارونات لم يغفروا للإمبراطور[3] تصرفاته واستهتاره بالدستور حسب رأيهم، ولا سيما بعد توقيعه معاهدة يافا مع الملك الكامل دون رضاهم وموافقتهم، والأمر الذي زاد سوءاً هو أنه قام بتتويج نفسه، في كنيسة القيامة على الرغم من حرمانه الكنسي، أما الطوائف الدينية، فكانت تدين بالولاء إلى البابا، فلا يمكن أن تساعد ملكاً طرده البابا وحرمه كنسياً[4] أضف إلى ذلك هو كره الجنويين والبنادقة للإمبراطور بسبب إغداقه الإمتيازات الهائلة على البيازنة[5] الأمر الذي جعلهم يقفون إلى جانب البارونات في حربهم ضد نواب الإمبراطور الذين اتخذوا من مدينة صور[6] مقراً لهم، وهذا ما جعل المدينة مركز النزاع ومحور الأحداث خلال هذه المدة، الأمر الذي يفسر سبب اندلاع الحرب في قبرس بمجرد رحيل فريدريك من أراضي الشرق، ومن ثم انتقالها إلى الأراضي المقدسة، إذ تلقى نواب الإمبراطور الخمسة في قبرس تعليمات صارمة تقضي بنفي كل أصدقاء أسرة إبلين في الجزيرة، واتفق هؤلاء النواب على أن يدفعوا لفريديك عشرة آلاف

---

[1]- دي نوفار: حروب فريدريك ،ج ٣٤ ، ص٣٤ - ٣٦- ٩٢-٩٣ / رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج٣ ، ص٣١٧، ٣١٨.

[2]- رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ص٣٢١.

[3] - يتربع الإمبراطور على راس الهرم وهو أعلى سلطة في التقسيم الإداري يليه الملك ثم الدوق ثم الكونت ثم البارون ثم الفرسان ومن ثم الأتباع، يخضع الأدنى للأعلى والأسمى مكانة.

وجميع الدوقات متساوون امام الملك إلا أن ولايات الدوق أكبر من ولايات البقية مثل الكونت أو البارون أما الكونتات فهم أقوى من الدوقات صحيح أن الدوق أصبح مشابه للملك ومناظرا له في سن القوانين والشرائع وإقامة الحروب وعقد الصلح وضرب السكة فسيادته داخلية فقط على عكس الكونت الذي كان أقوى منه على صعيد السياسة الخارجية،

دوبوا: استرداد الأرض المقدسة،ص٢٢٧/ الأنطاكي (يحيى بن سعيد): تاريخ الأنطاكي حققه د.عمر عبد السلام التدمري، طرابلس، لبنان، ١٩٩٠ ص٢٣٠/ البستاني: دائرة المعارف، مج ٨، ص١٤٩- ١٥٠.

[4]- دي نوفار: حروب فريدريك الثاني، ج ٣٤، ص٩٢/ دوبوا: استردا د الأرض المقدسة ، ج٣٧، ص٢٢٧.

[5]- دي نوفار: المصدر نفسه، ج ٣٤، ص٩٣/ رنسيمان: المرجع نفسه ج٣، ص٣٣٦.

[6]- صور: تعد صور من مدن الساحل الهامة في البحر الأبيض المتوسط، وهي مدينة تمتلك أبنية كثيرة الجمال.

فوقاس (يوانس): وصف مختصر للقلاع والمدن من أنطاكية حتى القدس، من خلال الموسوعة الشامية ج٣٤، ١٩٩٨، ص٣٨٢/ رنسيمان: المرجع نفسه، ص٧١٠.

مارك (قطعة فضية) استطاعوا جمعها من الضرائب التي فرضوها على الناس، وبما صادروه من أملاك الحزب الذي يساعد الإبلينين[١].

تقلد يوحنا إبلين مقاليد الحكم ريثما يبلغ هنري سن الرشد واستطاع نواب الإمبراطور فريدريك استمالة المؤرخ فيليب دي نوفاراستمالة ظاهرية، الذي كان أشد الناس تعلقاً بيوحنا إبلين سيد بيروت، فبذلوا له الأمان كيما يقدم إلى نيقوسيا للمناقشة في عقد الهدنة بين نواب الإمبراطور وحزب أسرة إبلين، غير أنه لما وصل إلى نيقوسيا ألقى النواب القبض عليه، ولم يفرجوا عنه إلا بكفالة، ففر إلى بيت الاسبتارية، وأرسل فيليب رسالة شعرية إلى يوحنا إبلين في عكا يطلب فيها النجدة والقدوم لمساعدته[٢]، فبادر يوحنا إلى مساعدته، وحينها نشب قتال عنيف بين الفريقين انهزم فيه نواب الإمبراطور ولقي بعضهم مصرعه أثناء المعركة، وتولى يوحنا إبلين مقاليد الحكم بنفسه حتى يبلغ الملك هنري سن الرشد في ٦٢٩هـ / ١٢٣١م[٣] بهذا استطاع يوحنا توطيد الأمن في جزيرة قبرس، بينما اطمأن باليان سيد صيدا[٤] وجارنييه الألماني نائبي الإمبراطور في القدس إلى تسيير حكومة مملكة بيت المقدس، لكن الإمبراطور وقع معاهدة صلح مع البابا سنة ٦٢٧هـ / ٢٣ تموز ١٢٢٩م في سان جرمانو وبهذا وصل الصراع بين البابوية وفريدريك إلى نهايته، ووجد فريدريك نفسه مضطراً لإرسال جيش للدفاع عن بيت المقدس ضد البارونات، فحشد في خريف سنة ٦٢٨هـ / ١٢٣١م ما يقارب ستمائة فارس ومائة من **السرجندية**[٥] وسبعمائة من الرجالة المسلحين، وثلاثة آلاف ملاح بقيادة المارشال ريتشارد فيلانجيري من نابولي (بايطاليا) في ثلاثين سفينة، وتقرر منح فيلانجيري لقب المندوب الإمبراطوري[٦].

---

[١] - دي نوفار: حروب فريدريك، ج ٣٤، ص٩٥.

[٢] - دي نوفار : حروب فريدريك الثاني، ص٩٨-٩٩/ رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية ،ج٣ ، ص٣٤٥.

[٣] - دي نوفار : المصدر نفسه، ص١٣٠-١٣١.

[٤] - صيدا: مدينة جميلة على ساحل البحر المتوسط، وهي في غاية الحسن والجمال، مليئة بالأشجار والأنهار، لها بناء مزدوج ورائع . فوقاس (يوانس) : رحلة يوانس فوقاس، ص ٣٨٢/أبو الفداء : تقويم البلدان، ص٣٤٩.

[٥] - **السرجندية** : فرقة من الجيش تختلف عن فرسان الإقطاع من حيث التسلح والتجنيد والإنفاق ،فهم وإن كانوا مستعدون للخدمة في أية حملة ، خاصة التي يتوقع لها أن تدوم طويلا ، فقد كانوا يجندون لحساب الكنيسة والمؤسسات الدينية الأخرى والكنيسة هي التي تتولى الإنفاق عليهم وإرسالهم للالتحاق بالجيوش انظر : الموسوعة الشامية ،ترجمة د.سهيل زكار ج ٧ ،هامش ص ٥١٩ .

[٦] - دي نوفار : المصدر نفسه، ج ٣٤ ص١٣٢ / رنسيمان: المرجع نفسه، ج٣، ص٣٤٥.

كان يوحنا في عكا حينما وصلته أخبار الحملة الإمبراطورية في ايطاليا على متن سفن تابعة للفرسان التيوتون[١]، فظن يوحنا أن قبرس هي الهدف الأول، لذلك بادر بتجميع أتباعه من بيروت، ولم يترك بالقلعة إلا حامية صغيرة، لكن حينما علم فيلانجيري بوجود يوحنا وهنري في قبرس ترك بيروت بعد أن ترك بعض قواته تحاصرها والتي وجدها محاصرة من قبل الابلينيين، متوجهاً نحو صيدا ، ثم احتلها وجعل صور مقره الرئيسي[٢]، ثم ذهب إلى عكا ودعا إلى عقد المحكمة العليا، حيث عرض على البارونات رسائل الإمبراطور فريدريك بتعيينه نائباً عنه، ولما أقر البارونات ذلك عندئذ أعلن فيلانجيري مصادرة أراضي الإبليينيين، ولم يعمل أي حساب للقانون العرفي لمملكة القدس الصليبية.

الصراع بين النائب الإمبراطوري والبارونات:

وصلت أنباء محاولة فيلانجيري الهجوم على بيروت إلى يوحنا إبلين، الذي كان رئيساً لقومون[٣] عكا، الأمر الذي دفع يوحنا إلى التماس المساعدة من الملك الشاب هنري لينهض بقوات الجزيرة (قبرس) لنجدة بيروت، وافق هنري وأرسل جيشاً إلى بيروت، وحين وصل يوحنا إليها استلم قلعتها، ومنها وجه إلى البارونات نداء للنهوض إلى نجدته[٤] خصوصاً أن فيلانجيري ترك أخاه لوثر على حصار بيروت وذهب إلى مقره الرئيسي في صور عندئذ وافق الجنويون أصحاب المطامع الاقتصادية على بذل المساعدة ليوحنا إبلين والبارونات مقابل الحصول على امتيازات في جزيرة قبرس وأعلنت جنوه الحرب صراحة على النائب الإمبراطوري في بلاد الشام، خدمة لأهدافها بعد ما أرسل فريدريك سنة ٦٢٨هـ / شباط

---

[١] - **التيوتون**: هو تنظيم الماني، إذ يمكن العثور على أصل فرسان التيوتون في مشفى القديسة مريم للألمان، تأسس في القدس من قبل واحد من الحجاج الألمان سنة٥٢١هـ / ١١٢٧م وتحول إلى تنظيم عسكري في آذار ٥٩٥هـ / ١١٩٨م، ارتدى هؤلاء أردية بيضاء عليها صلبان سوداء، وعندما حررت عكا من قبل المسلمين تم نقل ديرهم إلى البندقية لبضع سنوات.

إ.ح. كنغ : ملاحق كتاب الاسبتارية في الأرض المقدسة من خلال الموسوعة الشامية، ١٩٩٨م ج٣٣، ص٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣. / الفيتري (يعقوب) : تاريخ بيت المقدس ، ترجمة سعيد البيشاوي ، دار الشروق ، ١٩٩٨م ، ص ٨٥ .

[٢] - دي نوفار : حروب فريد ريك الثاني ، ج ٣٤ ، ص ٩٣.

[٣] - **القومون** :عبارة عن تنظيم وهو بمثابة حكومة محلية(أو مجلس بلدي)تشكل بعد استياء الصليبيون من وكلاء فريدريك الذين عينهم، ويتم انتخاب رئيس القومون ويعتمد القومون على السلطات المحلية التي يمثلها البارونات على عكس حكومة فريدريك الاستبدادية الفردية و التي تعتمد على المركزية و كان يوحنا ابلين أول عميد لذلك القومون و لا بد أن يلتزم عميد القومون بقرارات المحكمة العليا للقدس و هو قابل للتبديل عندما لا يسعى لتحقيق أهداف المجتمع الصليبي انظر:

دي نوفار : المصدر نفسه، ج ٣٤، ص٥٤/باركر: الحروب الصليبية ، ص١١٧

[٤] - دي نوفار : المصدر نفسه، ج ٣٤، ص١٤٢.

١٢٣١م إلى نائبه أمراً بأخذ رسم الميناء من الجنويين عند نزولهم في عكا، وكان هذا اعتـداءاً مباشراً على حقوقهم[١].

وبفضل هذه المساعدة التي قدمتها جنوة تم تخليص بيروت من سلطة فيلانجيري الذي احتمـى داخل أسوار مدينة صور، وحدث في أواخـر سـنة ٦٢٩هـــ / ٢ أيـار ١٢٣٢م أن خـرج فيلانجيري بكل قواته من صور بعد علمه برحيل يوحنا إبلين وانقض على معسكره، وأخذ غنائم كثيرة من الخيول والأسلحة والأسرى، فساقهم جميعاً إلى صور[٢]، ولم يحاول فيلانجيـري أن يمضي في انتصاره نحو عكا، بل تراجع إلى صور بكل ما حازه من تلك الغنائم، ثم غادر إلى قبرس لإمداد نائبه (بارلياس) في حصار قلاع الإبلينيين، مما دفع الملك هنري إلى أخذ سـفن اللومبارديين الراسية في عكا وتعدادها ثلاثة عشر سفينة، أما مابقي منهـا، فقـد ذهبـت إلـى صور[٣].

غادر فيلانجيري إلى قبرس، وضرب حصاراً على قلاع الابلينيين فيها، مما دفع يوحنا إبلـين والملك هنري للقدوم إلى جزيرة قبرس لتخليص قلاعهم من بين يديه، وقد دارت معارك عديدة بين الطرفين، كانت خلالها صور مركزاً لدعم قوات فيلانجيري بالمؤن والقوات، ليتمكن مـن استمرار الحصار لقلاع الابلينيين في قبرس، ولكن بعد معركة كيرينيـا فـي سـنة٦٣٠هــ /١٢٣٣م، وخسارة فيلانجيري فيها، تقرر السماح لقواته بمغادرة الجزيرة والالتجاء إلى صور، أما الأسرى الذين كانوا في حوزة الابلينيين، فتم تبادلهم مع الأسرى الذين وقعـوا فـي قبضـة فيلانجيري في إيمبرت، وكان عددهم خمسون أسيراً.

صحيح أن فيلانجيري خسر جزيرة قبرس التي عادت بحكمها إلى الملك هنري، إلا أنـه بقـي يمتلك مدينة صور الهامة[٤]، وما زال فريدريك من الناحية القانونية ملكاً على بيت المقدس نيابة عن ابنه الصغير كنراد الرابع.

---

[1] دي نوفار : حروب فريدريك الثاني، ج ٣٤ ص١٤٥-١٤٦/ هايد (ف) : تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، مراجعة عز الدين فون، الهيئة المصرية، ١٩٨٥ ج ١، ص٣٤٦

KENNETH SETTON:A HISTORY OF CRUSADES,LONDON AND BECCLS, VOLUME2.P554

[٢] - دي نوفار: حروب فريدريك الثاني، ص١٤٧- ١٤٨.

[٣]- علل فيليب دي نوفار السبب في أخذ هنري الأسطول اللومباردي أن فيلانجيري غادر صور وحاصر أخت هنري في إحدى قلاع جزيرة قبرس لذلك أخذ السفن ليذهب بها إلى قبرس للتفريج عن أخته.

دي نوفار: المصدر نفسه، ص١٥٢.

[٤]- دي نوفار: المصدر نفسه، ج٣٤، ص١٥٢-١٥٣/ إ.ح .كنغ : ملاحق كتاب الاسبتارية ، ملحق٢ ص٢٠٠، ملحق ٣ ، ص٢٨١.

علم الإمبراطور بالأخبار السيئة في الشرق ولا ندري إن كان يمتلك الفرصة للقدوم إلى سورية أم أنه لم يرغب في ذلك؟ أم أنه انشغل بأمور أخرى؟

لم توضح المصادر ذلك الأمر وأسباب عدم مجيئه؟، والمهم أن أليس ملكة قبرس وأم الملك هنري الأول، قدمت إلى عكا سنة ٦٢٧هـ / ١٢٢٩م[1] تطالب بملكية القدس، وكانت مطلقة من بوهمند الرابع (صاحب أنطاكية) وأعلنت أن كنراد بن فريدريك من الناحية القانونية هو وريث بيت المقدس، وأن أليس هي الوريث الشرعي الذي يليه ، كونه كان غائباً من جهة وصغيراً من جهة أخرى، لذا عقد مجلس للنظر في دعواها، فرفضت الدعوة، وتقرر إرسال وفد إلى ايطاليا يطلب ضرورة قدوم كنراد إلى الشرق .

مات بوهمند الرابع في آذار سنة ٦٣١هـ / ١٢٣٣م وتولى بوهمند الخامس(٦٣١ – ٦٤٩ هـ /١٢٣٣ – ١٢٥١م) خلفاً له على أنطاكية[2]، هذا وقد أرسل الأخير بعد توليه الحكم أخاه هنري إلى عكا وقبرس لمساعدة الصليبيين في أنطاكية على شن هجوم على **بعرين**[3]، وعلى الرغم من وعد أمير حماه بدفع الجزية، وقيامه بعقد هدنه مع الفرنج الصليبيين بقيت مستمرة حتى سنة ٦٣٥هـ / ١٢٣٧م، لكن الصليبيين في أنطاكية نقضوا هذه الهدنة بمهاجمة **بغراس** [4] إلى الشرق من أنطاكية، وللانتقام من هذا التصرف تحرك جيش حلب بكامل قواته فحاصر بغراس التي لم ينقذها سوى قدوم بوهمند الخامس الذي حرص على تجديد الهدنة، وفي هذه الأثناء

---

[1] - كانت أليس الوريثة اللاحقة وهي الابنة الكبرى الباقية على قيد الحياة الملكة إيزابيلا الأولى وهنري دي شامبين وبقيت المالكة حتى وفاتها ٦٤٤هـ/١٤٢٦م

.SETTON, AHISTORY OF THE CRUSADES,LONDON,p 559

تزوجت أليس من هيوج بن عموري الثاني ملك قبرس أملا بإعادة توحيد مملكة عكا وقبرس ولكن ماريا الأخت الكبرى لأليس كانت الأحق بعرش عكا وقد تزوجت ماريا من يوحنا دي بريين وأنجبا إيزابيلا التي تزوجت من فريدريك الثاني سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٥مو رزقت بكنراد بينما رزقت اليس بمولود اسمته هنري الأول لوزينيان الذي أصبح ملكا على قبرس تحت وصاية أمه اليس، وبسبب زواج اليس من بوهمند الخامس بن ملك أنطاكية، أصبح خالها فيليب إبلين ثم أخوه يوحنا صاحب الوصاية على الطفل الملك، لكن ما لبث بوهمند أن طلق اليس ،فتزوجت من رالف كونت سواسون و (سواسون بفرنسا)، ولما لم يأت كنراد بن فريدريك إلى الشرق رشحها البارونات لاستلام نيابة عكا إضافة إلى قبرس سنة ٦٤١هـ/١٢٤٣م، ثم مالبثت أن توفيت فاستلم ابنها هنري الأول مملكة قبرس وعين ابن خاله باليان إبلين نائبا عنه في عكا،

رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ،ج٣، ص٣١٩

[2] - علي (أحمد علي) : تاريخ بلاد الشام، مجلد(٥) دمشق ٢٠٠٠م، ص٦٠٧ (٤٦٣ – ٦٥٨هـ).

[3] - **بعرين** : بليد بين حمص والساحل الشامي غربي حماة، وبعرين لفظ عامي خاطئ واسمها في الأصل بارين، لها قلعة وبساتين، فيها آثار قديمة تسمى الرفنية، أما الحصن فهو حصن أحدثه الفرنجة انظر:

الحموي: معجم البلدان ،ج١، ص٥٣٧/ أبو الفداء : تقويم البلدان، ص٣٥٩

[4] - **بغراس** : قلعة قريبة من أنطاكية تبعد عنها حوالي اثني عشر ميلا وهي على طريق الثغور في الجبل المطل على عمق حارم انظر :ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة، ص٣٨ / أبو الفداء : تقويم البلدان ،ص٣٥٩/ الأصفهاني : الفتح القدسي ،ص٢٥٧/ابن العبري: تاريخ الزمان ،ص٢١٢

حاول أحد القادة الصليبيين القيام بانقلاب في عكا، نظراً لحاجة الصليبيين إلى قائد يوحد كلمتهم ويجمعهم فأخفق، ولأنهم كانوا ينتظرون بلوغ الوصي على الصليبيين (كنراد) السادسة عشر من عمره، أي بلوغه سن الرشد من الناحية الرسمية، حتى يحوز على السلطة وبذلك يسقط حق الوصاية لوالده فريدريك، إلا أنه لم يظهر من الدلائل ما يشير إلى قدومه إلى الشرق، على الرغم من إرساله توماس أكيرا ليكون نائباً عنه؟ لذا عقد الصليبيون مجلساً لتقرير الوريث التالي، وكان ذلك الوريث (أليس ملكة قبرس) والتي كانت متزوجة[1] من والت كونت سواسون(بفرنسا) سنة ٦٣٧هـ / ١٢٤٠م[2]، ثم عقد القادة الصليبيون اجتماعاً في عكا تقرر فيه تنصيب أليس وزوجها الشاب الصغير، بعد أن صان حقوق كنراد في الملك، فكيف انتهت هذه الصراعات والحروب الإبلينية ؟ ومن انتصر في نهاية المطاف الحزب الإمبراطوري أم الحزب الإبليني ؟

نهاية الحروب الإبلينية والقضاء على الحزب الامبراطوري (٦٣٢-٦٤١هـ/١٢٣٤-١٢٤٣م):

استندت القوانين للدول الصليبية التي تأسست خلال القرن ٦هـ/١٢م [3] على قواعد إقطاعية صرفة وكانت الحقوق الفردية محمية، ولم تعرف قوانين القدس أي شيء حول الإمتيازات، بل تكاد تخلو من القوانين الرومانية أو مؤثراتها، فلقد كان باستطاعة فريدريك أن يكون الإمبراطور الشرعي لألمانيا، غير أنه كان في القدس ملكاً إقطاعياً خاضعاً للقانون أي للمحكمة العليا، صاحبة السيادة في جميع الأمور والتي كانت مؤلفة من إقطاعيي المملكة، وبذلك توجه فيليب إلى نيقوسيا، ولحقه فريدريك إلى هناك، وعلى هذا اعترف البارونات ظاهرياً بولائهم لفريديريك وابنه كنراد الرابع [4] لكنهم كانوا في حقيقة الأمر يبطنون الحقد والكراهية ويستعدون للثورة عليه في أية لحظة، حيث استولوا على قبرس ومملكة عكا ما عدا صور التي بقيت بقيادة

---

[1] - كانت أليس متزوجة قبله من بوهمند الرابع ، ثم طلقت منه لصلة القرابة التي تقرها الكنيسة.

انظر علي: تاريخ بلاد الشام، ص٦١١.

Pernoud,lafamme,p 190

[2] - والت كونت سواسون: أو(راؤول) هو نبيل فرنسي اسمه السير رالف دي سواسون ويبدو أنه ترك زوجته اليس عندما رفض باليين صاحب بيروت إعطاءه صور .

انظر دي نوفار: حروب فريدريك ضد الابلينيين، ص٢٠٦

[3] - داوي:أعمال القبارصة، ص٤١

[4] - مارشال (كريستوفر) فن الحرب في الشرق اللاتيني من خلال الموسوعة ،ج ٣٨،٢٠٠٧م ،ص٥٨

المندوب الإمبراطوري – ريتشارد فيلانجيري –الذي كان له علاقة عدائية مع آل ابلين، الـــذين امتد نفوذهم على معظم قبرص ومملكة عكا.

اشتدت تلك المنافسات الصليبية لا سيما عقب مغادرة فريدريك سورية إلـــى إيطاليـــا، مودعـــاً بالشتائم، ولم يترك وراءه سوى حرب مريرة وصراع بين أتباعه ومناوئيه، تمثـــل ذلـــك فـــي المعارضة للنفوذ الإمبراطوري في كل من قبرص وعكا، في الوقت الذي التزمت فيه أنطاكيـــة وطرابلس الحياد ؟[1] وتركت الأوضاع على ما هي عليه دونما حلول، أما الداوية فكانت مـــن المعارضين للإمبراطور بشكل علني، وكان وكلاء فريدريك في قبرص يسعون من أجل تـــدمير ثروة الإبلينين وقوتهم في الجزيرة ، بل ازدادت الانقسامات بين الأطراف الأمر الذي دفعهم إلى تصفية بعضهم البعض، والوقوع بنزاعات من الصعب التخلص منها أو تداركها ؟

تمكن الإمبراطور في الغرب من طرد الجيوش البابويةِ من المملكة الإيطالية، وفي تلك الأثنـــاء قام وكيله صاحب صيدا (بالين) بإحباط محاولة قام بها بعض المسلمين للاستيلاء على القـــدس ،كما جرت مصادرة ممتلكات الداوية في صقلية، وأرغموا على التخلي عن مطالبهم نحو صيدا وصور، وكان الحزب الإبليني المعادي للإمبراطور، قد اتخذ وضع الهجوم بعد وقت قصير من مغادرة فريدريك، وأخفقت محاولته لخلع الإمبراطور عن عرش القدس، حيث أعلن بارونـــات المحكمة العليا، بأنهم تابعين للملك كنراد ولفريدريك والده، وتركـــزت تلـــك المحاولـــة حـــول شخصية أليس ابنة ايزابيلا وهنري دي شامبني صاحب قبرص، فقد مثلت أمام المحكمة تطالـــب بعرش القدس، وكانت حجتها أن كنراد الملك الشرعي لم يأت للمطالبة بميراثه،خلال مدة ســـنة بعد تسلمه لهذا الميراث بعرشه، ولذلك أرسل البارونات سفارة من عكا سنة ٦٢٧هـــ/١٢٢٩م إلى فريدريك من أجل إرسال ابنه كنراد في أقرب وقت، ووعد فريدريك بذلك، وبالوقت نفســـه تابع وكلاء الامبراطور حكمهم للمملكة بعقلانية، في حين حكم البارونات الخمسة الذين ضمنوا الوكالة في قبرص من الإمبراطور بشكل تعسفي، فمن أجل تأمين المبالغ الضرورية لدفعها ثمناً لوكالتهم، فرضوا ضرائب باهظة على البلاد كلها، وسلبوا ممتلكات الإبلينيين وأصدقائهم حتـــى يتمكنوا من إبعادهم نهائياًعن قبرص، وحدث في العام نفسه أن عاد جون إبلـــين(يوحنـــا ابلـــين) صاحب بيروت من سورية إلى قبرص، وأثار البلاد ضد هؤلاء الوكلاء، وحدثت معركة قـــرب نيقوسيا ١٤ من تموز، تمكن فيها الإبليني مع مؤيديه من هزيمة برلياس ورفاقه [2] واستمرت

[1] - داوي: أعمال القبارصة ، ص ٤٩ ،٥٠.

[2] - داوي: المصدر نفسه ، ص ٥١ ،٥٢.

تلك الحروب حتى سنة ٦٣٩هـ/١٢٤٧م بعد توقيع هدنة استمرت أربع سنوات، لكن الاستقرار

والأمن لم يستمر بعد انقضاء أمد الهدنة، فقد تابع فيلانجيري حكمه في صور بوصفه الوكيل الامبراطوري من قبل فريدريك، أما في عكا فقد حكم يود س دي مونتلبيار بمثابة وكيل لكنراد من قبل المحكمة العليا ناهيك عن المؤامرات، ولاسيما بعد قدوم الحملتين الفرنسية والانكليزي بقيادة كل من ريتشارد أوف كورنول وثيبوت أوف شامبني، فقد عمل ريتشارد جاهداً على اخضاع قادة الحزب الإبليني لسيادة الامبراطور فريدريك، متظاهرين بالخضوع له[1].

لكن ما أن غادر ريتشارد بلاد الشام تخلخلت الأوضاع، وحدث صدام ما بين الداوية والاسبتارية وعمت الفوضى، الأمر الذي جعل – فيلانجيري – في صور ينتهز الفرصة من اجل فرض سيادة الإمبراطور على مملكة عكا، وتراءى له أنه بإمكانه الاستيلاء عليها، فأخذ بالتنسيق مع الاسبتارية ومع اثنين من أهم برجاسية [2]عكا وهما – جون فالين– ووليم دي كونشي ، اللذين كان لهما تأثير كبير على فرنج عكا [3] كما ضمن تأييد البيازنة، وما إن ضمن ريتشارد فيلانجيري المساندة، تسلل ليلاً إلى عكا سنة ٦٤٠ هـ/١٢٤٢م ووصل إلى مقر الإسبتارية فأقام عندهم، وحيكت مؤامرة للقيام بانقلاب عسكري ضد الإبلينيين، لكن مؤامرتهم سرعان ما انكشف أمرها من قبل أحد المؤيدين لفيلانجيري مدعياً أنه يساند فيلانجيري، إلا أنه كان في حقيقة الأمر جاسوساً، غادر مسرعاً وأخبر فيليب دي مونتفرات – صاحب تبنين – الذي كان معادياً للإمبراطور بالخطة، فاستعان فيليب بجنوة والبندقية، وألقوا القبض على البرجاسيين " وخلال ساعة من الزمن حاصروا شارع الاسبتارية، وبعث فيليب دي مونتفرات على الفور بخبر هذه الأوضاع إلى صاحب بيروت "[4]، فلماذا وقفت كل من جنوة والبندقية إلى جانب البارونات، ولم تقف إلى جانب اللومبارديين وتقدم لهم المساعدة، وهل ربطتها مصالح مع البارونات أم أنها تضررت من اللومبارديين ؟

---

[1] - داوي : أعمال القبارصة ، ص ٦٣

[2] - البرجاسية :هي الطبقة البرجوازية من الصليبيين المالكة للمال والسلطة، والمقصود بها هنا مدينتي جنوة والبندقية انظر: الغزولي (ناديا) :مدينة صور في حقبة الحروب الصليبية ، رسالة ماجستير ، جامعة دمشق ،٢٠٠٢م ، ص١١٥

[3] - عطية :إمارة أنطاكية ،ص٣٦٢ / عاشور : الحركة الصليبية ،ج٢ ، ص١٤١

[4] - دي نوفار : حروب فريدريك ،ص١٧٦،١٧٧ /سميث : الاسبتارية، ص١٧٩ ، ١٨٠

Setton. Vol.2.p 553/grusset:opcit.part.3.p 398.399

بالعودة قليلاً إلى رواية المندوب البندقي في سورية – المدعو مرسيليو جورجيو نجد جواباً على التساؤل السالف، حيث تظهر في روايته الأسباب التي كانت وراء وقوف البنادقة إلى جانب البارونات وهي استيلاء اللومبارديين على ممتلكات البنادقة في صور وعكا وحرمانهم من كل شئ لصالح الإمبراطور، أما الجنويين، فقد ربطتهم مع البارونات معاهدات ومصالح مشتركة وخشوا من المخاطر التي يمكن أن يتعرضوا لها في عكا من وكيل الإمبراطور[1] .

عرف باليان بالخبر فأتى مسرعاً إلى عكا، وعندما أحس فيلانجيري بانكشاف أمره، هرب عائداً إلى صور بينما استمر باليان في محاصرة عكا ما يقرب ستة أشهر، إلى أن تدخل مقدم الاسبتارية بطرس برايد قادماً من قلعة المرقب، فعفى باليان عنهم، بعد إن أيقن أن مصلحته تقضي مصالحة الاسبتارية، وكسبها إلى جانبه في محاربته للحزب الإمبراطوري وليس في معاداتها [2]، وهنا أدرك الإمبراطور فريدريك إخفاق سياسة نائبه ريتشارد فيلانجيري فاستدعاه إلى أوربا وعزله، بينما استلم أخوه لوثير فيلانجيري صور، فهل نظر أهالي صور له بعين الإرتياح، أم أنهم ارتابوا من الأمر، و ما هو رد فعلهم تجاه تسلم لوثير؟

لم ينظر أهالي صور حقيقة بعين الارتياح لاستلام لوثير، وكانوا أكثر ميلاً لجانب الإبلينيين لذلك أرسلوا وفداً إلى باليان ابلين، لتسليمه المدينة، لكن باليان فكر بأمر العهد الذي قطعه على نفسه لريتشارد كورنول قائد الحملة الانكليزية، والتزامه بالولاء والطاعة لفريدريك وابنه كنراد ملك عكا، وأمام هذه المسألة المحيرة، تدخل المؤرخ فيليب دي نوفارالذي كان يميل للابلينيين وأشارعلى باليان خطة ذكية، من أجل الخلاص من الوجود الامبراطوري، فقد أشار على باليان أنه قد تحرر من ولائه لفريدريك، لأنه وبحسب أحكام وممارسات مملكة القدس ومملكة قبرس التي تقول:"عندما يصل الوريث الشرعي إلى السن القانونية يفقد الأب وكذلك تفقد الأم حقوق الوكالة، ولهذا السبب فقد الامبراطور فرديريك حقوق الوكالة "و عندما عرفت الملكة أليس بذلك جمعت كل الأعيان وذهبت لحضور الاجتماع، وكان بين الحضور مقدم الداوية الراهب –أرماندي بيرغورد – وقنصل جنوة ووكيل البندقية ...الخ، وطالبت بمملكة القدس من خلال ابنة أختها[3] الإمبراطورة ايزابيلا، على أنها الوريث الأكثر ظهوراً بشرعيته، وهي أقرب

[1] - روايات معاصرة حول رواية جورجيو الوكيل البندقي في سورية ، من خلال الموسوعة ،ج٣٤، ص ٢١٧ ،٢١٨

[2] - مؤلف مجهول : تاريخ هرقل، من خلال الموسوعة الشامية ،ج ٥١ ، دار الفكر ، دمشق ،٢٠٠٣م ، ص٢١٤

[3] - وردت عند فيليب دي نوفار بانها أخت ايزابيلا وليست ابنة أختها كما وردت في رواية جون دي ابلين – صاحب يافا – وفي تاريخ هرقل انظر دي نوفار : حروب فريدريك، ص٢٠٢٧/ مؤلف مجهول : تاريخ هرقل، ص٢٢٣

وريث ينبغي أن يدخل المملكة في خط الأسرة المتداولة لحكم المملكة، وتشاور الأعيان وفقا لما جرى، ووافقوا جميعًا على قبول الملكة أليس باستثناء القسطلان الذي رغب بإرسال رسالة إلى الملك كنراد للقدوم، وإعلامه بما جرى، لكن ارتأى كل من جون دي ابلين – صاحب يافـــا – وآخرون أنه ليس من الضروري الإرسال له، وتم قبولها وتم إلغاء جميع العطاءات التي منحها الإمبراطور، كما ألغيت وظيفة كافل المملكة التي منحت للسير ريمونـــد – صـــاحب جبلـــة [١] وبسبب عدم قدوم كنراد الى الشرق، فلا بأس بترشيح أقرب المقربين إليه في وراثة مملكة عكا الأميرة أليس خالته (كنراد) التي تأتي في المرتبة الثانية بعده في الوراثة لنيابة عكا بـــدلاً مـــن لوثير فيلانجيري [٢] وهي أكثر الورثة شرعية بين ورثة الملك عموري جدها، لاسيما وإن ابـــن الإمبراطورة المتوفاة ايزابيلا كنراد كان في **أبوليا**(ولاية من ولايات إيطاليا و كانت تعد قـــديماً من أراضي الدولة البيزنطية) خارج المملكة، وهو الوريث الشرعي للمملكة، لكنه لم يحضـــر، فتمت الموافقة حينها لاستقبالها كي تتولى حماية المملكة مع الحفاظ على حقوق الملـــك كنـــراد وامتيازاته [٣]، فأسرع فيليب عندها لحث أليس على المطالبة بنيابة عكا، وكان كنراد قد أرســـل سيمون دي مونتفرات أوف ليستر نائباًعنه في عكا، لكن لوثير المنـــدوب الإمبراطـــوري بقـــي حاكماً على صور، وتم إهمال سيمون، بعد أن رفض لوثير التعاون معه ،ولم تشر أيـــة دلائـــل على قدوم كنراد إلى الشرق[٤]، وهنا ارتفعت معنويات أليس ولاحت لها بارقة أمل لاســـتلامها مملكة عكا، لا سيما بعد تشجيع أخوالها من آل ابلين، وبعد طلاقها من بوهمند الرابـــع تركـــت أنطاكية، وتوجهت نحو قبرس، فتزوجت من النبيل الفرنسي – رالف كونت سواســـون– بنـــاء على رغبتهم ٠

أيد الزوج زوجته في المطالبة بمملكة عكا "و ذهب فيليب وعاد حتى تم إعداد كل شئ وترتيبـــه بين آل ابلين وأليس "[٥].

---

[١] - رواية جون ابلين صاحب يافا من كتاب أعمال القبارصة ، ص٢٢٢

[٢] - دي نو فار :حروب فريدريك، ج٣٤ ، ص١٨١،١٧٩،٦٤،٦٣/ رنسيمان:الحروب الصليبية ،ج٣، ص٣٨٥، ٣٨٦

GRUSSET:OP.400.401

[٣] - مؤلف مجهول : تاريخ هرقل ، ج٥١، ، ص ٢٢٣

[٤] - دي نوفار : حروب فريدريك الثاني، ص٦٣ / عاشور : الحركة الصليبية، ج٢ ، ص١٤١/ رواية جون دي ابلين، قوانين القدس، ص٢٥٥

[٥] - باركر: الحروب الصليبية ، ص١٠٧/ دي نوفار : المصدر نفسه، ص١٨١

وفي سنة ٦٤١هـ/١٢٤٣م عقد باليان مؤتمراً حضره الأمراء الإقطاعيون في مملكة عكا وأعيانها والطوائف الدينية العسكرية وبعض أفراد جنوة والبندقية وبيزا (من أجل إمارة عكا)، فتم ترشيح زوجها – رالف – لاستلام الوكالة بالنيابة عن كنراد، إلى أن يصل الى الشرق، وبذلك عد الإبلينيون بأنهم صانوا حقوق كنراد، وأنه يستطيع استلام العرش عندما يصل إلى عكا.

كان آل ابلين أول المهنين لأليس وزوجها، فقد أحسوا بنشوة النصر، بعدما نزعوا سلطة فريدريك عن مملكة عكا، وبذلك أصبحت وكالة المندوبين الإمبراطوريين – لوثير وسيمون – غير شرعية، فلم توافق المحكمة العليا للقدس على تعيين لوثير، كما أنها لم تعط موافقتها على تعيين سيمون، الذي استدعاه فريدريك إلى أوروبا – بينما بقي لوثير سيداً غير شرعي على صور.

والسؤال هنا كيف تصرف الابلينيون مع لوثير السيد غير الشرعي لصور، وما هو موقف لوثير من ذلك ؟

وجه الإبلينيون إنذاراً شديد اللهجة إلى لوثير كي يسلمهم صور، لكنه أبدى عدم الموافقة وأحس بالخطر فبدأ بالاستعداد للمواجهة والتحصن بداخلها، وأمام تصفية لوثير، فقد تم تشكيل قوة عسكرية، بقيادة رالف زوج أليس، وباليان ابلين، وفيليب مونتفرات – صاحب تبنين(بلبنان) – وبمساعدة جنوة والبندقية، والإسبتارية التي كانت ناقمة بشدة على لوثير بسبب مصادرته لأملاكها في صور، وانطلق ذلك الحشد لمهاجمة صور عن طريق البحر، لأن البرجاسية أنصار الإبلينيين الذين كانوا بداخلها، وعدوهم بفتح الباب الغربي البحري لمدينة صور، أو ما عرف باسم باب الجزارين [1]، ولما أتت الفرصة تم فتح باب صور لتلك الحشود الهائلة من الجيش الإبليني إلى داخل صور، فاشتد ساعدهم وانقلبوا على الإمبراطور، وهنا لم يجد الحزب الإمبراطوري مهرباً سوى التحصن بداخل القلعة.

انتشر الإبلينيون داخل صور، وقصفوا قلعتها بالمجانيق، لكنها بقيت صامدة ما يقرب أربعة أسابيع، فما الذي حصل بعد هذه المدة، وهل استطاع آل ابلين اختراق أسوار القلعة ؟

لما عزل فريدريك مندوبه الإمبراطوري في عكا ريتشارد فيلانجيري، توجه إلى بلاده، وقد اصطحب معه في سفره أحد أبناء أخيه لوثير، واستقل سفينة مبحراً الى أبوليا، وفي الطريق واجهته رياح وعواصف شديدة، وجعلته يتراجع عن مسيره، ويقرر العودة إلى صور ريثما تهدأ وتستقر الأحوال، ووصل عائداً إلى صور، ظناً منه أنه بأمان، لكنه لم يكن على دراية بالهجوم

[1] - دي نوفار : حروب فريدريك الثاني ، ص١٨٣ / رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية، ج٣، ص٣٨٧

الإبليني على صور، فهو تركها تحت قيادة أخيه، ولكنه لما عاد رأى سفناً راسية في ميناء صور، لكن لم تساوره أية شكوك حولها، ولم يكن على دراية بما جرى على أرض صور[1]، وما أن دخل صور حتى ألقي القبض عليه، وسلموه إلى باليان ابلين وهنا تعود الذكرى القاسية والمآسي التي تعرض لها على يد فريدريك الثاني، فكما قيده فريدريك عند مجيئه إلى الشرق، وأخذه رهينة في قبرس، لإجبار والده يوحنا ابلين على المثول أمام المحكمة العليا للقدس، فقد قيد ر يتشارد وابن أخيه بالسلاسل، ووصل وقتذاك جون ابلين صاحب يافا للمشاركة في حصار صور، فوجد ريتشارد مكبلاً بالحديد، واقترح على باليان المفاوضة على ريتشارد مقابل قلعة صور، فأرسل تهديداً إلى لوثير بتسليمه صور، وإلا فإنه سيتم إعدام أخيه وابنه، لم يصدق لوثير كلامهم، ولم يصغ لتهديدهم، ظنا منه أن ريتشارد في أبوليا، وأنها مجرد خدعة، لكنه فوجئ لما رأى أخاه ريتشارد وابنه على أعواد المشانق، يستغيثون به، فرق قلبه وقرر تسليمهم القلعة [2]، وهكذا استسلم لوثير، فترك صور متوجها إلى أمير أنطاكية بوهمند الخامس فأحسن استقباله، وزوجه من إحدى فتيات أنطاكية واستقر فيها بقية عمره، بينما غادر ريتشارد إلى بلاده ليعاقب بالسجن، أما صور ومملكة عكا، فقد أصبحت بقيادة أليس وزوجها رالف، لكن أبدى فيليب مونتفرات رغبته في السيطرة على صور، وعندما طالب رالف بمدينة صور " أجابه البارونات في مرح ساخر أنهم سوف يحتفظون بالمدينة في ذمتهم حتى يطمئنوا الى من تكون له " [3] وصارت صور بيد الابلينين.

استاء رالف من آل ابلين، وأحس بأنهم يريدون تجريده من صلاحياته كسيد على عكا، فلم يرض بتلك الإهانة، وغادرإلى فرنسا تاركاً الوصاية لزوجته أليس [4]، وهنا انتهى الحكم الإمبراطوري فعلياً، ولم يبق للحزب الإمبراطوري في بلاد الشام وقبرس سوى بعض الحاميات العسكرية الصغيرة [5]، فما هو موقف قبرس من هذه الحرب الابلينية وهل أضعفتها ؟

[1] - دي نوفار : حروب فريدريك الثاني ، ص١٨٤، ١٨٦ / رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية، ص٣٨٨

[2] - كريستوفر(مارشال) فن الحرب في الشرق اللاتيني ، الموسوعة ، ج٣٨، ٢٠٠٥م ، ص٥٩ / رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ص٣٨٨

[3] - مؤلف مجهول : تاريخ هرقل، ص٢١٥،٢١٤ / رنسيمان : المرجع نفسه ، ص٣٨٨

[4] - ذكر في الموسوعة بان رالف عندما نال السيادة كونه زوج الملكة آليس، كان ضعيفاً جداً قياسا لغيره من الرجال الذين تولوا قبله والذين امتلكوا سلطة اكبر وصلاحيات أعظم مما تملكه هو، فأحس بالذل والإهانة، وبأنه مجرد خيال لذلك تخلى عن كل شئ عائدا إلى بلاده ، وهناك راي قال بانه طلب من السير باالين صاحب بيروت ومن فيليب دي مونتفرات صاحب تورون منحه مدينة صور لنفسه، فرفض عندها تخلى الكونت وترك زوجته انظر كوهلر : قطعة من ترجمة ذاتية لفيليب دي مونتفرات فقرات من ج ١، الموسوعة ج٣٤، ١٩٩٨م، ص٢٠٨

[5] - جروسيه : الحروب الصليبية، ص٨٦ / الغزولي : صور، ص١١٨

حاولت قبرس في هذه المرحلة أن تبقى بعيدة عن الحروب الابلينية، وبقي هنري لوزينيان ملكاً على قبرس بينما حكم آل ابلين معظم المواقع الصليبية في بلاد الشام، وظلت أليس مجبرة ملكة اسمية لعكا تساندها الداوية ضد الاسبتارية، وبقي الصليبيون في قبرس وبلاد الشام دون قيادة تجمعهم.

وفي سنة (٦٣٩هـ/ ١٢٤١م) عقد الملك الصالح أيوب صلحاً مع الصليبيين أقر لهم الحق في امتلاك بيروت وحيفا والشقيف والجليل وطبرية وبيت لحم والناصرة وعسقلان، ثم أصبح جان دي إبلين الثاني أو جون أوف ابلين بن بالين[١]، حاكماً على بيروت سنة (٦٤٥- ٦٣٣/ ١٢٤٧م – ١٢٦٤م) وزوج ابنته من هنري دي مونتفرات، وهكذا أصبحت بيروت ملكاً للصليبيين وتحت الاحتلال، وفي سنة ٦٤٥هـ/ ١٢٤٧م استولى الجيش المصري على يافا وقلعتها،ثم استولوا على جبل الطور وحصن شقيف أرنون، وتحركوا نحو عسقلان، أما الصليبيون فاستقبلوا في عكا أسطولاً من قبرس، بينما حاصر المصريون عسقلان، وكان أسطولهم في البحر، إلا أنه لم يقدم أية فائدة لأن الظروف الجوية اعترضته وجعلته يعود إلى مصر، أما الأسطول الصليبي فأمد حاميته في عسقلان بالإمداد والمؤن وعاد إلى عكا[٢] وحدث في سنة ٦٤٤هـ/ ١٢٤٦ أن توفيت أليس صاحبة قبرس وأم الملك هنري الأول، فانتقلت الوصاية إلى من يليها في الحكم إلى ابنها هنري[٣]، وتركت له مملكة قبرس كلها، فعين الأمير باليان أوف إبلين نائباً عنه[٤]، ووضع فيليب أوف مونتفرات[٥] صور تحت حفظه لكن صاحب

---

[١] - جون دي ابلين أو جان صاحب بيروت ، كانت لديه في مملكة القدس كبيرة جدا أتت من قلاعه ومن ممتلكات أخرى ، و قد كان شجاعا وشديدا ونشيطا وأديبا و صاحب أخلاق حميدة تجاه الناس لهذه الأسباب كان مشهورا في كل مكان انظر: كوهلر (قطعة من ترجمة ذاتية لفيليب دي نوفار) من خلال الموسوعة الشامية ،ج٣٤، ص٢٣٢

[٢] - علي (أحمد علي) : تاريخ بلاد الشام، مجلد(٥) دمشق ٢٠٠٠م، ص٦١١- ٦١٣.

[٣] - قال سيتون: بأن المحكمة العليا الملكية سلمت ابن اليس هنري الأول ملك قبرس على الرغم من احتجاج أختها غير الشقيقة (ميلي سند) أميرة أنتيوس ابنه إيزابيلا الأولى الذين أدعوا بأن ميلي سند هي أقرب شخص من الملك الغائب فيجب أن يكون لها الأولوية في العرش.

Setton,ahis to ry of the crusades,p.559

[٤]- كان بالين دي ابلين او باليان أوف أبلين يقود مؤخرة الجيش الصليبي في معركة حطين، وهرب مع ريموند الثالث ووصل إلى صور وغدت الأسرة الأبلينية من أقوى الأسر الصليبية في الساحل الشامي وبعد ذلك في قبرس لاسيما بعد الحملة الصليبية الثالثة، وبالين دي أبلين كان من الفرنجة البلديين اي أنه كان يتقن اللغة العربية، أنجب من زوجته الأولى (هلفيس أوف راما) فيليب وجون دي ابلين.،أصبح بالين صاحب بيروت سنة(٦٣٤-٦٤٥هـ/١٢٣٦-١٢٤٧م) و قسطلان قبرس سنة (٦٣٤-٦٣٧هـ/١٢٣٦-١٢٣٩م) ووكيل القدس سنة (٦٤٤-٦٤٥هـ/١٢٤٦-١٢٤٧م) و كان بالين السيد المباشر لفيليب دي نوفار

د زكار(سهيل)،د. جوني(وفاء)، د. اسماعيل(اكتمال): حروب الفرنجة الصليبية، جامعة دمشق ٢٠٠٤ / ٢٠٠٥ ، ص ٣٠٧

[٥] - فيليب أوف مونتفرات صاحب تورون وهو قريب لكنراد زوج ايزابيلا صاحبة القدس وكان وليم الثالث أوف مونتفرات الجد الأعلى لكل من اليس وايزابيلا زوجة فريدريك الثاني (اي أنه من أقرباء الأسرة الملكية للقدس) انظر كوهلر :الموسوعة الشامية ،ج٣٤ ،ص٢٣٢

صاحب بيروت ونائب مملكة القدس بالين أوف إبلين، توفي في سنة٦٤٥ هـ/ ١٢٤٧م وصار أخوه جون أوف إبلين صاحب أرسوف نائباً بعده[١]، أما أنطاكية فبقيت بيد بوهمند الخامس بعيدة عن الصراع، بالإضافة لطرابلس كونها تابعة له أيضاً، ودخلت قبرص في هذه الحقبة عصرها الذهبي في المشاركة بأحداث الحروب الصليبية وهذا ما سوف تثبته الأحداث اللاحقة؟

- ظهور الخطر المغولي وتهديده للمسلمين والفرنج :

ظهر خطر جديد في الشرق أخذ ينذر بسوء العاقبة هو(غزو التتار)[٢]، فقد كانت قبائل المغول تجتاح شمالي سورية وتتقدم جنوباً، في الوقت الذي كان فيه الأيوبيون يتراجعون ويضعفون، فلم يفكر حكام المسلمين المتنازعين على إقامة حلف إسلامي لصد التيار المغولي الجارف، قبل أن يستفحل خطره، وخاصة بعد وفاة الملك العادل شقيق صلاح الدين الأيوبي ٦١٥هـ/ ١٢١٨م[٣] وانقسام الدولة الأيوبية التي كانت لا تزال قائمة في سورية وفلسطين ومصر، كل ذلك ظل دون إقامة حلف إسلامي يقف في وجه المغول[٤]، فما الذي جعل الفرنج الصليبيين يتقربون ويلتقون مع المغول خلال هذه الحقبة؟

لقد تفاقم الخطر المغولي وأصبح ماثلاً للعيان، فقد ألقى المغول الرعب في قلوب الصليبيين بسبب ما اقترفوه من مذابح وتخريب، فأقيمت الصلوات في الكنائس اتقاء لشر هؤلاء، وأخذ القلق يدب في نفوس البابوات ومسيحي الغرب، ورأوا أن الطريقة السليمة لاتقاء شر هؤلاء هي الاتصال بهم، ومحاولة التفاهم معهم، وعلى هذا الأساس كانت سياسة البابوية تجاه الشرق **ترمي إلى ثلاثة أهداف :**

١- استمالة المغول إلى اعتناق الديانة المسيحية الكاثوليكية وبذلك يضمنون كسباً عظيماً لأوربا المسيحية الغربية.

---

[١] - داوي: أعمال القبارصة، ج ٤٩، ص٢٥/ Setton,ahis to ry of the crusades.,p.560

[٢] - التتر : هم أشد قبائل المغول وحشية وشراسة، والمغول من العرق الأصفر ومكانهم الأصلي منغوليا وهي التي أعطتهم اسمها على ما يبدو، ويقول المقريزي: إنه في سنة ٦١٦هـ ابتدأ ظهور التتار ومساكنهم شمال الصين، وكان ملكهم جنكيز خان. وللمزيد انظر: المقريزي : السلوك، ج ١، قسم١، ص٢٤١، و في الحقيقة التتار هم جزء من المغول.

أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج ٣، ص١٨ / ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٢٣٥ وما بعدها.

حمادة (محمد ماهر) : وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي، منشورات الرسالة، ط٢/ ١٩٨٢، ص٦٥.

[٣] - أبو شامة:عيون الروضتين في أخبار الدولتين، ج٤، ص٤٨٦.

[٤] - حتي (فيليب) : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، دار الثقافة، بيروت، لم يرد تاريخ الطبع، ج٢، ص٢٤٣/ أمين (محمد فتحي): الغزو المغولي لديار الإسلام، الأوائل، سورية ط ١، ٢٠٠٥ ص٥٥، ٥٧.

٢–استطلاع نواياهم تجاه الغرب، والعمل على استبعاد خطرهم بإيفاد البعثات الدينية إلى إيلخانات منغوليا وفارس أملاً في كسبهم .

٣– اشراك المغول مع اللاتين بالقيام بحملة صليبية لانتزاع الأراضي المقدسة من المسلمين لهذا أرسل البابا أنوسنت الرابع عدة بعثات، وحذا حذوه لويس التاسع فأرسل بعثتين[١]، وهذا ما سوف تبينه الأحداث.

قبرص قاعدة للويس التاسع في الحملة الصليبية السابعة :

بعد تحرير الخوارزمية لبيت المقدس خلال حكم الصالح أيوب سنة(٦٤٢هـ/١٢٤٤م)، أخذت أوربا تنادي بوجوب إعادته إلى الصليبيين، فقرروا توجيه حملة صليبية إلى الشرق دعا إليها البابا جريجوري التاسع، تزعمت فرنسا حركة المناداة هذه، بل وأعلن ملكها القديس لويس التاسع أنه سوف يحقق هذا الهدف باقتحام الديار المصرية والاستيلاء عليها، مع العلم أن الإمبراطورية الألمانية، و البندقية لم تقران هذا الهدف.

كانت أخبار حملة لويس تصل إلى الملك الصالح أيوب سلطان مصر والشام يومياً من إمبراطور ألمانيا فريدريك الثاني الذي كان مصافياً له، وبسبب هذه المصافاة (الأيوبية – الألمانية) قرر المجمع البابوي الذي انعقد في ليون برئاسة (البابا أنوسنت الرابع) حزيران ٦٤٣هـ /١٢٤٥م، تكفير الإمبراطور المذكور وحرمانه كنسياً، أما البندقية فظلت على علاقاتها الودية مع سلاطين مصر ، فسهلت الأمور على تجارها في مصر وفي بلاد الشرق[٢] إذ كانت تخشى من قيام حملة صليبية بحرية عليها تؤدي إلى إغلاق أبواب التجارة في وجهها، وهي مصدر ثروة بالنسبة لها، لذلك رفضت تزويد لويس التاسع بما يحتاج إليه من سفن نظراً لتلك العلاقة الطيبة التي جمعتها مع مصر[٣].

تجهز لويس للحرب تجهيزاً عظيماً جالباً معه (أسطولاً كبيراً، وكان في هذا الأسطول خمسة عشر غليوناً[٤] جنوياً، وأربع سفن كبيرة جداً مأجورة من قبل الملك، وجلب ملك فرنسا معه

---

[١]- أمين: الغزو المغولي، ص ١٢١، ١٦١، ١٦٢.

[٢] - عاشور : قبرص والحروب الصليبية، ص٤٣/ أمين: المرجع نفسه، ص١٦٢.

[٣]- نسيم (جوزيف) : العدوان الصليبي على مصر، ص ٧٩ وما بعدها.

[٤] - **الغليون**: اسم يطلق على نوع من المراكب المتوسطة الحجم العاملة في البحر، وعلى كل حال أطلق عامة الناس سواء من الألمان أو الطليان اسم غليون على هذه السفينة لان مقدمتها لها شكل الخوذة من الأمام، ولانها تواجه الأمواج مثل رجل مسلح، والغليون هو مركب مستطيل الشكل يتحرك بواسطة المجاديف والأشرعة، للمزيد عن اشكال وأنواع الغلايين انظر: جولات الراهب الدومنيكاني من خلال الموسوعة الشامية، ج ٣٨،ص٢٢٢، ٢٣٣/دي فتري: تاريخ القدس، ج ٣٧، ص ٥٣١

زوجته وإخوته الثلاثة (اللورد شارل كونت أوف آنجو، واللورد الفونسو كونت بواتييه، وكونت آرتوي واللورد هيوج الرابع دوق بيرغندي) ابن عمهما الشقيق، ووليم كونت فلاندر، وجلب معه كذلك عدداً كبيراً من البارونات، وجاء معهم ثمانمائة فارس[1]، كما كان معه المؤرخ الفرنسي لهذه الحملة وأحد فرسانها القديس جوانفيل[2] الذي كان شاهد عيان لما حصل أسندت قيادة الأسطول إلى الجنوية لعدم خبرة الفرنسيين بشؤون الملاحة، وأرست أساطيل الملك لويس التاسع في ميناء ليماسول جنوبي قبرس، والتي عدت الملتقى العام للجيوش الصليبية آنذاك.

فلما وصل إليها الملك الفرنسي لويس التاسع شهر آب ٦٤٦هـ/١٢٤٨م استقبله الملك هنري (ملك قبرس) واللوردات الابلينيين خير استقبال[3].

عندما وصل الصليبيون إلى قبرس شعروا بأنهم في ديارهم مع بني عشيرتهم، وبأنهم ليسوا غرباء في الجزيرة التي كانت وقتذاك تحت حكم أسرة لوزينيان اللاتينية، حيث كانت دولة صديقة لهم، وقد استقبل هنري الأول لوزينيان ملك الجزيرة لويس التاسع، ورجاله بالترحاب في عاصمة ملكه نيقوسيا(نيكوسيا)، وشاركه شعبه هذا الاستقبال وممثلو الداوية والاسبتارية الذين كانوا بالجزيرة، رحبوا جميعهم بالملك الفرنسي وبالجيش الصليبي، فاطمأنت الحملة الفرنسية للإقامة في قبرس، وأمضت زهاء ثمانية أشهر بها، قبل تحركها صوب الديار المصرية[4]، وخلال إقامتهم تلك اتصل الملك لويس التاسع بالإمارات الصليبية في البلاد الشامية، فوصل إليه من عكا مقدما الداوية والاسبتارية، وأناس آخرون للالتحاق بالحشد العظيم، ولما اجتمعت هذه الحشود عقدوا مجلساً للتشاور فيما بينهم في أمر الرحيل، وبإشارة من قادة الفرسان الداوية قرر لويس الهجوم على البلاد المصرية في فصل الربيع[5]، فلماذا تم اختيار دمياط دون غيرها؟

لقد وقع الاختيار على هذه الديار لأنها تمتلك السيادة على الأماكن المقدسة، ولأن سلاطينها هم الذين استرجعوا بيت المقدس خلال المرتين الأولى والثانية[6]، وليس أدل على ذلك سوى رؤية

---

[1] - داوي : أعمال القبارصة، ص٢٥/ ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٢٩٣، ٢٩٤، أحداث سنة ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م / المطوي: الحروب الصليبية، ص١١٧.

[2] - نسيم: المرجع نفسه، ص٥١

[3] - داوي : أعمال القبارصة، ص٢٦.

[4] - نسيم (جوزيف) : العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى ، دار النهضة، بيروت ط٣ / ١٩٨١م، ص٦٧، ٦٨.

[5] - داوي : أعمال القبارصة، ص٢٦/ المطوي: الحروب الصليبية، ص١١٧ / نسيم: العرب والروم، ص٦٧.

[6] - ابن واصل : مفرج الكروب، ج٣ ، ص٢٥٨/ داوي: المصدر نفسه ص٢٦، / ابن الوردي (زين الدين عمر): تتمة المختصر في أخبار البشر، تحقيق تحقيق أحمد البدراوي، ج٢، دار المعرفة، بيروت، ط٢ /١٩٧٠م ، ص١٨٠/ نوار (صلاح الدين): العدوان الصليبي على العالم الإسلامي، جامعة القاهرة دار الدعوة، ١٩٩٢م/ ص٣٣٣.

المؤرخ مارينو سانوتو لاحتلال مصر قوله:" إن مشروع الاحتلال يبدأ مــن شــواطئ مصــر، فبدون ذلك لا مجال على الإطلاق لاحتلال الأرض المقدسة ولا الحفاظ عليها بسلام من قبــل المؤمنين"[1].

وصول بعثات من المغول إلى لويس التاسع في قبرس:

وفي سنة ٦٤٦هـ/١٢٤٨م تجددت المفاوضات بين المغول والصليبيين، وكان المغول هــم الذين بدأوا بإرسال البعثات[2] هذه المرة، فقبل أن تنطلق الحملة السابعة، وصل إلــى نيقوســيا مبعوثان(مرقص وداود) من جغتاي نائب الخان في العراق إلى الملك لويس التاسع للاتفاق معه ضد المسلمين، فرح لويس بهذه الرسالة، فبادر إلى إرسال بعثات للرد على مقترحات الخــان، لكن الأهم من هذه البعثات أنها أبرزت الأهداف الرئيسية لكلا الطرفين في القضاء على الخلافة العباسية، والممالك الأيوبية في مصر والشام.

لقد رحب الملك لويس التاسع بهذه البعثة، ولم يجد من جانبه غضاضة في الســير علــى نهــج سياسة البابا (أنوسنت الرابع) في التقرب والتحالف معهم، والواقع أن لويس التاسع كان يهــدف إلى تحقيق الغاية التي ترمي إليها الحروب الصليبية مــن تحويــل المغــول إلــى المســيحية الكاثوليكية؟ لهذا أكرم الملك الفرنسي مبعوثي (جغتاي خان) [3] مرحباً بفكرة التعــاون معــه ودعاهما لمشاركة اللاتين في احتفالاتهم في قبرس، ثم سمح لهما بالعودة إلى بلادهم فــي ســنة ٦٤٧هـ/٢٧ كانون الثاني ١٢٤٩م، وكان ذلك قبل مغادرته الجزيرة إلى مصر بأربعة أشــهر تقريباً، وأرسل معهما بعثة مكونة من ثلاثة من الإخوان الدومنيكان هم (أندريه دي لونكجيمــوه وليم دي لونكجيموه، وحنا الكركسوني) كانت الغاية من إرسال هذه البعثة هي استكمال البحــث حول تسيير جيش مغولي من الشرق ليحتل المشرق العربي الإسلامي، في الوقت الذي يهــاجم به لويس التاسع مصر عن طريق دمياط، وعندها لا تستطيع مصر نجدة الشرق، وســوف لــن تتمكن الجيوش الإسلامية في الشرق من مساعدة المصريين[4].

---

[1] - سانوتو : الأسرار، ج ٣٦، ص ٢٣٨.

[2] - العريني (السيد الباز) المغول، دار النهضة، بيروت، ١٩٨١م ، ص١٩٠

[3] - جغتاي أو جغطاي أحد الحكام المحليين للمغول

[4] - سانوتو: المصدر نفسه، ص١٠٥.

لقد حمل لويس التاسع البعثة الفرنسية هدايا ثمينة وأمالاً دينية وسياسية عريضة تهدف إلى القضاء على الإسلام والمسلمين، وتحقق الأطماع التوسعية لكل من المغول في العراق وأطماع الصليبيين في مصر وفلسطين والشام، أبحرت هذه البعثة من قبرس إلى أنطاكية، ومنها أخذت الطريق البري إلى الموصل وتبريز وصولاً إلى معسكر جغتاي (وسط فارس)[1] وخلال مدة غياب بعثه لويس التي طالت عامين من الزمن جرى خلالهما أحداث جسيمة أهمها الحملة على دمياط[2].

[1] - أمين : الغزو المغولي، ص١٦٦/ العريني: المرجع نفسه ، ص١٩٠

[2] - دمياط : مدينة حصينة جدا بمصر تقع على الجانب الأيمن للفرع الشرقي للنيل، اشتهرت دمياط بأنها مدينة صناعية في مجال النسيج وتصديره إلى الأسواق الخارجية فضلا على أنها أقرب الموانئ المصرية إلى بيت المقدس، ولعل ميناتها كان مغريا جداً لهؤلاء الفرنجة على قصده بالذات لأنه يؤدي بهم إلى القاهرة مباشرة / دي فتري (جاك) : المنتقى من تاريخ القدس، ص١٥٥/ المقريزي: السلوك، ج ١ ، ص٢٤٣-٢٤٤- ٢٤٥/ الفيتري : تاريخ بيت المقدس ، ص ٦١.

- الاستيلاء على دمياط ٦٤٧هـ/١٢٤٩م:

أقلعت الحملة الصليبية من قبرس، وبمشاركة ملك قبرس هنري الأول لويس التاسع شخصياً فيها في العشرين من أيار لعام ٦٤٧هـ /١٢٤٩م وغادر معهم الداوية والاسبتارية، ومعظم فرسان قبرس والشام اللاتينية، وقد مكثوا في البحر مدة أربعة عشر يوماً[١]، ولكن عاصفة بحرية تعرضت لها سفن الأسطول، فرقت على أثرها بعض السفن وجعلتها تصل إلى سواحل مصر تباعاً في فترات متعاقبة، وقد كانت مراكب لويس التاسع أولى السفن التي وصلت إلى دمياط صفر ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م فنزلوا البر واستولوا في ٦ حزيران على دمياط[٢] وتمكنوا بالقوة امتلاك برها، ففوجئ سكان المدينة بهذا النزول الصليبي، واضطربت أحوالهم، الأمر الذي جعلهم يخلون المدينة ويفروا تاركين بها المال والسلاح والمتاع[٣]أما ابن العبري فقال بأن أهل دمياط تملكهم الرعب عندما رأوا الفرنج محدقين بهم وبالمدينة، فأفرغوا المدينة من كل ما بها قبل أن يضايقهم الفرنجة ، ذهبوا بأهلهم وأموالهم جميعها إلى مصر[٤].

امتلك الصليبيون دمياط دون مقاومة تذكر حتى أن الملك الصالح أيوب اغتاظ لهذا الأمر وعاقب الكثير من حماة المدينة بالشنق[٥]، أما السبب في نجاح الصليبيين في الاستيلاء عليها فيعلله فارس داوي قائلاً: بأن سبب أخذ المدينة من المسلمين بهذه السهولة، بالرغم من أنهم كانوا منذرين ويعلمون قدوم ملك فرنسا إلى هذا الجانب من البحر، ومع ذلك لم تكن لديهم فكرة من أين ستوجه الضربة عليهم، ولهذا السبب اتخذوا قليلاً من الاحتياطات، وأخذوا بعامل المفاجأة، لذلك لم يكن هنالك مدافعون، فنصب رجال الصليبيين السلالم، وأسندوها إلى الأسوار وتسلقوا عليها من دون معارضة، لأن الذين كانوا بدمياط أناس قليلو العدد وعاديون[٦]، ودخل ملك قبرس مع ملك فرنسا إلى دمياط دخول المنتصر ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩م ، وهنا اكتشفوا بأن البلاد مليئة بالسلع المتنوعة وخاصة الأطعمة، وبناء عليه نهبوا كل شيء وجدوه واستراحوا

١- داوي : اعمال القبارصة ، ص٢٦/ ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص٢٩٣/ جوانفيل: القديس لويس، ص٩٠-٩١

٢ - داوي : المصدر نفسه، ص٢٦/ المطوي : الحروب الصليبية، ص١١٨/جوانفيل: المصدر نفسه، ص٩٢

٣ - داوي : المصدر نفسه، ص٢٧/ المطوي : المرجع نفسه، ص١١٩/ نسيم: العرب والروم، ص٩٠، ٩٣، ٩٤.

٤ - ابن العبري : المصدر نفسه، ص٢٩٣.

٥ - الذهبي : (الحافظ شمس الدين): تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، أحدث سنة ٦٤٦هـ/ ١٢٠٥م ، ص٨٢/جوانفيل: القديس لويس ص٩٥-٩٦.

٦- داوي : المصدر نفسه، ص٢٦.

لبعض الوقت[1]، وعندما سمع مسلمو القاهرة والإسكندرية باستيلاء الصليبيين على دمياط انزعجوا كثيراً، وخافوا على البلاد خوفاً عظيماً، وحشد السلطان بالقاهرة كل الفرسان والرجال الذين كانوا لديه للدفاع عن عاصمته ضد الصليبيين، ووضعوا خطة محكمة من أجل القضاء على الصليبيين.

لم يتجه الصليبيون مباشرة إلى القاهرة بعد احتلالهم دمياط، بل انتظروا بقية السفن الصليبية ليزدادوا قوة لكن هذا التأخير لم يكن من مصلحتهم، لأنه مكن المصريين فيما بعد من الاستعداد التام لملاقاة الصليبيين واستدراجهم إلى **المنصورة**[2] وأثناء ذلك عقد ملك فرنسا اجتماعاً تشاورياً مع البارونات الآخرين ليقروا العملية التي تمكنهم من الاستيلاء على بقية البلاد.

وبعد مشاورات طويلة قرروا القيام بغارة على المناطق المجاورة وتحطيم المسلمين حيثما تمكنوا[3] لما علم الصالح أيوب بأمر الحملة نزل اشموم طناح[4] سنة ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩م وجمع آلات الحصار في دمياط وجهز الأسطول ،وعهد إلى الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ بقيادة هذه القوات .

وصلت القوات الصليبية يوم الجمعة ٢٠ صفر للعام نفسه، وفي اليوم التالي لوصولهم بدأت الحرب بين الطرفين وخلال ذلك توفي الصالح أيوب شعبان ٦٤٧هـ /تشرين الثاني ١٢٤٩م فقدم ابنه تورانشاه (الملك المعظم) وأنقذ الموقف، فاستلم السلطة، وكان مسلك الصليبيين هو مسلك الحملة الصليبية الخامسة حيث تكثر الترع والخلجان، واستطاعت فرقة من فرسانهم دخول المنصورة ،حيث جرت معركة المنصورة فهزم الصليبيون[5]، وأسر الملك لويس التاسع

---

[1] - داوي : أعمال القبارصة، ص٢٧

[2] - **المنصورة** : مدينة ابتناها الملك الكامل وسماها بهذا الاسم عند مفترق البحرين الآخذ أحدهما إلى دمياط والآخر إلى اشموم طناح.

أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج٣، ص١٨/ المطوي: الحروب الصليبية، ص١١٨ /

البغدادي : مراصد الاطلاع ، ج٤ ، ص ١٣٢٢

[3] - pernoud lafamme autemps.p227-225

[4] - **اشموم طناح**: تقع على الشاطئ الشرقي للبحر الصغير واسمه بحر اشموم وهي ذات حمامات وأسواق.

نسيم: العدوان الصليبي على مصر، ص٨١ ووردت عند النويري ب اشمون الرمان

انظر النويري: الإلمام،ص٢٥

[5] - ذكر pernoup مجموعة من الأسباب التي أدت إلى إخفاق الفرنج في المنصورة هي الأمراض التي أصيب بها الفرنج من الأسقربوط والديزانتاريا حتى مرض الملك نفسه، بالإضافة إلى انخفاض الروح المعنوية للجنود الفرنج.

pernoup ,lafamme,p.227

ملك فرنسا، لقد كان للمماليك البحرية المقام الأول في الحرب والقتال، خصوصاً بيبرس البندقداري[1]، واستمرت المعارك مع الصليبيين بقيادة المماليك إلى أن قدم توران شاه إلى المنصورة، وقاد الحرب، ومن ثم جرت اتصالات بين الفرنجة والأيوبيين من أجل إطلاق سراح الملك الفرنسي فتم الاتفاق على:

١- أن يدفع ملك فرنسا فدية مقدارها ثمانون ألف دينار.

٢- أن يسلم دمياط للمسلمين دون قيد أو شرط .

٣- إطلاق سراح جميع الأسرى من الجانبين[2].

وهنا يمكن القول: صحيح أن ملك قبرس شارك في الحملة على دمياط، لكنه لم يشارك ملك فرنسا الأسر وقدر له النجاة من المسلمين، وعاد فاراً إلى قبرس حيث مات فيها سنة ٦٥١هـ / ١٢٥٣م تاركاً العرش لابنه هيو الثاني(٦٥١-٦٦٦هـ/١٢٥٣-١٢٦٧م) الطفل ذي الأشهر القليلة.

وبعد أن أطلق سراح ملك فرنسا توجه بمن معه إلى عكا، حيث بقي فيها أربع سنوات قضاها في تنظيم الإمارات الصليبية وأخذ يعمل على تحصين مواقعها، وعقد محالفة مع سنان شيخ الجبل، ليضمن الملك لويس وقوف مقدم الإسماعيلية على الحياد في الصراع الدائر بينه وبين المسلمين[3]، كما تقرب من التتار ثم عادت بعثة لويس التاسع التي ذهبت إلى بلاد المغول إلى مدينة قيسارية، إذ كان لويس التاسع قد انتقل إليها من عكا بقصد تحصينها، وجاء بصحبتهم سفراء من قبل ايلخان[4] المغول ، ومعهم رسالة متعالية يطلب فيها سيدهم من الملك الفرنسي الإسراع بتقديم الهدايا، والضرائب كسباً لصداقته، وضماناً لإقرار السلام بينهما لكن تبين

---

[1] - راجع عن موقع المنصورة وعودة دمياط للمسلمين ابن دقماق: نزهة الأيام في تاريخ الإسلام، تحقيق د.سمير طيارة المكتبة العصرية بيروت ط١ /١٩٩٩م، ص١٩١-١٩٢

[2] - مقديش (محمود) : نزهة الأقطار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق علي الزواري ، دار الغرب الإسلامي، مجلد(١) ط ١٩٨٨م بيروت، ص٤١٦ / المطوي: الحروب الصليبية ، ص١٢٢/ عاشور: قبرس والحروب الصليبية ، ص٤٣.

أما في تاريخ الزمان فقد ذكر ابن العبري بأن الملك المعظم استحضر ملك فرنسا من الأسر ، وكان الراي أن يستحلف الفرنجة بأنه منذ الأن إلى مائة وعشرين سنة لا ينازل العرب لا هو ولا أخوته ولا أبناؤهم ولا حفدتهم واستحضر ملك فرنسا إليه واستحلفه وأجزل له العطاء وسرحه / ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٢٩٤.

[3] - نسيم: العدوان الصليبي على مصر، ص٢٥٢

[4] - **الايلخان** : هو نائب الخان الكبير الذي له السيادة على جميع ممالك جنكيز خان.

العريني: المغول، ص٣٢٦ والخان أو الخاقان هو ملك التتار

ابن دقماق(صارم الدين ابراهيم): نزهة الأنام في تاريخ الاسلام ، دراسة و تحقيق سمير طيارة ، المكتبة العصرية، بيروت،١٩٩٩م، ص٢٩١

للمغول أن ملك فرنسا لا يقبل أن يكون تابعاً للمغول، ولاسيما لأنه يعد نفسه سيد العالم،وهكذا أخفقت البعثة في تحقيق أغراضها .

فعادت بعثة لويس التاسع دون أن تكسب المغول إلى الغرب، أو حتى أن تضمن تعاونهم معهم في حملة صليبية مشتركة ضد المسلمين ، ولكن أوضحت هذه البعثة للملك إمكانية نجاح بعثات التبشير بين المغول ولم يلبث أن أرسل لويس التاسع بعثة ثانية إلى المغول لأن الظروف باتت مواتية لتقوية العلاقات بين الصليبيين والمغول، فقد وجدا أنهما أمام خصم عنيف يتمثل في مماليك مصر البحرية، الذين ألحقوا بلويس التاسع ورجاله شر هزيمة، وأقاموا ملكهم على أنقاض دولة الأيوبيين في مصر، كما أدركا أن مصلحتهما تقضي تعاونهما لمجابهة هذا الخطر الجاثم، وكان لويس التاسع يدرك من ناحيته أطماع المغول في بلاد المسلمين بعد إرسالهم إليه بعثة في قبرص هذا فضلاً عن آماله الواسعة في إمكان كسب المغول إلى دينه[1]، وأرسل ملك فرنسا إلى البابا عله يجد مساعدة، إلا أنه لم يلق استجابة مما اضطره للعودة إلى فرنسا وخاصة بعدما علم بوفاة والدته، وهكذا كانت نهاية هذه الحملة[2].

---

[1] - أمين: الغزو المغولي، ص١٦٩,١٦٨/ العريني: المغول، ص١٩١.

[2] - ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٢٩٥/ المطوي: الحروب الصليبية، ص١٢٢/ إسماعيل علي: تاريخ بلاد الشام، ص٦١٦.



الفصل الثالث

(قبرس ودولة المماليك الأولى)

(٦٤٨-٧٨٤هـ/١٢٥٠-١٣٨٢م)

١- قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام (٦٤٨هـ/١٢٥٠م).

٢- جهاد الظاهر بيبرس ضد الأرمن والمغول والصليبيين.

٣- توقيع الهدنة بين (إيزابيلا وبيبرس)٦٦٧هـ/١٢٦٨م.

٤- توحيد التاجين سنة (٦٦٨هـ/١٢٦٩م).

٥- محاولة السلطان بيبرس فتح قبرس (٦٦٩هـ/١٢٧٠م).

٦- دور قبرس في حماية عكا (٦٩١هـ/١٢٩١م).

٧- العلاقات السياسية بين قبرس و كل من المغول و أرمينيا .

٨- النزاع بين ملك قبرس هنري الثاني و شقيقه أملريك صاحب صور سنة (٧٠٦هـ/١٣٠٦م).

٩- القبض على الداوية و محاكمتهم في قبرس سنة (٧٠٨هـ/١٣٠٨م).

١٠- انتقال الإسبتارية من جزيرة قبرس إلى جزيرة رودس وأثر ذلك على الوضع التجاري والسياسي لقبرس (٧٠٨هـ/١٣٠٨م).

١١- حكم هيو الرابع لقبرس (٧٢٥-٧٦٠هـ/١٣٢٤-١٣٥٨م).

١ – قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام :

توافق انتهاء الحملة الصليبية السابعة، مع حدث تاريخي آخر في مصر والشرق كله، ألا وهو وصول المماليك إلى الحكم، فقد شهدت الجبهة العربية الإسلامية الداخلية مزيداً من التفكك بعد وفاة صلاح الدين الأيوبي٥٨٩هـ/ ٣ آذار ١١٩٣م، في الوقت الذي كانت فيه المنطقة تتعرض لضغط الفرنج الصليبيين، وبلغ الصراع الأسري أوجه بين الحكام الأيوبيين من جهة، وبينهم وبين بقايا السلاجقة من جهة أخرى[١] مما دفع بهؤلاء الحكام إلى استقدام أعداد من الرقيق الأبيض عرفوا باسم (المماليك) وتطلع العالم العربي الإسلامي إلى هذه الدولة الجديدة لتقوم بالدور الذي قام به الأيوبيون وجهادهم ضد الفرنج الصليبيين.

إن الظروف التي قامت فيها دولة المماليك جاءت نتيجة مباشرة لحملة لويس التاسع على مصر في أواسط القرن ٧هـ/١٣م، فالمماليك هم أول من أنزل الهزيمة بلويس وجنوده في المنصورة، مما أكسبهم مكانة ساعدتهم في القضاء على سادتهم بني أيوب، وأقاموا دولة حملت اسمهم في التاريخ[٢] تلقى المماليك تربية متقنة قائمة على الفروسية والنظام العسكري الصارم المرتبط بالإقطاع الحربي، ساهم في خلق بيئة اجتماعية خاصة بهم، وأسسوا دولة مترامية الأطراف شملت مصر وبلاد الشام، تخلل مدة حكمهم مراحل من الجهاد العربي الإسلامي للدفاع عن الدين والأرض ضد الأخطار التي هددت المنطقة[٣].

عندما ظهرت دولة المماليك في مصر، كان عليها مواجهة قوتين كبيرتين لا يستهان بهما هما: المغول والصليبيون[٤]، فقد استطاع المغول بقيادة– هولاكو– دخول بغداد سنة

---

[١] – عن سقوط الدولة الأيوبية ونشوء الدولة المملوكية انظر:
ابن عبد الظاهر(محي الدين) : تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، حققه د. مراد كامل، الجمهورية المتحدة وزارة الثقافة، ط ١، ١٩٦١م، ص٣٥، ٣٦، ٣٧/ عاشور : قبرس والحروب الصليبية، ص٤٤.

[٢] – المماليك : هم في الأصل رقيق من أصول قفجاقية، تركية أو شركسية من جنوبي روسيا والقوقاز وصلوا عن طريق الشراء والهدايا، وفي القاهرة خضعوا لتدريب وتربية عسكرية دينية لعدة أعوام ، وإذا أنهي تدريبهم جرى تحريرهم.
ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، دراسة دوروديتا كرافولسكي، المركز الإسلامي للبحوث ، ط ،١٩٨٦م، ص٤٠، ٤٥ ، ٤٦

[٣] – طقوش : تاريخ المماليك في مصر و بلاد الشام ، دار النفائس ١٩٩٧م ، ص ٧،٨،٩/ شبارو: تاريخ بيروت، ص٧٧.

[٤] – عاشور : قبرس والحروب الصليبية، ص٤٤/ شبارو: تاريخ بيروت، ص٨٥

٦٥٦هـ/١٢٥٨م، ثم حلب ودمشق سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م، وحاول هؤلاء الاستيلاء على مصر، فتصدى لهم المماليك وأنزلوا بهم الهزيمة في موقعة -عين جالوت[1]- سنة (٦٥٨هـ/١٢٦٠م) ثم لحقوا بهم وحرروا إمارات الأيوبيين في الشام من الفرنج، فوحدوا بذلك مصر والشام، وفي الحقيقة لم يكن سلاطين المماليك أقل حماسة في طرد الصليبيين في الشرق من أسلافهم الأيوبيين وقد أعقب إخفاق الحملة الصليبية السابعة، وطرد قائدها لويس التاسع ملك فرنسا من مصر، فترة سكون وخمول حتمتها الظروف المحيطة بالمسلمين والصليبيين، كانت خلالها دولة المماليك إذ ذاك جادة في تثبيت مركزها شأن كل دولة في طور التكوين، كذلك كانت الفتن الداخلية المنتشرة في الإمارات الصليبية في الشام، عاملاً قوياً في انصرافهم عن متابعة حروبهم مع المسلمين وساعد على إطالة مدة السكون من جانب الفرنج الصليبيين عوامل عدة أهمها:

١- انعدام الروح الدينية بين أمرائهم .

٢- كثرة تنازع هؤلاء الأمراء فيما بينهم .

٣- فتور الحماس الديني في أوربا.

٤-عدم تأسيس جيش ثابت منظم لهذه الإمارات يدافع عنها .

٥-عدم وجود سلطة مركزية تربط هذه الإمارات بعضها ببعض[2].

وهنا يمكن القول: إن العصر المملوكي هو العصر الذي أصبحت فيه مصر وبلاد الشام مركزاً للتجارة العالمية والطريق الرئيسي لتجارة الشرق وبوابة العبور إلى أوربا[3] الأمر الذي يفسر مصدر تلك الثروة الواسعة التي تمتع بها المماليك، كما يفسر أهم الأسباب التي دفعت بالمغول والفرنج الصليبيين للسيطرة على مصر، وهذا ما سوف تثبته الأحداث.

---

[1] - **عين جالوت** : اسم أعجمي وهي بليدة بين بيسان ونابلس من أعمال فلسطين استولى عليها الروم ثم حررها صلاح الدين ص٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م الحموي : معجم البلدان، مج ٤ ، ص ١٧٥.
وللمزيد عن هذه المعركة انظر ابن عبد الظاهر : الروض الظاهر في سيرة الملك الظاهر ، الرياض ط ١ ،١٩٧٦، ص٦٥/ ابن العميد : أخبار الأيوبيين ، مكتبة الثقافة الدين مصر ، بدون تاريخ، ص٥٣/ المقريزي : السلوك ، ج ١، قسم ٢ ، ط ٢/ ١٩٥٧ ص ٤٥ وما بعدها .

[2] - إبراهيم حسن: تاريخ المماليك البحرية، ص١٣٩

[3] - طقوش: تاريخ المماليك، ص٩/ شبارو: تاريخ بيروت، ص٨٥

٢ - جهاد الظاهر بيبرس ضد الأرمن و المغول و الصليبيين:

لم يبق للصليبيين إلا بعض الإمارات في ساحل الشام، حيث لم يتم إجلاؤهم بالكلية، فكان للسلطان الظاهر بيبرس[1] (٦٥٨-٦٧٦هـ /١٢٦٠-١٢٧٧م) وخلفائه دور كبير في القضاء على الصليبيين، وإزالة ملكهم عن بلاد الشام بالكلية، فلم يهدأ له بال، ولم تستكن له سكينة وهو يرى البلاد الإسلامية مهددة من قبل الصليبيين والمغول، وقد بلغت قوته ذروتها، وجعلت الأعداء يحاولون طلب الصلح معه[2]، ولقد كان هناك دولة للأرمن جنوب بلاد الأناضول وقد كانوا حلفاء للمغول والصليبيين معاً، ومن هنا أدرك الظاهر بيبرس أن أي عمل يقوم به ضد الأرمن و الفرنج الصليبيين، سيكون بالتالي محرضاً للتتا ر للقدوم إليهم ومساعدتهم، لذلك خطط تخطيطاً حربياً ليأمن جانب التتار، ويتفرغ للفرنج الصليبيين، فلا تزال للتتار دولة قوية في الشرق تحت إمرة حاكمهم - هولاكو، واتفق هولاكو مع ملك أرمينيا (هيثوم)على أن يساعدهم في أخذ بيت المقدس، مقابل أن يساعدوه على تحطيم الإسلام والمسلمين[3]، لكن المغول لم يخضعوا كلهم لهولاكو، فهناك طائفة منهم تسمى مغول القفجاق (أو القبيلة الذهبية)[4]، وزعيمهم بركة خان الذي اعتنق الإسلام ، لذا اغتنم بيبرس هذه الفرصة ليكاتبه و يحرضه على قتال هولاكو، فاستجاب له بركة خان، وقاتل هولاكو حتى شغله عن المسلمين وأضعفه، وفرق جنده، ثم التفت بيبرس إلى الصليبيين.

وسار السلطان الظاهر بيبرس من مصر سنة ٦٦٤هـ / ١٢٦٥م قاصداً الجهاد ونزل في عين جالوت، وأرسل عدة جيوش أغاروا على عكا وصور وطرابلس وحصن الأكراد(قلعة الحصن)

---

[1] - هو ركن الدين بيبرس العلائي البندقداري الصالحي النجمي وهو الرابع من ملوك الترك، وتسلطن بعد مقتل الملك المظفر قطز يوم السبت خامس عشر ذي العقدة سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م وتوفي ليلة الأربعاء سنة ٦٧٦هـ / ١٢٧٧م، وكانت مدة سلطنته بالديار المصرية والشام سبع عشر سنة وشهرين ونصف

ابن إياس (محمد): بدائع الزهور في وقائع الدهور، ص٣٠٨، ٣٣٨/ المقريزي السلوك،ج ١ ، قسم (٢) ، ص ٤٣٦/ ابن عبد الظاهر: تشريف الأيام ، ص٣٥-٣٦-٣٧

[2] - إبراهيم (حسن): تاريخ المماليك البحرية، مكتبة النهضة المصرية ،١٩٤٨م ، ص ١٣٩

[3] - أمين: الغزو المغولي، ص١٢١.

[4] - أطلق هذا الاسم على المغول الذين أقاموا في البلاد التي منحها جنكيز خان قبل وفاته لابنه الأكبر جوجي وتشمل سهول جنوب روسيا وأقصى غرب آسيا وسيبريا فيما بين نهر أتش والسواحل الجنوبية لبحر قزوين سمي هؤلاء باسم (القبيلة الذهبية) لأن خيام معسكراتهم ذات لون ذهبي.

أبو شامة : عيون الروضتين في أخبار الدولتين ، ص ٦٢,٦٤

وفتح الظاهر بنفسه مدينة صفد وحقق نصراً باهراً على الصليبيين[١]، وبعدها عاد الظاهر بيبرس إلى دمشق بعد أن وجه جيشاً لقتال الأرمن الذين ناصروا المغول حينما غزوا الشام واستنجدوا بهم أيضاً حينما أراد بيبرس فتح أنطاكية (أقوى الإمارات التي كانت متحالفة مع التتار) والتقى الجيشان عند دربساك (قرب أنطاكية)، وأنزل المسلمون بالأرمن وحلفائهم هزيمة كبرى.

استولى خلالها الظاهر على عدد من بلدانهم المهمة، ولاسيما العاصمة سيس (عاصمة الأرمن الصغرى)، رجع المسلمون بغنائم كبيرة ووافرة وأسرى كان من بينهم (ابن هيثوم ملك أرمينيا الصغرى) وبهذا استطاع بيبرس إضعاف قوة أرمينيا ، وحصرها بحيث لا تستطيع أن تنجد أعداءه ولا أن ينجدوها[٢]، وهذا كله في الوقت الذي كان فيه غرش قبرس يعاني من تقلقل وفوضى سياسية، ولاسيما في عهد حكم هيو الثاني لقبرس (الطفل الرضيع ذو البضعة أشهر) سنة ٦٥١هـ / ١٢٥٣م، الأمر الذي أثار مشكلة الوصاية لذلك قامت الملكة الوالدة (بلاكنتيا) الوصية على الملك بالزواج من باليان ابلين صاحب أرسوف، فأسندت الوصاية على الملك هيو الثاني إلى قريبه(هيوج الثالث لوزينيان الأنطاكي)[٣] في الوقت الذي كان فيه بيبرس يقوم بهجومه الكبيرعلى القوى الصليبية، الأمر الذي دفع بالوصي في سنة ٦٦٤هـ / ١٢٦٥م إلى إرسال نجدة كبيرة للفرنجة من قبرس قدرها المقريزي نحو ألف و مائة فارس[٤] لكنها وصلت متأخرة، فلم يستطع القيام بأي شيء ضد فتوحات بيبرس، ولاسيما بعد استيلائه على قيسارية، وحيفا، وأرسوف، مما أدى إلى اشتداد الخلاف بين البنادقة والجنوية من جهة، وبين الداوية و الاسبتارية من ناحية أخرى، وظل هيو وصياً على عرش قبرس حتى سنة ٦٦٦هـ / ١٢٦٧م، أي سنة تحرير أنطاكية على يد بيبرس، ولا شك أن الوضع المتقلقل في قبرس شكل خطراً

١- أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٢٤ / المقريزي : السلوك ، ج ١ قسم ٢ ، سنة ٦٥٩هـ / ١٢م ، ص ٤٦٥ .

٢- ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ١ ، قسم ١ ، سنة ٦٦٤هـ /١٢٦٥م ، ص ٦٦٤ .

٣- هيو الأنطاكي: هو الشقيق الأصغر لبوهمند الخامس أمير أنطاكية وطرابلس ، توفي سنة ٦٧٥هـ/١٢٧٦م كان ابناً لايزابيلا شقيقة هنري الأول ملك أنطاكية ، و كان هيو الأبن الأصغر لبوهمند الرابع انظر اديوري : قبرص والحروب الصليبية، ص٧٦

٤- المقريزي : السلوك ، سنة ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦م ص ٥٥٤ ـ ٥٥٥/ عاشور : قبرس والحروب الصليبية ، ص ٤٦ / سميث : الاسبتارية، ص٣١٢

كبيراً في الوقت الذي قبل فيه المغول التحالف مع الفرنجة الصليبيين للقيام بحملة مشتركة ضد مصر[1].

٣- توقيع الهدنة بين (إيزابيلا وبيبرس) سنة ٦٦٧هـ / ١٢٦٨م :

وكنتيجة حتمية لانتصارات بيبرس العظيمة والفتوحات التي حققها، خشي حكام بيروت الفرنجة من هذا الأمر، فتسارعوا إلى عقد هدنه مع المماليك، وتم توقيعها في٦رمضان سنة ٦٦٧هـ/ ١٢٦٩م بين إيزابيلا سيدة بيروت والظاهر بيبرس لمدة عشر سنوات، هذا وقد أورد القلقشندي نصوص هذه الهدنة، و نلاحظ أن كثيراًمن أسماء مدن في بيروت، و أحيائها ما زالت باقية حتى اليوم مثل(جونية، سن الفيل، انطلياس، خلدة ٠٠٠٠و غيرها)[2]، وفيما يلي نص هذه المعاهدة :"استقرت الهدنة المباركة بين السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس، و بين الملكة الجليلة المصونة الفاخرة، فلانة بنت فلان، مالكة بيروت وجميع جبالها وبلادها التحتيسة مدة عشر سنين متوالية، أولها يوم الخميس سادس رمضان سنة سبع وستين و ستمائة على بيروت و أعمالها المضافة إليها، الجاري عادتهم في التعرف فيها في أيام الملك العادل أبي بكر بن أيوب و أيام ولده الملك المعظم عيسى، و أيام الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز والقاعدة المستقرة في زمنهم إلى آخر الأيام الظاهرية، و ذلك مدينة بيروت و أماكنها المضافة اليها: ولا يمنع أحد منهم من العود إلى مستقره، و بذلك شمل هذه الهدنة المباركة الخط الشريف حجة فيها، والله الموفق في تاريخ كذا "[3] كانت إيزابيلا الابنة الكبرى لجان دي إبلين الثاني وقد خلفته بعد وفاته في حكم بيروت والجبال المحيطة بها.

---

[1] ١- عاشور : قبرس و الحروب الصليبية ، ص ٤٧.

٢- شبارو:السلاطين في المشرق العربي، ص٢٠

[3] - القلقشندي : صبح الأعشى ، ج١٤، ص٤٣ / بيبرس المنصوري : تاريخ الدولة الأيوبية و دولة المماليك ، حققه عبد الحميد حمدان ، الدار المصرية اللبنانية ،١٩٩٣م ص ٤٦.

وأصبحت حاكمة بيروت سنة (٦٦٢ – ٦٨٠هـ / ١٢٦٤- ١٢٨٢م) وكان يساندها في حكم المدينة زوج أختها (آشيف) همفري دي مونتفرات، أو ما عرف باسم (صاحب بيروت) لأنها لم تكن متزوجة.

لقد حطمت انتصارات المماليك العظيمة بقيادة بيبرس معنويات الفرنجة الصليبيين وخاصة بعد تحرير أنطاكية سنة (٦٦٦هـ / ١٢٦٨م) بدليل أن بعض القوى الصليبية سارعت إلى عقد هدنة مع السلطان بيبرس على أساس المناصفة أو المشاركة معه في غلات بلادهم ومنتجاتهم[١] بالمقابل لجأ بيبرس عند الضرورة إلى توقيع المعاهدة و الهدنات مع الصليبيين لكن هذا الأمر لم يمنعه من خرق هذه الهدنات أن أراد ذلك، ولعل من أطرفها تلك الهدنة التي عقدت بين السلطان بيبرس وايزابيلا أطلقت عليها المراجع العربية اسم " الدبونة " وهو تعريب لاسم البيت الحاكم في بيروت (دي ابلين) فبعد أن أمن همفري جماعة من التجار المصريين كانوا في طريقهم إلى قبرس، حين احتاج مركبهم إلى إصلاح، عاد فغدر بهم، وأمسكهم وقام بإرسال مندوبين من قبلها إلى السلطان بيبرس على صفد، فطلب منهم السلطان أن يحضروا إليه مال هؤلاء التجار وثمن مركبهم وإطلاق سراحهم، فأجابوا طلبه وعقد الصلح[٢].

٤ – توحيد التاجين قبرس وبيت المقدس(سنة ٦٦٨هـ / ١٢٦٩م) :

وفي سنة ٦٦٦هـ / ١٢٦٧م توفي الملك هيو الثاني ملك قبرس، وباتت الظروف "الآن مغايرة تماماً، وتغير الموقف لصالح الفرنجة، ولتتزعم قبرس القوى الصليبية في الشرق إثر ذلك، إذ خلفه على العرش الوصي هيو الثالث، الذي لم يلبث أن توج أيضاً في صور ملكاً على بيت المقدس سنة ٦٦٨هـ /١٢٦٩م، وبذلك تم توحيد المملكتين من جديد على يديه تحت تاج واحد.
لقد كان هيو الثالث (٦٦٦-٦٧٥هـ/١٢٦٧-١٢٧٦م) رجلاً نشيطاً محباً للمهمات الصعبة التي أوكلت إليه، ومثال ذلك حين قبض على رسل السلطان بيبرس بعد إعطائهم الأمان وهم في

١- القلقشندي : صبح الأعشى ، من ص٤٣ إلى ص ٤٦ / بيبرس المنصوري : تاريخ الدولة الأيوبية و دولة المماليك ، ص ٣٧ ، ٤٦/ ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات، حققه قسطنطين زريق ، المطبعة الامريكانية ، بيروت ١٩٤٢م مج٧ ، ص ٣٥/ شبارو (عصام): السلاطين في المشرق العربي، دار النهضة، بيروت، ١٩٩٤ص٢٠

٢- ابن عبد الظاهر : تشريف الأيام ، ص ٢٨٣ ، ٢٨٤ / المقريزي : السلوك ، ج ١ ، ص٥٥٩

طريقهم إلى سلاجقة الروم عن طريق قبرس، ولما كان بيبرس منهمكاً بتوطيد سلطته، اكتفى بمعاتبة بعض الزعماء الصليبيين على غدر صاحب قبرس له، ومن ذلك الخطاب الطويل الذي تعرض فيه للملك هيو الثالث بالنقد والتحقير الشديد له، ثم تلى بيبرس وعيده بالتفكير في غـزو قبرس تأديباً وتلقين هيو درساً لن ينساه في حياته، فأخذ يعد العدة لذلك، وسرعان ما سنحت لـه الفرصة سنة ٦٦٩هـ/١٢٧٠م عندما علم بقدوم هيو الثالث إلى عكا تفقداً لأحوالها، ولشـؤون مملكة بيت المقدس، لذلك أراد انتهاز الفرصة، ومداهمة الجزيرة في غيابه[1].

٥- محاولة السلطان بيبرس فتح قبرس (٦٦٩هـ/١٢٧٠م):

أخذت دولة المماليك تحس إحساساً شديداً بالضغط البحري الذي تمارسه المملكة اللوزينيانية في قبرس، سواء من ناحية مساعدة البقايا الصليبية بالشام، أو من ناحية قطع الطريق على السـفن الإسلامية في عرض البحر، وما كاد بيبرس يطمئن على قوة أسطوله، حتى عزم على تأديـب قبرس وملوكها، وواتته هذه الفرصة فأرسل إليها في شهر شوال حملة عدتها سبع عشرة سفينة كبيرة يقودها الرئيس البحري **ابن حسون**[2]، بعد أن أعد خدعة حربية محكمة، وهي أنـه قـام بطلي السفن الإسلامية بالقار (اللون الأسود) مثلما كان يعمل الصليبيون في سـفنهم، ورسـم عليها صلباناً حتى تنطلي الحيلة على القبارسة غير أن ريحاً عاتية هبت على السفن وألقتها على مقربة من ليماسول، بعد أن اصطدمت بالجبال وانكسرت واحدة بعد واحدة، بلغ تعـدادها أحـد عشر شينياً (سفينة)، فشعر بهم أهالي قبرس، وعرفوا من صياح البحارة أنها سفن إسلامية، و لكن الفرنج كانوا إذ ذاك بالمرصاد، فأخذوها وأسروا من كان فيها من الرؤسـاء[3] والرجـال والصناع والقواد ورجال الملاحة[4] (وكانوا زهاء ألف وثمانمائة نفـس) حسـب تقـدير أبـي

---

[1]- المقريزي : السلوك : ج ١ ، قسم٢، ص٤٨٧,٤٨٦,٤٨٥/عاشور : قبرس والحروب الصليبية، ص٤٧,٤٦/النويري: الإلمام، ص١٢٤
فارس داوي : أعمال القبارصة ، ص٦٦٤ ،أحداث سنة ٦٧٠هـ/١٢٧١م.

[2]- **ابن حسون** : هو جمال الدين مكي بن حسون المقدم والريس البحري من مصر، وكان معه في هذه الحملة ناصر الدين عمر بن منصور رئيس مصر وشهاب الدين محمد بن إبراهيم بن عبد السلام رئيس الإسكندرية وشرف الدين علوي بن أبي المجد بن علوي العسقلاني رئيس دمياط.
أبو المحاسن: النجوم الزاهرة،ج ٧ ، ص١٣٩ سنة ٦٦٩هـ/ ١٢٧٠م

[3]- المقريزي :السلوك ، ج ١، قسم ٢ ، ص٥٩٤,٥٩٣,٥٩٢/ أبو المحاسن :النجوم الزاهرة، ج ٧، ص١٣٩

[4]- المقريزي: المصدر نفسه، ج ١، ص٥٩٤,٥٩٣/ بيبرس المنصوري : تاريخ الدولة الأيوبية، ص٥٢/ بيبرس المنصوري: التحفه الملوكية، ص٧١/ زيتون: تاريخ المماليك ص٢٠٦/ رنسيمان: تاريخ الحروب، ج ٢، ص٥٧٣

المحاسن[١] أما الشواني الستة الباقية، فإنها نجت وعادت سالمة وعليها الرئيس ابن حسون[٢] عندها أرسل ملك قبرس يعيب على بيبرس انكسار سفنه و يوبخه ، فرد عليه بيبرس برسالة طويلة مفادها (و ما العجب أن يفخر بالاستيلاء على حديد و خشب، وإنما الاستيلاء على الحصون الحصينة هو العجب ٠٠٠وما النصر بالهواء المليح، و إنما النصر بالسيف هو المليح، ونحن ننشئ في يوم واحد عدة قطائع، ولا ينشأ لكم من حصن قطعة، ونجهز مائة قلع، ولا تجهز لكم في مائة سنة قلعة، وكل من أعطى مجدافاً جدف، وما كل من أعطى سيفاً أحسن الضرب به أو عرف٠ وإنما أنتم خيولكم المراكب ونحن مراكبنا الخيول ٠٠ولو أن في الملك سكوناً، كان من الواجب عليه (أي هيو الثالث) أن سكت و ما تكلم[٣]) وفي هذا اعتراف صريح بأن أساس قوة دولة المماليك فرسانها وجيوشها البرية لا أساطيلها البحرية[٤]، كما اتضح من ذلك الخطاب أنه رغم طرافته تضمن اعترافاً صريحاً من بيبرس بالتفوق البحري لخصمه بدليل قوله: " أنتم خيولكم المراكب ، و نحن مراكبنا الخيول" ٠

ولم يشأ بيبرس إلا أن يجعل من الهزيمة نصر إذ قال: " الحمد لله ، منذ ملكني الله تعالى الملك ما خذلت لي راية، أخاف من إصابة عين، فبهذا ولا بغيره[٥] " وفي هذا الخطاب من القناعة والكلام الممتع يعرف فيه صاحب قبرس أنه إذا "(كان قد أخذ السفائن ، فقد أخذت من أصحابه المدائن، وإن كان قد تمكن من قرايا مكسورة فقدحصل التمكن من ضياع أهله وقرى معمورة[٦]").

مما لا شك فيه أن المسلمين افتقروا إلى الملاحين المهرة، لذلك لم يكن عجيباً أن يهتم السلطان بأمر الأسطول، وتحويل المعارك من برية إلى بحرية، لكن هذه الحادثة دفعتهم قدماً، وجعلتهم

ملاحظة : لم يذكر رنسيمان أن السبب في تحطيم السفن الإسلامية سببه ريحاً شديدة، إنما عزى ذلك إلى افتقار المسلمين للملاحين المهرة وأكد عليه فارس داوي بأنه نتيجة لخطأ القبطان وليس لسبب آخر .

فارس داوي: أعمال القبارصة ، ص٤٩، ص٦٦٤/ رنسيمان:المرجع نفسه، ص٥٧٣.

[١]- بيبرس المنصوري: التحفه الملوكية ، ص٧١

[٢]- أبو المحاسن : المصدر نفسه،ج ٧ ، ص١٣٩

[٣]- المقريزي : السلوك ، ج٢، ص ٥٩٤/ عاشور: قبرس و الحروب الصليبية، ص ٤٧-٤٩

[٤]- زيتون : العلاقات الاقتصادية، ص٢٠٦

[٥]- المقريزي : السلوك ، ج١، ص٥٩٤

[٦]- بيبرس المنصوري: : تاريخ الدولة الأيوبية، ص٧١

يصبون اهتماماً أكبر، ومراعاة لشؤونهم البحرية، الأمر الذي جعل السلطان يشرف على عمارة الشواني ومباشرتها بنفسه[١]،الأمر الذي يثير التساؤل التالي: إذا كان السلطان بيبرس بعد هزيمته تلك قد صمم على إعادة بناء أسطوله و إشرافه على عمارته بنفسه، فلماذا لم يعاود فتح قبرس مجدداً رغم استعداده البحري لذلك ؟ في الحقيقة لم يحاول بيبرس غزو قبرس مرة ثانية ولعل ذلك راجع إلى انشغاله بمجابهة أخطر وأشد من الخطر الصليبيي ألا وهو الخطر المغولي فكان عليه أن يؤمن حدوده الشرقية حتى ولو كان على حساب انتقامه من القبارسة في الجبهة الغربية ، وربما كانت قوة هيوج الثالث والصليبيين أقوى من قوة بيبرس لذلك أراد التأني في الإغارة عليها مجدداً؟.

وفي سنة ٦٧٠ هـ / ١٢٧٢م أي بعد ثلاث سنوات من عقد الهدنة السالفة الذكر، تزوجت سيدة بيروت إيزابيلا من هامو الغريب estrenge[٢] hamo الذي أوصى قبل وفاته بوضع زوجته سيدة بيروت تحت حماية السلطان بيبرس خشية عليها من مطامع هيو الثالث ملك قبرس وصارت سيدة بيروت كلما سافرت إلى قبرس، تذهب إلى لقاء السلطان بيبرس، وتترك مملكتها وديعة بين يديه إلى حين عودتها، غير أن مطامع هيو الثالث جعلته يقدم على خطف ايزابيلا بعد وفاة زوجها سنة ٦٧١هـ /١٢٧٣م، كي يزوجها في قبرس من الشخص الذي يختاره لها ليستغلها كوريثة للعرش في تنفيذ مشاريعه الصليبية في الشرق[٣] ذلك أن ايزابيلا تزوجت وهي صغيرة من ملك قبرس هيو الثاني الذي مات قبل أن يعقد عليها، ولكن السلطان بيبرس احتج على هذا العمل، وهدد بضرورة تنفيذ وصية هامو زوج ايزابيلا، فاضطر الملك هيو الثالث أن يعيد ايزابيلا إلى بيروت ، بعد أن اتخذت لنفسها حرساً من المماليك[٤]، وهذا الأمر إن دل على

١- بيبرس المنصوري: تاريخ الدولة الأيوبية ، ص ٤٦.

٢- ورد اسمه لدى بعض المراجع ب **هامو لاترانج** انظر شبارو: السلاطين في المشرق ، ص٢٠

٣- ذكر ابن الفرات بأن ملك قبرس وعكا أعمل الحيلة لملكة بيروت فطمع فيها وسيرها إلى قبرس بعد وفاة زوجها وبقيت مملكتها بغير صاحب تاريخ ابن الفرات : مجلد ٧ / ص ٣٥ سنة ٦٧٣هـ /١٢٧٥م .

٤- القلقشندي : صبح الأعشى ،ج ١٤ ، ص ٤٣ / شبارو : تاريخ بيروت ، ص ٩٠ ، ٩١ / وللمزيد عن الرسالة التي بعث بها بيبرس إلى الفرنجة بعكا من أجل سيدة بيروت انظر :

- حمادة (محمد ماهر) : وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي ، منشورات الرسالة ، ط٢ ، ١٩٨٢ ، ص ٢٥٦ /
- ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، مج ٧ ، ص٣٥

على شيء، فهو يشير ويؤكد على أن سلطة المماليك أخذت تقوى شيئاً فشيئاً وبحسب لها ألف حساب، كما يشير إلى انعدام الثقة بين الفرنجة أنفسهم واختلاف أمرهم فيما بينهم، وعاشت هذه الملكة بعد وفاة بيبرس إلى أن توفيت سنة ٦٨١هـ/١٢٨٢م، تاركة حكم بيروت إلى أختها آشيف، واستمرت بيروت تحت حكم أسرة إبلين إلى أن حررها نهائيا السلطان الأشرف خليل بن قلاوون عقب تحرير عكا سنة ٦٩١هـ/١٢٩١م.

٦- دور قبرص في حماية عكا (٦٩١هـ /١٢٩١م) :

أضعف تحرير أنطاكية روح المقاومة عند الصليبيين، وزاد ذلك من قوة المسلمين، وكان لانتصار بيبرس أثر في الممالك المجاورة، حتى أرسل ملك أرمينيا يعرض تسليم بلاده لبيبرس[١] مقابل هدنة معه، وفي سنة ٦٧١هـ / ١٢٧٢م، تم عقد الصلح مع مملكة عكا وعلى الرغم من ذلك، فقد حدث في سنة ٦٧٣هـ /١٢٧٤م خرقاً لهذه الهدنة، و ذلك بعد أن تكسرت بعض السفن الإسلامية عند قبرس، و لما طلع رجالها إلى البر، هاجمهم الفرنجة وسرقوا سفنهم، وتم إلقاء القبض عليهم، وأرسلوا رؤساء تلك السفن إلى عكا وحاول المسلمون شرائهم، فقد سير السلطان الأمير فخر الدين المقري الحاجب إلى صور لهذه الغاية، لكن الفرنج رفعوا ثمنهم كثيراً، وقالوا:" هؤلاء جمرة التجار وفرصة الأعمار "[٢] وفي سنة ٦٧٤هـ /١٢٧٥م انصرف بيبرس إلى قتال المغول والإسماعيلية؟ ومع ذلك بقيت فكرة طرد الصليبيين من الشرق لا تزال تسيطر عليه، لكن المنية عاجلته في سنة ٦٧٦هـ /١٢٧٥م[٣]، وحدث في سنة ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م أن خرج صاحب قبرس وبيت المقدس هيوج الثالث غازياً إلى الساحل الشامي، حيث كانت له آمال كبيرة في عكا، حتى بعد انعقاد الهدنة بين السلطان وبين أهلها فهبت عاصفة وريحاً شديدة دفعته إلى جهة بيروت، فتركها وعاود الإغارة على تلك الجهات

١- ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ١ ، ص ٣٣١ سنة ٦٦٩هـ / ١٢٧٠م.

٢- بيبرس المنصوري: تاريخ الدولة الأيوبية، ص ٥٢ ، ٥٣ / تاريخ ابن الفرات : مجلد ٧ ، ص٢٣.

٣- توفي بيبرس ليلة الأربعاء من سنة ٦٧٦هـ / ١٢٧٧م / ابن عبد الظاهر : تشريف الأيام والعصور ، ص ٤٣ / ابن إياس : المصدر نفسه ، ص ٣٣٨ .

عندها خرج أهالي جبل الخروب[1]، وكمنوا له، واستطاعوا قتل العديد من رجاله، فوقع بعضهم في الأسر، قتلوا وأسروا من جماعته ثمانين رجلاً، وأخذوا له شيئاً كثيراً مـن المال والخيـل والبغال "[2]، لكن الأمور ازدادت سوءاً بعكا بعد وفاة هيوج الثالث ملك قبرس وبيـت المقـدس سنة ٦٨٢هـ / ١٢٨٤م ، إذ خلفه ابنه حنا الأول (جون الأول)، الذي لم تزد مدة حكمه علـى سنة واحدة، فقد توفي سنة ٦٨٤هـ /١٢٨٥م وخلفه على الحكم أخوه هنري الثاني الـذي لـم يتجاوز الرابعة عشرة من عمره، وقد قدم إلى عكا سنة ٦٨٤هـ / ١٢٨٦م واستولى عليها سنة ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م، ولما لم يلق القبول والتأييد فيها، عاد إلى قبرس وتوج بها ملكاً، أما السبب والدافع إلى حدوث تلك الفوضى والاضطراب في عكا هو المنافسات التجارية والمنازعات بين طوائف الفرسان الرهبان والاختلاف حول السيطرة على الحكومة من قبل البارونـات ورجـال الدين، و كذلك المنافسة الشديدة مابين البندقية و جنوة، لم يخف ذلك كله على السـلطان سـيف الدين قلاوون[3]، وفي سنة ٦٨٥هـ / ١٢٨٥م استؤنفت المناوشات مجـدداً بـين الصـليبيين والمسلمين في عهده، فبدأ بتحرير اللاذقية، ثم حرر طرابلس سنة ٦٨٨هـ / ١٢٨٩م، هـرب على أثرها عدد كبير من الفرنج إلى قبرس، وقسم آخر لاذ بالفرار إلى جزيرة نيقـولاس(فـي فاماجوستا)[4].

ولم يبق للفرنج في الشرق بعد ذلك إلا صور وبيروت وعكا، وكانت عكا من أمنـع حصـون الصليبيين قدم لزيارتها هنري الثاني ملك قبرس، فعين أخاه أملريك نائباً عنه في إدارتها، وأنفذ مبعوثاً إلى الغرب يوحنا جرايلي يلتمس المساعدة العاجلة، على أن جرايلي لم يحظ باسـتجابة

---

[1]- جبل الخروب : قيل أنه حصن سواحل بحر الشام مشرف على عكا والخروب هي شجرة الينبوت وهو اسم موضع انظرالحموي : معجم البلدان، ج٢، ص٤١٥

٢- النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ،ج٣١ ، سنة ٦٨٢هـ / ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، ص ٢٧٧ / ابن عبد الظاهر : تشريف الأيام ، ص ٤٧ ، ٤٨ /

[3]- د. السيد الباز العريني : المغول ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨١ ، ص ٣٠٠ .

د. زكار : الحملة الصليبية الثالثة، من خلال الموسوعة الشامية، ص ٤٤٢ .

كان في عكا سبع عشر سلطة مستقلة الأمر الذي نجم عنه فوضى كبيرة ولذلك لا غرابة في أن تكون المدينة بؤرة فساد وشرور واضطراب مستمر ورخاء مادي كبير.

[4]- د.سرور(محمد جمال الدين): دولة بني قلاوون في مصر ، دار الفكر العربي ، مطبعة الاعتماد ، ١٩٤٧ م ص ١٣٩ / ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص ٣٥٧ /

King , the nights hospitallers in the holy land , p .288

ماخوت : الاستيلاء على الإسكندرية، ص٧٧١/ سبيذاكس: موجز تاريخ قبرص، ص١٠٣

في الغرب، حاول خلالها الجنويون الانتقام لما أصابهم من خسائر في طرابلس، فصاروا يعترضون طريق السفن التجارية المصرية، ويهاجمونها ويغيرون على الدلتا، فأمر قلاوون بإغلاق ميناء الإسكندرية دون سفنهم، فلم يسعهم إلا طلب الصلح، غير أن البنادقة لم يحزنوا لتحرير طرابلس ، لكنهم خشوا على عكا إذا ما تعرضت للمصير نفسه ؟ نظراً لما للبنادقة من السيادة التجارية عليها، وترتب على ذلك قيام الهدنة التي عقدها الملك هنري مع قلاوون سنة ٦٨٨هـ/١٢٨٩م، الأمر الذي بعث الأمل في عكا، فاستردت نشاطها، وظفرت بمحصول طيب وتجارة زاهرة، على أن قدوم جماعات من أوروبا (الإيطاليين) إلى عكا أثار الاضطراب فيها نتيجة لاستهتارهم، الأمر الذي دفعهم إلى مهاجمة كل من صادفهم من السكان المحليين (المسلمين)، فلقي كثير من هؤلاء السكان مصرعهم، ولما علم قلاوون بهذه المذبحة، اشتعل غضباً و قرر التخلص نهائياً من الفرنج، فلم يستمع لاعتذارات الفرنج، ولم يقبل ما عرضوه من الترضيات، فنقض الهدنة وخرج للقائهم من القاهرة ٤ تشرين الثاني ٦٨٩هـ/١٢٩٠م متوجهاً لحصار عكا، غير أنه لم يلبث أن خر مريضاً فمات على أثرها[1] فتولى من بعده عرش مصر ابنه السلطان الأشرف خليل سنة ٦٨٩هـ/١٢٩٠م، ولما استتب له الأمر، شرع في إكمال ما عزم عليه والده، وعلى الرغم من محاولة حكومة عكا إرسال سفارة لتهنئة الخليل بالسلطة تلتمس خلالها عقد هدنة، غير أن خليلاً أمر بزج السفراء بالحبس، حيث لقوا حتفهم، ثم سار خليل بجيوشه إلى دمشق ٦٩٠هـ/١٢٩١م، فهاجم عكا سنة ٦٩١هـ/١٢٩٢م، وعلى الرغم من دفاع جنودها، والدور الذي قامت فيه قبرس كعادتها في تقديم المؤن والإمدادات المنوعة والعساكر الذين أرسلهم الملك هنري للصليبيين ما عدا الأسلحة التي افتقرت إليها[2]، شاركت بالحرب وكانت القيادة العليا لأملريك نائب هنري في عكا، وتقررت التعبئة العامة في عكا بتجنيد كل الأمراء القادرين على حمل السلاح[3]، وبعد مضي نحو شهر على حصار المسلمين

---

[1] - رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج٣، ص٧٠١/ العريني: المغول، ص٣١٤.

[2] - رنسيمان: المرجع نفسه، ص٣١٤.

Muir, the mameluke or slave dynasty of Egypt: p. 44.

[3] - العريني: المغول ، ص٣١٥.

لعكا أنجدها صاحب قبرس[١] بنفسه[٢]، إذ وصل بعد أن جمع كل ما استطاع أن يحشده من العساكر الذين لم يتجاوز عددهم مائة فارس وألف راجل، أقلتهم أربعون سفينة ورافقه الملك رئيس أساقفة نيقوسيا، أما سبب تأخره في النجدة، هو المرض الذي ألم به، وفي ليلة قدومه عليهم أشعلوا نيراناً عظيمة[٣] فلم يكد يهبط على الأرض حتى تولى القيادة، وأثار قوة جديدة في الدفاع، غير أن الأوضاع باتت سيئة للغاية، والإمدادات لم تكن كافية، فلم تغير شيئاً في النتيجة وهنا لم يبق أمام الفرنج غير المفاوضات مع السلطان، وفي محاولة أخيرة لإعادة السلام بين الفرنج والمسلمين، أنفذ الملك هنري الثاني فارسين من الداوية هما (وليم كافرات ووليم فيلييه) إلى السلطان الأشرف يسألونه لماذا نقض الهدنة معهم، ويعدان بإنصاف كل شكوى، فاستقبلهما السلطان الأشرف خارج خيمته، غير أنه وقبل أن يسلماه رسالتهما سألهما فيما إذا كانا قد أحضرا مفاتيح المدينة ، لكن وتقديراً لشجاعة الملك (ملك قبرس) بقدومه للقتال، وهو لا يزال حدثاً، فضلاً على مرضه، فإنه سوف يبقي على حياتهم إذا ما استسلموا له ولم يجب الرسولان لأنهما سوف يعدان خائنين إذا وعدا بالإذعان، حتى قذفت عرادة من الأسوار حجراً سقط قرب الجماعة، فاستشاط السلطان غضباً، وسل سيفه ليقتل الرسولين، ولكن الأمير سنجر الشجاعي[٤] منعه من فعل ذلك، ولم يمض وقت طويل حتى شق المماليك طريقهم إلى البرج، وأجبروا حاميته من فرسان الفرنجة و قبرس على التراجع نحو الغرب صوب باب القديس أنطوان، ومضى لمساعدتهم فرسان الداوية والاسبتارية، دار خلالها قتال عنيف في شوارع المدينة، وقتل على أثرها مقدم الداوية[٥] وليم بوجيه، أما مقدم الاسبتارية فأثخن بالجراح، وسبق أن أبحر الملك هنري عائداً مع أخيه أملريك إلى قبرس لما شاهد انحلال أمرهم، وعظم ما دهمهم، وخوفاً من تعرضهما للأسر، الأمر الذي أدى إلى اتهام الملك هنري بالجبن لتخليه عن المدينة،

---

[١] – هو هنري الثاني وكان اسمه كما تذكره المصادر العربية (بوكة بن سيروك) عند أبي شامة: عيون الروضتين في أخبار الدولتين ، ج ٢، ص ٢٥٢

[٢] - أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج ٨، ص٥/ رنسيمان: المرجع نفسه، ج٣، ص٧٠٢.

[٣]- أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ، ج ٨، ص٥/ أبو شامة: عيون الروضتين ، ج٢، ص٢٥٢ أحدث سنة ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م.

[٤]- نائب السلطان في الشام.

[٥]- **مقدم الداوية** : كان حاكماً للمنظمة يقوم بادارة أعمالها وقوانينها ويمارس القيادة العليا على الحملة، كما كان يتصرف بمال الداوية ، أما شارات وضعه الحزام أو المحفظة والخاتم انظر سميث: الاسبتارية فرسان القديس يوحنا،٢٧٣،٢٧١

غير أنه لم يكن بوسعه أن يفعل أكثر مما فعله[١]، ولم يزل الحصار عليها والجد في أمر قتالها إلى أن انحلت عزائم الفرنجة وضعف أمرهم، حتى تمكن السلطان الأشرف من دخولها سنة ٦٩١هـ/١٢٩٢م بعد حصار دام أربعاً وأربعين يوماً[٢] أما الفرنج الذين نجوا، فقد التمسوا الوصول إلى السفن الراسية قرب الشاطئ هرباً من القتل أو الأسر لنقلهم إلى قبرص، على أن السلطان الأشرف عرض بعد أسبوع على مارشال الداوية[٣] بطرس سيفري أنه إذا سلمه قلعة عكا، فسوف يسمح له بالإبحار إلى قبرص مع كل الناس المقيمين بداخل الحصن، وقبل بطرس بتلك الشروط[٤]، وجرى الإذن لأمير مملوكي في مائة من المماليك أن يدخلوا الحصن، وليشرفوا على التدابير اللازمة، غير أنه انفلت زمام المماليك فأخذوا يضايقون ويهاجمون النساء والصبيان المسيحيين، فثارت ثائرة فرسان الداوية، فانقضوا على المسلمين وذبحوهم، وفي اليوم التالي حدد السلطان الأشرف عرضه السابق، وبالشروط نفسها بعد أن شهد ما حدث في القلعة، وتوجه بطرس في جماعة مع رفاقه بعد الحصول على أمان السلطان للمناقشة في تسليم الحصن، غير أنهم ما كادوا يصلون إلى خيمة السلطان، حتى ألقى القبض عليهم وأعدمهم، ولم تكد عكا تصبح في قبضة السلطان، حتى شرع في تدميرها وفقاً لخطة موضوعة، كي لا تكون الضربة التي توجه ضد الشام ومصر[٥]، وكانت هذه الهزيمة ذات وقع وقع خاص على بقية الصليبيين.

فبادروا إلى الاستسلام[٦]، ثم توج السلطان الأشرف خليل بن قلاوون أعماله الجهادية بفتح بقية بقية المدن والحصون التي استولى عليها الصليبيون، وقد طلب الأشرف خليل من الأمير سنجر الشجاعي دخول بيروت فاتحاً، فدخلها دون مقاومة في رجب سنة ٦٩١هـ/ ١٢٩٢م، وجمع

---

[١] - أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ،ج٨، ص٥/ رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية ، ج٣، ص٧٠٢، ٧٠٤، ٧٠٥ / شبارو: تاريخ بيروت، ص٩١.

[٢] - الحسن بن عمر(ابن حبيب بن الحسن بن عمر): تذكره النبيه في أيام المنصور و بنيه ، تحقيق محمد أمين و سعيد عاشور ، مكتبة النهضة ١٩٨٦م، ص١٨١ / إبراهيم حسن: تاريخ المماليك، ص١٤١.

[٣] - المارشال : يساعد الكنداسطبل (قائد الجيش) في عمله وينوب عنه في كل الأمور ، وجد لأول مرة في القرن ٦هـ/١٢م وتحكم بكل الأمور المتعلقة بالفرسان وكان ختمه من الشمع الأخضر من أواخر القرن ٧هـ/ ١٣م ، انظر الأصفهاني : الفتح ، ص٦٠٢ / جوني (وفاء) الحياة الإدارية والسياسية في الإمارات الفرنجية ،١٩٨٩م ص٦٠٢،١٥٦

[٤] - أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج٨، ص٥/ أبو شامة: عيون الروضتين، ج٢، ص٢٥٢، ٢٥٤.

[٥] - أبو المحاسن: المصدر نفسه، ص٧/ رنسيمان: المرجع نفسه، ج٣، ص٧٠٨.

[٦] - المطوي: الحروب الصليبية، ص١٣٢.

هذا الأمير سكان بيروت من الصليبيين والنصارى (أغلبهم من طائفة الموارنة)، وأرسلهم إلى مصر، ولما وصلوا إلى عند السلطان أطلقهم، وخيرهم ما بين العودة إلى بيروت أو التوجه نحو جزيرة قبرس، فتوجهوا إلى قبرس[1]، وهكذا انتقل بعض نصارى بيروت والجبال المحيطة بهم إلى قبرس، ونتيجة لذلك هدم الأمير سنجر الشجاعي سور بيـروت وقلعتهـا حتـى لا يعـاود الصليبيون الاستيلاء عليها، والتحصن بها من جديد بعد أن فروا إلى جزيرة قبرس ورودس[2] ، وهنا انتهى حكم أسرة دي ابلين – الصليبية بعد أن دخلت بيروت نهائياً تحت حكم المماليك لمدة قرنين وربع قرن(٦٩١-٩٢٢هـ/١٢٩٢-١٥١٦م) وبدا واضحاً كيف التجأ الكثير من الفرنجة الهاربين من المسلمين إلى جزيرة قبرس التي كانت الملاذ الآمن بالنسبة لهم؟

وفي سنة٦٩٢هـ/١٢٩٢م أنفذ هنري ملك قبرس خمس عشرة سفينة تساندها عشر سـفن مـن عند البابا ، فأغارت على الإسكندرية اعتقاداً من الملك أن الهجوم خير وسيلة للـدفاع، ولكـن المحاولة أخفقت، ولم تؤد إلا إلى عزم السلطان الأشرف خليل على فتح قبرس، حيث أمر ببناء مئة سفينة، فكان يهتف عندها (قبرس، قبرس، قبرس) [3] فلماذا لم يتوجه الأشرف خليل إلـى قبرس رغم عزمه على تأديبها؟ وهل ظهرت مستجدات جعلته يعدل عن رأيه أم يؤجله لوقـت لاحق ؟ في الحقيقة كانت لدى السلطان الأشرف خطط أخرى فاقت قبرس أهمية، فلا بد له أولاً من سحق المغول، لكن أمراءه ارتاعوا لطموحاته، فقتلوه فـي سـنة ٦٩٣هـ / ٣١ كـانون الأول١٢٩٣م[4].

– نتائج تحرير عكا:

لقد ترتب على تحرير عكا عدة نتائج أهمها:

---

[1]- صالح بن يحيى: تاريخ بيروت، ص٢٤/ شبارو(عصام): تاريخ المشرق العربي الاسلامي ، دار الفكر بيروت ١٩٩٩م، ص٩١.

[2]- صالح بن يحيى:المصدر نفسه، ص٢٤/بيبرس المنصوري: تاريخ الدولة الأيوبية ، أحداث سنة ٦٨٩هـ/١٢٩٠م، ص٩١

٣- ذكر بسام العسلي في كتابه فن الحرب الاسلامي بأن الأشرف خليل مات و هو يردد قبرس ، قبرس، قبرس

العسلي (بسام) فن الحرب الإسلامي أيام الحروب الصليبية ، دار الفكر، ١٩٨٨، مج٤ ، ص٥٨٧

٤- رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج٣، ص٧٣٥

١- على الصعيد السياسي زوال دولة الصليبيين اللاتينية نهائياً من الشام، إلا أن تلك الدولة بقي لها ذيول عاشت في جزر البحر المتوسط[١]، فغدت قبرس أكبر ملجأ للاتين بالشرق، وأهم المعاقل الإفرنجية وأقواها، وسرت فيها قوانين الإقطاع التي انتقلت إليها من مملكة بيت المقدس، فقبرس التي كانت قبل سقوط عكا معقلاً هاماً من معاقل الصليبيين بالشرق غدت الآن بعد سنة ٦٩٠هـ/١٢٩١م أهم هذه المعاقل بل أقواها.

٢- أصبحت قبرس الجبهة الرئيسة في الحروب الصليبية، فأصبح الصراع مباشراً بين الملوك اللوزينيانيين وسلاطين المماليك.

وهكذا أخذ الصليبيون ينزحون فرداى وجماعات إلى قبرس ومعهم نساؤهم و أولادهم، و ما أمكن نقله من ثروتهم، وهناك رحب بهم الملك هنري الثاني، كما آوى مؤسساتهم، وهيئات الفرسان المشردة من بلاد الشام، فظلت الاسبتارية في ليماسول إلى أن تم لهم احتلال جزيرة رودس من الدولة البيزنطية سنة٧٠٨هـ/١٣٠٨م واتخاذها مقراً لهم[٢]، أما على الصعيد الاقتصادي: فقد أثر تحرير عكا كثيراً في أحوال قبرس الاقتصادية إذ انتقلت إليها الجاليات التجارية التابعة للبندقية وجنوة وبيزا ومرسيليا (جنوب فرنسا)، وأنشئت فيها المؤسسات التجارية لتكون على اتصال دائم بفنادق هذه المدن في مصر وآسيا الصغرى، وأضحت محطة للتجار، فقد جعلت الموانئ القبرسية مثل فاما جوستا وليماسول محطات لتجارتها[٣].

٧- العلاقات السياسية بين قبرس وكل من المغول وأرمينيا:

مما لا شك فيه أن كلاً من المغول والصليبيين، كان يعمل على استغلال الآخر لمصلحته، ولو كان يجمعهما هدف واحد ألا وهو العمل على إزالة قوة المسلمين من الميدان، ليسهل تحقيق مصالحهما، فقد أدرك المغول أن أسلم الطرق لتحقيق مآربهم القادمة في منطقة الشرق العربي

---

١ - بعد جلاء الصليبيين عن الشام سنة ٦٩٠هـ/١٢٩١م بقي لهم ثلاث قواعد في الشرق الأولى هي مملكة أرمينيا الصغرى ، ومملكة قبرس بزعامة آل لوزينيان ، و جزيرة رودس بعد أن انتقل إليها الاسبتارية ، و استمرت هذه القواعد تحارب المسلمين طوال القرن الرابع عشر الميلادي و شطراً من القرن الخامس عشر

٢ - Atiya ,the crusade in the later middle ages p.p 286-290,

٣- عاشور: قبرس والحروب، ص٥٢

والإسلامي هي التعاون و العمل يداً واحدة مع الصليبيين من أجل القضاء على المماليك والدليل على ذلك هو البعثة المغولية إلى لويس التاسع في قبرس، وفي الوقت الذي كانت فيه نيات المغول غير خافية على الفرنج الصليبيين، الأمر الذي جعل بارونات عكا لا يخفون أيضاً نياتهم تجاه المغول، ناظرين إليهم كبرابرة، عندما كانت تتعارض مصالحهم معهم، وبدا من الواضح أن المغول كانوا يفضلون الصليبيين على المسلمين، لأنهم كانوا يعدون النشاط التجاري هو العمود الفقري للحياة الاقتصادية، ويمكن أن نعد العامل الاقتصادي هو العامل الجوهري الذي ساهم بالتقريب بين الأرمن والمغول، لأن المغول كان يهمهم تأمين الطريق التجاري لنقل منتجات الشرق الآسيوي إلى الغرب الأوربي، وهو الطريق الجنوبي البحري والبري على حد سواء حتى الخليج العربي، ومنه إلى مدن العراق وإيران، ومنها شمالاً إلى موانئ البحر الأسود أو غرباً إلى ميناء إياس الأرمني أو أسواق الشام، وذلك لحاجتهم الدائمة للجنود والمعدات في عملية التوسع[1]، ومع أن آرغون والد غازان إيلخان فارس ما زال حليفاً قوياً للأرمن[2] فإنه استبد به اليأس بعد أن أخفق في إثارة الغرب للقيام بعمل ما قبل تحرير عكا من قبل المسلمين، ولذا فلن يفعل شيئاً بعدئذ، وحدث عقب وفاة أرغون سنة ٦٩٤هـ/١٢٩٥م أن اعتنق الإيلخان **غازان**[3] الإسلام[4]. وجعل الإسلام دين الإيلخانية، فتخلص من ولائه للخان الكبير في الشرق، ولكنه بقي صديقاً للمسيحيين[5] نظراً لأنه ترعرع على يد (ديسبينا خاتون) زوجة الإيلخان آباقا، ومهما يكن من أمر اعتناق غازان الإسلام[6]، فإنه لم يغير موقفه من المسلمين[1]، وبقيت

---

[1] - مصلح (حفظ الله): العلاقات بين المغول والصليبيين وأثرها على الأمة العربية الإسلامية.
رسالة ماجستير، بإشراف د.إبراهيم زعرور، دمشق ٢٠٠٦ ، ص١٤٣,١٤٤

[2] - ماخوت: الاستيلاء على الإسكندرية، ص٧٧٩

[3] - غازان: بن أرغون بن أبغا بن هولاكو بن تولي خان بن جنكيز خان وهو السابع من ملوك هذا البيت وقد عرف عند العامة باسم قازان.
المقريزي: السلوك،ج١،قسم٣، ط١٩٧، ص٢٦١/النويري: نهاية الأرب، تحقيق سعيد عاشور، الهيئة المصرية العامة ،١٩٨٥،ج٢٧، ص٤٠٩/ الحسن بن عمر: تذكره النبيه،ج١، ص١٨٢

[4] - ابن الوردي: تتمة المختصر،ص٣٤٣/رنسيمان:تاريخ الحروب الصليبية،ج٣، ص٧٢٠/ النويري: الإلمام، ص٢٠٣

[5] - ماخوت: الاستيلاء على الاسكندرية ، ص٧٨٥,٧٨٠.

[6] - قال ابن الوردي بأن قازان ملك التتر أسلم بإشارة من نائبه فيروز وانتشر الإسلام بعدها بين التتر سنة ٦٩٤هـ/١٢٩٤م
ابن الوردي: تتمة المختصر، ص٣٤٣

العلاقات العدائية مع المماليك في عهده، بل ازدادت سوءاً لدرجة أن قام غازان بغزو الشام لعدة شهور، وأذعنت له دمشق واعترفت بسيادته[٢]، ولا غرو أن استمرت اتصالاته ببقايا الصليبيين بالشرق، وعلى رأسهم فرسان الداوية و الاسبتارية في قبرس، فضلاً عـــن أتباعـــه الأرمـــن[٣] وبالغرب الأوربي على حد سواء واعداً إياهم أن يرد إليهم الأراضي المقدسة، مقابل مساعدتهم له ، فقد كتب إليهم في سنة٦٩٩هـــ/١٢٩٩م يدعوهم للمشاركة في حملته ، أثناء زحفـــه فيمـــا مدينتي حلب و دمشق ، لذلك عقد الملك هنري اجتماعاً مع مقدم فرسان الاسبتارية – جيمس دو مولليه– و نائب مقدم الداوية– ويليام دو فيياريه،إلا أنهم لم يستطيعوا أن يتفقوا على أية خطـــة، مع أن غازان كان قد أرسل إليهم رسالة أخرى في نهاية الشهر نفسه [٤] وربما أن وعود غازان لكبار المسيحيين كانت تمليها عليه السياسة لا الدين ولأنه كان في حالة حرب لذلك فهو بحاجـــة إلى مساعدتهم ضد المماليك، فقد كان يريد أن يحقق حلم آبائه في السيطرة علـــى بـــلاد الشـــام ومصر، خاصة بعد ما تحالف حكام مصر مع مغول القبيلة الذهبية، الذين كانوا على عداء مـــع غازان ومغول إيران[٥] وحدث في سنة ٧٠٠هـــ/١٣٠٠م، أن قام الملك هنـــري ملـــك القـــدس وقبرس[٦] مع الداوية والاسبتارية، بتسليح ستة عشر غليوناً مع خمـــس مـــن الســـفن الحربيـــة الصغيرة، وعدد من السفن المغطاة المخصصة للرماة، وقد انضم إليهم في هذه المرة مبعـــوث مغولي و (أملريك دي لوزينيان) شقيق الملك هنري، فغادروا ميناء فاماجوستا في العشرين من تموز، وكان قائد الرجال المسلحين السيرريموند الفيز كونت أما أدميرال الغلايين فهـــو الســـير بلدوين أوف بكويني، وقد ذهبوا إلى مصر إلى مكان اسمه رشيد حيث يوجد واحد من مصبات

---

[١]– صحيح أن غازان أسلم لكنه بقي يميل إلى المسيحيين، ولم يتمكن من الاستغناء عنهم حسب ما جاء عند ابن العبري، لأنه حسب رأيه لم يكن يثق بغيرهم في شؤون الدولة وحساباتها، إذ يقول للنصارى أنه نصراني ويقول للمسلمين أنه مسلم، وقد عرف المسلمون حق المعرفة أنه يميل إلى المسيحيين أكثر من ميله إليهم واختلف العلماء حول إسلامه ومدى إخلاصه انظر ابن العبري: تاريخ الزمان،ص٣٧٦/ مصلح : العلاقات بين المغول والصليبيين،ص١١٦,١١٧

[٢]- الحسن: تذكرة النبيه،ج١، ص٢٢٠,٢٣٣/صالح بن يحيى:تاريخ بيروت، ص٧٨

٣ - ماخوت: الاستيلاء على الإسكندرية،ص٧٨٠,٧٨٥ / سميث :الاسبتارية ،ص١٩٨

٤ – سميث :الاسبتارية ،ص١٩٨ /اديوري : قبرص والحروب الصليبية ، ص١٠٥

٥– الصياد (فؤاد عبد المعطى) مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمذاني، دار الكتاب العربي،القاهرة، ط١,١٩٦٧،ص٧٣

[٦]- بقي ملك قبرس اسمه ملك القدس وهذا دلالة على المثابرة و العمل لاستعادة القدس.

نهر النيل، إذ قرر الفرنجة النزول إلى اليابسة، فوجدوا قرية قريبة منهم أحرقوها، ولم يتجرأ المسلمون على الاقتراب منهم، وكان علم غازان مرفوعاً فوق غلايين الفرنجة، لكن غازان لم يأت بنفسه، فهل كان عدم مجيئه مماطلة للفرنجة ؟ أم كان بسبب المرض الذي أخره عن ذلك، كما جاء عند بيترو إديوري؟ ربما كان ذلك، المهم أن الفرنجة غادروا رشيد حتى وصلوا إلى ميناء الإسكندرية[1]، وهناك دخلوا إلى ميناء المسلمين، و اشتبكوا في القتال، ثم غادرت غلايين الفرنجة المكان شمالاً، ووصلوا إلى عكا، وجرى قتال مع المسلمين فيها فهزم الفرنجة، ثم غادروا عكا إلى ساحل جزيرة أرواد، حتى اقتربوا من طرطوس، فاشتبكوا مع المسلمين هناك، لكنهم أرغموا على الفرار، وفي اليوم التالي وصلوا إلى مرقية[2] التي هاجمها الإسبتارية، ودخلوا إليها ينهبون، لكن قواتهم كانت على مايبدو ثملة، و فوجئوا بقوة مسلحة من المسلمين الذين كانوا خارج البلدة، ترقب المسلمون الفرنجة من بعيد و لاحظوا نزول رجالهم من مركبين، وأن الغلايين كانت راسية بعيداً عن الشاطئ، فهاجموا الإسبتارية، وقتلوا منهم حوالي العشرين من السرجندية، وبعضاً من فرسان الفرنجة، وبناء عليه فر الرجال المتبقين من مرقية عائدين إلى قبرس[3] هذا وقد وصل في العام نفسه رسول من عند غازان إلى ملك قبرس يخبره " بأن غازان قادم نحو الغرب خلال ذلك الشتاء (٧٠٠-٧٠١ هـ/١٣٠٠-١٣٠١م)، و أنه ينوي غزو سورية من جديد، وهو يريد من الملك القبرسي مع جميع الفرنجة أن يقدموا ويلتقوا به في أرمينيا، ولذلك قام الملك ورجاله بالاستعداد لذلك، وفي شهر تشرين الثاني ذهب صاحب صور " السيرأملريك (عموري) أخو الملك هنري الثاني ملك قبرس (قهرمان مملكة القدس) [4] إلى جزيرة أرواد، جالباً معه قوة مؤلفة من ثلاثمائة راجل وفارس، وكذلك كان مع الداوية

---

[1] - ماخوت: الإستيلاء على الإسكندرية ،ج٤٦،ص٧٨٦/ سميث : الاسبتارية ، ص١٩٨ /اديوري :قبرص و الحروب ، ص١٠٥

[2] - **مرقية**: قلعة حصينة في سواحل حمص، جددها معاوية ووضع بها جنود، تبعد عن طرطوس ٢٠كم شمالاً، وسميت خراب مرقية نسبة إلى الخراب الذي حل بالحصن أما اليوم فتسمى بالشرفة.

الحموي : معجم البلدان،ج٥، ص١٢٨/ مالك (حبيب)الموسوعة السياحية للساحل السوري: ، دار المنارة ، اللاذقية ، ١٩٩٨م، ص١٤٨

[3] - ماخوت: الاستيلاء على الاسكندرية ،ج ٤٩ ،ص٧٨٧/ سميث : الاسبتارية ، ص١٩٨

[4] - **القهرمان** : أو **الصنجيل** في بعض المصادر وهو الشخص المكلف بما يجري في الاحتفالات وبهذه الصفة يحمل الصولجان عند التتويج ويتقدم الملك في الموكب كما أنه يشرف على بيت المال (الديوان) الذي يؤدي له كل ما يستحق للملك من أموال و مرتبات ويبدو أن تلك الوظائف باتت شكلية فقط لاسيما بعد تحرير عكا انظر ابن عبد الظاهر : تشريف الأيام و العصور ، ص٣٤/ جوني: الحياة الإدارية و السياسية ، ص٧١

العدد نفسه أو أكثر نزلوا في الجزيرة ثم ذهبوا إلى بلدة طرطوس التي استولى عليها أملريك، حيث مكثوا فيها لعدة أيام يترقبون و صول المغول، لكنهم وجدوا بأن المغول قد تأخروا في وصولهم كثيراً، و حينما أخذ القبارسة يتعرضون للهجوم، انسحبوا إلى جزيرة أرواد قبالة الساحل التي كانت للداوية، وهنا إشارة أخرى إلى مماطلة المغول لمساعدة الفرنجة على المسلمين، وأن لدى المسلمين جيشاً كبيراً لسحقهم، لذلك انسحبوا من البلدة عائدين إلى قبرس، بعدما عانوه من صعاب وتأخر في مساعدة المغول لهم[1] هذا و قد لاقت حروب غازان أصداء شتى في مختلف الأرجاء، فخشي كل طرف من الأطراف على نفسه، فهل كان ذلك السبب الذي جعل شيخ الإسلام والمسلمين ابن تيمية في دمشق يرسل رسالة إلى ملك قبرس "سرجواس" أو يطلب منه مساعدة الأسرى المسلمين و فكهم؟ بالإضافة إلى حديثه عن الدين والمعتقد[2] لا سيما وأنه ورد من قبرس كتاب فيه احتجاج على دين النصارى، لكنه ومن الملفت للنظر هنا، و كما ورد عند ابن تيمية اسم ملك قبرس سرجواس؟ فما من ملك من ملوك قبرس وحسب ما ورد يطابق اسمه هذا الاسم؟ سوى الملك يانوس غير أنه عاش بعد عصر ابن تيمية، و بالتحليل و بالمقارنة مع الزمن الذي عاشه ابن تيمية وجد أنه يتطابق مع العصر الذي عاش فيه ملك قبرس هنري الثاني و هذا دلالة واضحة على أنه هو المقصود و ليس سواه في الرسالة، فهل كان في نية ابن تيمية تقديم النصح لملك الجزيرة، وإدخاله إلى الدين الإسلامي ؟ أم كانت لأجل التقرب منه للوقوف ضد المغول أم لأسباب أخرى؟ كان من نتيجة الهجمات البحرية المتبادلة و الصراعات بين المسلمين والقبارسة الصليبيين أثرها الواضح، أن وقع عدد من المسلمين أسرى بأيدي القبارسة، فما كان من شيخ الإسلام ابن تيمية إلا أن يرسل خطاباً إليه ، وفي هذا دلالة واضحة على سعي ابن تيمية لإطلاق أسرى المسلمين، وعلى حرصه الشديد وعنايته بأحوال الرعية، بالمقابل حدث بين ابن تيمية و المغول مفاوضات من أجل إبعادهم عن دمشق، كما قام بتحريض المسلمين على قتالهم، فعندما هاجم المغول دمشق، ظهر ابن تيمية كمفاوض قوي

---

[1]- ماخوت: الاستيلاء على الاسكندرية ، ص٧٨٧,٧٨٨ / سميث : الاسبتارية ، ص ١٩٩ / اديوري :قبرص و الحروب الصليبية ، ص١٠٥

[2]- ابن تيمية: الرسالة القبرصية (خطاب من شيخ الاسلام ابن تيمية إلى سرجواس ملك قبرص، علق عليها علاء دمج ، دار ابن حزم ، بيروت ، ١٩٨٧م ، ص٩-١٠

فاوض المغول حتى حصل على ميثاق الأمان من غازان لأهل دمشق، لكن لم يلبث أن نقض المغول ميثاقهم ، و أعدوا العدة للهجوم على المسلمين ، فوقف ابن تيمية منهم موقف المجاهد الكبير، حرض الناس على الصبر وعلى الثبات في وجه الأعداء، وراح يلقي المواعظ والعبر التي أثرت تأثيراً قوياً و كبيراً في المسلمين و تهدئة نفوسهم،" إذ كان يقول للأمراء و الناس آنذاك إنكم هذه المرة منصورون ، فيقول له الأمراء : قل إن شاء الله، فيقول إن شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً" ، كما أنه حث سلطان مصر على قتال المغول، حتى أقنعه بالتحرك نحو الشام في سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٢م ، وحدثت معركة بين المماليك بقيادة السلطان الناصر محمد بن قلاوون و بين المغول بقيادة مولاي خان التابع لإمرة محمود غازان خان المغول ، ووصل المغول إلى حمص، و بعلبك، و عاثوا في البلاد فساداً، لكنهم لم يدخلوا دمشق بل عرجوا إلى ناحية تجمع العساكر ، في حين نظم المسلمون جيشهم في سهل شقحب الذي يشرف عل جبل غباغب ، و حدثت معركة **شقحب** أو معركة **مرج الصفر** سنة ٧٠٣هـ/١٣٠٣م، فكان النصر في النهاية للمسلمين[1] وغلب المغول، و لم يلبث غازان أن أعلن أنه سيعود لاحتلال مصر، كما أن إسلامه إسلامه لم يمنعه من الترحيب بحلفاء مسيحيين، وحينما سمع - **ريمون لل**- أحد المبشرين بالمسيحية الكاثوليكية[2]- بنبأ غزو المغول لسورية توجه إليها، غير أنه وصل متأخراً، فلم يجتمع بغازان، الأمر الذي جعله يعود إلى قبرس، ويطلب المساعدة من الملك هنري من أجل المضي في بعثة تبشيرية بين المغول، ولكن الملك هنري أغفل طلبه، وضاعت عليه الفرصة حينما تعرض الجيش المغولي للإخفاق في (معركة شقحب)، وبعد ست سنوات من الهزيمة أي في سنة ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م أغار غازان مجدداً على سورية وتوغل فيها حتى بلغ بيت المقدس، وترددت الشائعات، بأنه سوف يسلم القدس للصليبيين لو أن دولة مسيحية عرضت عليه التحالف معها، ومع ذلك لم تجر في الغرب بادرة لمفاوضات معه، في الوقت الذي أصبحت فيه قبرس

---

[1] ابن تيمية : الرسالة القبرصية ، ١٠-١٤

[2] - **ريمون لل**: مبشر اسباني كبير ، ولد في ميوريقا سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٢م ، بلغت شهرته الذروة باعتباره من الزهاد ، وكان يعد من رجال السياسة ، أتقن اللغة العربية و طاف الكثير من الأقاليم الإسلامية ، تقرر إعدامه رجماً بالحجارة في بوجيه شمال افريقية سنة ١٣١٥م للمزيد انظر رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص٧٢٤،٧٢٥

بالغة الضعف نتيجة للمنازعات بين الملك هنري الثاني وأخيه أملريك وكيفما كان الأمـــر، فقـــد لقي غازان المسلم صعوبة في الوفاء بهذا الوعد[١].

وبعد وفاة[٢] غازان سنة ٧١٦هـ / ١٣١٦م[٣] تضـــاءلت فـــرص التحـــالف بـــين المغـــول والصليبيين، والواقع أنه لم تتعرض مملكة قبرس خلالها لخطر مباشر على الرغم من عزلتهـــا الظاهرة، فالسلطان المملوكي لم يعد يخش المغول، ولم يكن عنده من القوة البحرية مـــا يكفـــي للمغامرة بتوجيه حملة إلى قبرس، كما أنه لم يود أن يسيء إلى الجمهوريات الإيطالية التجارية نظراً لما تدره عليه تجارتهم من أرباح، ومع أن السلطان الناصر محمد بن قـــلاوون[٤] حـــرر جزيرة أرواد سنة ٧٠٢هـــ / ١٣٠٢م من الداوية، فإنه لم يتعرض بأي سوء لقبرس، يستدل من هذا بأن المسلمين لم يكونوا المبادرين بالإساءة أو بالهجمات على قبرس، ما لم تبـــادرهم هـــي بمثل ذلك، أما الحكومة القبرسية، فإنها حاولت بقدر مـــا تســـمح بـــه الاعتبـــارات الشخصـــية والأسرية المحافظة على العلاقات الوثيقة مع الأرمن في كيليكيا، وملكي أرجـــون[٥] وصـــقلية اللذين يملكان القوة البحرية[٦] من أجل الاستفادة منهما قدر الإمكان فـــي الحمـــلات الصـــليبية المقبلة.

---

[١] - رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية،ج٣،ص٧٣٦,٧٣٧/ atiya,the crusade in the later middle ages p.p90,91

[٢] - ذكر ابن حجر العسقلاني عن كيفية مقتل غازان بأنه قتل مسموماً.

ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، حققه محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة،القاهرةج٣ ، ص٢٤٩

[٣] - اختلفت الآراء حول سنة وفاة غازان فبينما ذكر ابن الوردي والنويري و ابن إياس بأن قازان توفي سنة ٧٠٣هـــ/١٣٠٣م بالقرب من همذان على خلاف ما ذكره رنسيمان أنه توفي في سنة ٧١٦هـــ/١٣١٦م .ربما كان ذلك خطئاً مطبعيًا لأن الفارق كبير جداً؟

ابن الوردي: تتمة المختصر، ص٣٦١ /النويري(شهاب الدين): نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق سعيد عاشور ، الهيئة ا لمصرية ،١٩٨٥ج٢٧، ص٤١٦/

ابن إياس : بدائع الزهور ، ج١ ، ص٤١٧/ رنسيمان: المرجع نفسه، ص٧٣٧

[٤]- تولى السلطنة سنة ٦٩٣هـــ/١٢٩٢م

صالح بن يحيى: تاريخ بيروت، ص٧٨

[٥] – **آرغون أو أراجون** : من ممالك اسبانيا المسيحية ، و يعد الفونسو الأول (٤٩٨-٥٢٩هـــ/١١٠٤-١١٣٤م) المؤسس الحقيقي لمملكة أراجون و عاصمتها سرقسطة تألفت هذه المملكة من ضم ثلاثة أقاليم هي أرغونة – قطالونية – بلنسية ، و يبدو أن الاتحاد بين هذه الأقاليم لم يكن قوياً بسبب تمسك كل منها بقوانين و نظم ، وعدم رغبته في التخلي عنها في سبيل وحدة المملكة ، في حين تمتع كبار النبلاء بنفوذ واسع جعل منهم شبه أنداد للملك ، و كان لأرغونة مجلس وطني للمزيد انظر : عاشور: أوربا العصور الوسطى ، ص٥٥٨

[٦]- رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ص٧٣٨

أما بالنسبة **للأرمن**: فقد ظل الأرمن شوكة في جنب الدولة المملوكية، و كانوا أصدقاء للصليبيين وحلفاء للمغول بآن معاً، وبقيت دولتهم قائمة في كيليكيا على الرغم من الضربات الموجعة التي أنزلتها بهم الدولة المملوكية، وأضحى حكامهم من اللاتين[1] .

لقد ارتبطت العلاقات فيما بينهما برباط المصاهرة، فقد أدرك هيثوم أنه لا يعصم مملكته سوى القيام بالتحالف مع المغول، كما أقام تحالفات كثيرة مع أفراد الفرنج بما أجراه من مصاهرات، إذ تزوجت أخته ماريا من يوحنا إبلين كونت يافا .

لقد شكلت دولة أرمينيا مصدر قلق مستمر لبلاد الشام، حيث تحالفت مع الفرنجة الصليبيين تارة، ومع المغول تارة أخرى، والهدف من ذلك هو تحقيق المصلحة المتمثلة باستخلاص بيت المقدس من أيدي العرب المسلمين، وربما وجدوا أن مصالحهم تجتمع مع مصلحة المغول، لأن موقع بلادهم بين سلاجقة الروم والمماليك، الأمر الذي جعل هيثوم(ملك الأرمن)، يبحث عن حليف قوي يوازي القوى المحيطة ببلاده، فبادر على الفور إلى التعاون مع المغول[2]، وهكذا أصبح ملوك أرمينيا منذ سنة ٦٤٤هـ/١٢٤٦م تابعين للمغول عامة ولمغول فارس خاصة، إذ أخذوا يؤلبونهم على جيرانهم العرب المسلمين، يشتركون بجيوشهم في حملات ضد المماليك ولما علم هيثوم الأول بأمر البعثات التبشيرية بين المغول ،خرج بنفسه سنة ٦٥١هـ/١٢٥٣م لزيارة خاقان[3] المغول الجديد منكوخان في عاصمته، ولقي منه كل احترام، مؤكداً له الضمانات والوعود التي قدمها سلفه كيوك المغولي[4] لسمباد الأرمني[5] (أخ الملك هيثوم) وقائد جيشه، وتبلورت العلاقات الأرمينية المغولية بشكل واضح أثناء حملة هولاكو على بلاد الشام، فوقف الأرمن والفرنج إلى جانبه لارتباط مصالحهم السياسية والدينية، وشكل كل من

---

[1]- رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ص٧٥٠

[2]- مصلح: العلاقات بين المغول والصليبيين، ص٤٢,٤٣,٤٤

[3]- خاقان: هو لقب يطلق على ملك التتار.

المقريزي: السلوك،ج٢، قسم(١) ،ص٢٩١

[4] - كيوك كان ايلخان التتار العظيم توفي ٦٤٧هـ/١٢٤٩م وزوجته تدعى قلقميش تولت العرش فترة قصيرة بعد وفاة زوجها إلى أن تولى منكوخان انظر نسيم: العدوان الصليبي ، ص٢٦٧ .

٥- انتزع سمباد أو سمباط الحكم لنفسه في سنة ٦٩٥هـ/١٢٩٦م .

طقوش: تاريخ الممالك في مصر و بلاد الشام، ص٢٢٢

الأرمن والمغول والفرنج الصليبيين تحالفاً ثلاثياً نجم عنه خطر كبير على بلاد الشام، وكان لذلك أكبر الأثر في هذا التحالف الذي كان سياسياً تجارياً أكثر منه دينياً، على أن ملكي قبرس وأرمينيا كانا أشد الملوك اهتماماً، وإحساساً بالخطر، لأن مملكتيهما أصبحتا في خط المواجهة، غير أنهما كانا شديدي الحرص على ألا يثيرا غضب السلطان المملوكي، إذ كان لزاماً على ملك أرمينيا أن يناضل ضد سلاجقة الروم والمماليك معاً، وتحتم على ملك قبرس بأن يحل مشكلة اللاجئين في بلاده، يضاف إلى ذلك أن كلتا الأسرتين الملكيتين وثقتا زواج بناتها من أمراء من اللاتين حيث تزوجت سيبيلا من بوهمند السادس[1] (٦٤٩-٦٧٤هـ/١٢٥١-١٢٧٥م) أمير أنطاكية[2] بينما تزوجت ايفيميا من يوليان كونت صيدا، وتزوجت ماريا من جي إبلين بن بلدوين بن صنجيل قبرس[3] لكن تلك المصاهرات لم تمنع من وجود الخلافات والنزاعات بين الأطراف التي أدت فيما بعد إلى حدوث حرب أهلية[4].

٨- النزاع بين ملك قبرس هنري الثاني و أخيه أملريك صاحب صور :

ظهرت مشكلة سياسية في قبرس سنة ٧٠٦هـ/١٣٠٦م هي مشكلة النزاع بين الملك هنري، و أخيه أملريك، أو عموري الثاني لوزينيان صاحب صور، كشفت من جديد عن المواقف التقليدية للأخويات العسكرية (الداوية ،الاسبتارية) في دعم الأطراف المتنازعة، حيث دعمت الاسبتارية الملك القبرسي، في حين وقفت الداوية موقف المعارض له ؟ كل ذلك من أجل إضعاف المملكة عن طريق إثارة الفتن و المؤامرات، بدا ذلك واضحاً في دعم وتشجيع الداوية للتمرد الذي قام به أملريك دي لوزينيان صاحب صور وشقيق الملك هنري الثاني ملك قبرس، الملك المريض

---

[1]- بوهمند السادس: عرف بوهمند السادس صاحب أنطاكية باسم ((الأمير الجميل)) وذلك لأنه كان صاحب حظوة و مرتبة كبيرة لدى هولاكو ولأن الأمير بوهمند صاهر ملك أرمينيا هيثوم بالزواج من ابنته سيبيلا سنة ٦٥٧هـ/١٢٥٨م.وربما كان شكله جميلاً حتى سمي بذلك والله أعلم. انظر:

ماخوت : الاستيلاء على الإسكندرية ،ج٤٩، ص٦٢٠

[2]- ابن الجزري(شمس الدين): المختار من تاريخ ابن الجزري حوادث الزمان وأبنائه، تحقيق خضر المنشداوي دار الكتاب العربي، ط١٩٨٨،١، ص٢٩/ العريني: المغول، ص١٩٨/ رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج٣، ص٧٥٠

[3]- العريني: المغول، ص١٩٨

[4]- للمزيد عن الأرمن و دورهم و علاقاتهم مع المغول و الصليبيين انظر:

زيدان(محمد عمر): دور الأرمن في الحروب الصليبية و الغزوات المغولية ، رسالة ماجستير بإشراف د. وفاء جوني ، دمشق ،٢٠٠٧م

(كان الملك مصاباً بالصرع) فهل كان مرد النزاع عائداً لضعف الملك و إدارة حكمه السيئة أم كان بسبب مرضه؟ أم كانت هنالك أسباب أخرى؟

اتفقت معظم المصادر في الحقيقة على أن سوء نية أملريك وطمعه بالعرش، إضافة إلى تحريض الداوية له هي السبب في إثارة التمرد والعصيان على الملك، فقد اجتمع في السادس والعشرين من نيسان في سنة ٧٠٦هـ/١٣٠٦م، حشد كبير من الفرسان والحاشية وممثلي المدن، ليعبروا عن استيائهم وشكواهم من الادارة السيئة للملك هنري، وإخفاقه في الحكم و نشر العدل، وكي يقدموا ولاءهم لأملريك، وانتخبوا الأخير لشغل منصب كاهن وحاكم وقائد للمملكة، كما قدمت كل من الداوية والاسبتارية ومؤسسات دينية أخرى معاناتهم من ذلك الملك وبالرغم من وقوف الاسبتارية على الحياد في البداية، وقفت الداوية وبشكل علني مؤيدة أملريك ضد أخيه [1]، وكثرت معارضات الداوية المستمرة على الملك هنري منذ اعتلائه عرش بيت المقدس في سنة ٦٦٨هـ/١٢٦٩م، وقيل بأن مقدم الداوية – جيمس دو فولييه- أيد ذلك التمرد لأنه استدان مبلغ ٥٠٠٠٠ بيزنت من صاحب صور، فمن الطبيعي أن يقف لجانبه خصوصاً إذا كان قد عفاه من دفع ذلك المبلغ؟

المهم، أنه وعلى الرغم من المحاولات العديدة في إيجاد نوع من الاتفاق الودي بين الملك وشقيقه ، جرت مفاوضات استمرت لأكثر من عشرين يوماً انتهت إلى اتفاق، سمح فيه للملك بدخل سنوي ومبلغ كاف من المال لتغطية نفقاته، بينما تدفع الرواتب السنوية إلى الملكة الأم والمستخدمين الآخرين، وفي سنة ٧٠٣هـ/١٣٠٧م، تم توقيع تلك الاتفاقية بين هنري وأملريك ومقدمي الداوية والاسبتارية ، واعتزل هنري مع أسرته العاصمة، وقطن في أحد الأرياف تاركاً التفكير في مسألة حكومة قبرص للإدارة البابوية [2] حتى تصدر قرارها الأخير، واستمرت المحاولات من قبل أساقفة مدينة فاماجوستا، وليماسول في كاتدرائية نيقوسيا ونائب مقدم الاسبتار من أجل تحقيق الوفاق مع الملك، وأتباعه حتى انهارت مقاومة هنري، وأجبر على

---

[1] - سميث : الاسبتارية ، ص٢٠٨، ١١٢ / اديوري : قبرص و الحروب ، ص١١٠، ١١١

٢- سميث: المرجع نفسه ، ص٢٠٩

توقيع امتياز يمنح صاحب صور، منصب الحكم مدى الحياة، وأظهر مارشال الداوية (مقدم الداوية) حقده على الملك واستخفافه به بقوله عند ختم الميثاق " أي منسوجة هذه "؟.

حكم أملريك (عموري): اتبع أملريك سياسة القمع مع أنصار الملك هنري، وبدا أملريك أكثر قلقاً من ذي قبل بل ازدادت مخاوفه وشكوكه، كما ازدادت العلاقات سوءاً مع شقيقه، فلماذا تولد هذا الشعور لديه؟

كانت لدى أملريك أسبابه منها :

١- استمرار رفض هنري الاعتراف بسلطة أملريك .

٢- خوف أملريك من قيام الاسبتار الذين وقفوا إلى جانب الملك هنري بغزو جديد عليهم .

٣- موقف المحكمة البابوية و عداؤها له.

٤- خوفه من ملك فرنسا (الملك فيليب) وتساؤله في نفسه لماذا لم يجعل الفرنسيون أحد أبناء فيليب أميراً على قبرس أو بيت المقدس كما كان شائعاً؟ لذلك ومع محاولات أملريك المستمرة لإقناع هنري الاعتراف بمنصبه، أرسل وفداً في سنة ٧٠٩هـ/١٣٠٩م ضم غي دو سيفيراك نائب مقدم الاسبتار إلى الملك، وأشار هذا الوفد إلى أن البابا نفسه، قد خاطب أملريك بصفته حاكماً، لكن الملك كان صارماً في موقفه، صحيح أنه لم يتدخل في إدارة أملريك، لكن لن يستطيع أحد إجباره على وضع ختمه على الوثيقة التي تعطي أملريك الحاكمية،وبقي هنري متصلباً في رأيه [١] الأمر الذي جعل أملريك يفقد صبره، وقرر نفيه وأسره، فأبعد الملك هنري إلى أرمينيا، وسجن فيها في سنة ٧١٠هـ/١٣١٠م لكن هذا الوضع مالبث أن تغير لصالح الملك هنري، عندما أغتيل أملريك على يد صديقه الحميم -سيمون دومونتوليف-عندها أعلن الاسبتارعن تأييدهم العلني للملك هنري، في الوقت الذي كانوا فيه منهمكين في الاستعداد لغزو جزيرة رودس، صحيح أنهم لم يدخلوا النزاع في قبرس بشكل ظاهري لكنهم أبدوا تعاوناً واضحاً مع هنري إلى درجة أن الشائعات الكثيرة اتهمتهم بتورطهم بمقتل أملريك ؟

١- سميث : الاسبتارية ، ص٢١٠ / ابيوري : قبرص و الحروب ، ص١١٦

لما سمع مقدم الاسبتارية غي دو سيفيراك بموت أملريك، وافق على العودة إلى كيليكا، لكن أحد رفاقه كذب على ملك أرمينيا (أوشين)[1](٦٨١-٧٢٧هـ/١٢٨٢-١٣٢٨م) بقوله إن أنصار الملك قتلوا أملريك و زوجته (ايزابيلا)التي كانت شقيقة أوشين، وكان هذا الخبر سهل التصديق بالنسبة لأوشين، و بعد كل ذلك وصل غي إلى فاماجوستا في الوقت الذي قتل فيه أملريك حاملاً رسالة تتضمن تعيين – فولك دو فيياريه – وصياً على عرش قبرس، و سرعان ماهرب غي من أرمينيا بعد أن أرسل رسالة توضيحية ل أوشين، رد نشبت حرب أهلية في قبرس بين أنصار الملك المعزول هنري الثاني، والذين اجتمعوا في فاماجوستا، وبين أنصار أملريك برفقتهم سفير البابا في نيقوسيا، وأرسلت الاسبتارية تعزيزات قوية لدعم هنري، لكن الموقف بات على غاية من التعقيد بسبب بقاء هنري مسجوناً، وبسبب إصرار أوشين على عدم إطلاق سراحه ؟ لذلك عمل أنصار الملك على أسر ايزابيلا صاحبة صور، وإرسالها إلى أخيها علّه يطلق سراح الملك، لكنهم رأوا أنه من الأفضل إرسالها إلى أرمينيا مع وفد رسمي مؤلف من (غي دو سيفيراك، جون صاحب اللاذقية، وراهب انكليزي – دي توماس بينكني – فوافقت ايزابيلا على الأمر، إلا أنها أجلت رحيلها إلى وقت أخر .

انسحب رجال أملريك من نيقوسيا، و على الفور انطلق – البرت لواليما – نائب مقدم الاسبتارمع قوة مؤلفة من خمسين قبرسياً و أربعين فارساً إسبتارياً، وفي يوم الجمعة في الرابع و العشرين من تموز استدعي جميع ممثلي الفرسان والشعب والمدن في نيقوسيا لسماع رسالة الملك التي يعين فيها مقدم الاسبتارية نائباً له [2] التي حمل غي دو سفيراك إلى قبرس، ومن ثم قرأت رسالة آيغ صاحب بيسان، الذي عينه أنصار الملك نائباً للملك فوراً بعد اغتيال صاحب صور و فيها بلغ مواطني نيقوسيا بأنه اختار ألبرت لواليما ممثلاًله لأن مقدم الاسبتارية قد تخلف في

---

[1] - كان لدى البارون أوشين أخوين في القسطنطينية الأول يدعى سمباط و هو الذي عمل ملكاً وهو الذي شنق أخاه طوروس و أعمى هيتوم أخاه الأكبر الذي كان ملكاً ومن أشقائه أليناخ الذي توفي فجأة بعد رحلة صيد أجهدته و حزن أوشين لوفاته كثيراً و على مسافة من قبرس مات سمباط في البحر و بموته انتقلت مملكة أرمينيا إلى الملك أوشين وله شقيقة تدعى ايزابيلا تزوجت من حاكم صور اللاتيني (أملريك)انظر:

داوي : أعمال القبارصة ، ص ٨١٢-٨١٣-٨١٥

[2] - سميث : الاسبتارية، ص٢١١ / ابيوري : قبرص و الحروب الصليبية ، ص١١٦

رودس، وسيشاركه آيغ صاحب بيسان في إدارة المملكة ثم أرسل الاسبتارية بعد يومين تعزيزات كبيرة لرودس، [1] إلى أن انتهى الأمر بهم أخيراً إلى الإفراج عن للملك هنري مقابل إطلاق سراح صاحبة صور وأولادها، فأبحرت إيزابيلا إلى أرمينيا، وعاد هنري بعد ستة أيام إلى مدينة فاماجوستا، وفي العاشر من أيلول، دخل نيقوسيا العاصمة بأبهة عظيمة وابتهاج شديد مصحوبا بقوة داعمة من الاسبتارية، ضمت حوالي سبعين اسبتارياً، وهكذا انتهى الصراع، وكان الرابح الوحيد والمستفيد منه على جميع الصعد الاسبتارية وحدها .

٩- القبض على الداوية و محاكمتهم في قبرس سنة ٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م:

تمتعت الداوية بالثراء الفاحش[2]، وعرف مقاتلوها بأنهم مقاتلون أشداء في الحرب، فقد ظلت هذه المنظمة زمناً طويلاً تسيطر على رؤوس الأموال ومقرضيها في الشرق، وكان لها ممتلكات عقارية واسعة في الجزيرة وتتلقى المساعدات المالية الضخمة المستمرة من أوربا الغربية، لكن سياستهم نعتت بأنها تقوم على الأنانية، وحب المغامرة، وانعدام المسؤولية، لقد قاد نشاطهم المالي الواسع إلى قيام اتصال وثيق مع المسلمين، وكنتيجة حتمية لتقاربهم هذا والاتصال المستمر، كبرت الصداقة والمصالح بين الطرفين، لا بل بدأت الداوية تتقرب من المسلمين وتهتم بديانتهم، وبالدراسات الإسلامية، ومن هنا بدأت الشائعات تتجه ضدهم ووصفوا بالإلحاد، وبأنهم يمارسون بالخفاء طقوس دينيه نعتت بالهرطقة، كما نعت نظامهم بالقذر[3] وكثر الهمس عما يصحبها من ممارسة الرذائل المنافية للطبيعة[4]، فعجزوا عن إيجاد مبرر لهم ، الأمر الذي تركهم عرضة للهجمات من الغرب، مما أدى إلى القضاء عليهم في النهاية لكن هذا الأمر وإن كان صحيحاً فهو ليس منطقياً، والإسلام بريء من تلك الممارسات، فليس

---

[1] - سميث : الاسبتارية ، ص٢١٢

[2] - ماكارياس: تاريخ قبرص من خلال الحروب الصليبية، الكتاب الأول ، الفقرة رقم١٣

[3] - Mak hrias,the sweet land,p ١١

٤ - رنسيمان: تاريخ الحروب، ج٢،ص٧٣١-٧٣٢.

من الحكمة بشيء، أن يتصرف مثل تلك التصرفات من يعرف الدين الإسلامي لأنه دين الشعائر والأخلاق الفاضلة، والداوية لم يكونوا ليفعلوها، ولا نستطيع أمام هذا الأمر، إلا أن نعده مجرد شائعة وإلصاق التهمة بهم للتخلص منهم ومصادرة أموالهم على الأرجح، هذا و قد أورد مخارياس رواية بينت زيف و قذارة ذلك النظام الديني مفادها:"كان هناك شابان من بلدة واحدة قد تربيا معاً، فأحب أحدهما الآخر، و كأنما كانا أخوين، ومع مرور الأيام رأيا رهبانية الداوية قد احتلت مكانة عالية، وأن الداوية كانوا يؤدون أعمالهم بتقوى كبيرة، وكان الشابين غنياً، وامتلك الرغبة لأن يصبح راهباً في منظمة الداوية، فاستقبله المقدم، وأراد الشاب الآخر كذلك الدخول في المنظمة، وعندما جاء الرهبان أثناء الليل لانتخابه، دخل رفيقه إلى وسطهم سراً وفق طريقة ما من أحد لاحظه: لأن الرب أغلق أعينهم بحيث لم يتمكنوا من رؤيته، وذلك في سبيل كشف أعمالهم، وقد رأى كل الذي فعلوه لرفيقه، وأخبر بذلك البابا بالتفاصيل قائلاً: عندما كانوا على وشك تكريس رفيقي، يعني من أجل قبوله في الرهبانية، رأيت الراهب ماسكاً بيديه صليباً من نحاس، ويسوع المسيح المصلوب موجود على الصليب، ثم إنه جثا على ركبتيه ووعد المقدم الأعلى بالمحافظة على السر مهما فعلوا به، ثم قال الكاهن له:"إن هذا هو المصلوب، فهل هو يبدو لك أنه ابن الرب، حتى وإن قال الناس أنه هو ؟ وبالنسبة لرهبانيتهم كان إذا قال نعم، أنا أعتقد بالحقيقة المطلقة أن هذا هو مثال يسوع المسيح الرب الحي، عندها سيقول الكاهن له:" ونحن بمثل هذا نعتقد، ولكننا نقوم بامتحانك"، وعند ذلك سوف يقبلونه ويرسلونه إلى الحرب، ووفق هذه الطريقة هو سوف يقتل، ولكن رفيقي عوضاً عن قوله لهم نعم، أنا أعتقد بالحقيقة المطلقة أن هذا هو مثال الرب، قال له :" ماذا تقول ؟ إن الذي سوف تقوله لي مهما كان أنا سوف أعترف به" ووقتها سيقول الكاهن له : " هذا كان نبياً كذاباً " وعندما سمع هذا، هو تقبله، وأخذ الصليب المقدس من يده، ورماه على الأرض، وأنزل كثيراً من الإهانات عليه، ومن بعد ذلك هم سيعرونه تماماً، ويغسلونه من الرأس إلى القدمين، ومن بعد ذلك سوف يقبلونه على الرأس وعلى أعلى الجمجمة وعلى الفم....وهو سيعدهم أنهم في أي وقت يطلبونه هو سوف يكون جاهزاً، ولن يقاوم أي واحد بأية طريقة من الطرق ، ومن بعد هذا يلبسونه ثوباً قذراً من ثياب رهبانيتهم القذرة ، ويجلسونه في مكان مرتفع، ولسوف

يعطونه في اليوم التالي ذهباً و فضة، وملابس بكميات كبيرة، ويحملونه ويطوفون بــه حــول البلدة وسط بهجة عظيمة غير أن النظام المكتوب لرهبانيتهم هو الأكثر حكمة وسرقاً، حيث كان الرهبان في المظهر الخارجي أمام الناس يمثلون الكنيسة بصدق ، ولكن بشكل سري فعلوا الذي سمعته أعلاه. لكن عندما سمع البابا بذلك استشاط غضباً وأراد التحقق من الأمر على طريقتــه الخاصة، فقد طلب أولاً من الشاب ألا يخبر أحداً بالقضية ثم استدعى البابا للمثول أمامه المقــدم الأعلى لرهبانية الداوية وعرض عليه رغبته في معرفة كيفية قبول الراهــب فــي منظمــتهم، واختار شاباً لكي يقبله المقدم بحضور البابا فقال له: " إن هذا يا مولاي غير ممكن، لأن أوامر رهبانيتنا تقضي بعدم قبول أي واحد علناً، بل بشكل سري، حيث يكون المكان مناسباً، أي فــي المكان الذي يكون مقدساً " وتظاهر البابا بعدم الاكتراث بالأمر، واستدعى من بعد ذلك المقــدم الأعلى للاسبتارية، وطلب منه قبول الشاب نفسه كراهب، فقام على الفور بقبوله، عنــدها أدرك البابا الحقيقة وغضب كثيراً بسبب ذنوب الداوية التي لا تغتفر لذلك أمر بقتــل جميــع الداويــة وتدميرهم في يوم واحد[١]، و هناك رواية تقول: أن الملك فيليب الرابع (ملك فرنسا) أو(فيليب الجميل)عازم على سحق الطائفة، ولطالما سببت ثروة هذه المنظمة، وقواها للملــك القبرســي الكثير من المخاوف، لذلك لم يجرؤ البابا على إثارة غضبه، على أن فيليب وقف مــن فرســان الداوية موقفاً عنيفاً، حيث أمر فجأة في شهر تشرين الأول سنة ٧٠٧هــ /١٣٠٧م بإلقاء القبض على جميع من كان بفرنسا من رجال الداوية، وبمحاكمتهم على الإلحاد والعمل ضد المســيحية [٢]، بمقتضى التهم التي صاغها فارسان اشتهرا بسوء السمعة، وسبق طردهمــا مــن الطائفــة نفسها، ويبدو أنه لدى سميث مبررات لاتهام الملك الفرنسي(فيليب) الداوية بالهرطقة والكســب الحرام، وعزاها لسببين:أولهم بسبب أسلوب الحكم، وثانيهما لأنه كان طامعاً بمواردهم الماليــة الهائلة، أضف إلى ذلك أن البابا كلمنت الخامس كان جديداً بل كان ضعيفاً ومعتلاً، عاش منفيــاً في بواتيه في فرنسا، الأمر الذي كان عاملاً مهماً في إسقاط الداوية[٣] كون هذه المنظمة تتبــع

١- ماكارياس: تاريخ قبرص خلال الحروب الصليبية ، الكتاب الأول ،الفقرة ١٥-١٦

٢- عمران (محمود سعيد) تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية ،٢٠٠٦م، ص٢٢٦

٣- سميث :الاسبتارية ، ص٢١٤/ رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية،ج٢ ،ص٧٣٢

للبابا مباشرة، والسؤال المطروح هنا لماذا صدر هذا القرار وعلى أي أساس استند، فالعقوبة التي صدرت بحقهم قاسية جداً، على الرغم من النفوذ والمكانة التي تمتعت بها هذه المنظمة؟

انتشرت في سنة ٧٠٨هـ/١٣٠٧م فضيحة الداوية انتشاراً واسعاً، فذاعت عنهم المساوئ والنقائض الخلقية حتى صاروا مضغة في أفواه الناس، عندها أعلن البابا قراره بفتح التحقيق في الموضوع، كما تم اعتقال جميع جميع فرسان الهيكل في فرنسا، فوصودرت ممتلكاتهم في كل مكان[1]، ومن جراء التعذيب الذي تعرض له العديد من الرهبان بمن فيهم قوادهم، اعترفوا بفداحة آثامهم، إلا أن البابا بقي غير مقتنع بذنبهم؟! وهنا كان لابد لحكومة قبرس أن تتعاون نظراً لأن الداوية اتخذوا مقرهم بالجزيرة، وكانوا على علاقة حسنة بملك الجزيرة أملريك، في هذه الأثناء وصل إلى قبرس سنة ٧٠٨هـ/في أيار ١٣٠٨م المقدم – هايتون – يحمل رسالة من البابا تنطوي على الأمر بإلقاء القبض فوراً على الفرسان الداوية، بعد أن تبين لهم أنهم ليسوا مؤمنين غير أن أملريك ملك قبرس أرجأ تنفيذ المطلوب حتى يتمكن الداوية ويستعدوا للدفاع عن أنفسهم، لكنهم اضطروا إلى الاستسلام في أول تموز للعام نفسه ، بعد أن لجؤوا إلى استخدام السلاح مدة قصيرة.

وتقرر نقل أموالهم من ليماسول إلى دار أملريك في نيقوسيا، باستثناء شطر كبير منها أتقنوا إخفاءه، فلم يتيسر كشفه، وفي سنة ٧١٠هـ/١٣١٠م، تقرر آخر الأمر تقديم الداوية بقبرس إلى المحكمة بناء على إصرار البابا وإلحاحه، بدأ أعضاء اللجان التي عينها البابا للتحقيق في وضع الداوية في قبرس في سنة ٧١٠هـ/١٣١٠م،إلا أن مقتل أملريك قطع جلساتهم ، وبدأ فتح تحقيق جديد في سنة ٧١١هـ/ ١٣١١ م، تم سماع كل الشهادات وكان – سيمون دو ساريزا ريز– (رئيس دير الإسبتارية) من بين الذين أدلوا بالشهادة ، وكانت شهادته كشهادة الآخرين فقد كرر العديد من الإشاعات، و أظهرت شهادته شيئاً من العدائية تجاه الداوية [2] فتعرض عدد كبير منهم في فرنسا للقتل حرقاً، بينما ألقي بهم في جميع أنحاء أوربا في السجون، بعد أن

1- جوني :الحياة السياسية و الإدارية ، ص١٦٣-١٦٤

٢- سميث : الاسبتارية ، ص٢١٦، ٢١٥

جردوا من أموالهم وأصبحوا في حالة فقر مدقع، ولم يكن لدى هنري الثاني (ملك قبرس) ما يدعوه إلى محبة هذه الطائفة بعد ما خانوا قضيته منذ بضع سنوات و أبعدوه عن العرش، وعلى الرغم من ذلك هيأ لهم محاكمة عادلة، وظفروا بالبراءة في قبرس جميعهم،غير أن البابا لما بلغه أنباء براءتهم استشاط غضباً، فكتب إلى الملك هنري يطلب إعادة المحاكمة، وأرسل ممثلاً شخصياً عنه اسمه – دومنيك بالبسترينا – ليتأكد أن العدالة أخذت مجراها، كما تقرر إرسال المندوب البابوي في الشرق- بطرس- أسقف رودس إلى قبرس لتعزيز جهود- دومنيك – وبقي الداوية في حبسهم سنة ٧١٣هـ /١٣١٣م حينما تلا بطرس أسقف رودس على الأساقفة ورجال الدين بالجزيرة قرارات البابا الصادرة في سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م التي تقضي بقمع طائفة الداوية، ليس فقط بالإدانة بل باتخاذ وسائل أخرى، وتسلم كل مالها من ثروة وأملاك إلى الاسبتارية، ماعدا الأخويات في إسبانيا و البرتغال ، ولم يطلق سراح قادة الداوية في قبرس أبداً.

فما هو موقف الاسبتارية التي امتلكت ممتلكات ضخمة في قبرس من كل ماحصل للداوية؟ وهل وقفوا إلى جانب الداوية الند المنافس لهم ؟أم أنهم ساهموا إلى حد كبير في الإيقاع بهم ؟ أم وقفوا على الحياد ؟ أم٠٠٠؟

حاول دير الاسبتارية في قبرس أن يظهر بمظهر الوقوف على الحياد إزاء الأزمة، وإذ كان رؤساء الأديرة قد فعلوا القليل للتسريع في اسقاط الداوية، إلا أنهم لم يقدموا لهم أية مساعدة تذكر، وبالرغم من محاولة الرهبان في البداية مقاومة محاولات اعتقالات الداوية، استسلموا في النهاية بعد محاصرة دير الداوية، ومنذ سنة ٧٠٨هـ/١٣٠٨م، أمر أملريك ملك قبرس، ومعه فريق ضم رئيس دير الرهبان الاسبتار بإغلاق دير الداوية في نيقوسيا، وتجريده من محتوياته كما خصص دخل أبرشية نيقوسيا المهجورة، مع تحويل مبلغ من مال الداوية حسب الأوامر البابوية إلى فرسان القديس يوحنا، وأعطي مقدم الاسبتار حق الإدارة العامة على ممتلكات الداوية، وبالنتيجة كانت الاسبتارية الرابح الحقيقي من جراء الأحداث، فقد قضي على منافس

قوي كانت تخشاه لتخلو الساحة لها، وحصلت بالمقابل على ممتلكات هائلة، إذ بدأت تستعد لمغادرة قبرس![1]

وحقيقة تأثرت قبرس بما حصل للداوية جراء الإتهامات التي ألصقت بهم، وما حل بهم، إذ أضحت مملكة قبرس بعد استئصال الداوية، وهجرة الاسبتارية منها إلى رودس، الحكومة المسيحية الوحيدة التي اشتد اهتمامها بالأرض المقدسة، والمعروف أن ملك قبرس يعد من الناحية الاسمية ملك بيت المقدس، وظل الملوك لأجيال عديدة يحرصون كل الحرص على أن يتلقوا تاج بيت المقدس في فاماجوستا، كونها أقرب مدينة لملكهم الضائع وكان الاحتفال بتتويجهم ملوكاً على قبرس يتم في نيقوسيا، وهذا له مدلول كبير على أن خروجهم من القدس كان خروجاً مؤقتاً، ولديهم كل الأمل بعودتهم إليها[2].

١٠- انتقال الاسبتارية من جزيرة قبرس إلى جزيرة رودس ٧٠٨هـ / ١٣٠٨م وأثر ذلك على الوضع التجاري والسياسي لقبرس:

من المعروف أن الطوائف الدينية العسكرية (داوية – اسبتارية – تيوتون) والتي نشأت في الأرض المقدسة من أجل العالم المسيحي حسب زعمها، كان من واجبها الأساسي حماية الصليبيين والحفاظ على وجودهم، ولكن طائفة التيوتون غادرت الشرق بعد تحرير عكا من قبل المسلمين سنة ٦٩٠هـ / ١٢٩١م، بينما اتخذ كل من الداوية والاسبتارية من جزيرة قبرس مقراً لهم، لكن الطائفتين عجزتا عن مباشرة واجباتهما على النحو السليم في قبرس، إذ تدخلتا في السياسات المحلية للجزيرة، الأمر الذي انعكس سلباً عليهما، فعمت الفوضى والاضطرابات الداخلية، وكان البابا يقدرهما لما قد تبذلانه من مساعدة في توجيه الحملات الصليبية أو غيرها[3]، وكنتيجة لتحرير الشرق الفرنجي من قبل المسلمين، أصبحت الأجواء في

١- سميث : الاسبتارية ، ص١٩٧

٢- رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية،ج٣، ص٧٣٢-٧٣٣-٧٣٤-٧٣٥

٣ - رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ،ج ٣ ، ص ٧٢٠-٧٢١.

حالة قلق واضطرابات، وبدأت كل منظمة تبحث لها عن دور جديد في صراعها مع المسلمين بسبب الخيبة والشعور بالإحباط بعد خسارتها في سورية، على أن الفرسان التيوتون حلوا مشاكلهم بأن ركزوا جهودهم في احتلال بلاد البلطيق[1] أما الداوية والاسبتارية فإنهم تعرضوا للقيود في قبرس، ولم يلقوا شيئاً من التقدير الذي يأملونه ؟بالإضافة إلى تهديد البابا أنوسنت السادس (٧٥٣-٧٦٤هـ/١٣٥٢-١٣٦٢م) للاسبتارية بفقدان الممتلكات وبتشكيل رهبانية عسكرية جديدة " إذا لم يظهروا كثيراً من القتال ضد الأتراك"[2] وقوتهم المتصاعدة التي سببت رعباً كبيراً للفرنجة الصليبيين، وإذا كان الاسبتارية الأكثر تعقلاً وحكمة من الداوية فما هو الحل الذي لجأت إليه الإسبتارية، وما الذي دفعهم إلى البحث عن وطن آخر؟ هل طردت من قبرس ؟ أم أنها تعرضت للقيود فيها فخافت على مصيرها أن يكون مثل المصير الذي حل بنظيرتها الداوية؟ أم كان لديها مطامع توسعية فاقت أهمية قبرس بالنسبة لها؟ أم لكل تلك الأسباب جميعها؟؟

قدم إلى قبرس في سنة ٧٠٤هـ / ١٣٠٦م قرصان جنوي اسمه فييولودي فينولي، حيث عرض على مقدم الإسبتارية - **فولك فيلاريت**[3]- أو (فولكو دو فيلاريه) بأن يقوم مع طائفته باحتلال جزر الأرخبيل (الدوديكانيز) واقتسامها معاً، على أن يكون للاسبتارية ثلثا الغنيمة و للقرصان الثلث، و قد أعجب مقدم الاسبتارية بذلك العرض، و أبحر إلى أوربا ليحصل على موافقة البابا على المشروع، في الوقت الذي شرع فيه الاسبتارية فعلاً، و بمساعدة بعض السفن الجنوية، على غزو جزيرة رودس ، وهي تقع على مفترق الطرق البحرية، كما أنها قريبة جداً

---

١ - **البلطيق** : بحر داخل في البر في شمال أوربا ومن أهم المدن الواقعة على فروعه (روسيا-ألمانيا الدانمرك - بطرسبورغ-كوبنهاغن..و الجهة التي يدخل فيها إلى داخل القارة فهي متعرجة جداً و بالإجمال فإن هذا البحر تصب فيه مياه خمس قارة أوربا تقريباً وفيه أسماك كثيرة من مختلف الأنواع ،وجميع البلدان المحيطة به أطلق عليها اسم بلاد البلطيق وهي غنية بمحاصيلها النباتية المفيدة أما سبب تسميته فلا يعلم بالضبط فمنهم من ذهب على أنها مشتقة من كلمة بلت بالدانمركية و معناها منطقة و بعضهم قال أنها من كلمة بلتا ومعناها أبيض اشارة إلى الثلوج الكثيرة للمزيد

انظر البستاني : دائرة المعارف ، مجلد (٥)، ص٥٦١

٢- سيتون : البابوية و الحروب الصليبية ، ص ٤٣٦/ اديوري : قبرص و الحروب الصليبية ، ص١١٨

٣ - **فولك فيلاريت** : كان راهباً شاباً من رهبان الاسبتارية، و قد كان القائد الأعلى كريماً و سخياً جداً ، أحب كثيراً إخوانه الفرسان الرهبان ، و أصبح مقدم الاسبتارية بعد وفاة عمه جون أوف فيلاري

داوي: أعمال القبارصة ، ص ٨٠٤

من بيزنطة و عائدة لها [١]، ومن جزيرة قبرس، غربي الجزيرة على الطريق الذي يأخذه الناس عند ذهابهم إلى مصر، وقد سمح سكان جزيرة قبرس بمرور المراكب المحملة بالأخشاب والحديد والأطفال والنساء...الخ من أجل بيعهم إلى مسلمين مصر، لابل حتى شعب رودس غالباً ما حملوا هم هذه السلع إلى مصر [٢] وهذا دليل على غنى رودس، فهي دار صناعة الفرنج (لاسيما صناعة المراكب الحربية)[٣]، وكانت تتاجرمع المسلمين (المماليك) تجارة رابحة عن طريق قبرس.

فما هي المشاكل التي اعترضت طريق الاسبتارية وجعلتهم يغادرون قبرس ؟

من الجدير ذكره بأن الأسبتارية كانوا يقومون بعملية تغيير لتنظيمهم العسكري، فبعد سنة ٦٩١هـ/١٢٩١م صدر قانون عام في سنة ٦٩٢هـ/١٢٩٢م، حرم فيه استقبال الفرسان في معظم أنحاء أوربا بدون إذن خاص من الأخوية، وصدرت في سنة ٧٠٠هـ/١٣٠٠م أحكام تتعلق بتخفيض عدد الرهبان في قبرس وقد يعود السبب في هذا التقليص إلى محاولتها البدء بالتركيز على الحرب البحرية، وكان ذلك بالطبع نتيجة لطبيعة ظروف الاسبتارية الجديدة كونها محصورة ضمن جزيرة قبرس، حقيقة قوبل هذا التصرف بالتشجيع من قبل البابوية، ويبدو أنه تم تطوير أسطولها سريعاً.

لم يكن تغيير شكل واجبات الاسبتارية العسكرية المشكلة الوحيدة، بل واجهتهم عدة مشاكل أخرى تعرضوا لها لا سيما بعد تحرير عكا، حيث اتهموا بعدة إتهامات، وتعرضوا للنقد الشديد من أوربا، وإلى عداء ملك قبرس نفسه بالإضافة إلى نشوب نزاعات داخلية، لهذا شرعت هذه المنظمة في البحث عن قواعد لها حتى تتابع دورها الوظيفي، فقد توجهوا بأسطولهم الصغير إلى جزيرة رودس ؟ فلماذا وقف ملك قبرس موقف المعارضة من هذه الأخوية ؟ في الحقيقة واجهت الأخويات العسكرية معارضة شديدة من قبل الملك هنري الثاني ملك قبرس، لأنه كان

١– داوي : أعمال القبارصة ، ص ٨٠٤

٢ – داوي: المصدر نفسه، ص٨٠٤.

٣– المقريزي: السلوك ،ج٣، القسم الأول ، ص ٤١٣/ النويري : الالمام ، ص٣٥

منشغلاً بتوطيد حكمه، وفرض الحكم الملكي بموافقة البابوية، فقد قاده قراره هذا إلى الدخول في نزاع مع الأخويات ذات الامتيازات، فحاول فرض ضريبة الرؤوس، ومقدارها بيزنطان[1] اثنان على الخدام و الأقنان من كل الفئات الدينية، بما فيها الداوية والاسبتارية، وبذلك عدت هاتان المنظمتان بأن ذلك انتهاكاً لحقوقهما، إلا أنه في سنة ٦٩٩ هـ/١٢٩٩م حظر البابا على هنري وبشدة ابتزاز هذه الضريبة من الأخويات الدينية، أو من أية فئة من رعيته، بل أنه ساهم في زيادة أملاكهم في قبرس، ويبدو أن هنري كان يعمل جاهداً للحد من تزايد قوة وثروة الأخويات إلا بإذن الملك و البابا، وعلى الرغم من ذلك فقد تزايدت ملكية الأراضي في قبرس قبل عام ٧١٠هـ/١٣١٠م، و طلب البابا في سنة ٧٠٤هـ/١٣٠٤م من أسقف مدينة ليماسول أن يساعد الاسبتارية على امتلاك مصلى إغريقي بالجوار من مقرهم في المدينة، إذاً كانت الإنتقادات موجهةً إلى الأخويات من أوربا، ومن الملك هنري كونه صاحب النفوذ الأعلى بالإضافة إلى عدم الثقة الداخلية، والنزاعات لا سيما بين جنوة ومنافستها البندقية اللتين نقلتا حربهم إلى أرض قبرس نفسها، ونشوب الثورات المستمرة بسبب سوء حكم ذلك الملك، كل ذلك جعلت الاسبتارية تلتفت وتركّز على فكرة مغادرة قبرس.

أما الأسباب التي جعلت مقدم الاسبتارية – (فولك فيلاريت)، يوافق على ذلك العرض الذي تقدم به القرصان الجنوي فهي:

١- لأنه أراد على حد زعم مؤلف (أعمال القبارصة)[2] أن ينال الثناء من الرب(الحظوة) والتشريف من العالم المسيحي، لذلك انطلق يعمل في سبيل الاستيلاء على تلك الجزيرة.

٢-قصد من عمله هذا، منع مرور التجارات الذاهبة إلى المسلمين، وبذلك سوف يكون بمقدوره إخضاع المناطق المجاورة من بيزنطة للفرنجة الصليبيين، التي كانت تتبع لسلاجقة الروم، لذلك قام بالتخطيط لاحتلال

١- كانت عملة بيزنطة تسمى – النوميسما – و هي من الذهب الخالص و كانت الوارثة الشرعية للصولد الروماني ، و قد أطلق الإغريق على الصولدي في العصور الوسطى اسم النوميسما ثم سميت بالبيزنت أو البيزنط نسبة لبيزنطة انظر:

زيتون : العلاقات الاقتصادية بين الشرق و الغرب في العصور الوسطى ، هامش ص ٤٥

٢ - داوي: أعمال القبارصة ، ص٨٠٥

رودس من خلال قبرس، حيث وجه دعوة إلى رجل جنوي كبير اسمه- اللورد بونيفيسو غريمالدي- للحضور إلى فاماجوستا، ولما حضر التقى معه في مقاطعة كولوسي colossi التي هي إقطاعية تابعة للاسبتارية (جنوبي قبرس) قرب ليماسول(تبعد عنها ستة أميال)، وتحادثا هناك مع بعضهما، ونظما شؤونهما الضرورية لاحتلال رودس، وبعد نقاشات طويلة تم الاتفاق على إعداد الأسطول[1].

وبينما أقلع فولك إلى أوربا ليحصل على موافقة البابا على الخطة المرسومة (هذا يعني أن البابا كان على علم بالاستيلاءعلى الجزيرة على الأقل)، رسا على جزيرة رودس أسطول صغير للاسبتارية تسانده بعض السفن الجنوية، وشرع في إخضاع الجزيرة، و عند وصولهم إلى هناك تمكنوا من النزول إلى اليابسة والاستيلاء على البلاد بالقوة و محاصرة قلعة رودس فما الذي حدث خلال مدة الحصار، وهل ساعد ذلك الأمر على التغلب على الجزيرة بسهولة ؟

عندما كانت الاسبتارية تقوم بحصار مدينة رودس حدثت واقعة أخرى في قلعة فيلرمو أثرت على مجريات الأحداث، و بحكم موقع قلعة فيلرمو و بعدها عن البحر، فقد تلقت مساعدات متنوعة من بيزنطة من سرجندية و أطعمة و غيرها [2].

استبسلت الحامية اليونانية بالجزيرة في القتال، ولم تسقط مدينة فيلرمو الكبيرة في أيديهم في تشرين الثاني سنة ٧٠٨هـ/١٣٠٨م، إلا بالخيانة[3]، في حين ذكر العسلي أن قلعة فيلرمو سقطت في سنة ٧٠٦هـ/١٣٠٦م[4]، ولكن على خلاف ذلك، فقد ورد الحدث عند فارس داوي بأن مقدم الاسبتارية فولك ركب مع فرسانه الرهبان السفن واتجهوا إلى رودس، وعند وصولهم تمكنوا من النزول إلى اليابسة والاستيلاء على البلاد بالقوة، وحاصروا قلعة رودس ونصبوا مجانيق الحصار عليها[5]، أما رنسيمان فقال بأن المدينة (رودس) ظلت تقاوم لمدة سنتين بسبب

---

[1] - داوي: أعمال القبارصة، ص٨٠٥-٨٠٦

[2] - داوي : المصدر نفسه ، ص ٨٠٦

[3] - رنسيمان:تاريخ الحروب الصليبية،ج٣، ص٧٢٩/للمزيد من المعلومات عن اختلاف الأدلة على مدة الحصار انظر سميث :الاسبتارية ، ص٢١٣

[4] - العسلي : فن الحرب الإسلامي ، مج٤، ص٥٧٤

[5] - داوي:المصدر نفسه، ص٨٠٥

تحصيناتها القوية، ومقاتليها الأشداء[1] إلى أن حدث آخر الأمر في صيف ٧٠٨هـ/١٣٠٨م أن جنحت سفينة كانت تقل إمداداً للحامية مرسلة من القسطنطينية، ساقتها العواصف إلى جزيرة قبرس، وقعت في فاماجوستا في قبضه فارس قبرسي اسمه – فيليب الأصفر فسار بمن فيها، إلى أن وافق قائدها، وهو من رودس كي ينجو بحياته على إجراء المفاوضات حول تسلم المدينة التي فتحت أبوابها للاسبتارية في ١٥ آب سنة ٧٠٨هـ / ١٣٠٨م[2].

أما الفارس الداوي، فقد ذكر أنه عند حصار الاسبتارية لمدينة رودس، زودت بيزنطة قلعة فيلرمو بسرجندية، وبأطعمة وبثلاثمائة تركي قدموا إلى عونها، حيث قام قسطلان البلدة الحصينة بضرب سرجندي إغريقي، الأمر الذي جعله يشعر بالخجل، فذهب وهو غاضب إلى جيش الإسبتارية الذي كان أمام رودس وتفاهم معهم، ووعدهم بخيانة تلك القلعة من الجانب الذي كان يتولى حراسته، إذا ما رغبوا بالاستيلاء عليها، وبالفعل ساعد هذا الجندي الاسبتارية على تسلق الجدران ليلاً وأراهم المكان ، فاستولوا على تلك البلدة الحصينة، وقتلوا بسيوفهم ثلاثمائة تركي مسلم بينما هرب الكثير من الرجال والنساء والأطفال إلى الكنائس لإنقاذ حياتهم وبذلك عزز الاستيلاء على هذه البلدة الحصينة الاسبتارية كثيراً، بل منحهم إصراراً على متابعة الحصار بقوة أكبر، ومع ذلك احتاجوا إلى أكثر من عامين للاستيلاء على قلعة رودس، أما السبب بطول تلك المدة في الحصار فقد عزاها الفارس الداوي إلى امتلاكها لرجال أقوياء ولتحصيناتها القوية ، ولأن الاسبتارية لم يرغبوا بتدميرها كلياً بسبب أن الذين بداخلها كانوا من المسيحيين، لذلك أرادوا الاستيلاء عليها بطريقة موائمة[3]، بينما ذكر بسام العسلي أن قلعة فيلرمو سقطت في سنة ٧٠٦هـ/١٣٠٦م [4]، وهنا اختلفت الروايات حول كيفية الاستيلاء على الجزيرة وسقوطها ، فكل مؤرخ شرح الأمر من وجهة نظره، ولكن على خلاف ذلك، فقد ورد الحدث عند فارس داوي بأن مقدم الاسبتارية فولك ركب مع فرسانه الرهبان السفن واتجهوا إلى

[1] – داوي: أعمال القبارصة، ص٨٠٦

[2] - رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية ، ج٣، ص٧٢٩.

[3] - داوي: المصدر نفسه، ص ٨٠٥-٨٠٦

[4] - العسلي: فن الحرب الإسلامي ، ص ٥٧٤

رودس، وعند وصولهم تمكنوا من النزول إلى اليابسة والاستيلاء على الجزيرة بالقوة، وحاصروا قلعة رودس ونصبوا مجانيق الحصار عليها [١]، أما رنسيمان فقال بأن المدينة (رودس) ظلت تقاوم لمدة سنتين بسبب تحصيناتها القوية و مقاتليها الأشداء [٢] إلى أن حدث آخر الأمر في صيف سنة ٧٠٨هـ/١٣٠٨م أن جنحت سفينة كانت تقل إمداداً للحامية مرسلة من القسطنطينية، ساقتها العواصف إلى جزيرة قبرس، وقعت في فاماجوستا في قبضة فارس قبرسي اسمه- فيليب الأصغر- فسار بمن فيها إلى أن وافق قائدها وهو من رودس كي ينجو بحياته على إجراء المفاوضات حول تسليم المدينة التي فتحت أبوابها للاسبتارية في ١٥ آب سنة ٧٠٨هـ/١٣٠٨م [٣]، فما هو موقف بيزنطة لما حصل خصوصاً و أن الجزيرة تابعة لها؟ ذكر الفارس الداوي أنه عند حصار الاسبتارية لمدينة رودس زودت بيزنطة قلعة فيلرمو بما تحتاجه، لا سيما بعدما وصلتها رسائل ورسول من الناس يسألونها المساعدة وأن تزودهم بالطعام و بالسلاح، وبناء عليه استأجر الامبراطور البزنطي مركباً جنوياً وحمله بكميات كبيرة من الطحين والأسلحة برفقة الرجل الذي أرسله إليه أهل رودس، ولكن ما أن وصلت السفينة إلى مياه رودس حتى وجد الذين كانوا على ظهرها أن حراسة مشددة فرضت عليها بحيث لا يمكنهم الرسو، بالإضافة إلى الغلايين الكثيرة الموجودة التي قامت الاسبتارية بتسليحها الأمر الذي جعلهم يبحرون نحو قبرس حتى وصلوا إلى ميناء فاماجوستا، وكان قد وصل من رودس "إلى قبرس فارس قبرسي اسمه (السير بيير لي جوني) لديه سفينة حربية صغيرة ومسلحة تابعة للاسبتارية، وعندما كان في الميناء بات ذلك التاجر صاحب سفينة التفريج خائفاً من أن يقوم الرجل الذي قدم من رودس وسوف يعود إليها بالاستيلاء على سفينته، وقد كان في السفينة كثيراً من الأطعمة والأسلحة، لكن صاحب هذه السفينة أراد إنزال تلك الحمولة في فاماجوستا الأكثر أماناً لكن عندما كان الرجل في بارجته، عرفه واحد من البحارة، فأبحر

---

[١] - داوي: أعمال القبارصة ، ص ٨٠٥

[٢] - رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية ، ص ٧٢٩

[٣] - داوي : المصدر نفسه ، ص ٨٠٦

البحارة نحو بارجته واعتقلوه، ثم سلموه إلى مقدم الاسبتارية في رودس، وهذا دلالة على إخفاق المحاولة البيزنطية في تقديم المساعدة، كما أن عامل الخيانة قد ساهم في التسريع من سقوط الجزيرة، [1] وصارت القلعة بأيدي الاسبتارية حيث سلم الرجال الذين كانوا في القلعة المفاتيح إلى مقدم الطائفة، وعملوا ميثاقاً بأن تبقى مقتنياتهم تحت حماية الاسبتارية، وأن يصبحوا رجالهم[2]، فبادر الاسبتارية على الفور في إقامة مقرهم الجديد في الجزيرة، إذ جعلوا من المدينة بمينائها الرائع أمنع حصن في شرق البحر المتوسط، وعد ذلك انتصار صليبي فرنجي، فقد بدا مقدم الاسبتارية على الفور بتحسين دفاعات المدينة، واستمر في عمله بدعم تحصين وتقوية المدينة دون توقف، وغالباً ما كان البناء محصوراً في الجزء الحصين من المدينة، أي البلدة التي ضمت قصر مقدم الاسبتارية والأحياء السكنية للجاليات المختلفة، وزيدت مساحة المدينة بإضافة الحي السكني الخارجي الذي أطلق عليه اسم برغس (BURGOS) وجرى هذا التوسع في القرن ٨هـ/١٤م، ثم أضيفت تحسينات وأجزاء عديدة من الدفاعات، حيث تم بناء برج الحصار الضخم عند المرفأ [3] كل ذلك كان بسبب خوف الاسبتارية في رودس من قيام الأسطول المصري بعملية انتقامية ضد رودس رداً على حادثة الاسكندرية سنة ٧٦٧هـ/١٣٦٥م أولاً، وخوفهم من تعاظم قوة العثمانيين، الذين نقلوا الحرب الصليبية إلى أرض أوربا نفسها ثانياً، والواقع أن احتلال رودس وهب الاسبتارية قوة جديدة، وهيأ لهم الوسيلة لتحقيق حلمهم المنشود، بالمقابل فقدت الدولة البيزنطية جزيرة كبرى من جزرها في البحر المتوسط، وكانت خسارتها أشد، غير أنه كان لزاماً على سكان رودس أن ينتظروا ما يزيد على ستة قرون حتى يستردوا حريتهم[4]، وهكذا أضحت جزيرة قبرس في عزلة ظاهرة، ساهمت الاضطرابات والمغامرات والفوضى السياسية فيها إلى انفضاض تلك القوى عنها، بعد أن جردوها من ممتلكاتها، وبحثوا عن موطن آخر أكثر نفعاً وخدمة لهم، و ظلت رودس بيد الاسبتارية حتى امتلكها السلطان العثماني سليمان القانوني (٩٢٦هـ/١٥٢٠م) الأمر الذي دفعهم

---

[1] - عاشور : الحركة الصليبية ، ص ٩٧٦

[2] - داوي: أعمال القبارصة، ص٨٠٦.

٣ - العسلي : فن الحرب الإسلامي، ص٥٧٤،٥٧٥

[4] - رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ص٧٢٩,٧٣٠.

إلى ترك الجزيرة سنة ٩٣٦هـ/١٥٣٠م إلى جزيرة مالطة (جنوبي صقلية)، واستأنفوا أعمالهم التجارية والحربية، وظلوا حكاماً حتى نشوب الثورة الفرنسية التي قضت عليهم في النهاية [١]

أما رودس فقد فقدت أهميتها العسكرية منذ أن سيطر الأتراك العثمانيون على بحر إيجة، وعلى ما احتواه هذا البحر من الجزر والخلجان، وتعطي تجربة رودس التاريخية نموذجاً لارتباط أهمية الجزر بما تشغله من موقع استراتيجي جغرافي ضمن إطار الصراعات البحرية .

١١ – حكم هيوج الرابع لقبرس: (٧٢٥-٧٦٠هـ/١٣٢٤-١٣٥٨م):

لم يعش هنري الثاني لوزينيان طويلاً ليرى ثمرة مشروعه الصليبي، إذ مات سنة ٧٢٥هـ/١٣٢٤م، وخلفه على عرش قبرس ابن شقيقه (هيوج الرابع)[٢] الذي بدأت في عهده صفحة من الصفحات البارزة في التاريخ القبرسي، **ومن أهم أعماله:**

١- توقيع معاهدة تجارية مع البندقية في سنة ٧٢٩هـ/١٣٢٨م جدد بموجبها معاهدة سنة ٧٠٦هـ/١٣٠٦م والتي كان من أهم بنودها منح البنادقة كنيسة ومقر للممثل البندقي، والمساعدين البندقيين له في كل من فاماجوستا – نيقوسيا – ليماسول، كما منحهم حق شراء بيوت سكنية، وإعفائهم من الضرائب والرسوم الجمركية في موانئ الجزيرة، وبالإضافة إلى ذلك ، فقد منحهم هيو الرابع إمتيازاً إضافياً في السماح باستيراد الخيول والأسلحة من البندقية إلى قبرس من أجل سد حاجات الجزيرة [٣].

٢- تكوين حلف حربي بين قبرس والبنادقة والبابوية والاسبتارية، وقد شارك هيوج الرابع بالحملة الصليبية التي أقامها ذلك الحلف على أزمير سنة ٧٥٣هـ/١٣٥٢م، مما أضفى على جزيرة قبرس كثيراً من الثروة المادية والمجد الحربي، وبذلك قدمت قبرس مساعدة للبابوية في دعم مشروعاتها لاسترداد الأراضي المقدسة في الوقت الذي تخلى فيه الباقون عن هذه المشاريع.

١- جوني: الحياة السياسية و الإدارية ، ص١٦٤

٢ - ورد اسم هيوج الرابع عند سبيرايذاكس باسم أوغوس الرابع وهو ابن شقيق وخليفة هنري الثاني انظر: سبيريذاكس: موجز تاريخ قبرص، ص ١٠٨

٣ - زيتون :العلاقات الاقتصادية ، ص٢٥٧

٣-قام هيوج الرابع بعدة حملات محلية على سواحل آسيا الصغرى حيث كان الأتـراك السلاجقة، وعلى سواحل مصر حيث كانت الدولة المملوكية[١].

٤- حافظ ملك قبرس بعد عام ٧٤٥هـ/١٣٤٤م على إبقاء غليونين على نفقته الخاصـة بمثابة مساهمة منه للدفاع عن قبرس، وكان لصالح القبارسة، ولفائدتها الكبرى دعـم الجهود الرامية لحماية طرق التجارة إلى الغرب، فقد كانت قبرس تتمتـع بازدهـار كبير جداً، كونها ثغراً للتجارة الأوربية مع آسيا، وهو دور قـاد مينـاء فاماجوسـتا القبرسي إلى وراثته عن عكا بعد تحريرها من قبل المسلمين ٦٩٠هـ/١٢٩١م ولذلك كان أي تهديد لطرق الملاحة من الممكن أن يشكل قلقاً كبيراً، فلقد أسهم ملك قبـرس هيوج الرابع في التحالفات الأوربية ضد الأتراك العثمانيين، ونجح فعلاً فـي وضـع عدد من الإمارات التركية في جنوبي آسيا الصغرى تحت حكمه، و جعلهم يدفعون له الجزية ومن الواضح أنه كان قوياً بما فيه الكفاية[٢]، حتى استطاع أن يمـد تحكمـه البحري إلى المياه في شمال وغرب مملكته، كما قام بمعاقبة المسؤولين عن أعمـال الشغب و الفوضى معاقبة شديدة ، فقد أمر باتخاذ إجراءات صارمة،لإعادة النظـام و الأمن في مدينة فا ماجوستا، و لحماية المستوطنين نتيجة للمنازعات التي نشبت بين الجاليتين البندقية و الجنوية في سنة ٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م، والتي نجـم عنهـا خسـائر فادحة، لاسيما بالنسبة للبندقية، حيث خرج منها القنصل البندقي، وأعداداً كبيرة مـن الجرحى البنادقة، وقد نهبت بيوتهم ومستودعاتهم جراء أعمال الشغب تلك [٣] وكـان هيوج الرابع يتولى سياسة نشطة في الصراع مع الأمـراء المسـلمين فـي آسـيا الصغرى، ولكنه كان أكثر حذراً في سياسته نحو المماليك في سوريا ومصر [٤]

---

[١] – عاشور: قبرس والحروب الصليبية، ص٥٥

[٢] - ذكر مخارياس أن هيوج الرابع شنق الكثيرمن الرجال (٨ من فاماجوستا ، و ٨ من كيرينيا و بافوس، و ٧ من ليماسول ، و ٨ من نيقوسيا ٠٠٠الخ وهؤلاء الرجال كانوا لصوصاً و قراصنة و سارقين غايتهم السلب و نهب السفن

Mak hrias,the sweet land,p 61..

[٣] - زيتون:العلاقات الإقتصادية ، ص٢٥٧

[٤] - ماخوت: الاستيلاء على الإسكندرية، ص٤

وكان من حسن حظ قبرص أن المماليك لم يقوموا حتى القرن ٨هـ/١٤م بتطوير تقاليد تتعلق بالحروب البحرية، وهكذا نجد أنه على الرغم من أن الجزيرة كانت عرضة للهجوم عليها من القواعد الإسلامية في بيروت أو طرابلس، فإنها لم تواجه هجوماً جدياً سيق ضدها حتى عشرينات القرن ٩هـ/١٥م[1].

وفي سنة ٧٦٠هـ/١٣٥٨م توفي هيو الرابع[2]، وورث ابنه بطرس الأول مملكة أبيه، إذ كان لهيو الرابع ولد أكبر من بطرس – توفي مسموماً سنة ٧٤٤هـ/١٣٤٣م مخلفاً ولداً اسمه – هيوج– وكان قانون الوراثة في قبرص وهو في الأساس(قانون شامي– لاتيني) سار عليه اللاتين الفرنج بعد استقرارهم في الشام متأثرين بقوانين الشرق، قد قضى بأن يخلف الولد التالي الملك الأخير ويرثه وليس الحفيد على عكس القانون السائد في الغرب(الذي يقضي بأن يخلف الحفيد) هذا وقد ذكر مخارياس في كتابه بعض القوانين المتعلقة بمناصب أبناء الملك حيث قال: أنه ومنذ " أن استولى اللاتين على قبرص حتى أيام الملك بطرس، كان أبناء الملوك: كونتات طرابلس وقد اعتادوا على إرسالهم للعيش في بيتي الكونتات وكان إلى جانب مقر الإقامة هناك مقر إقامة آخر، بني بلبن الآجر، كان عائداً لكونت يافا وهذا هو سبب تسميتهم بيتي الكونتات وكان يطلق على الابن الأكبر اسم وريث المملكة، واحتاج الابن الثاني بسبب علو مرتبته إلى منصب أمير، وقد اعتادوا على جعله أمير أنطاكية، ومن بعد ذلك أعطوهم واحداً تلو الآخر وظائف مملكة القدس ومثل ذلك في مملكة قبرص" وجميع الوظائف التي تؤخذ أثناء تتويج الملك من الممكن إزالتها عندما يرغب، ولهذا السبب دعيت الوظائف المتقدم ذكرها وظائف المملكة مثل: المارشال، والقهرمان، والساقي، والحاجب [3]، في حين عرفت الوظائف الأخرى باسم وظائف قبرص مثل وظائف: الأدميرال(أمير البحر)، والجابي، والتوركبلير، لا بل حتى

---

[1] – ماخوت: الاستيلاء على الإسكندرية، ص٥

[2]- ذكر عاشور بأن هيوج الرابع توفي في سنة ٧٥١هـ/١٣٥٠ على خلاف ما ذكره ماخوت أنه توفي في سنة ٧٦٠هـ/١٣٥٨م

انظر ماخوت:المصدر نفسه، ص٦ /

عاشور : قبرص والحروب الصليبية، ص٥٥

[3] - كان **المارشال** كما سلف يساعد **الكنداسطبل** في عمله و ينوب عنه أما **القهرمان** فهو مكلف بما يجري في الاحتفالات الملكية أما **الحاجب** أو خازن الملك فيشرف على القصر الملكي و على مالية الملك الخاصة و على جميع ايرادات مملكة قبرص و للمزيد من المعلومات حول هذه الوظائف انظر: جوني : الحياة السياسية ، ٧١-٧٢، / ماكارياس: تاريخ قبرص خلال الحروب الصليبية، الكتاب الأول ، الفقرة رقم ٢١٥

بالنسبة إلى هذه الوظائف لم يحدث تغيير وهذه قضية لا عجب فيها، وأنا أذكر أي (مخارياس) أن وظيفة العمدة، ووظيفة الجابي و الوظائف الأخرى، لم تتغير على الإطلاق ولكن بعد موت الملك بطرس، بدأ التغيير يتناولهم جميعاً وزيادة على ما تقدم عليك أن تعرف أنه كان هناك ثلاثة أمراء فقط هم: أمير الجليل وأمير القدس، وأمير أنطاكية، ولهذا السبب عد لقب أمير أعلى قيمة من لقب كونت" [١]

وفي الحقيقة لم يمتلك هيوج الذي عاش في الغرب طيلة حياته أي تأييد في قبرص، لكنه امتلك تعاطفاً وتأييداً قوياً في الغرب، ولاسيما لدى البيت الملكي الفرنسي، وقد عانى ابنه بطرس من هذه المسألة كثيراً، حتى استطاع وضع يده على العرش من دون منازع، وجرى تتويجه ملكاً على قبرص[٢] .

ومما تقدم يمكن القول: إذا كانت معظم الحملات التي قام بها هيو الرابع عدت في نظر الكثيرين مجرد غارات تغلب عليها صفة القرصنة، فإنه ينبغي لنا أن لا ننسى حقيقة هامة، وهي أن الحروب البحرية لاسيما في العصور الوسطى الأولى قد غلب عليها طابع المغامرة والقرصنة همها جمع الأموال والسلب والنهب.

[١] - ماكارياس : تاريخ قبرص خلال الحروب الصليبية ، الفقرة ٨٧-٨٨



الفصل الرابع

(الإجتياح الصليبي للإسكندرية والحملات على الساحل الشامي (السوري)

١- مشكلة أزمير (٧٥٣-٧٦٦هـ/١٣٥٢-١٣٦٤م)

٢- نزول بييري توماس إلى قبرص ومحاولته فرض الكاثوليكية .

٣- محاولة ملوك قبرص القيام بحملة صليبية من أجل استرداد الأراضي المقدسة (٧٦١هـ /١٣٥٩م)

٤- احتلال كالورنوس - العلايا (٧٦٢هـ/١٣٦١م)

٥- احتلال أنطاليا - أضاليا (٧٦٢هـ/١٣٦٠م)

٦- رحلة بطرس إلى أوربا طلباً للمساعدة في حملته .

٧- ثورة كريت(٧٦٦هـ/١٣٦٤م)

٨- الاجتياح الصليبي القبرسي للإسكندرية (٧٦٧هـ/١٣٦٥م)

٩- نشاط قبر س ضد طرابلس والساحل السوري (جبلة -اللاذقية- بانياس) وبعض المدن الأرمينية (اياس)(٧٦٩هـ/١٣٦٧م-٧٧١هـ/١٣٦٩م)

١٠- الصراعات الداخلية في قبرس .

١١- توقيع الصلح بين السلطان المملوكي الأشرف شعبان و قبرس(٧٧٢هـ/١٣٧٠م)

١٢- الاحتلال الجنوي لقبرس (٧٧٥-٧٧٦هـ/١٣٧٣-١٣٧٤م)

أدرك اللاتين أهمية بلاد الأناضول على الرغم من أن نظرتهم إليها على أنها قاعدة للاعتداء عليهم كانت تقل عن اعتبارها منطقة احتاجوا أن يكون لهم بها قواعد يسيطرون منها على البحر المتوسط، حيث ظهرت الحاجة لتطوير وسائل الدفاع بسبب ظهور قوة جديدة على الساحة هي قوة الأتراك العثمانيين، الذين أخذوا على عاتقهم أعمال الجهاد الإسلامي ضد الفرنج الصليبيين.

لقد بدأ الأتراك العثمانيون بالظهور على مسرح الأحداث مع نهاية الحروب الصليبية في المشرق، وسرعان ما أحس اللاتين خطر هذه القوة المتعاظمة عليهم، ففي الوقت الذي احتل فيه الفرسان الاسبتار جزيرة رودس، ازداد الاهتمام ببحر إيجة ، لا سيما من قبل الدويلات الايطالية التي كان لها اهتماماتها بجزائر بحر ايجة منذ زمن طويل، فكان من الطبيعي أن يمتد اهتمامهم، واهتمام العالم اللاتيني بأكمله إلى البر المواجه لهذه الجزر[١] و بما أن القرصنة التركية في المياه المحيطة برودس وكريت كانت تشكل تهديداً مباشراً للممرات الملاحية ولتجارة قبرص بالذات، لذلك كان لا بد من اتخاذ الإجراءات والحلول المناسبة للتصدي لهذه المشكلة، والتي كانت تصب في مصلحة قبرص بقدر ما فيها مصلحة للاسبتارية والبندقية.[٢]

فلماذا التفت الصليبيون إلى أزمير وما هي مشكلتها؟ هل كانت ذات أهمية بالغة وشكلت خطراً يهدد وجودهم في المنطقة وما الذي دعا البابوية إلى الاستنفار وتشكيل حلف صليبي قوي للدفاع عن أزمير والوقوف ضد القوى المتصاعدة في بحر إيجة ؟

١ – مشكلة أزمير (٧٥٣– ٧٦٦ هـ / ١٣٥٢ – ١٣٦٤ م):

قام الأمير عمر بك بن السلطان محمد بن ايدين التركي [٣]،

---

[1]- رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ،ج٣، ص٧٥٤/العسلي: فن الحرب الإسلامي ، مج ٤، ص٥٧٦،٤٤٠

٢- اديوري : قبرص و الحروب الصليبية ، ص١٣٦

٣- كان الأمير عمر كريماً صالحاً كثير الجهاد و كان يغزو على نواحي القسطنطينية حتى اشتدت على الروم وطأته فأمر نصارى جنوة و فرنسة بغزوه ، فغزوه ليلاً و ملكوا المدينة و المرسى ، ونزل إليهم الأمير من القلعة فقاتلهم حتى استشهد سنة٧٤٨هـ/١٣٤٨م و هو يدافع عن أزمير انظر:

الذي تملك أزمير[1]، التي تعد مرفأ بالغ الروعة و الأهمية، بإنشاء أسطول بحري فيها لمجابهة أعمال القرصنة المتكررة التي يقوم بها فرسان الاسبتارية في مياه بحر إيجة، فأسرع البابا[2] وملك قبرص والبنادقة وفرسان الاسبتارية باتخاذ إجراء لمناهضته، من خلال تجهيز أسطول بحري قوي مشترك مؤلف من ٣٤ سفينة، من هنا بدأ الإعداد و التخطيط لمشروع صليبي ضد الأتراك العثمانيين المسلمين في المشرق المتوسطي، يحاك من قبل البابوية وأعوانها، اشتركت فيه قبرص، وبذلوا قصارى جهدهم في تقديم ما يتوجب عليهم من أجل الدفاع عن أزمير ضد الهجمات التي تشنها الإمارات الأناضولية الآيلة إلى الضعف [3]، وعلى هذا فإنهم سوف لن يتمكنوا من تحمل المزيد من النفقات، لا سيما نفقات حماية بيزنطة لمدة طويلة ضد القوة العثمانية المتزايدة ٠

فمنذ سنة ٧٤٣هـ/١٣٤٤م، توجه لمهاجمة أزمير- الميناء الذي كان مركزاً رئيساً لانطلاق عمليات النهب التركية في بحر إيجة في آسيا الصغرى – أسطول بحري أسهمت فيه البندقية وتوابعها بعشرين سفينة، وبذل فرسان الاسبتارية ست سفن، كما قدم كل من البابا كلمنت السادس وملك قبرص أربع سفن من أصل عشرين سفينة، أما قيادة الأسطول فكانت لبطريرك القسطنطينية اللاتيني – هنري أستي-[4] والتقى الطرفين المتصارعين وجرت معركة بحرية

ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٨٩-١٩١

[1] - أزمير : من موانئ تركية الهامة وهي ثاني أكبر موانئ تركية وتقع على الشاطئ الشرقي لبحر إيجة ،كانت تدعى قديماً سميرنا باليونانية فتحت سنة ٤٦٩هـ/١٠٧٦م من قبل سليمان شاه من السلاجقة الأتراك للمزيد انظر :الموسوعة الحرة من ويكيبيديا، و هي كما عرفها ابن بطوطة في رحلته (يزمير) مدينة كبيرة على ساحل البحر معظمها خراب و لها قلعة ، انتزعها الأمير محمد بك من الجنويين٠

سيتون : البابوية و الحروب الصليبية، ص ٤٤٦/اديوري :قبرص و الحروب ،ص١٣٥-١٣٦/ ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة، حققه عبد الهادي التازي ، مج (٢)١٩٩٧م ، ص١٨٩

٢ – اجتمع الكرادلة في ١٦ من كانون الأول سنة ٧٥٣هـ/١٣٥٢م في القصر البابوي في أفينون لانتخاب البابا أنوسنت السادس الذي عاش عقداً من الزمن (٧٥٣-٧٦٤هـ/١٣٥٢-١٣٦٢م)مكرساً نفسه للحرب ضد الأتراك العثمانيين و للمزيد عن الأسر البابلي و الانشقاق و انتقال مقر البابوية من روما إلى أفينون انظر: سيتون : البابوية و الحروب الصليبية ،ص٤٣٦/ عاشور: أوربا العصور الوسطى ،من ص٥٠٩إلى ص٥١٩/ زيتون : تاريخ العصور الوسطى الأوربية ، من ص ٣٤٢و ما بعدها ٠

٣ – من هذه الإمارات ميرا- أنامور – سيق-علايا- ساتاليا (أضاليا) على ساحل الأناضول ، على الساحل الجنوبي من أسيا الصغرى انظر:

اديوري : قبرص و الحروب ، ص١٤٠

٤ – اديوري : المرجع نفسه ، ص١٣٣/ رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ،ص٧٥٥

بينهما أسفرت عن هزيمة نكراء للأمير ايدين قبالة خليج أزمير، على أنه وبناء على طلب البابا رفض الحلفاء الصليبيون طلب مارتن زكريا حاكم – جزيرة خيوس[1] – من قبل جنوة أن يعيدوا إليه جزيرته التي استولى عليها البيزنطيون من جديد، غير أنهم لم يجيبوه، بل أبحـــروا إلى أزمير، حتى سقطت بأيديهم بعد قتال قصير، ولكن القلعة ظلــت صـــامدة بيـــد الأتـــراك العثمانيين، فكيف تحقق النصر الصليبي على الجزيرة بهذا الزمن القصير نســـبياً؟ ولمـــاذا لـــم يسارع أميرها لإنقاذها سريعاً، ألم يكن يمتلك القوة الكافية ليفعل، أم أنه خاف على نفســه مـــن غدر الأمراء الأتراك به، أم أن عامل المفاجأة عمل عمله في هذه الأثناء ولـــم يكـــن مســـتعداً أم...؟!

في الواقع كان انتصار الفرنجة السهل على الأتراك يرجع أساساً إلى أن الأمير عمر لـــم يكـــن مستعداً لذلك الأمر، فضلاً عن تخوفه من رفاقه الأمراء الطامعين بالحكم، إذ أنه لم يقدم علـــى إنقاذ المدينة إلا بعد فـــوات الأوان، وأخفـــق الأتـــراك فـــي اســـتعادة أزميـــر، وفـــي ســـنة ٧٥١هــ/١٣٥٠م، عقدت معاهدة عهدت بالمدينة إلى الاسبتارية على أن تبقـــى القلعـــة بأيـــدي الأتراك[2]، لكن المخاوف من الأتراك استمرت مع مرور الأيام، بل أصبحت هاجس الصليبيين، لذلك ظلت فكرة الدفاع عن هذا الموقع الهام والخطر ماثلاً في فكرهم .

ونظراً لتعاظم خطر القرصنة والهجمات التركية وأعمال النهب المستمرة في بحر إيجة، أسرع البابا كلمنت السادس إلى تشكيل تحالف صليبي[3]، شارك فيه ملك قبرس، لإدراكه بأن سلامة المملكة تتحقق بالتحالف مع الدول الغربية التي له معها مصلحة مشتركة ، لـــذلك ومـــن أجـــل حماية الممرات البحرية إلى أوربا، تم عقد الميثاق أو رابطة تعهدت فيه قبرس بتجهيز غليونين

---

[1] - جزيرة خيوس : و هي من أغنى جزر بحر إيجة و أكثرها خصوبة، كانت محطة تجارية هامة ، تشتهر الجزيرة بأشجار المصطكي الذي يستخرج منه مادة الصمغ ، ارتبطت شهرتها بهذا المنتج الذي كان يصدر إلى معظم بلدان العالم .

زيتون : العلاقات الاقتصادية بين الشرق و الغرب ص ٢٧٩-٢٨١

[2] - رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية، ص٧٥٥

[3] – طلب البابا من قبرس بإرسال غليونين إلى أزمير لحمايتها ، و في كل سنة كانت قبرس ترسل سفينتين محملتين بالمؤن و الملابس لحمايتها من الأتراك

Mak hrias,the sweet land,p 101..

على نفقتها الخاصة، على أن تقدم كل من البندقية ورودس ثلاثة غلايين لحراسة ساحل آسيا

الصغرى خلال السنوات العشر التالية، وكذلك اتفقت الأطراف مع البابا أن تتقاسم نفقات حماية أزمير نفسها، لكن لم يكتب لهذا المشروع أن يوضع موضع التنفيذ لسببين:

أولهما: اندلاع الحرب بين جنوة والبندقية .

ثانيهما: انتشار وباء الطاعون الأسود الذي فتك بالكثير من الناس [١].

الأمر الذي دفع بالبابا إلى إعلان وجوب التوقف عن التبشير بالحملة الصليبية المقبلة [٢] وتأجيلها.

وفي سنة ٧٥٤هـ/١٣٥٣م طلب البابا مجدداً من ملك قبرص (هيو الرابع) و حاكم البندقية ومقدم الاسبتارية أن يسدد كل منهم مبلغ من المال قدره ٣٠٠٠ فلورين المتوجب عليهم دفعه من أجل الدفاع عن أزمير .

وفي سنة ٧٥٥ هـ/ ١٣٥٥ م، وقع إمبراطور القسطنطينية (جون الخامس باليولوغوس) أو يوحنا الخامس (٧٤٠-٧٩٤هـ/١٣٤١-١٣٩١م) مرسوماً إمبراطورياً مختوماً بالذهب الأصفر تعهد فيه بالعمل على تأمين طاعة الكنيسة الإغريقية للكرسي الرسولي (البابا) مقابل مساعدة عسكرية ضد الأتراك العثمانيين، هذا يعني أنه سيجعل الكاثوليكية الديانة الرسمية لبيزنطة، وكبرهان على حسن النوايا والإخلاص، اقترح جون الخامس أن يرسل ابنه الثاني مانويل إلى أفينون كرهينة، كل ذلك بسبب مواجهته لمشاكل طوال حياته كان من الصعب حلها [٣]. هذا وقد عاد البابا مجدداً إلى ملاحقة هذه الأطراف لدفع المتوجب السنوي عليها، ويبدو أن ملك قبرس (هيوج الرابع) عد نفسه ملزماً بتوفير ذلك المبلغ نقداً، وبتجهيز الغليونين الذين وعد بهما منذ سنة ٧٥١هـ/١٣٥٠م ، كذلك تبين أن البابا كان يخصص مبلغ ٣٠٠٠ فلورين من الضرائب الكنسية المجموعة في قبرس للحفاظ على الوجود الصليبي في إزمير، وما أن توقفت الحرب بين جنوة والبندقية حتى أعاد البنادقة اتصالهم بالبابا – أنوسنت – وبالتالي كتب البابا إلى

١- Mak hrias,the sweet land,p 61.73.

٢- ادبوري : قبرص و الحروب الصليبية ، ص١٣٤

٣- سيتون : البابوية و الحروب الصليبية ، ص ٤٣٨ .

(البندقية و قبرص ورودس) يطلب منهم تزويد الغلايين بالمطلوب ، وإرسال سفارات إلى أفينون لعقد معاهدة جماعية، إلى أن تم ذلك أخيراً في ٢٠ آذار لسنة ٧٥٨هـ/١٣٥٧م، حيث جددت المعاهدة لمدة خمس سنوات، تعهدت كل من البندقية و الاسبتارية وقبرس بتأمين غلايين لحراسة البحار، بالإضافة إلى دفع كل طرف من الأطراف مبلغ ٣٠٠٠ فلورين[1] في السنة للدفاع عن أزمير ضد الهجمات التركية[2]، وهذا معناه أن هناك تمسك مسيحياً من أجل الاحتفاظ بأزمير.

لم يحدد أنوسنت وقتاً في تنبيه القوى البحرية الأوربية حول الحاجة المقبلة لتقديم العون إلى جون الخامس ضد الأتراك، لأن الإدارة البابوية أعدت في ٧٥٨هـ/ ١٧ تموز ١٣٥٦م، رسائل إلى هيوج الرابع (هيو) ملك قبرس، وإلى مقدم الاسبتارية، والهيئة الرهبانية وإلى حكومتي البندقية وجنوة، أخبرتهم فيها بأن البحث عن العقيدة الحقيقية، قد أضاء قرار جون الخامس (باليو لوغوس) امبراطور بيزنطة في تجنب الانشقاق الكنسي للماضي الإغريقي، وهنا يتوجب عليهم حمايته ومساعدته[3] ، ولكن بما أن أعضاء التحالف المسيحي في المشرق المتوسطي بذلوا قصارى جهدهم في الدفاع عن أزمير (بتركية) ضد الهجمات التركية .

هذا يعني زيادة النفقات والتكاليف عليهم، فهل يستطيعوا صبراً تحمل المزيد من تلك النفقات المرهقة ولمدة طويلة؟ في جميع الأحوال قدم النائب البابوي في الشرق (بييري توماس)[4] إلى البوسفور، وقد بقي في القسطنطينية يقدم الخدمة إلى جون الخامس عندما كان معسكراً مع جيشه ضد الأتراك، وبحث في الوقت نفسه قضية توحيد الكنيستين الإغريقية واللاتينية مع

---

1 – انطلق الفلورين الفلورنسي و الدوكات البندقية من ايطاليا ، و تحققت لهما السيادة في تجارة عالم البحر المتوسط ، و احتفظت العملتان بقيمتهما من حيث نقاء ذهبهما و ثبات وزنهما ، لكنه حدث في أواخر القرن ٨هـ/١٤م أفول للفلورين و ذلك نتيجة لإصدار فلورنسا لنماذج من الفلورين أقل في وزنها و محتواها الذهبي من الأولى ، و لا شك أن التدهور الذي ألم بالفلورين أفسح المجال لدوكات البندقية في شق طريقها كعملة نقدية معترف بها في التجارة العالمية للمزيد عن الدوكات و الفلورين انظر : زيتون : العلاقات الاقتصادية ، ص٤٩-٥٠/ القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٣، ص٤٤١/ ج٥ ، ص٤٠٤-٤٠٥

٢ – اديوري : قبرص و الحروب الصليبية ، ص١٣٥

٣– سيتون : البابوية و الحروب الصليبية ، ص ٤٤٢ ، ص ٤٤٥/اديوري : قبرص و الحروب ، ص ١٣٥،١٣٤

٤ – كان بييري معلم اللاهوت المقدس في جامعة باريس و الرسول البابوي إلى ميلانو و البندقية كما كان واحد أمن أعظم الشخصيات الكنسية المتميزة في القرن ٨هـ/١٤م وقد ولد ابناً لفلاح و أصبح دبلوماسياً بارعاً كما كان ذكياً و صاحب شخصية و هو الذي توج بطرس الأول ملكاً على القدس في كاتدرائية فاماجوستا انظر:

سيتون : البابوية و الحروب الصليبية، ص٥٠٤

الإمبراطور، ومع عدد من المثقفين الاغريق في القصر الامبراطوري[١]، وفي الحقيقة كان جون قد أعلن بأنه هو نفسه يرغب بالذهاب إلى أفينون ليري البابا مدى الاحترام الذي يكنه له [٢] ومن شؤاطىء البوسفور أبحر بييري توماس نحو جزيرة قبرص، ولما سمع هيوج الرابع بوصوله خرج لاستقباله بكل حفاوة وتكريم، ومن ثم رافقه إلى نيقوسيا، ولم يلبث أن أمضى بييري مدة من الزمن صريع المرض، فذهب حاجاً من قبرص إلى فلسطين، زار خلالها الضريح المقدس والأماكن المقدسة، ثم عاد بعد ذلك إلى قبرص حيث أمضى بعض الوقت في بيت تابع للرهبان داخل الأسوار الشمالية الغربية لمدينة فاماجوستا، ومن هناك رحل إلى أفينون التي وصلها في خريف عام٧٦٠هـ / ١٣٥٨ م [٣] في هذه الأثناء كتب البابا أنوسنت إلى ملك قبرص هيوج الرابع يحثه على تقديم مساعدة إلى الإمبراطور البيزنطي جون السادس كانتا كوزينوس (٧٥٠-٧٥٨هـ/ ١٣٤٧-١٣٥٥م) من أجل تحقيق الوحدة بين الكنيستين، ولكن ذلك كان بعيد المنال، لأن اخلاص كانتا كوزينوس كان مشكوكاً به، وحدث في العام نفسه أن حذر البابا أنوسنت حكومة كل من أراغون، وقاطالانيا أو قطلونيا (شمال شرق اسبانيا) وجنوة، وطلب منهم السماح بحرية المرور دونما إعاقة للسفينتين المحملتين بالمؤن، اللتين كانتا مرسلتين إلى أزمير وكانتا على حساب الكرسي المقدس وقبرص والاسبتارية والبندقية، وسوف نجد بعد مضي حوالي العام ونصف العام، أن أنو سنت يحاول أن يمارس الضغوط على الإمبراطور شارل الرابع[٤] (٧٢٢-٧٢٨هـ/١٣٢٢-١٣٢٨م) من أجل الدفاع عن أزمير، كما كتب انوسنت في أنه ينبغي بذل كل جهد ممكن للحفاظ على التملك الصليبي لأزمير، وتوجب على كل فريق من القبارسة والاسبتارية والبنادقة المحافظة والانفاق على غليونين مسلحين في المياه الشرقية تحت أمرة نائب بابوي، وقائد عام، ومجلس مؤلف من آمري الغلايين، وكان

---

١ - سيتون : البابوية و الحروب الصليبية ، ص ٤٤٣

٢- سيتون : المرجع نفسه، ص ٤٤٣

٣- سيتون : المرجع نفسه ، ص ٤٤٥

٤- تولى شارل الرابع الحكم بعد أخيه فيليب الخامس و هو الابن الأصغر لفيليب الرابع ، شارك في حرب الفلاندرز، ومهما يكن من أمر فإن شارل الرابع لم يترك وريثاً له في حكم المملكة مما أدى إلى إنهاء حكم أسرة كابيه انظر:

عاشور: أوربا العصور الوسطى ، ص ٢٨٧

على الغلايين الإجتماع في أزمير يوم عيد ميلاد العذراء ٨ أيلول من أجل الدفاع عنها إلا أن مختلف المواد التي جاءت في الاتفاقية كانت بحاجة إلى المصادقة عليها من قبل البابا والذي سوف يكتب إلى كل من ملك قبرص (هيوج الرابع) وإلى مقدم الاسبتارية الجديد – روجردي بينز، وإلى جيوفاني رولفين دوق البندقية الجديد [١] من أجل الإسراع بتشكيل الحلف، وجرى تشكيل التحالف فيما بعد حيث أسهمت كل حكومة بغليونيين، ولم يكن مطلب وضع نهاية للحرب بين كل من فرنسا وانكلترا، وصراع البندقية مع جنوة، وكذلك جنوة مع هنغارية هو المطلب الوحيد من أجل عمل عدواني ضد الأتراك العثمانيين، فقد توجب استرداد السلطة البابوية على دول الكنيسة في ايطاليا ونشر الهدوء العام، وقد جعلت خبرة بييري توماس بالأوضاع في شرقي البحر المتوسط متشدداً وصلباً في القيام بحملة صليبية، ورأى فيه البابا أنوسنت السادس خير وسيلة للدفاع عن أزمير ضد الأمراء الأناضوليين، ونقل بييري في العاشر من أيار سنة ٧٦١ هـ/ ١٣٥٩م، إذ أصبح بمرسوم بابوي النائب الرسولي للبابا أنوسنت في الشرق، وحددت له صلاحيات قضائية تشمل مملكة قبرص، أو رئاسة أسقفيات مثل كريت وأزمير ورودس وغيرها، كما منح صلاحيات كاملة لأن ينظم الحملات، والتعامل مع الملوك والأمراء والأشخاص وإبرام السلام ومنح صكوك الغفران المعتادة إلى جميع الذين حملوا الصليب بإخلاص[٢]، وبدا من الواضح بأن الحملة الصليبية التي نظمت سنة ٧٦١هـ /١٣٥٩م، لم يقصد منها حماية أزمير ضد أمراء الأناضول فقط، بل مساعدة القسطنطينية ضد الرعب المتزايد من القوة العثمانية، وصدرت تعليمات إلى نيكو لوبينديتي الفلورنسي الذي عينه البابا أنوسنت السادس نائباً بابوياً وقائداً لأزمير[٣] لمدة ثمانية أعوام من أجل المحافظة على المدينة، وصدرت التعليمات لبيندتي بأن يطوق أزمير بأسوار ثقيلة مبنية بصورة جيدة في سبيل المساعدة على بناء التحصينات الجديدة في أزمير، وكذلك من أجل المساعدة للإنفاق على الغليونيين البابويين، كما كان بيندتي سيستلم مساعدة سنوية مقدارها ثلاثة آلاف فلورين ذهبي

[١] - سيتون : البابوية و الحروب الصليبية ، ص ٤٥١ / اديوري : قبرص و الحروب الصليبية ،ص١٣٤

[٢] - سيتون : المرجع نفسه ، ص ٤٥٥، ٤٥٦

[٣] - سيتون : المرجع نفسه ، ص ٤٥٧

من المبالغ التي جبيت من الإدارة البابوية الخاصة من قبل السفير البابوي- بطرس أماندي

peter Amanda- رئيس شمامسة ليماسول ومن قبل الذين سوف يخالفونه من السفارة خلال الأعوام الثمانية التي سوف يبقى فيها بيندتي نائباً في أزمير[1] وفي السنة نفسها أعلم البابا أنوسنت ملك قبرس – هيوج الرابع- وروجر دي بيينر مقدم الاسبتارية – وجيوفاني دولفين (دوج البندقية) بأمر تعيين بييري توماس نائباً للبابوية في المشرق، وتعيين نيكولوبينيدتي كنائب وقائد جديد لأزمير، وعلى عاتق الجميع تحمل أعبائهم في الحملة الصليبية المقبلة ضد الأتراك[2]، وأجاز مجلس الشيوخ قراراً قضى بإرسال الأمر إلى دوق كريت ومجلسها من أجل إبقاء الغليونيين البندقيين المعنيين (الحلف ضد الأتراك) في الخدمة، هذا الأمر بالطبع يتطلب أموالاً، وبناء على طلب بييري كان هناك نقص بالملاحين وبالمجذفين بالشرق، وبأشياء أخرى ضرورية توجب إرسالها إلى كريت من أجل استخدامها في غليونه[3] وهذا يعني أن قبرس كانت تعتمد في ازدهارها على تجارتها مع الغرب ، لذا كان من الضروري أن تبقى البحار حرة أمام السفن ، وإذا كانت أزمير بعيدة بعض الشئ عن قبرس، فإن القرصنة التركية في المياه المحيطة برودس، وكريت شكلت تهديداً مباشراً للممرات الملاحية والتجارية في قبرس نفسها ،لذلك كان القيام باجراءات للتصدي لها في مصلحة قبرس، بقدر ما هو في مصلحة الاسبتارية أو البنادقة ،لأن تجارة قبرس مع الغرب باتت تعتمد إلى درجة كبيرة على توافر السلع التي تمر عبر الموانئ الخاضعة للمماليك من الجزيرة، فالحرب في هذه الحالة هي كارثة اقتصادية حقيقية عليها، لذا كان لابد من منعها وتجنبها قدر الإمكان، وتبعاً لفيليبي دي ميزيري[4]، قدم بييري مع غلايين البنادقة والاسبتارية، ونزل في ميناء أزمير المهدد، أما بيندتي فقد بقي خلفه ليتولى القيادة، ثم ذهب بييري إلى القسطنطينية، حيث وجد جون الخامس

---

[1]- سيتون : البابوية و الحروب الصليبية ، ص ٤٥٨

[2]- سيتون : المرجع نفسه ، ص ٤٥٩ /اديوري: قبرص و الحروب الصليبية ، ص١٣٤-١٣٥

[3]- سيتون : المرجع نفسه ، ص ٤٦٠

٤- في سنة ٧٦٣هـ/١٣٦١م ، كان فيليبي ما يزال شاباً في الرابعة و الثلاثين، وكان مليئاً بأحلام المساعدة على استرداد الأرض المقدسة من المسلمين، وقد جعله بطرس الأول مستشاره في قبرس بعد وقت قصير من استيلائه على أضاليا ، وبعد ذلك التقى فيليبي دي ميزيري، بييري توماس الذي سوف يحبه و يعجب به أكثر من جميع الناس.

تحت ضغط من قبل الأتراك، وهنا اشتبكوا معهم في لامبساكوس Lampsacus على الدردنيل، و ذلك استولى الصليبيون على لامبساكوس وأحرقوها، ثم انسحبوا إلى غلايينهم على الشاطىء، وقد ذكر أنه كان مع بييري في الحملة خمسيناً من الإسبتارية وعدداً كبيراً من البنادقة، والجنويين، والانكليز، والألمان، وكان الأتراك قد أعدوا كميناً لهم وتمت مهاجمتهم، عندها هرب البحارة في فوضى نحو الغلايين، ومع ذلك قـاوم النائب البابوي الأتراك مع فرسان الإسبتارية وعدد صغير من الغربيين، ثم صارت معركة بين الطرفين، كان عدد الصليبيين فيها قليلاً، أما أعداد الأتراك لا تعد ولا تحصى، فقاتلوهم مدافعين وبالتناوب إلى أن تمكن الإسبتارية مع القليل من الشجعان الفرار إلى غلايينهم[1]، وإذا كان من المفترض تصديق رواية ميزيري،أن بييري أنهك نفسه في العمل وبقيت جهوده مستمرة دون توقف، فكان يوجد في أزمير حيناً، ثم في رودس، أو ذاهباً إلى القسطنطينة، أو إلى قبرس، أو إلى جزيرة كريت... الخ مع كثير من الغلايين أو مع القليل منها، وفي ظل الصراعات والأجواء السياسية المتأزمة والعداوات بين البندقية وجنوة، لم يتلق أنوسنت السادس و نائبه أية مساعدة تذكر من القوى الكبرى، ومع اقتراب نهاية سنة ٧٦١هـ / ١٣٥٩م ، أمرأنوسنت أثناء هذه الأحوال التبشير بحملة صليبية، وخطط لتسليح غلايين جديدة على حسابه، وفرض عشوراً صليبية للمساعدة على تمويل الجهود الجديدة ضد الأتراك[2] ، وأنهك بييري توماس قواه ، بل أنفق جميع المبالغ التي بحوزته، لكنه وقع صريع المرض بعد وقت قصير من وفاة ملك قبرس هيوج الرابع ٧٦١هـ / ١٣٥٩م.

و هكذا ظلت أزمير بأيدي الاسبتارية إلى سنة ٨٠٥هـ/١٤٠٢م حين اقتحمها تيمور الأعـرج (تيمورلنك) و طردهم منها [3] .

[1]- سيتون : البابوية و الحروب الصليبية ، ص ٤٦١

٢- سيتون : المرجع نفسه ، ص ٤٦٢/ اديوري: قبرص و الحروب الصليبية ، ص١٣٥

٣- ر نسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص٧٥٥

٣- نزول بييري توماس إلى قبرس و محاولته فرض الكاثوليكية:

أبحر بييري توماس إلى قبرس، نزل في كيريينا في ٨ كانون الأول، هذا وقد أثار نوعاً من الاضطراب بسبب محاولته فرض الكاثوليكية اللاتينية على القبارسة الإغريق غير الراضين، وبقي بييري طريح الفراش من عيد الميلاد حتى عيد الفصح أي حتى نيسان ٧٦٢هـ/١٣٦١م، لكنه لما تعافى استجاب لطلب بطرس الأول لورينيان الذي كان الابن الأكبر لهيوج الرابع، حتى يتوجه ملكاً على القدس ، و كان هيوج قد رعى احتفال تتويج بطرس كملك على قبرس في ٢٤ تشرين الثاني ٧٥٨هـ/١٣٥٨م ، وهذا ما أكد عليه مخارياس عندما شاهد بأم عينه مدون ملكي عن تتويج بطرس بحضور والده الملك هيوج الرابع [١]، ربما كان ذلك التصرف محاولة منه لإحباط مطالب و ادعاءات حفيد شاب[٢] كان اسمه أيضاً هيوج بن ماريا أوف باربون [٣]٠

أدرك مؤرخو هذه الحقبة التغييرات الاجتماعية التي أظهرت نفسها في تكتيكات الحصار، ولكن الحروب الصليبية مضت باستمرارية غير اعتيادية، وقد ساعدت عدة أمور، أو أعاقت عملاً كبيراً لتنظيم حملة إلى المشرق المتوسطي وإن كانت صغيرة، منها أحوال السلم أو الحرب في أوربا، و الخوف من الأتراك والعداء نحو مصر، و توفر الموارد و الاستجابة الشعبية للمبشرين الصليبيين، وبالطبع حالة الهدوء أو الفوضى في الكرسي المقدس. ومما لاشك فيه أن الرغبة كانت قوية في توجيه و إبعاد مثيري المتاعب المحلية ضد الأتراك البعيدين، كما أن

---

[١] ماكارياس : تاريخ قبرص خلال الحروب الصليبية ، الفقرة رقم ٨٦،

٢ - كان لهنري الأول والد هيوج أختان كبراهما ماريا و الصغرى ايزابيلا ، تزوجت ماريا من والتر بريين لكنها ماتت و هي صغيرة بعد أن خلفت ابناً اسمته هيوج، ، في حين تزوجت ايزابيلا من بوهمند الخامس أمير أنطاكيا و كان ابنها (هيوج) يكبر في السن ابن خالته ماريا (هيو بريين) و مع أن هيوج بريين يعد الوريث للعرش ، فإنه لم يود أن ينافس خالته و ابنها على العرش ، على أن ايزابيلا ماتت بقبرس فطالب بالوصاية ابنها هيوج الأمير الأنطاكي الوصي على قبرس باعتباره ابن ايزابيلا ووريثها ، غيرأن هيوج بريين تقدم من جانبه بدعوة معارضة ، إذ أعلن أنه بناء على العرف السائد يعني أن تكون الوصاية لابن البنت الكبرى السابقة في الحكم على ابن البنت الصغرى بصرف النظر عن أيهما أكبر سناً، غير أن رجال القانون بالشرق الفرنجي عدوا صلة القرابة بأخر من تولى هذا المنصب هي العامل الحاسم في تقرير ذلك ، و لما كانت ايزابيلا آخر من تولى الوصاية ، كان لابنها هيو الأسبقية على ابن خالته في الوصاية

رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية ،ج٢، ص٤٩٧-٤٩٨

[٣]- سيتون : البابوية و الحروب الصليبية ، ص ٤٦٣/ ماكارياس: المصدر نفسه، الفقرة رقم ١٠٥-١٠٦

الحقيقة تقول وجود الكثيرمن أعضاء هيئة الكرادلة (أنوسنت و بييري توماس) كـانوا قلقـين حول مصير أتباعهم المسيحيين في المشرق، و من المحتمل أن بييري توماس قد غادر قبرس خلال أوائل صيف ٧٦٢هـ / ١٣٦١م حيث زار مقر كرسي الأسقفي، وأمضى بعض الوقـت في المورة (اليونان)، وأخيراً يمكن القول بأن قبرس استمرت بدورها في مساعدة الصـليبيين إذ أخذت على عاتقها تأمين الأموال، وتمويل السفن في بحر إيجة للوقوف ضد الهجمات التركية ، وفرض الجزية على الإمارات جنوبي الأناضول، وحماية أزمير، إذ كانت عنصر أساسي راسخ في موارد المملكة البحرية الصليبية.

٣- محاولة ملوك قبرس القيام بحملة صليبية من أجل استرداد الأراضي المقدسة (٧٦١هـ/١٣٥٩م):

كان هنري الثاني(٦٨٤هـ-٧٢٥هـ/ ١٢٨٥-١٣٢٦م) ملك قبرس من بين الشخصيات الكبيرة التي أخذت تدعو بعد تحرير عكا إلى معاودة الحرب ضد سلاطين المماليك، لإعادة الدولة الصليبية إلى مكانها القديم، وتحقيقاً لهذا الغرض، أرسل سفيرين ليرفعا آراءه في الحرب الصليبية إلى البابا كلمنت الخامس، والمجلس الديني المنعقد في فيينا، وكان من بين ما تضمنته تلك الآراء إلقاء الحصار البحري على مصر وسورية وغيرها من البلاد العربية الإسلامية لإضعاف القوة البحرية للسلطان المملوكي والمسلمين، فجهزوا عدداً من الزوارق الكبيرة لأسر المسيحيين من(الدويلات التجارية الايطالية) الذين عدوا خونة بنظرهم، لأنهم ينقلون المماليك الجدد لتقوية الجيش المصري على متن سفنهم، لذلك كان الشرط الجوهري لنجاح هذا الأسطول في مهمته، هو استقلاله عن حكومات الدول الإيطالية من بيزا - جنوة- البندقية وغيرهم، لأنهم لا يأمنون جانبهم؟ ولأنها لا تزال في موضع الشك لديهم؟ لأنهم بقوا يتاجرون مع المسلمين على الرغم من الحظر البابوي لتلك التجارة،الأمر الذي يفسر السبب في عدم اطلاعهم على الوجهة المقصودة في الحملة الصليبية التي أعدها بطرس لاجتياح الاسكندرية سنة (٧٦٧هـ/١٣٦٥م).

وقد ظلت فكرة مهاجمة دولة المماليك بمصر سائدة في أوربا إلى أن تكفـل بتنفيـذها بطـرس الأول[1] ملك قبرس في سنة ٧٦٧هـ/١٣٦٥م[2]، فقد تولى بطرس الأول بن هـوج الرابـع عرش قبرس سنة ٧٦١هـ /١٣٥٩م، حيث قام بييري توماس مرتدياً الثياب الحبريـة بوضـع التاج المقدس على رأس بطرس، ويعد بطرس أول ملك منذ زمن القديس لويس ملـك فرنسـا سيطرت عليه الرغبة و الحماس الديني[3] لكي يشن حرباً مقدسة ضد المسلمين، ولذلك ومنـذ فترة شبابه أنشأ طائفة جديدة من الفرسان أطلق عليها اسم (فرسان السيف)[4]، وجعـل هـدفها الأساسي استرجاع بيت المقدس ومحاربة المسلمين، لذلك توجه نحو الغرب ليظفـر بمجنـدين لحملته الصليبية المقبلة، ساعده في ذلك شخصيته القيادية وحماسته الدينية ، إذ جعلته نموذجـاً للفروسية في العصور الوسطى، حتى عدت سنة ارتقائه العرش بداية لمرحلة جديدة في تـاريخ الحروب الصليبية[5].

ج- احتلال حصن كالورنوس (العلايا) سنة ٧٦٢ هـ/ ١٣٦١م:

استهل بطرس الأول حكمه بمهاجمة عدة قواعد ومنافذ مائية للسلاجقة الأتراك، لقد أراد أن تكون قبرس وموانئ آسيا الصغرى وبعض موانئ سورية مراكز للتجارة بدلاً من ميناء الاسكندرية المشهور، أهمها كالورنوس أو علائية (العلايا)[6] ، ففي صيف ٧٦٢هـ

---

[1] - كان بطرس الأول على حد قول النويري طويل القامة ، أزرق العينين، مصفر اللون ، اسمه ربير وأبيه ريوك، ربما هذا اللفظ تعريب عن هيوج وله أخوان الأول البرنز والثاني يدعى جاكان، أما النويري فذكر في الالمام أن لبطرس أخ أكبر منه اسمه سنجوان دمرف (ابن زنى) رزق به والده من إمرأة بوطا و البوطا عند الفرنج المرأة العاهرة ، هذا و قد ذكر ماكارياس بأنه توج في يوم الأحد السابع عشر من تشرين الأول سنة ٧٦١هـ/١٣٦٠م و توجت معه زوجته ايليا نورا انظر :

ماكارياس : تاريخ قبرص خلال الحروب الصليبية، الفقرة رقم ١٠٠-٢٣٣

النويري: الإلمام، ص١ - ١٣

[2] - سرور: دولة بني قلاوون، ص٢٤٧/

-Atiya,the crusade in the later middle ages,p.58

[3] - ترجع الحماسة الدينية الصليبية التي امتلأت بها نفس بطرس الأول إلى ظروف اعتلائه العرش، لأنه لم يكن أكبر أبناء أبيه، ولم تصبح له أحقية في الملك إلا بعد وفاة لخيه الأكبر الذي ترك طفلاً صغيراً، وصار بطرس الأول ملكاً وفي نفسه خشية من منافسه ذلك الطفل الصغير، فلم تكن تلك الحماسة إلا وسيلة لاكتساب رضا البابا لتأييده وتأييد كبار دعاة الحروب الصليبية في العصور الوسطى.

Atiya,the crusade,p321-323/ ماكارياس: تاريخ قبرص خلال الحروب الصليبية ، الفقرة١٠٥-١٠٦

[4] - عاشور: قبرص والحروب الصليبية، ص٥٦-٥٧

[5] - نقش بطرس على السيف بالذهب نقشاً نصه:((للحفاظ على الإخلاص)) ، داوي:أعمال القبارصة،ص٤٥/اديوري :قبرص و الحروب ،ص١٣٧

[6] - أطلقت عدة تسميات على علائية قبل الفتح الاسلامي لها (كوراكسيوم – كالورنوس – كاندلور ، كوريكيوس ، أو غوريغوس ،غورهيغوس، كوريكوس،... الخ و تعني كوراكسيوم غراب السماء أما كالورنوس فتعني الجبل الجميل بسبب جمال موقعها الطبيعي و الدفاعي . ثم سميت بعلائية أو العلايا نسبة لعلاء الدين كيقباد السلطان السلجوقي الأول (٦١٦- ٦٣٤هـ/ ١٢١٩م – ١٢٣٦ م) أما أبو الفداء فقال عنها :بأنها بلدة محدثة أنشأها علاء الدين من الروم للسلاجقة فنسبت إليه و قيل لها العلائية ثم خففها الناس و قالوا العلايا أما اليوم فتعرف المدينة باسم آلانيا

ibrahim touyali : Alanya (Alaiyye) , Istana , 1946 , p.4

أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص٣٨١/هامش ابن بطوطة : الرحلة ، ص١٦١-١٦٢

١٣٦١/ م احتل بطرس الأول ميناء البلدة في أرمينيا كيليكيا على الشاطيء الجنوبي لآسيا الصغرى مقابل رأس أندرياس Andreas ، التي شغلت مكاناً متميزاً لصد تحركات أي غاز أو لمواجهة أي أسطول، وكانت كوريكيوس فيما مضى مركزاً بحرياً وتجارياً مهماً[١] تحت حكم المسيحيين كان" ينزلها تجار مصر والإسكندرية والشام " كثيرة الخشب ومنها يحمل إلى الإسكندرية ودمياط ، ويحمل منها إلى سائر بلاد مصر"[٢]، لكنها ظلت لأعوام تتعرض لضغوط السلاجقة الأتراك، مما دفع بأهالي كوريكيوس الأرمن الذين يئسوا من قدرة ملكهم الدفاع عنهم إلى إرسالهم رسلاً إلى بطرس يعرضون عليه تسليم بلدتهم[٣]، وبالفعل قام بطرس في سنة ٧٦٢هـ / ١٣٦٠م بإرسال غليونين قبرسيين من غلايين حلف أزمير لاحتلال المكان، وبذلك حصلت المسيحية اللاتينية على موطن قدم آخر لها فوق الأراضي ا لأناضولية إذ أصبحت كالورنوس محور إرتكاز للفرنج القبارسة لأنها تمثل عصب تجارة العبور آنذاك وبقيت المدينة تحت الحكم القبرسي حتى سنة ٨٧١هـ/١٤٤٨م، ولابد أن أنوسنت الرابع كان عارفاً منذ عدة أشهر بوجود حامية قبرسية في كوريكيوس، بدليل كتابه المرسل إلى بييري توماس في سنة ٧٦٢هـ / ١٢ تشرين الأول ١٣٦٠م، الذي قال فيه بأن بييري توماس قادراً("و بفعالية أكبر على القيام بالحملة، وعلى تنفيذ الواجبات التي فرضت عليك، عندما جرى تجهيزك من قبلنا من أجل هذه الغاية بصلاحية أوسع لمتابعة العمل في المناطق التي أنت فيها كنائب للكرسي المقدس، وهناك في بعض المناطق المجاورة للأتراك، معروف وجود كثير من الكفار الآخرين مثل المسلمين، والأعداء الآخرين، فعند جميع أمثال هؤلاء الكفار، نحن نمنح أخوتك الصلاحيات الوظيفية الكاملة والمطلقة لتسير وفق المنهج الذي ينبغي أن يبدو إليك هو الأصح والمعقول حتى لا يؤخذ به في العمل")[٤].

---

[١] - باذياب (نورة) : الفتح الإسلامي لحصن كالورنوس ، ص ٢١/ باذياب : السياسة الأمنية للسلطان السلجوقي علاء الدين كيقباد و أثرها على التقدم الاقتصادي لبلاده ، مجلة المؤرخ العربي ، عدد ٨ ، ص٦٦٣ /اديوري : قبرص و الحروب ، ص١٤٠/ ابن بطوطة :الرحلة ، ص١٦١

Mak hrias,the sweet land,p 99.109.110.111.

[٢] - ابن بطوطة: الرحلة ، ص ١٦١-١٦٢

[٣] - ماكارياس : تاريخ قبرص خلال الحروب الصليبية ، للفقرة رقم ١١٢-١١٣-١١٤

[٤] - سيتون : البابوية و الحروب الصليبية ، ص ٤٦٥ .

ولم يكن معنى هذه الصلاحيات الوظيفية واضحاً بما فيه الكفاية، لكن ومن المؤكد أن بييري توماس طلبها حتى تسوغ له سلسلة واسعة من الاجراءات كي يعملها، ومما لا شك فيه أن بييري كان على تواصل مع بطرس الأول، ومن المحتمل أنه منحه صلاحية باستخدام اثنين من غلايين أزمير، وجرى إنذار دوق البندقية والمجلس الاستشاري في كريت ، لكنهم كانوا مربكين أيضاً، وبعد مضي يومين أعد كاتب في هيئة الكرادلة جواب أنوسنت على طلب بييري من أجل منحه صلاحيات جديدة، وكان الجواب سرياً كما يظهر، وانشغل مجلس شيوخ البنادقة الذين اجتمعوا في ١٤ تشرين الاول للعام نفسه حول الأخبار المحيرة التي وصلت للتو من المشرق المتوسطي جاء فيها:

"بأن النائب البابوي بييري توماس في التحالف ضد الأتراك، قد تخلى عن التحالف حسبما ورد في رسالة دوق كريت و مجلسه الاستشاري .. التحالف الذي هو لخلاص المسيحية، و قد ذهب إلى قبرص مع واحد من غلايينا الكريتية، ومع غليونين قبرسيين وقد نزع أيضاً سلاح غليونة وسلاح غليوني مقدم الاسبتارية، فقط غليوننا الكريتي ترك في خدمة التحالف، وعن ذلك سوف تنتج أعظم الخسائر والمخاوف بالنسبة للمسيحيين في الشرق ، وهذا الانسحاب علاوة على ذلك هو تغيير مضاد لاتفاقية التحالف ، ومعاكس لنية المولى البابا، ولنوايانا أيضاً ...." هذا معناه إشراك البنادقة في الحملة على المسلمين، كما يظهر أن البنادقة بقوا مخلصين لالتزامهم نحو التحالف المسيحي[1] على الرغم من التهم بأن موقفهم كان معاكساً ؟ ففي سنة ٧٦٢هـ/ ٢٦ كانون الأول ١٣٦٠م ، وبسبب الأخبار التي وصلت من القسطنطينية (بقتل بعض البنادقة) وفي سبيل أن يكون الوضع المسيحي أقوى و أكثر أماناً، صوت مجلس الشيوخ من أجل إصدار تعليمات إلى دوق و مجلس كريت لإرسال ثلاثة غلايين مسلحة إلى مياه كورون و مودون حيث ينبغي أن يبقوا هناك حتى آذار ٧٦٣هـ / ١٣٦١ م، وأمر أيضاً بالتحاق الغلايين الثلاثة العائدة للخليج بالغلايين التي تطلب الحفاظ عليهما ضد الأتراك، بموجب شروط التحالف[2].

---

[1] - سيتون : البابوية و الحروب الصليبية، ص ٤٦٥

[2] - سيتون : المرجع نفسه، ص ٤٦٦ ، ٤٦٧

ورد عند النويري بأن البنادقة لم يشتركوا بحملة الاسكندرية ولم يكونوا على معرفة بالأمر للمزيد انظر الفقرة المتعلقة بحملة الاسكندرية

ولكن بما أن الغليونين الآخرين تطلبا التسليح بسرعة، لذلك افترضت حكومة المستعمرة في كريت بأن التحالف لن يكون بحاجة إلى هذين الغليونين، في الوقت الذي تتعذر فيه الملاحة ولا سيما في شهري كانون الأول والثاني، وفي جميع الأحوال أمر مجلس الشيوخ بوجوب عودة الغليونين على الفور إلى الخدمة في التحالف، وفي سنة ٧٦٣ هـ /٢٢ تموز ١٣٦١م ، اقترح أحد أعضاء مجلس الشيوخ المدعو – سافي أغلي أورديني – **savi agli ordini** بأنه ينبغي توجيه الأمر إلى غليوني التحالف العائدين إلى البندقية، ليلحقا بعملية المرافقة المسلحة على الطريق إلى القسطنطينية من أجل الأمان، لكن اقتراحه لم يلق قبولاً، ولا يوجد دليل على أن البندقية نقلت غلايينها من خدمة التحالف أثناء صيف ٧٦٣هـ / ١٣٦١م، حيث مد بطرس نشاطاته إلى آسيا الصغرى، كما يستبعد أن تكون الغلايين القبرسية المرتبطة بأزمير قد جردت من السلاح؟ هذا ما أشار إليه مخارياس الذي توصل إلى مصادر مكتوبة في البلاط الملكي(١)إلا أنه جرى الاحتفاظ بهذه الغلايين ، وتم استعمالها في كوريكيوس مدة طويلة، و من المتصور أن بطرس الأول وبييري توماس عملا على إخفاء حركتهما وخطواتهما المقبلة عن البنادقة، ومن المحتمل أن التهم التي وجهها مجلس الشيوخ ضد بييري، كانت قد صممت لاستخراج المعلومات من أفينون، ومما لا شك فيه أن بعض الغلايين قد وضعت في الموانئ لإعادة تأهيلها للعمل في العام التالي(٢)، و استمر ملوك قبرس ونوابها بإرسال غليونين، و رواتب شهرية والأطعمة، والملابس، والأجهزة إلى الرجال في كوريكيوس في كل عام من أجل التصدي للأتراك . (٣)

٥- احتلال أنطاليا. / أضاليا (٧٦٢هـ/١٣٦٠م):

قاد بطرس أسطوله بعد احتلاله لحصن كالورنوس إلى منفذ مائي هام للسلاجقة الأتراك، فكانت أنطاليا(٤)"وهي مدينة واسعة وقوية، وجيدة الدفاعات " وكانت للمسلمين(١) في غاية

١- ماكارياس: تاريخ قبرص خلال الحروب الصليبية، الفقرة رقم ١١٢ / سيتون : البابوية و الحروب الصليبية ، ص ٤٦٧

٢ - سيتون : البابوية و الحروب الصليبية ، ص ٤٦٨

٣- ماكارياس: تاريخ قبرص خلال الحروب الصليبية ، الفقرة رقم ١١٤

٤- أنطاليا-ساتاليا- بالتركية أداليا- أضاليا و في العصر الوسيط دعيت ساطاليا: تقع في برتركيا، محاذية لجزيرة قبرس وكانت للتركمان سلاجقة الروم،وهي من أحسن المدن ، متناهية الاتساع والضخامة وأكثرها عمارة و ترتيباً، وبها مسجد جامع وحمامات، وأسواق ضخمة،مرتبه،=

الحصانة لعلو سورها ، ولها بابان إلى البحر و البر[٢]، و لعلها كانت أهم مركز تجاري على الساحل الجنوبي من آسيا الصغرى، و ميناءاً مفيداً لتوقف السفن المنتقلة بين قبرص و الغرب، كونها تشكل خطراً على المواصلات مع أوربا، وجرت محاولات الاستيلاء عليها، حشد بطرس الأسطول الذي بلغ عدده حوالي ١١٩ مركباً من الحجمين الكبير والصغير، اشترك فيه ٤٦ مركب من قبرس، معتمداً على موارد قبرس الخاصة بالدرجة الأولى، وحوى أسطول قبرس على حد قول مخارياس على غليونين بابويين، وأربعة غلايين من عند الاسبتارية، وفي سنة ٧٦٢هـ /١٣٦١م ، قام بطرس بحشده لعمارته البحرية في فاماجوستا، وكان هدفه مدينة أنطاليا أو أضاليا على الساحل الجنوبي لآسيا الصغرى غربي كوريكوس، وقد قيل بأن أمير أضاليا و حاكمها **تكي** أو **تكه**[٣]، قد أرسل عدة سفارات إلى قبرس منعاً من القيام بحملة ضدهم، لكن تلك السفارات لم تحقق أي نجاح، فقد قامت القوات القبرسية في ٢٣ آب للعام نفسه[٤] بعملية إنزال قرب أضاليا، واستولت على البلدة في مساء اليوم التالي اقتحم بطرس المدينة، وطرد حاكمها المسلم تكي، وقتل سكانها ثم أحرقها [٥] وعلى خلاف ذلك ذكر مخارياس بأن تكي كان خارج البلدة في مكان عرف باسم – نروز– و ما أن سمع بالأخبار المزعجة حتى

=ابن قاضي شهبه:الكواكب الدرية، مجلد(٢) ص١٨٨/النويري:الإلمام، ص١٣/ابن بطوطة:الرحلة، ص٢٧٤/ اديوري : قبرص و الحروب ، ص١٣٩ احتلها بطرس سنة ٧٦٢هـ/١٣٦٠م وبقيت تحت حكم قبرس حتى سنة ٧٧٥هـ/١٣٧٣م

[١]- داوي :أعمال القبارصة، ص ٥٧,٥٦ وللمزيد عن فتح المسلمين للمدينة وحكمهم لها انظر باذياب (نورة) إفادة الفتح الاسلامي لحصن كالورنوس وتحويله إلى ميناء علائية ، مجلة المؤرخ المصري ،العدد٢١، كلية الآداب ،القاهرة،١٩٩٨،ص٢٥١

[٢]- أبو الفداء : تقويم البلدان ،ص٣٨١

[٣]- **تكه** : قبيلة تركمانية و تكه ايلي إقليم بآسية الصغرى كان فيما مضى بلاد التكه أوغلو معناه (بلاد التيس) في بلاد الأناضول الجنوبية و يضم أضاليا و علائية أما الأمير تكي أو تكه أوغلي فينسب إلى أسرة حكمت إقليم تكه ايلي بالأناضول لم يعرف أصلها بالضبط على أنه من المرجح أن يكون لهذه الأسرة صلة بالتركمان و يقال أن رأس أسرة تكه أوغلي رجل يدعى تكه بك أو تكه باشا و كان يحكم أضاليا من قبل السلاجقة و خلفه في الحكم ابنه يونس ثم خضر ...الخ حكمت هذه الدولة التركمانية طوال القرن ٨هـ/١٤م ساحل خليج أنطاليا و منطقة الترك للمزيد انظر ابن بطوطة : الرحلة ، ص١٦٦/ أحمد الشنتناوي– ابراهيم خورشيد : دائرة المعارف الإسلامية ، مج ٤ ، دار المعرفة ، بيروت ، لم يذكر تاريخ الطبع، ص٤٤١-٤٤٢-٤٤٣

[٤]- ماكارياس : تاريخ قبرص من خلال الحروب الصليبية ، الفقرة رقم ١٢٢-١٢٣-١٢٤/ سيتون : البابوية و الحروب الصليبية ، ص٤٦٨/ اديوري : قبرص و الحروب ، ص١٣٩، ١٤٠

[٥]- ذكر فارس داوي بأن بطرس دخل المدينة سنة ٧٦٢هـ/١٣٦٠م ثم أحرقها وبقيت تحت حكم قبرس حتى سنة ٧٧٥هـ/١٣٧٣م/ ماكارياس : تاريخ قبرص خلال الحروب الصليبية ، الفقرة رقم ١٢٧-١٢٨
داوي: أعمال القبارصة ، ص٥٧

حزن كثيراً، وقام بإرسال رسائل سرية [١]، وبعد مضي شهر عاد بطرس إلى قبرص، ونزل في كيرينيا في سنة ٧٦٢هـ/٢٢أيلول ١٣٦١م، بعد أن ترك ثلاثة غلايين مسلحة لحراسة أنطاليا، أما الغلايين الأخرى، فوضعت في ميناء فاماجوستا، وجرت عدة محاولات من قبل أمير تكي لاستعادة عاصمته أنطاليا ، غير أنها لم تكن ناجحة، وكان نصر بطرس على هذه المدينة نصراً كبيراً له أهميته، وقد سبقت شهرة ملك قبرص إلى أقصى الغرب في أوربا بفضل تلك الانتصارات ، وما من أحد من الأمراء تحرك للمساعدة ، أو لمنع نزوله في أنطاليا، بل بادر أمير العلايا بالإعتراف بسيادة بطرس، وأرسل إليه رسلاً محملين بالهدايا، عارضاً عليه رفع العلم اللوزينياني مع الوعد بدفع الجزية، ابتهج النائب البابوي كثيراً لأنباء النصر المدوي الذي حصل عليه بطرس، ويظهر أنه عاد إلى قبرص، ثم توجه إلى أنطاليا في سنة ٧٦٣هـ/١٣٦١م لإقامة القداسات والكنائس والكهنة هناك، ثم غادر عائداً إلى قبرص، حيث أقام قداسات على شرف انتصار بطرس على المسلمين "وأثار بطريقة مدهشة الملك و النبلاء،لا بل السكان الإغريق لقبرص، وحرض على تدمير أعداء الإيمان "[٢] وهكذا كان احتلال أنطاليا نقطة تحول هامة في هذه الحقبة، فقد منحت الفرنجة منفذاً بحرياً هاماً على ساحل البحر المتوسط، كما أتاح لهم فرصة الاتصال البحري المباشر مع سائر القوى البحرية والتجارية المطلة على ذلك البحر، وخاصة مع البندقية، و تحولت أنطاليا إلى أزمير أخرى احتلها القبارسة ، كما تحملوا مسؤولية الدفاع عنها وحدهم ، ولم يعد يسمع بهجمات الأتراك على قبرص بالذات بعد سنة ٧٦٥هـ/١٣٦٤م ، بالإضافة إلى ما سبق ترافق مع هذا النصر دمار وكوارث لحقت بالمسيحيين، لاسيما منذ خريف سنة ٧٦٣هـ /١٣٦١م إلى أواخر صيف سنة ٧٦٥هـ/١٣٦٣م ، حيث فتك مرض الطاعون[٣] بعالم البحر المتوسط ، وانتشر نحو الشمال، وكانت تلك السنوات الأسوأ لهذا الوباء لاسيما منذ سنة ٧٤٨هـ /١٣٤٨م، حتى ارتفعت نسبة الوفيات

---

[١]- ماكارياس: تاريخ قبرص خلال الحروب الصليبية،الفقرة ١٢٢

[٢]- سيتون: البابوية و الحروب الصليبية، ص٤٦

٣- اديوري :قبرص و الحروب الصليبية ،ص١٢٤،١٣٤/ Mak hrias,the sweet land,p 61

في القسطنطينية والمورة [١]، وآسيا الصغرى، وسورية، ورودس....الخ[٢] ووصل الوباء إلى قبرس، وهنا وصف فيليبي دي ميزيري الذي كان مستشاراً لبطرس لوزينيان، وشاهد عيان للوباء الذي حل بالبلاد البطولة التقوية جهود النائب البابوي بييري توماس أثناء الطاعون القبرسي، بما أقامه من القداسات و المواعظ الدينية، وتنظيم المسيرات في سبيل إبعاد هذا الوباء[٣]، حيث ارتفعت نسبة الوفيات في فاماجوستا تراوحت من ثلاثين إلى أربعين شخصاً في اليوم الواحد، إلى أن تراجع الطاعون فيما بعد.

وفي سنة ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م التمس بطرس الأول ملك القدس وقبرس، مساعدة من أوروبا لاسترداد الأماكن المقدسة الموجودة في أيدي المسلمين وذلك لأسباب منها:

أولاً: لأنها كانت خاضعة للإهمال و الإهانة.

ثانياً : المحاولات المستمرة لتدمير كل المسيحيين و عقيدتهم.

ثالثاً : بسبب الذنوب المتراكمة من الماضي والحاضر(الطاعون ، الجراد ، الجفاف) بالإضافة إلى ذلك كله ، كان بطرس مثله مثل ميزيري متشوقاً منذ طفولته للقيام بأعباء استرداد الأرض المقدسة[٤] ، والذي من أجله أوقف مملكة قبرس وفرسانه مع جميع الذين سوف يلتحقون به في هذه المغامرة، فمملكة القدس كانت ملكه بموجب القانون الطبيعي للوراثة في سبيل ذلك ، ولكي يمتلك كل إنسان وقتاً كافياً، حدد بطرس تاريخ الأول من آذار سنة ٧٦٦هـ/١٣٦٤م موعداً لاحتشاد الصليبيين.

---

١ - المورة :أو شبه جزيرة المورة اليونانية من جزر بحر إيجة و تعني بالسريانية ورقة التوت وهي بالفعل تشبه ورقة التوت حيث تمتد بثلاثة رؤوس

انظر :

داوود : تاريخ سوريا الحضارية ،ج٢ ، ص٢١٦

٢ - المقريزي: السلوك ،ج٢ ، ص٢١،٧٧٦/ ابن العبري :تاريخ الزمان ، ص ٢٤٣/المقريزي : السلوك ، ج١ ،١٩٦ /ابن قاضي شهبة : الكواكب الدرية ،ج٢ ، ص٥٤٢

٣ - عندما يكون هناك وباء او جراد او جفاف في البلاد و حسب ما جاء عند مخارياس :" كان عليهم أي "(الفرنجة) القيام بمسيرة و اخراج الصليب الذي عرف باسم الصليب الذي صنع التجلي و هم سوف يحملونه في المسيرة حول الكنيسة و سيضعون ماءاً مقدساً و تغطيسه به ورشه نحو السماء ووقتها سيزيل الرب غضبه " انظر ماكارياس: تاريخ قبرص خلال الحروب الصليبية الفقرة رقم ٧٧

٤- سيتون : البابوية و الحروب الصليبية ، ص٤٧٢،٤٧١

٦- رحلة بطرس إلى أوربا طلباً للمساعدة في حملته:

لم تنته الحروب الصليبية بطرد الفرنج الصليبيين من عكا سنة ٦٩١هـ/ ١٢٩٢م، أو الانتهاء منهم من كل بلاد الشام أيام الأشرف صلاح الدين خليل بن المنصور، ثم طردهم من جزيرة أرواد سنة (٧٠٢هـ/١٣٠٢م)[١] أيام الناصر محمد بن قلاوون، وإنما استمرت هذه الحروب، لأن كثيراً من الصليبيين قد لجؤوا إلى جزيرة قبرص بعد طردهم من بلاد الشام، واتخذوا من هذه الجزيرة مستقراً لهم، إذ أخذوا يقومون بالإغارة على بلاد المسلمين، كلما وجدوا الفرصة سانحة لهم، وكانت الأسرة اللوزينيانية التي حكمت الجزيرة في تلك الآونة تقوم بهذه المهمة، والغريب في الأمر أن هذه الحملة لم يتزعمها ملك أوربي من فرنسا أو انكلترا أوايطاليا على عادة الحملات الصليبية الأساسية الكبرى، وإنما تزعمها ملك جزيرة قبرس بطرس الأول[٢]، فقد أمضى نحو أربع سنوات في أوربا للإعداد لتلك الحملة، يؤلب زعماءها الروحيين والزمنيين ضد المسلمين، ويطلب تأييدهم بالسبل كافة "فقد حث بعضهم بالهدايا وإلى الآخرين قدم الولائم والصداقة، وبطر ق مختلفة نال تأكيداً كاملاً" [٣]، فما الذي حدث في هذه الأثناء و هل كان سيؤثر على مصير الحملة الصليبية ككل؟

لم يكن البابا أنوسنت الخامس في وضع مستقر و إيجابي، و أحبطت آماله من أجل الحملة الصليبية، وعانى من إحباطات حكمه المضطرب، فمات سنة ٧٦٥هـ/ ١٣٦٢م ، و جرى تتويج راعي دير القديس فكتور في مرسيليا – غليومك دي غريموارد– الذي كان يخدم آنذاك كسفير بابوي في نابلس، حيث دعي بسرعة ليتوج بابا في أفينون باسم – أوربان الخامس– بدأ البابا الجديد بالسير على خطا سلفيه اللذين كانا قد فرضا عشراًعلى مملكة قبرس من أجل قمع الأتراك ، فوجه رئيس أساقفة نيقوسيا أساقفته المساعدين بأن يدفعوا العشر الصليبي لمدة ثلاثة أعوام أخرى من أجل الدفاع عن أزمير ضد الأتراك[٤].

١- ماخوت : الاستيلاء على الإسكندرية ، ص ٧٩٣ – ٧٩٤ .

٢ - المقريزي :السلوك، ج٣ ، قسم (١) ، ص ١٠٦ / ابن إياس : بدائع الزهور ، ص ٢٢

٣- داوي : أعمال القبارصة ، ص ٥١-٥٢

٤ - سيتون : البابوية و الحروب الصليبية ، ص٤٧٥

فما الذي حدث وجعل البابا في حيرة من أمره ؟ و هل هدد ذلك الحملة التي كان مـن المقـرر إعدادها، والإشراف عليها من قبل الملك بطرس الأول؟

ما أن انقضت عشرة أيام حتى كتب البابا إلى الملك القبرسي بطرس الأول في سنة ٧٦٥هـ/ ١٣٦٢م ، عندما كان مبحراً إلى البندقية، بأن سفراء مريم (ماريا) أوف بوربون الحاملـة الآن للقب امبراطورة القسطنطينية اللاتينية، وابنها هيوج أمير الجليل، قد وصلوا إلى هيئة الكرادلـة الرومان، وقدموا الشكاوى المتعلقة بمطالب هيوج بعرش قبـرس، وحـث بطـرس علـى أن يتصرف بعدل مع أقربائه من أجل شرفه وكرامته وبما يليق به كملك ،[1] كما كتب أوربان إلى السير جون دي لوزينيان شقيق بطرس الأول الذي كان أمير أنطاكية [2] وكذلك إلـى النائـب البابوي الفرنسي بييري توماس يطلب منهما التدخل لدى بطرس لصالح هيوج أمير الجليـل ، و ذكر أوربان في رسالته إلى بييري أنها من الواجبات الموكلة إليه كنائب بابوي ،لا سـيما وأن بييري قد وجد نفسه في موقف صعب، لأنه كان طوال الوقت برفقة الملك ، وبحكم أوضاع نقل البريد في ذلك الوقت حتى و إن كان سريعاً ، ومن المحتمل أن النائب البابوي وافق على إخبار بطرس بردة فعل البابا، وفي الحقيقة كان هنالك القليل مما كان لإوربان أن يفعله حول القضـية القبرسية ، ومن المستبعد تصوره اتخاذ البابا موقفاً ضد بطرس في مثل هذه الظـروف ، لأن ذلك كان من البديهي سينعكس سلباً على الحملة الصليبية ، بل يعرضها للخطر ، وبالفعل توجه النائب البابوي بييري حيث استقبل استقبالاً جيداً في هيئة الكرادلة الرومانية و أفينـون، ومجـد اسم الملك بطرس أمام البابا، وأعلن عن خططه من أجل حملة صـليبية ، حتـى كـان اليـوم السادس من آذار ٧٦٥هـ/١٣٦٣م ، قام البابا أوربان الخامس بنقل بييري توماس من الكرسي الأسقفي لكورون إلى رئاسة أسقفية كريت ، وبقي الملك بطرس منتظراً نتائج الزيارة في جنوة حتى تسلم رسالة ضمان من النائب بييري توماس ، ثم أخذ بعد هذا الطريق ، حتى تسلم رسالة

١- سيتون : البابوية و الحروب الصليبية ، ص٤٧٦

Mak hrias,the sweet land,p95.97

٢ - كان بطرس الأبن الأكبر لهيوج الرابع يليه جون لوزينيان أمير انطاكية أما أصغرهم فكان جيمس لوزينيان كنداسطبل القدس(قائد الجيش)

Mak hrias,the sweet land,p 73

ضمان من النائب بييرس توماس ، ثم أخذ بعد الطريق حتى وصل إلى أفينون يوم الأربعاء للعام نفسه ، حيث أستقبل بحفاوة ومحبة من قبل البابا،وملك فرنسا جون الثاني والكرادلة،وبعد مضي يومين أقام البابا قداساً، ووضع صليبية الحملة على جون الثاني ملك فرنسا وبطرس الأول ، وحشد من البارونات والنبلاء [١] وعين البابا أوربان الخامس ملك فرنسا (جون الثاني) "قائداً عاماً للحملة "، كما منح البابا إلى الصليبيين الغفرانات المعتادة، ووضع ممتلكاته تحت حماية الكرسي المقدس وشملت هذه المنح رئاسات شمامسة كريت، ورودس وغيرها من أجل مساعدة ملك قبرص حتى اللصوص كان باستطاعتهم الإنضمام للحملة في حالة استغفارهم، أن يضمنوا لتحليل جرائمهم بمنحهم ما كسبوه بشكل غير شرعي من أموال إلى الحملة [٢]، وبعد مضي أسبوعين على تعيين راكانيلي قائداً على أزمير، وبينما كان بطرس يستعد لمغادرة أفينون حدث تدفق مفاجئ للنشاط في القصر الرسولي، وإعداد الكتب والرسائل لإرسالها إلى كل من الإمبراطور شارل الرابع (٧٢٢-٧٢٨هـ/١٣٢٢-١٣٢٨م)، وادوارد الثالث ملك انكلترا (٧٢٧-٧٧٩هـ/١٣٢٧-١٣٧٧م)، وجون ملك بوهيميا، ودوقات، ونبلاء ألمانيا و اللورين، ودوقي البندقية، وجنوة لحثهم جميعاً و لجاهزيتهم من أجل العبور الصليبي العام، وإنه سوف ينطلق إلى الأرض المقدسة خلال أقل من عامين (حدد اليوم الأول من آذار سنة ٧٦٧هـ/١٣٦٥م ، وأخبروا ملك قبرص بالذهاب معهم، وعدداً كبيراً من النبلاء، لكن ملك قبرص كان سيذهب قبل الجميع، لأنه على حد قول البابا أوربان سوف يكون " الرائد المجيد " [٣] وأكد النائب الشرقي للكرسي الرسولي بييري توماس تقديرات الملك القبرسي في المشرق المتوسطي، وخلافاتهم الداخلية، ولاسيما بعد انتزاع أضاليا من المسلمين لذلك أعلن أوربان عن الحملة الصليبية [٤]، وسمح البابا أوربان الخامس للملك القبرسي في أن يجند في خدمته،

١- سيتون : البابوية و الحروب الصليبية ، ص ٤٧٧

٢- سيتون : المرجع نفسه، ص٤٧٨

٣- سيتون : المرجع نفسه ، ٤٨١

٤- سيتون : المرجع نفسه ، ص٤٨٣ ، ٤٨٤

وفي سبيل الحملة قطاع الطرق والمتطوعين، وأن يرسل مائتي نبيل فرنسي و ألفي فارس، وستة آلاف من الرجالة من أجزاء أخرى من العالم، ومن مملكتي هنغاريا وقبرص، ومناطق صقلية، وبلاد الإغريق، وغيرها، كما جرى طلب مرتزقة انكليز، وقد تسلموا ضمانات كاملة بغفرانات صليبية من أجل استرداد الأرض المقدسة، وهكذا كانت البداية من قبرص، فقد انطلق بطرس الأول مبحراً من بافوس يوم الاثنين سنة ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م توجه بطرس إلى جزيرة رودس التي كانت مقراً للإسبتارية[١]، حيث استقبله فيها مقدم الاسبتارية- روجر - خير استقبال، ومن هناك أبحر إلى البندقية، فوصلها في اليوم الخامس من كانون الأول حيث تمكن من خلال زيارته لها، والتي استغرقت ثلاثة أسابيع إقناع دوقها[٢] بإمداد الحملة بالسفن اللازمة، كما تباحث معه حول المخاطر التركية، وعلى الرغم من أن مجلس الشيوخ قد صوت بالموافقة على تسليح اثنى عشر غليوناً ستة منها تم تجهيزه في كريت من أجل الحملة ، لكن بالمقابل كان عليهم إبقاء التعهد البندقي بالمساعدة قيد الكتمان ؟ و ربما رجع ذلك إلى الخوف على مصالح البندقية التي تربطها مع المسلمين علاقات تجارية، إذ وافق مجلس الشيوخ البندقي على جعل السفراء يتصرفون حسب رغبة ملك قبرص، وهذا مؤشر على تلك الروابط بين قبرص و البندقية [٣] وبعد ذلك مر بميلانو فوصلها في ٢١ كانون الثاني، ثم توجه إلى جنوة، حيث مكث فيها حوالي الشهر وذلك من أجل:

١- تصفية الخلافات التي كانت لا تزال قائمة بين القبارسة والجنوية.

٢- تأمين مساعدة الجنوية لحملته، غير أن الجنويين وعلى الرغم من تسوية الخلافات فيما بينهم[٤]، لم يظفر منهم إلا بتأييد غامض[٥] .

١- انظر الفقرة المتعلقة بالاستيلاء على رودس في الفصل الثالث.

٢- كان دوق البندقية يدعى لورنزكلسي أو لورنزو سيلسي كما وردت عند سيتون انظر سيتون : البابوية و الحروب الصليبية ، ص٤٧٢

٣ – سيتون : المرجع نفسه ، ص٤٧٢، ٤٧٣ /اديوري : قبرص و الحروب ، ص١٤١

٤ - أدت الخلافات الجنوية والمنازعات فيما بينهم إلى انقسامهم إلى حزبين – حزب الجلفيين وحزب الجبلنيين أي الصراع بين البابوية والإمبراطورية للمزيد عن هذا الموضوع انظر:

داوي : أعمال القبارصة، ص ٧٧٢ ، ٧٧٣/ زيتون : تاريخ العصور الوسطى الأوربية ، ص٢١٢/ زيتون : العلاقات الاقتصادية ، ص ١٤٦-١٤٧

٥ - رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ص ٧٣٩ ، ٧٤٠

٣- أراد بطرس التأكد من نظافة الساحل قبل رحيله وإكمال رحلته، ولاسيما وأن عواطف هيئة الكرادلة في أفينون، كانت لصالح الحفيد الشاب هيوج أمير الجليل [illegible] لم يتراخ عن المطالبة بقبرس.

وبينما كان بطرس في أفينون اجتمع بالبابا أوربان الخامس، كما اجتمع بملك فرنسا (جون الثاني)الذي قدم لزيارة المدينة، فوعده بالتعاون معه وبالاشتراك في حملة صليبية مع عدد كبير من نبلاء فرنسا وقبرس، وأعلن البابا أمام الملكين القيام بحملة صليبية جديدة ١٤ نيسان سنة ٧٦٥هـ /١٣٦٣م، ولم يلبث أن أكمل بطرس رحلته، فطاف على عدد من المقاطعات والمدن الألمانية[١]، وقفل راجعاً إلى باريس ليجتمع فيها مرة أخرى بملك فرنسا، لكنه لم ينس أن يقوم بجولته إلى انكلترا، فتوجه إليها بعد ما مر بنورمندي، وبريتاني، وقابل فيها الملك – ادوارد الثالث – ملك انجلترا الذي أحسن استقباله، وحمله الكثير من الهدايا، ولما أراد بطرس العودة إلى قبرس، سمع بنبأ وفاة صديقه ملك فرنسا – جون الثاني – سنة ٧٦٦هـ / ١٣٦٤م،الأمر الذي جعله يعود مسرعاً إلى باريس لحضور جنازته، وتتويج خليفته الجديد الملك شارل الخامس[٢] بعدها توجه إلى وسط أوربا لطلب المساعدة من الإمبراطورية الرومانية المقدسة، وفي براغ تلك البلدة المشهورة [٣] لقي ترحيباً من قبل الإمبراطور شارل الرابع الذي أشار عليه بعقد اجتماع كبير يحضره ملك بولندا كليمير الثاني (٧٣٤ – ٧٧٢هـ / ١٣٣٣ – ١٣٧٠م) ولويس الكبير ملك هنغاريا (٧٤٣ – ٧٨٤هـ / ١٣٤٢ – ١٣٨٢م)، ثم عقد المؤتمر في أواخر أيلول، حظي خلاله بتأييدهما الكامل، واستعدادهما لتقديم المساعدة لبطرس في حملته الصليبية[٤] ثم قفل عائداً إلى البندقية التي مكث فيها حوالي ستة أشهر كاملة أمضاها بسرور كبير[٥] ومر خلالها بالنمسا ، فوصلها في سنة ٧٦٦هـ / تشرين الثاني ١٣٦٤م، ومنها ومنها أرسل إلى أخيه ونائبه بقبرس (حنا) يطلب منه إعداد السفن والرجال والموانئ اللازمة،

---

[١]- داوي : أعمال القبارصة ، ص ٩٦ / عاشور: قبرس والحروب الصليبية ، ص ٥٧ ، ٥٨

[٢]- داوي: أعمال القبارصة، ص ٦٥ أما سيتون: فذكر وفاة جون الثاني في ٨ نيسان ٧٦٦هـ / ١٣٦٤انظر سيتون: البابوية والحروب، ص٤٨٤

[٣]- براغ : عاصمة تشيكيا حالياً وهي بلدة مشهورة

داوي : أعمال القبارصة، ص ٧٠

[٤] – داوي : أعمال القبارصة، ص٨٢

[٥] – داوي : المصدر نفسه، ص ٩٣

وانتظاره في رودس[١]، نفذ حنا ما طلب منه ، وغادر قبرص في سنة ٧٦٧هـ / آب ١٣٦٥م ، وبعد ما حصل بطرس على التأييد[٢] الذي أراده عقد اجتماعاً كبيراً اشترك فيه أعداد كبيرة من المغامرين و المرتزقة ، لكن ملوك الغرب وأمراءهم لم يشتركوا به شخصيا، وجرت مشاورات عن المكان الذي يتوجب عليهم اختياره لتسديد ضربتهم الموجعة للمماليك، فنصحه أحد خاصته (المدعو – بيرسيفال الكولوني)[٣] بالتوجه إلى الإسكندرية[٤].

٨ – ثورة كريت ٧٦٥هـ/ ١٣٦٣ م :

في الوقت الذي كان يتم فيه عملية الإعداد للقيام بحملة صليبية كبيرة على مصر، تفجرت في أوائل ٧٦٥هـ /آب ١٣٦٣م ثورة خطيرة في جزيرة كريت[٥] نجمت عن الخلافات العرقية و و الدينية بين اللاتين والإغريق، مما أعطى السبيل إلى إلغاء التحالف الصعب بينهم، والذي كان خاضعاً للأعمال العدوانية، لا سيما وإن كريت كانت مستعمرة خاضعة للبندقية منذ سنة ٦٠٩هـ/ ١٢١٢م، حيث عينت حكومة البندقية ممثلاً لها في الجزيرة، أعطته لقب دوق كريت و اتخذ من – كاندا– مقراً له [٦]، واتسمت سياستها الاستعمارية في كريت بالقسوة و الاستغلال، بهدف جعل كريت بندقية ثانية ، ومع مرور الأيام مال الإقطاعيون البنادقة والنبلاء الإغريق نحو التقارب من أجل مصالحهم المحلية، وإن كان في بعض الأحيان مضاداً للحكومة، وكان انعدام المحبة الجادة بين البنادقة والوطنيين الإغريق قد ظهر مسبقاً في ثورتين سنة (٧٣٢هـ/١٣٣٣م) وثورة (٧٤٢هـ / ١٣٤٢ م)، وكان ذلك مؤشراً لثورة كبرى سنة

---

[١] – داوي : أعمال القبارصة، ص ٩٧ / أما اديوري فقال بأن بطرس ترك شقيقه جون مسؤولاً عن قبرص في غيابه ثم أبحر في رحلته انظر: اديوري : قبرص و الحروب ، ص١٤٢/ ماكارياس : تاريخ قبرص خلال الحروب الصليبية ، الفقرة ١٣١

[٢] – عدت هذه الحملة بمثابة شرف لكل واحد أراد الاشتراك فيها. انظرداوي : المصدر نفسه، ص ١٠٥

[٣] - سيتون : البابوية و الحروب الصليبية ، ص ٤٨٤

[٤] - سيتون : المرجع نفسه ، ص ٤٨٥

٥ – كريت:جزيرة يونانية في البحر الأبيض المتوسط تبلغ مساحتها ٨٣٣٢ كم و هي أكبر جزر اليونان و عاصمتها خانيا أما كريت فتعني بالسريانية إصبع الإبهام كما تعني الموجز وهي تتوسط الطريق مابين سورية و إيطاليا و ما بين مصر و اليونان كما تعود أهميتها إلى النشاط التجاري و إلى ثروتها و منتجاتها و قد عدت محطة هامة للقوافل التجارية المتجهة إلى مصر و الشام انظر: ديورانت (ول) قصة الحضارة ، مجلد (١) ترجمة زكي محمود ،الإدارة الثقافية ، ص١٣ ، ص٢٣٩/ الموسوعة العربية العالمية ،ج١٩ ، المملكة العربية السعودية ، مؤسسة أعمال للنشر.

٦– زيتون :العلاقات الاقتصادية ، ص٢٦٣، ٢٦٤

٧٦٥هـ / ١٣٦٣م نتيجة لسياسة العنف وفرض الضرائب، ولاسيما فرض ضريبة جديدة من أجل إصلاح ميناء مدينة الخندق (كاندا)[١] التي كانت عاصمة للجزيرة[٢]. هاجم الثوار قصر (ليوناردو) دوق مدينة الخندق، وسجنوه، وكاد الأخير يفقد حياته أثناء عملية الشغب، كما جرى قتل رجال البنادقة الرسميين، أو طردهم من الجزيرة، وعين إقطاعي مشهور يدعى ماركوغراد ينيغو من البنادقة حاكماً ونائباً ملكياً لكريت، وجرى تعيين أربعة من المستعمرين كمجلس تنفيذي لمساعدته، وشكل الثوار جيشاً من خلال إخراج السجناء المحرومين الذين كانت عليهم ديون متراكمة، ويرغبون في أداء خدمة عسكرية لمدة ستة أشهر مقابل نيلهم العفو، وعزل القديس مرقص حامي جزيرة كريت، وأحل السكان محله ابن بلدهم القديس تيتوس، وأزيلت أوامر منع التكريس من قبل الكهنة الإغريق، كما تم استبدال الطقوس اللاتينية في الكنيسة الكاتدرائية بطقوس إغريقية في مدينة الخندق، والذي كان رئيس أساقفتها بييري توماس، مشغولاً حينها بالشؤون البابوية في أفينون وإيطاليا[٣].

وتطلع الثوار نحو إزالة نهائية للمؤسسة اللاتينية في كريت ، و كانت ثورة كريت معروفة في البندقية.

ففي سنة ٧٦٥هـ /١٠ أيلول ١٣٦٣ م تم اخماد الثورة بنجاح، و نجحت الحكومة بسرعة كبيرة، وعزل الثوار عن بقية العالم المسيحي، و مع ذلك فإن آثار تلك الاضطرابات أثرت و بشكل مباشر على البندقية نفسها وأصاب تجارتها في الجزيرة شللاً حقيقياً خلال ذلك العام و الأعوام القليلة التالية، و ذلك بسبب أعمال العنف و الدمار الذي ألم بثروات الجزيرة و المستوطنات التجارية للبندقية فيها [٤] ، و لم يلبث في الثامن من تشرين الأول أن كتب الدوج

---

[١]- سيتون : البابوية و الحروب الصليبية ، ص ٤٨٥ / زيتون :العلاقات الاقتصادية ،ص ٢٦٢ ،٢٦٣

[٢] - استغل مسلمو الأندلس انشغال أساطيل الإمبراطورية البيزنطية و جيوشها و اجتاحوا جزيرة كريت سنة(٨٢٣-٨٢٥م) حيث أسسوا مدينة جديدة أحاطوها بخندق فعرفت بالخندق وهو اللفظ الذي حرف في اللغات الأوربية إلى خانداكس أو كانديا إلى أن نجح نقفور فوقاس باستردادها من المسلمين سنة ٩٦٠م

-عاشور: أوربا العصور الوسطى، ص٤١٢

[٣]- سيتون : المرجع نفسه ، ص ٤٨٦

٤- زيتون :العلاقات الاقتصادية ،ص٢٦٢، ٢٦٣

ومستشاروه رسائل إلى مقدم رودس، وإلى الملكة إيليانورا أوف آراغون (من قطلونيا) ملكــة قبرس و زوجة بطرس[1] الأول ، وإلى أمير أنطاكيا، وإلى لويس الكبير ملك هنغاريا، وإلـــى بطرس الأول ملك قبرس، وجوانا ملكة نابلس ..... الخ، و بعثوا سفيراً إلى جنـسوة، وأرســل جميع الذين استلموا الرسائل أجوبة إعادة تأييد وضمان من الجنويين و غيرهم.

كما أرسل البابا في تشرين الأول رسالة احتجاج إلى الثوار الكريتين فــي مدينـــة الخنـــدق، و ذكرهم بأنهم كانوا من حيث الأصل والثقافة و الامتيازات بنادقة، وإن كانت ثورتهم سوف تفسد الحملة الصليبية، فان الكنيسة العالمية سوف تعاني من كارثة مميتة، لهذا نصحهم علـــى إبـــرام الصلح مع البنادقة، وبدا من الواضح أن هذه الثورة كانت عائقاً مميتاً للحملة الصليبية و إخفاق ذريع مالم يتحقق نصر سريع، وهذا ما جعل بطرس يبدي استياءه و يعلن عن استعداده للقدوم إلى البندقية لحل المشكلة و قمع الثورة ، وبالوقت نفسه كتب بطرس إلى زوجته إيليــا نــورا وإلى أخيه جون بأن لا يقوم القبارسة بتقديم أية مساعدة إلى الكريتيين، بل يتوجب عليهم قطـــع جميع العلاقات معهم حتى تنتهي الثورة، وكان في نية بطرس الانطلاق من البندقيـــة فـــي آذار المقبل، لكن مؤشرات عدم الاستقرار التي أحدثتها الأخبار المفاجئة للثورة لم تكن بالحسبان على خطط البندقية في إنجاح خطة الحملة الصليبية المقبلة، حيث يتوجب عليها التركيز على استرداد الجزيرة أولاً، ووضع أسطولها و جيشها في حالة الاستعداد، وبناءً عليه توفرت الحاجـــة إلـــى كثير من السفن المسلحة وغير المسلحة لنقل الرجال، والامدادات، والتجهيـــزات الأمـــر الـــذي انعكس سلباً على سير الحملة الصليبية العامة، وسبب في تأخير العبور لبعض الوقت ، ولكـــن حكومة بطرس كانت تأمل بحدوث نجاح سريع في كريت، وبعد ذلك ســـوف يكـــون البنادقـــة جاهزين لتقديم أي شيء في خدمة ومساعدة الحملة الصليبية[2].

كانت الحملة بحاجة إلى غلايين البندقية و سفن لنقلها، و لم يكن البابا أوربان الخامس مخطئـــاً في خشيته لما حدث في كريت، فقد هددت الثورة الكريتية العبور الصليبي العام ضد المسلمين، أما حكومة البندقية، فقد كانت شديدة الانزعاج من ذلك الوضع، لأنها شكلت عائقاً خطيراً فـــي

١- ماكارياس : تاريخ قبرص خلال الحروب الصليبية ، الفقرة رقم ١٠٠

٢- سيتون : البابوية و الحروب الصليبية ، ص ٤٨٧

وجه تنظيم حملة ما وراء البحار ضد المسلمين، هذا يعني أن البنادقة شاركوا بالحملات الصليبية، وإن أتت المصادر على خلاف ذلك، فكيف لا وهي التي ادعت (البندقية) بأنها لم تكن تعرف بالأمر، و لم تشارك بالحملة الصليبية على الإسكندرية كما سيمر لاحقاً؟ المهم أنه بات الآن على البنادقة أن يوجهوا سفنهم، و قواتهم البرية والبحرية لإخماد الثورة بدلاً من أن يوجهوها لمساعدة العبور الصليبي العام على عكس المتفق عليه[1].

رفض الثوار في كريت جهود البنادقة للبحث في شكاويهم وعودة المستعمرة إلى ولائها السالف وفي سنة ٧٦٧هـ / ١٠ كانون الثاني ١٣٦٤م، فوض دوق البندقية أحد رجاله – ديسيد بريدلوسيو **Desidebriodlucio** للمشاورة مع بييري توماس وفيليبي دي ميزيري حول ما يتعلق بنقل صليبي ملك قبرس نحو الشرق، وكان بييري وفيليبي يتوقعان جاهزية ألف صليبي للإبحار من البندقية منتصف آذار برسالة أرسلاها إلى الدوق، لكن الدوق أجاب بأن حكومته غير قادرة في مثل هذه الظروف على نقل أكثر من ألف لأنهم لا يمتلكون في الوقت الراهن سفناً جاهزة من أجل أعداد كبيرة، و بما أن القضية الكريتية لا تتحمل التأخير، لذلك وافق الموثق البندقي – ديسيديرو، على أنه إذا كان الصليبيون سيقفون عند كريت لما يكفي من وقت للمساعدة على قمع ثورة أهل الخندق، فإن نقلهم سوف يجري تجهيزه إلى أبعد هدف مقصود في المشرق المتوسطي، أثار هذا الكلام والموقف دوج البندقية، وأرسل رسالة للمبعوث يؤنبه على تصريحاته تلك، والتي كان من المفترض إبقائها طي الكتمان[2] وكأن الدوج قصد من خلال هذه الرسالة عدم تقديم المساعدة للفرنج الصليبيين بحجة نشوب الثورة في كريت.

وفي سنة ٧٦٧هـ /٢٩ كانون الثاني ١٣٦٤م كتب الدوج وأعضاء من الحكومة إلى بطرس الأول بأنهم جندوا جيشاً برياً مؤلفاً من ألف من الخيالة وألفين من الرجالة، و أعلمهم عن جاهزية السفن لنقلهم جميعاً إلى كريت، لكن عليهم الانتظار حتى منتصف آذار، وإذا كان أماديو السادس _ كونت سافوي – سوف يصل إلى البندقية قبل ذلك التاريخ، فإن البنادقة سيكونوا مستعدين للقدوم إلى كريت شرط أن يقدموا ويساعدوا في قمع ثورة أهل مدينة الخندق،

---

[1] - سيتون : البابوية و الحروب الصليبية ، ص ٤٨٨

[2] - سيتون : المرجع نفسه ، ص ٤٨٩

وبعد ذلك سوف يترتب نقلهم الى قبرس، أو إلى أي مكان آخر يرغبوا به من أجـل العبـور[1]

وفي وائل شباط قدم بييري توماس وفيليبي دي ميزيري إلـى البندقيـة، ولكنهما أرادا مـن الحكومة البندقية نقل ألفي خيال إلى المشرق المتوسطي، ووصلت مذكرة سريعة مـن بطـرس الأول تسلمها فيليبي سببت له صدمة كبيرة، حيث طلب بطرس الآن نقل ألفي خيال بالرغم من أن دوق البندقية كان قد أعلن بوضوح بأنه البندقية لا تستطيع نقل أكثر من ألفاً فـي أقصـى الحدود، وبدا أنه لم يعد على استعداد ليمضي إلى جزيرة كريت من أجل إخضاع الثوار، وبعـد مشاورات طويلة ومباحثات استمرت لمدة عشرة أيام بين بييري تومـاس وأربعـة مفاوضـين بنادقة، حصل رسل بطرس على مطالبهم[2] ووافق دوج البندقية على ما طلبه بطرس، وكم كان البنادقة مدهشين بكرمهم، حينما قبلوا بنقل ألف رجل مع خيـولهم وأسـلحتهم قبـل منتصـف حزيران من دون الإبحار إلى مشرق البحر المتوسط، أما بالنسبة للألف الأخر، فيمكن استئجار سفن البنادقة من أجل نقلهم إلى الشرق، وعلى الرغم من أن البنادقة كانوا في مأزق، كان لا بد من إعادة جزيرة كريت، ولكن مطالب الصليبيين كانت ضاغطة للغاية، ولسوف يعطي البنادقة أكثر مما طلب منهم، و تدفق الفرسان على البندقية من جميع الجوانب من أجل إتباع ملك قبرس إلى الأرض المقدسة[3] .

أخر قيام الثورة في كريت الحملة الصليبية، حتى شهرشباط سنة ٧٦٧ هـ / ١٣٦٤م، فقد قام المدعو – رافين كيرسيني – **Raffain caresini** الذي كان يعمل لصالح البندقية بالاتصال في ميلانو مع صديق البطريرك قائد مرتزقة – فيرونا لوكشينو دال فيرمي **Lucchino – dal** verme الذي وافق على تسلم قيادة القوات البرية للجمهورية، وإخماد الثورة في كريت، وفـي سنة ٧٦٧هـ / ١٠ نيسان ١٣٦٤ م أقلع الأسطول مبحراً إلى الشواطئ الشمالية مـن كريـت حيث نزلوا في ٦ – ٧ أيار في فراسخيا – **Fraschia** – على مسافة بضعة أميال من مدينـة الخندق ، ولم تلبث أن استسلمت مدينة الخندق في اليوم العاشر من أيار، وقتل الـدوق الثـائر

[1] - سيتون : البابوية و الحروب الصليبية ، ص ٤٩٨

[2] - سيتون : المرجع نفسه ، ص ٤٩٠

[3] - سيتون : المرجع نفسه، ص ٤٩١

ماركوغراد العجوز[1] وتلقى البابا أنباء قمع البنادقة للثورة بسرور كبير، وحث الدوج والشعب على اظهار امتنانهم للرب، بزيادة الدعم الذي وعدوا به من أجل الحملة الصليبية[2] وفي الحقيقة أعاقت الثورة في كريت العبور الصليبي العام، لابل أخرته، لكنها لم توقفه أو تمنعه نهائياً.

٨- الاجتياح الصليبي القبرسي للإسكندرية (٧٦٧هـ/١٣٦٥م)

لم يكن اختيار الصليبيين لمهاجمة الإسكندرية أمراً اعتباطياً أو جديداً، فقد تكررت الحملات الصليبية على مصر نظراً لأهمية موقعها، فالإسكندرية هي المدينة البحرية الأولى لمصر، وواحدة من أحسن مدن السلطان، وهي قائمة على نهر النيل[3]، أضف إلى ذلك أنها مدينة فائقة الجمال وحصينة ، ومحاطة بأبراج عالية وبأسوار تبدو أنها لاترام، ومع ذلك فمن السهل الاستيلاء عليها هذا ما قاله عنها بورتشارد راهب جبل صهيون[4] أماالفارس الداوي ونائبه لما تحدث عن المدينة قال بأنها " مدينة حصينة وقوية والعالم كله لا يمكنه أن يستولي عليها أبداً"[5]، ولما كانت مصر مركز العالم الإسلامي في تلك الحقبة ، أخذ ملوك أوربا وباباواتها يدعون إلى توجيه الحملات الصليبية ضد المسلمين ، وقد ظلت فكرة مهاجمة دولة المماليك بمصر سائدة في أوربا إلى أن تكفل بتنفيذها بطرس الأول سنة ٧٦٧هـ / ١٣٦٥م ، والذي كان أصلح الملوك ثقافة وأخلاقاً لقيادة الحرب المقدسة[6]، ساعده في ذلك شخصيته القيادية و حماسته الدينية إذ جعلته نموذجاً للفروسية في العصور الوسطى فلماذا اختيرت الإسكندرية هذه المرة

---

[1]- سيتون : البابوية و الحروب الصليبية ، ص ٤٩٣

[2]- سيتون : المرجع نفسه ، ص ٤٩٨

[3]- داوي : أعمال القبارصة ، ص ١٠٨ ، ١٠٩ و الإسكندرية كما وصفها داوي مدينة كبيرة جداً شاسعة ، منبسطة عالية الأسوار و الأبراج التي تحيط بها خنادق عميقة و عريضة جدا وهناك أبراج عند كل باب تجعلها أكثر منعة وقوة ،
داوي : أعمال القبارصة ، ص ١١٠

[4]- بورتشارد : "وصف بورتشارد راهب جبل صهيون للأرض المقدسة من خلال الموسوعة الشامية ،ج٣٧، دار الفكر دمشق ،١٩٩٩م ، ج٣٧ ، ص ٢٩٨ ص ٢٩٩

[5]- داوي : أعمال القبارصة ، ص ١١٤

[6]- عاشور : قبرس والحروب الصليبية ، ص ٥٨ /
Atiya,the crusade, , p. 319

لتكون هدفاً للصليبيين ؟ لطالما لم تهاجم من قبل !الاسيما و أن الهجمات الصليبية توجهت إلى دمياط و ليس إليها ، هل لعبت الصدفة دورها في اختيار الفرنجة للإسكندرية ؟ أم لأهمية المدينة و مركزها الاقتصادي الهام الذي بات ينافس بل يهدد قبرس و غيرها ؟.

لقد تداعت الدنيا على المسلمين في الإسكندرية، و ضاقت عليهم بما رحبت، وفي و سط ظلمة الليل القاتمة، حلت بهم و بمدينتهم فاجعة كبيرة، فماذا سيكون من أمر المسلمين فيها، وقد أوشك الفرنج على تملك مصر؟ وهل استطاع هؤلاء الغزاة المرتزقة الذين جمعهم بطرس البقاء طويلاً، أم أنهم فضلوا الرحيل عنها بعد نهبها و تدميرها ، ووصول العساكر الإسلامية لنجدة المدينة؟ وكيف استطاع المسلمون الانتصار على ذاتهم وعلى أعدائهم ؟ فهل تمكنوا من تجاوز نقاط ضعفهم، والإفادة من مواقع قوتهم إزاء هذه التجربة القاسية التي مروا بها؟ من هنا كان لابد من الوقوف قليلاً و معرفة الأسباب الحقيقية وراء احتلال بطرس للإسكندرية ؟

في الحقيقة ساهمت عوامل عدة وشجعت بطرس لاحتلال الإسكندرية أهمها:

١- لما تتمتع به الإسكندرية من أهمية استراتيجية كونها مركزاً تجارياً فريداً، وموقعاً حربياً عظيماً، والرغبة في السيطرة على طريق المواصلات الذي يربط مصر بالعالم الخارجي[١].

٢- لم تخف على بطرس الدعاية التي قامت بها أوربا لإثارة حماس المسيحيين للاستيلاء على الإسكندرية، وكان الاعتقاد السائد في ذلك الوقت أن الملك المسيحي الذي يضع يده على مينائها يستطيع بمساعدة أسطول صغير اعتراض كل المواصلات و بالتالي التقدم سريعاً إلى القاهرة ، ومن ثم الوصول إلى الأراضي المقدسة فكان لهذه الاعتبارات أثرها في تطلع بطرس للاستيلاء عليها[٢].

٣- أراد بطرس الانتقام لأبناء دينه ، لما أنزله السلطان صالح بن الناصر محمد بالمسيحيين، وأهل الذمة من أنواع الظلم حسب زعمهم في سنة ٧٥٥هـ / ١٣٥٤م.

١- عاشور : : قبرس و الحروب الصليبية، ص ٥٩

٢- سرور : دولة بني قلاوون ، ص ٢٤٧

٤- أن بطرس أرسل عند ارتقائه العرش بعد هلاك أبيه إلى السلطان يستأذنه في التوجه إلى صور ليتوج بها من باب الذكرى لمملكة بيت المقدس الصليبية التي أصبحت المكان الذي يتوج به ملوك قبرص بعد تحرير بيت المقدس ، فاحتقره السلطان وأهانه حسب مزاعمه ومنعه من دخولها[١].

٥- تعدي العامة من أهل الإسكندرية على الفرنج وتجار البندقية بالمدينة[٢]، لكن هناك مجموعة أسباب أوردها النويري تتلخص في أن بطرس علم من بعض القبارسة الذين طالما أغاروا على الشواطئ المصرية أن الإسكندرية ورشيد وبقية الموانئ المصرية تكاد تكون خالية من وسائل الدفاع ، الأمر الذي شجع بطرس على مهاجمتها والاستخفاف بأمر المماليك وبقدرتهم على الدفاع عنها[٣].

وبعد أن رتب بطرس أمور حملته، وبعد تلبية أهالي جنوة والبندقية لدعوته، حيث أمدوه بالرجال والسفن الحربية أبحر أسطوله إلى رودس[٤]، وهناك استقبل بكل مظاهر الفرح والسرور، وانضمت إليه أربع سفن جهزها مقدم طائفة الاسبتارية – ريمون بيرنجر – ومائة من الفرسان بقيادة أمير الاسبتارية [٥] **(ferlimod airasca)** (فيرليمود اريسكا) ، وقد أورد كل من ابن إياس والنويري قائمة بأجناس المراكب التي هاجمت الإسكندرية " فكان عدة طوائف الفرنج الذين دخلوا الإسكندرية من البنادقة أربعة وعشرين غراباً [٦]، ومن الجنويين غرابين، ومن أهل رودس عشرة أغربة ، ومن الفرنسية خمسة أغربة ، وبقية الأغربة من أهل قبرص "[٧] ويبدو هنا أن ابن إياس يأخذ عن صاحب الإلمام –الذي شاهد ما حدث في الإسكندرية– أو

---

[١]- النويري : الإلمام ، ص ٣٠ / عاشور : قبرس و الحروب الصليبية ، ص ٥٨ / عثمان : تاريخ قبرص ، ص ١٥٠

[٢]- النويري : المصدر نفسه، ص ٣٥

[٣]- عاشور : قبرس و الحروب الصليبية ، ص ٥٨ – ٥٩ / عثمان : تاريخ قبرص ، ص ١٥٠

[٤] Mak hrias,the sweet land,p149.150

[٥]- سرور: دولة بني قلاوون في مصر ، ص ٢٤٦ / Atiya,the crusade ,p 341 – 343

[٦]- عرف النويري الغراب بأنه نوع من أنواع السفن الحربية التي تحمل القلاع والمجاديف وسميت بالغربان لرقتها وطولها وسوادها بالأطلية المانعة للماء ، فصارت تشبه الغربان من الطير لسوادها وسواد مناقيرها.

انظر النويري : الإلمام ، ص ٧٢ ، ٧٣ / الحسن بن عمر : تذكره النبيه ، ص ٢٨٨

[٧]- النويري :المصدر نفسه ، ص ٧٢ / المقريزي : السلوك ، ج٣ ، ص ١٠٦ / ١٠٧

نقل عنه ، فقد اتفق ابن إياس في ما ورد من الكلام مع الإلمام، إلا أنه اختلف عنه بعدد غربان البنادقة[١] والسؤال هنا هو لماذا لم يتوجه بطرس مباشرة إلى الإسكندرية بعد ما اكتملت تجهيزاته للحملة؟ بل توجه إلى رودس وماهي أهم الأسباب لذلك ؟

حرص بطرس كل الحرص على كتمان الجهة التي سيقصدها الأسطول وهذا ما أفاد به الفارس الداوي الصوري في تاريخه وغيره عندما تحدث على لسان بطرس قائلاً " نحن سوف نتظاهر بالإبحار باتجاه آخر، سوف نتجه إلى رودس ، وأعداؤنا لن يعرفوا أننا قادمون ، ولم يتوقعوننا"[٢] فهل أراد بطرس مفاجأة أعدائه و مباغتتهم على حين غرة كي لا يستعدوا و يحترسوا للأمر؟

لم يعرف الفرنجة حقيقة أن مقصدهم سوف يكون مدينة الإسكندرية في مصر، و لمدة أسابيع طويلة كان كل من البنادقة و الجنويين سيبقون أخبار تحركات أسطول بطرس تحت مراقبة مستمرة، ويتساءل الإنسان هنا : ألم يكن البابا على دراية بأن الإسكندرية هي هدف الصليبيين؟ و إذا تم الافتراض أنه كان على معرفة بالأمر ، فكيف سمح للبنادقة بإرسال ست سفن مع حمولاتها التجارية باستثناء (الأسلحة و المعادن و الأشياء الممنوعة بالعادة) إلى الإسكندرية و إلى بلدان أخرى تابعة لسلطان مصر من أجل الربح المادي، أم من أجل التمويه ! من الواضح هنا أنهم لم يعرفوا الوجهة المقصودة والهدف المنشود ، وتعود تلك السرية **وكتمان الأمر لأسباب منها:**

١- عدم اطمئنانه إلى إخلاص الجمهوريات الايطالية الذين اشتركوا معه[٣].

٢- خشيته من أن يذاع سر الحملة، ومعرفة سلطان مصر والمماليك بها، لذلك أصدر أوامره إلى أخيه حنا (جون لوزينيان) بقبرس يطلب إليه أن يمنع أية سفينة من مغادرة الجزيرة إلى بلاد الشام[٤]، أما إديوري فقد عزى أسباب تلك السرية إلى أمرين أولهم: ترك المسلمين

ابن اياس : بدائع الزهور ، ص ٢٣ / عثمان : تاريخ قبرص ، ص ١٥١

[١]- النويري : الإلمام ، ص ٧٢ . فقد كان عددها عنده أربعة عشر غراباً

[٢]- داوي : أعمال القبارصة ، ص ١١٢ / مكارياس: تاريخ قبرص خلال الحروب الصليبية ، الفقرة رقم ١٦٧، / عاشور : قبرس والحروب الصليبية ، ص ٦٠ / سرور : دولة بني قلاوون ، ص ٢٤٦

[٣]- سرور : المرجع نفسه ، ص ٢٤٦ / عاشور : المرجع نفسه ، ص ٦٠

[٤]- عاشور : المرجع نفسه ، ص ٦٠ / اديوري :قبرص و الحروب الصليبية ، ص١٤٥ /ماكارياس : المصدر نفسه ، الفقرة رقم ١٦٨

في حالة تخمين، و ثانيهم :منع التجار الأوروبيين ذوي المصالح التجارية فيها من محاولة وقف الحملة أو إبلاغ المماليك ، وفي هذه الأثناء أبحر الأسطول الفرنجي من قبرص حتى وصل إلى جزيرة كرامبوسا على الساحل الجنوبي لآسيا الصغرى[١]، ولم يعلم جنوده عن وجهة الحملة إلا بعد أن صارت في وسط البحر[٢].

فوصل إلى الإسكندرية بعد خمسة أيام في ٩ تشرين الأول سنة ٧٦٧هـ / ١٣٦٥م ، لكن وعلى الرغم من كل الاحتياطات المتخذة من قبلهم، وصلت أنباءها إلى مسامع المصريين، إذ يقول المقريزي إن أهل الإسكندرية بلغهم خبر عزيمة الفرنج على غزوهم قبل عدة أشهر من وصول الحملة[٣] فقد أشار إلى هذا الأمر" كان قد بلغهم منذ أشهر اهتمام الفرنج بغزوهم "[٤] وعن الاستعدادات الحربية لغزو الإسكندرية ، ووصولها إلى مصر بمدة طويلة[٥] ويرجح أن وصول هذه الأخبار إلى مصر كان عن طريق التجار الذين كانوا يترددون إلى الإسكندرية[٦] لكن دولة المماليك في مصر لم تعر ذلك الأمر اهتماماً يستحق الذكر، بل استخفت به[٧] ربما لثقتها الكبيرة بعدم قدرة الفرنجة على غزوهم، حتى أنهم لم يتصوروا أن يجرؤ أحدهم على الإغارة على الإسكندرية أو الاقتراب منها ؟ فكيف بقبرس وملكها الضعيف؟[٨] هذا من ناحية أما من الناحية الأخرى كان إهمال الإسكندرية من قبل السلطات المملوكية سبباً رئيساً في سقوطها السريع، فلم يحسنوا دفاعاتها و أسوارها القديمة و أبوابها العتيقة، لأنها لم تهاجم قط لا إبان العصر الأيوبي ولا العصر المملوكي، ثم أن الهجمات الصليبية توجهت إلى دمياط و ليس

---

[1]- داوي : أعمال القبارصة، ص ١١٣/ماكارياس: المصدر نفسه، الفقرة رقم ١٧١/ كانت كرامبوسا قريبة من رأس خلقيدون و شرقي ميرا

(Makhiaras, I) recital concerning the sweet land of Cyprus p. 150

[٢]

Makhiaras, recital concerning the sweet land of Cyprus p. 151

[٣]- المقريزي : السلوك ، ج٣ ، القسم الأول ، ص ١٠٥ / أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ص ٢٤

٤- المقريزي : المصدر نفسه ، ص١٠٥

[٥]- النويري : الإلمام ، ص ٢٩٥

[٦]- عاشور : قبرس والحروب الصليبية ، ص ٦٠

ذكر المقريزي وصف دقيق لكيفية ظفر القبرسي بالإسكندرية للمزيد انظر من ص٤١٤ إلى ص ٤٣٢

[٧]- المقريزي : المصدر نفسه ، ص ١٠٥

[٨]- النويري:الإلمام، ص٨٠-٨٨

إلى الإسكندرية، وبالتالي أضحت الإسكندرية منفى لأمراء المماليك المغضوب عليهم بالسجن أو بالنفي [١] كما أن الأمير يلبغا [٢] الخاصكي سخر من تلك الأخبار وقال: "إن الفرنسيين أقل وأذل من أن يأتي إلى الإسكندرية "[٣]، وذلك عندما طلب منه الأمير زين الدين جنغرا نائب الإسكندرية مساعدة من أجل تحصين المدينة[٤]، وعندما لاحت السفن الفرنجية في الأفق، ظنها ظنها الإسكندريون في بداية الأمر سفناً للبنادقة، وقد أتوا كعادتهم للتجارة كل سنة في مثل هذا الوقت، ففرحوا لرؤيتها، وأخذوا يعدون عدتهم للموسم السنوي، لكن فرحتهم لم تكمل، وبقيت السفن بعيدة لم تدخل الميناء على غير العادة، فارتاب الناس لأمرها " وقضوا ليلتهم وهم في خوف وفزع"، ولما أصبح يوم الخميس ٩ تشرين الأول أقبلت بقية السفن حتى ملأت البحر لكثرتها[٥]، ورست بظاهر بحر السلسلة (ميناء الإسكندرية الشرقي) الذي خصص لرسو السفن المسيحية.

عندها أدرك المسلمون خطورة الموقف، فأمر جنغرا (حاكم المدينة)[٦] و أحد أمراء العشرات، بإغلاق أبواب المدينة، وأخذ في شحن القلاع بالرجال والرماة، كما أشار على عربان البحيرة للدفاع عن الثغر[٧] وفي أثناء ذلك خرجت مجموعة من المقاتلين إلى الأسوار يتناوبون الحراسة

---

١ – للمزيد من المعلومات عن إهمال الإسكندرية من قبل السلطات المملوكية و الاضطرابات و الصراعات على السلطة بعد الناصر محمد الأمر الذي أثر على الوضع العام و بالتالي صارت الإسكندرية منفى و سجن لهؤلاء الأمراء المغضوب عليهم.

المقريزي : السلوك ،ج٢،ج٣ص–٦١٥—٤٢–٥١٣/ ابن تغري بردي : النجوم ،ج١٠ ،ص٥٢–٧٢–١٢٥–٧١–٥١–٦٣/ ابن خلدون : تاريخ ا بن خلدون ،ج٥ ، ص٥٠٦–٥٠٧٠٠٠–٥١٠

[٢]- **الأمير يلبغا بن عبد الله العمري الخاصكي الناصري**،أحد كبا ر الأمراء بمصر في سلطنه الناصر حسن وكان المتكلم عن السلطان في ذلك الزمان، قتل بأمر السلطان الناصر حسن سنة ٧٦٨هـ/١٣٦٦م

أبو المحاسن: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، د.نبيل عبد العزيز،١٩٨٨ط٥ ، ص٤٩/ صالح بن يحيى:تاريخ بيروت، ص١٠١/

أبو المحاسن:النجوم الزاهرة،ج١١ ، ص٤٣٨–٤٤٠

[٣]- النويري:الإلمام، ص٣٦

[٤] - النويري:المصدر نفسه،ص٥١٥/عاشور: قبرس و الحروب الصليبية ، ص٦١

[٥]- النويري:الإلمام، ص٤٢/* بلغ تعداد هذه السفن عند ابن إياس وأبو المحاسن حوالي سبعين مركبا حربياً في حين قدرها المقريزي من سبعين إلى ثمانين قطعة. انظر:

أبو المحاسن:النجوم الزاهرة، ج١١،ص١٢٤ /ابن إياس:بدائع الزهور، ص٢١/المقريزي:السلوك، ص١٠٥

٦– ورد اسمه ب جينغوا عند ابن قاضي شهبة انظر ابن قاضي شهبة : تاريخ ابن قاضي شهبة ، ج٢، ص٢٧١

[٧] - المقريزي: السلوك،ج٣، ص١٠٥/ النويري:الإلمام، ص٣١٣

الحراسة طوال الليل، وبقي العدو ساكناً بلا حراك، وفي صباح يوم الجمعة ١٠/ تشرين الأول، أنزل بطرس قواته ورجاله إلى الشاطئ وأمرهم بالهجوم، لكنهم وجدوا أن المدينة قوية التحصين وأبوابها محكمة الإغلاق ، فتعذر عليهم اقتحامها،عندئذ عقد بطرس اجتماعاً للمشورة، وبعد أخذ ورد قرر معاودة الهجوم ومواصلة القتال، وعندما شدد الصليبيون هجومهم أنزلوا بالمسلمين هزيمة خارج الأسوار، فخرج الأمير جنغرا ورجاله لصدهم، فرماهم الصليبيون بالسهام، وظل القتال دائراً بين الفريقين حتى هزم المسلمون، واستشهد عدد كبير منهم، ومضى الأمير جنغرا مع بعض أهالي الإسكندرية إلى دمنهور، بعد أن نقل ما كان في بيت المال من الذهب والفضة، كما قاد معه خمسين تاجراً من تجار الفرنجة أسرى ، أما ما تبقى من الفرنج فنزلوا إلى بر المدينة [١] وقد أدرك الصليبيون ضعف سور المدينة من جهة الميناء الشرقي، فتقدموا حتى باب الديوان(الجمرك) وأحرقوه، ثم عبروا السور على سلالم خشبية وأخذوا يدخلون المدينة جماعات، فا ستشهد عدد كبير من المسلمين من جراء القتال، ومنهم من هلك في الازدحام عند هروبهم من أبواب المدينة، وخلت الأسوار من حماتها، ومضى الفرنج "إلى باب السدرة أو باب الشجرة و الباب الجنوبي للإسكندرية"، الأمر الذي جعل المسلمون يتجهون ويحشرون إلى باب رشيد، فأحرقوه ودمروه تاركين بذلك مدينتهم مفتوحة أمام الفرنجة [٢].

نهب الإسكندرية:

وصل بطرس إلى الإسكندرية، وما لبث أن اخترق ملك قبرس المدينة راكباً في ١٠/ تشرين الأول سنة ٧٦٧هـ /١٣٦٥م " فاستلم الناس بالسيف"، بعدما أحرق الفرنجة كل شئ حتى أبواب المدينة لم تنج منهم ![٣] وعاثوا في أهلها فساداً، و مورست و حشية لا مثيل لها

---

١ – المقريزي:السلوك، ص١٠٥/ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج٥ ، ص٥١٨

٢- المقريزي : المصدر نفسه ، ج٣ ،ص١٠٥-١٠٦/ ماخوت : الاستيلاء على الإسكندرية ، ص١١٧-١١٨

٣ – ابن كثير الدمشقي(عماد الدين) البداية و النهاية ، حققه عبد الله التركي ، دار عالم الكتب ، ١٩٩٧م ، ج١٨ ، ص٧٠٤،٧٠٥/ ماكارياس: تاريخ قبرص خلال الحروب الصليبية ، الفقرة رقم١٧١

تقشعر لها الأبدان، و قد ترك النويري روايات تؤلم القلب وتفجعه حول أعمال القتل و النهب " كانوا يذبحون المرأة و يذبحون و لدها على صدرها، وقيل أنهم يجذبون الصبي الصغير بين اثنين فيتقطع و يمزق، وقيل"كانوا يضربون الصغار في الحيطان فيهلكون "[1] لقد نهبوا كل شئ و حملوه فوق ظهور الجمال والبغال والخيول، وذبحوا كل من حاول الاختباء، وقد عقروا دواب النقل التي لم يحتاجوها، وحطموا المصابيح في المساجد، وأخذوا عدداً كبيراً من الأسرى [2]، واستباح الصليبيون المدينة بطريقة وحشية مرعبة، محدثين فيها الدمار، ناهبين ومحرقين أكشاك الصرافين وحوانيت السماسرة، وباعة الأقمشة الثمينة وا لأقمشة القديمة والشمعدانات والقوارير والأوعية والآنية ونهبوا حوانيت الصاغة، واستولوا على بضائع للتجار من القاهرة ومن دمشق، وجدوها معبأة وجاهزة للتصدير، ونهبوا أثواب أقمشة الحرير الرفيع الذي جلبه التجار الفرس وغيرهم من التجار إلى الإسكندرية، وسرقوا من البيوت الخاصة المجسوهرات والمقتنيات الثمينة، وأواني النحاس، لا بل سرقوا حتى حشايا وتجهيزات الأسرة، وانتشرت النيران التي ألقوها في المدينة في مناطق واسعة، والتهمت الأسواق العامة والمدارس الإسلامية وورشات الطراز، ووصلت إلى كل شارع و ساحة في المدينة، وسال الزيت والعسل في الشوارع ممتزجاً مع الزجاج المحطم والأواني الفخارية المكسرة، وصدوراً عن جهل أو غضب أحمق ألقوا النيران في فنادق: القاطالانيين، والجنويين، والمرسيليين، ومخازن البندق والبضائع الأدنى قيمة، لكنهم أخفقوا في العثور على خزانة سلاح المسلمين، التي كانت مليئة بالأسلحة وقتذاك، وقتل الصليبييون الأتقياء في كل مكان وجدوهم فيه، حتى في المساجد حيث التجأ الكثيرون إليها، وحطموا كل مالم يستطيعوا حمله ونقله، ومثل هذا فعل النهابون بكل شئ لم يمكنهم وضعه في مراكبهم المثقلة، وكان بين ذلك كما رأى النويري أكثر من سبعين مسجداً وأبنية أخرى داخل الأسوار أحرقت، أما القصور والأضرحة، فقد دمرت تماماً، وتركت أجساد الموتى لتهترئ في الحمامات والأسواق والشوارع التي امتلأت بجثث الحيوانات أيضاً وتركت

---

١ - النويري : الالمام، ص ٦١

٢ - النويري : المصدر نفسه ، من ص٤٨......٥٨

التوابل مكدسة على شكل أكوام على الشاطئ، لأن الغلايين وسفن النقل لم يعد باستطاعتها استيعاب المزيد [١]، ورميت بضائع ثمينة من المراكب من أجل سلامة الإبحار، لأن المراكب غطست كثيراً في الماء جراء الحمولة الزائدة ، وقال النويري في الإلمام: لو أن الفرنجة لم يحرقوا بابين أو ثلاثة من الأبواب البرية، لكان باستطاعتهم البقاء سادة المدينة، فهذه كانت غلطتهم، وكان المسلمون سيجدون صعوبة كبيرة في استعادة المدينة، أما ماخوت فقد علق على ماجرى في الإسكندرية قائلاً:"لم تكن هناك مذبحة كبيرة بهذا الحجم منذ أيام سليمان " [٢] و دلل على تلك الوحشية و القتل قوله " ما من مسلم واجه رجالنا بقي حياً، في جميع الشوارع ركضوا، ذبحوا، و مزقوا، و قتلوا، ماذا عشرين ألفاً من المسلمين أو أكثر كلهم ماتوا في أرجاء المدينة "[٣] و لطالما ترددت على ألسنة و مسامع الناس بالقاهرة، و منذ أعوام كثيرة مقولة "في يوم الجمعة تؤخذ الإسكندرية"[٤] هذا ما ذكره المقريزي، بل أكد عليه ماخوت من خلال قول بيرسفال الكولوني حاجب الملك بطرس، لما استشاره بطرس في أمر احتلال الإسكندرية قائلاً " إن جميع الرجال والنساء هناك (أي في الإسكندرية) يعتقدون بشكل جازم، أنه من خلال هذا الميناء القديم سوف تسقط مدينة الإسكندرية، وسوف تنهب، ويعاث فيها، ويجري الاستيلاء عليها و تدمر ٠٠٠الخ" [٥] وهذا ماحدث بالفعل ؟ فقد تحققت النبوءة، وهوجمت الإسكندرية، وأطلق الفرنجة يد السلب والنهب فيها إلى درجة يصعب وصفها، كما انضم إليهم النصارى الذين كانوا يقيمون بالثغر[٦] ، و ساهموا بمساعدة الفرنج الصليبيين ، فقد دلوهم على دور الأغنياء، وثرواتهم، فأخذ الفرنج الرهائن، ، ثم خرجوا بالأسرى والغنائم إلى مراكبهم، بعد أن

---

[١]- النويري : الإلمام، ص ٥٨،٥٧

[٢]- ماخوت : الاستيلاء على الإسكندرية ، ص ١٤٤/ سيتون : البابوية و الحروب الصليبية ، ص٥٢٧

[٣]- ماخوت : المصدر نفسه ، ص ١٤٣

[٤]- المقريزي : السلوك ، ج٣، ص١٠٨

٥- ماخوت : المصدر نفسه ، ص١١٠

٦ - المقريزي:المصدر نفسه،ج٣، ص١٠٦/الحسن بن عمر: تذكرة النبيه، ص٢٨٨ /أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج١١، ص٢٤-٢٥/عاشور:قبرس والحروب الصليبية، ص٦٣

خربت الإسكندرية ونهبت لدرجة يصعب تصورها، فأحرقت المدارس، والمساجد، والقصور، وكثير من الأحياء، وحمل الصليبيون معهم الكثير من أهالي الإسكندرية الذين نجوا من تلك المعركة أسرى، وقد بلغ عددهم خمسة آلاف من مسلمين ويهود و مسيحيين شرقيين[١]، هذا يعني أهم لم يفرقوا بين مسلم و مسيحي ، هم مرتزقة همها السلب و النهب ليس إلا• في حين بلغ تعداد الأسرى حسب تقديرات ابن كثير الدمشقي حوالي أربعة ألاف أسير، وكل ما غلا ثمنه، وما كان جليل القدر [٢] ، لم ير هؤلاء الغزاة سوى النهب و القتل و التدمير، لقد استهوتهم الشهوة و غرتهم رؤية الغنائم، بدليل أنهم لم يفرقوا بين بشر أو حيوان، أو بين مسلم و مسيحي و يهودي، أو بين عربي و فرنجي، هذا ما أكد عليه المؤرخ الغربي رنسيمان بقوله: " اشتد هوس الظافرين حين شهدوا هذه الغنيمة الوفيرة ، فلم يبقوا على أحد ، إذ أن ما قاساه السكان الوطنيين من المسيحيين و اليهود لم يقل عما تعرض له المسلمون من القسوة، بل أن التجار الأوربيين المقيمين بالمدينة شهدوا ما تعرضت له محلاتهم و مستودعاتهم من النهب دون شفقة أو رحمة "[٣]، وظلوا أربعة أيام يعيثون في المدينة فساداً إلى أن خرجوا منها و بلا رجعة. فما هي الأسباب التي ساهمت وساعدت بطرس على احتلال الإسكندرية؟

في الحقيقة لم يواجه الصليبيون في هجومهم على الإسكندرية مقاومة جدية تذكر، و هذا ما أكد عليه سيتون من خلال فيليبي دي ميزري (مستشار الملك بطرس) قائلاً :" إنه خلال ساعة جرت مهاجمة المسلمين من قبل الرب ، فتركوا الأسوار و الأبراج ، و انهارت شجاعتهم فتخلوا عن المدينة و هربوا نحو بابليون القاهرة "[٤] بل كان سبيل احتلالها ممهداً لهم وذلك

للأسباب التالية:

---

[١]- سرور: دولة بني قلاوون، ص٢١٩ / atiya,the crusade. p365-367

* ذكر النويري في الإلمام كثيراً من الحكايات والشواهد التي تشهد على وحشية الصليبيين وما اقترفوه بحق الأهالي.

٢ - ابن كثير : البداية و النهاية ،ج١٨، ص٧٠٥-٧٠٦

٣ - رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج٣، ص٧٤٧

[٤]- سيتون : البابوية و الحروب الصليبية ، ص٥٢٢

١- غياب والي الإسكندرية صلاح الدين خليل بن عرام[١] ببلاد الحجاز لأداء فريضة الحج .

وقيام الأمير جنغرا بالعمل مكانه[٢]، وقد عرف هذا الأمير بالضعف والتردد، كما أنه افتقر إلى الخبرة من أجل تنظيم وسائل الدفاع عن المدينة.

٢- ضعف حامية الإسكندرية، وعدم اهتمام السلطة المركزية في القاهرة بتقويتها.

٣- فيضان نهر النيل، وما نتج عنه من غمر الدلتا بالمياه، فأصبح من المتعذر إمدادهم بحامية وبنجدة سريعة وفورية من القاهرة.

٤- اضطراب الأحوال الداخلية في مصر، فلم يكن على رأس الحكومة سلطان قوي يستطيع أن يقود الجيش.

ويصد هجوم الصليبين، بل كان السلطان طفلاً[٣] صغيراً لا يتجاوز عمره الثانية عشرة [٤] الأمر الذي جعل الأمير الأتابكي يلبغا الخاصكي يستأثر بالنفوذ والسيطرة [٥].

٥- عدم تكافؤ القوى عدة واستعداداً ما بين المسلمين والصليبيين، فقد كان المسلمون في الإسكندرية دون الصليبيين عدة، فحين كان الفرنجي يقاتل بالسيف القاطع، قاتل أهالي الإسكندرية الأعداء وهم عراة[٦].

٦- استهزاء المسلمين بعدوهم واستضعافهم لشأنه، وعدم الثبات في المقاومة.

---

[١] - صلاح الدين خليل بن علاء الدين علي المشهور ب ابن عرام كان حاجب الحجاب بالإسكندرية وزوج بنت أمير الأمراء طيد مر البالسي وفي سنة ٧٧٠هـ/٢٦ شعبان ١٣٦٨م أصبح في خدمة السلطان الأشرف شعبان

النويري:الإلمام، ص٢٦٩/ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، مراجعة سهيل زكار ، دار الفكر، ١٩٨١م، ج٥ ، ص٥١٨

[٢] - المقريزي : السلوك،ج٣، ص١٠٥/النويري:الالمام، ص٣٩

[٣] - كان السلطان الأشرف شعبان بن الحسين بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون وكان قائد جيوشه الأمير يلبغا الخاصكي، وقد ولي السلطنة على مصر سنة ٧٦٤هـ/١٣٦٢م.

االنويري: المصدر نفسه، ص١٣/أبو المحاسن: النجوم الزاهرة،ج١١،ص٢٠

[٤] - سرور: دولة بني قلاوون، ص٢٤٨/أبو المحاسن: المصدر نفسه،ج١١،ص٢٠

٥ - للمزيد من المعلومات عن أوضاع السلطنة المملوكية في مصر و تخلخل الأوضاع الداخلية فيها انظر : المقريزي : السلوك ،ج٢ ، ص ٥١٣ و ما بعدها ، ج٣ص ٦١٥ / ابن حبيب (شهاب الدين) درة الأسلاك في دولة الأتراك ، دار الكتب المصرية ، ج٣ / ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة ، حققه محمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ج١١/ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٥ ، ص٥٠٦-٥٠٧-٥٠٨

٦- النويري: الإلمام، ص٤٤

وهكذا سقطت المدينة العظيمة بيد ملك قبرس، فدخلها باطمئنان، حتى النويري لم يخف استغرابه واستعجب لسقوط الإسكندرية بهذا الشكل، فما من مدينة عظيمة مثلها سقطت في ساعتين، وقد جرت العادة إن المدن تظل تقاوم الحصار لمدة عامين حتى تسقط؟

هذا وقد علق المقريزي على ما حل بالمدينة من جراء حملة بطرس قائلاً: فكانت هذه الواقعة من أشنع ما مر بالإسكندرية من حوادث ، وفيها اختلت أحوالها، وقلت أموالهم، وزالت منهم، كما تحدث الشيخ أبو العباس شهاب الدين أحمد بن حجلة التلمساني في مرثية عن أسفه وحزنه لما أصابها قائلاً:

ألا في سبيلِ الله ما حلَّ بالثغرِ ... على فرقةِ الإسلامِ من عصبةِ الكفرِ

أتاها من الإفرنج سبعون مركباً ... وحاطتْ بها الفرسان من البرِ والبحرِ

وصير منها أزرقَ البحرِ أسوداً ... بنو الأصفر الباغون بالبيضِ والسمرِ

أتو أهلها هجماً على حينِ غفلةٍ ... وباعهم في الحرب يقصر عن فترِ[1] .

ذكرت المصادر التاريخية أنه بعد استباحة الإسكندرية، عقد بطرس اجتماعاً صباح يوم السبت ١١ / تشرين الأول دعا إليه جميع أعوانه للتشاور في الموقف الجديد والخطوة التالية ؟ وكان من رأيه ألا يخلي الصليبيون المدينة، بل أكد على التمسك والدفاع عما احتلوه ريثما تأتي النجدة إليهم من أوربا، " فهم حسب زعمه لديهم كميات كبيرة جداً من السلاح، و كميات وافرة من الأطعمة، ويمكنهم الحصول على المزيد منها من قبرس ويمكن المساعدة أيضاً أن تقدم من القسطنطينية ورودس والرجال ذوي الشرف سوف يستجيبون لدعوتهم من كل مكان في العالم المسيحي "[2] بينما خالفه أغلبية أتباعه الذين رأوا رأياً مخالفاً لرأيه، وقد نادى الفيكونت -دي توران- الذي قال: إنه من المتعذر أن يظل الأسطول حيث هو ويقوم بمهمة الدفاع، نظراً لقلة عدد الحامية المسيحية بينما أبواب المدينة مفتوحة للعدو، ويستطيع بوفرة عدده أن يوقع

---

[1]- ابن إياس: بدائع الزهور،ج١،قسم ،٢ص٢٤/النويري:الالمام ، ص٧١/ الحسن بن عمر :تذكرة النبيه، ص٢٨٩

٢- سيتون : البابوية و الحروب الصليبية ، ص ٥٣٠

بالصليبيين[١]، حينها أحس الملك بطرس " أن خطاباتـــه مـــن دون فائـــدة، فهـــم (أي رجالـــه المرتزقة) عازمون على المغادرة "[٢] هذا وقد ترك عدد كبير من الصليبيين أما كلهم ورجعـــوا إلى السفن، حتى أن بعضهم لم يستطيعوا المكوث لمدة أطول لأنه ما من واحد منهم كان يريـــد أن يموت من الجوع في الإسكندرية، أو أن قتل فيها، لذلك أبحروا سراً وفي الليل علـــى مـــتن سفنهم المثقلة بالمنهوبات المصرية إلى قبرس[٣] بعد أن بقوا في الإسكندرية مدة ثمانية أيام[٤]، الأمر الذي وضع بطرس أمام الأمر الواقع، وجعله يعدل عن تفكيـــره، ويقـــرر الجـــلاء عـــن الإسكندرية، لا سيما بعد ظهور طلائع الجيوش المملوكية القادمة مـــن القـــاهرة بقيـــادة يلبغـــا لتخليص الإسكندرية[٥]، لا سيما بعد ظهور طلائع الجيوش المملوكية القادمة من القاهرة بقيـــادة يلبغا لتخليص الاسكندرية، وفي الوقت نفسه كان المسلمون يتدفقون عائدين إلى المدينة، و كانت جماعات كبيرة منهم على كل طريق، ولم يكن بالإمكان صدهم أو محاربتهم و طردهم و تفوقوا عليه بصورة لا أمل فيها ، و لذلك قام بحكمة بجمع رجاله وانسحب ومضى إلى الغلايـــين[٦]، فماذا غير ذلك كان بإمكانه أن يفعل ؟ بعد أن أمل بأن يمتلك الاسكندرية و يحتفظ بها ، لتكـــون رأس جسر من أجل هجوم محتمل على القاهرة، ولتكون محطة رسو من أجل إعادة الاســـتيلاء على القدس[٧] لكن إن تم التمعن قليلاً في هذه المسألة لوجد أن بطرس جمع لصوصاً و قطاع طرق، جاؤوا لينهبوا ويدمروا ويقتلوا، وما كان بذهن هـــؤلاء المرتزقـــة عقليـــة للاســـتقرار

---

١ - سرور: دولة بني قلاوون،ص٢٤٩/عاشور: قبرس والحروب الصليبية،ص٦٧/ ماكارياس : تاريخ قبرص خلال الحروب الصليبية، الفقرة رقم ١٧٣

Atiya,the crusade,p.364 /Makhiaras, recital concerning the sweet land of Cyprus p. 151.153

٢- ماخوت : الاستيلاء على الإسكندرية، ص١٦٤/

Makhiaras, recital concerning the sweet land of Cyprus p. 155

٣- عاشور: قبرس و الحروب ،ص٦٨

٤ – ابن اياس: بدائع الزهور، ص٢٣/النويري:الإلمام، ص٦٠

٥ – علل النويري سبب بقاء الفرنجة طوال تلك الأيام هو انتظارهم للمساعدة، فلما عاينوا وهم بمراكبهم العساكر الإسلامية أقبلت تركوها ورحلوا.

٦ - ماخوت : الاستيلاء على الإسكندرية ، ص١٦٥

٧ – سيتون : البابوية و الحروب الصليبية ،ص٥٢٧

والاستمرار في الإسكندرية لأنهم لو أرادوا الاستيطان لما دمروا ما دمروه بهذا الشكل الرهيب، ولما ارتكبوا مثل تلك المذابح الوحشية والحماقات التي مورست حتى بحق الحيوانات نفسها، هذا ما أكد ودلل عليه قول النويري :" دخلها لصاً و خرج منها لصاً "[١] هذا إلى أن بطرس أراد تدمير مركز اقتصادي مهم وخطير بالنسبة للفرنجة، ولطالما أحدثوا مثل ذلك التخريب و النهب بالمكان، ونفذت المهمة المطلوبة، ولم يعد لهم مصلحة بالبقاء في تلك المدينة المنكوبة، ولكن لماذا لم تصل النجدة في الوقت المناسب، ولماذا كان كل هذا التأخير في إنقاذ المسلمين؟ علل النويري سبب بقاء الفرنجة طوال تلك الأيام، هو انتظارهم المساعدة والنجدة من مصر، فلما عاينوا وهم بمراكبهم إقبال العساكر الإسلامية، تركوها ورحلوا عنها، لكنه في الحقيقة تأخرت القوات الإسلامية في نجدة إخوانهم في الإسكندرية لسببين:أولهما صحيح أن خبر الاستيلاء على الإسكندرية وصل إلى القاهرة يوم السبت ١١/ تشرين الأول، الأمر الذي جعل الأمير يلبغا يستبعد الخبر، ويتوهمه ظناً منه أن الأمر لا يعد وأن يكون مكيدة دبرها له خصومه ولا سيما طيبغا الطويل(أمير السلاح)، فقد دبت بينهما عقارب الفتن على حد زعم ابن آياس[٢] لكنه لما تحقق من الخبر، حينما شاهد بأم عينه الهاربين من الإسكندرية إلى القاهرة نادى بالإسراع إلى إنقاذها وخرج الجند حينها " من غير ترتيب ولا تعبيه "[٣] .

ثانيهما: هو فيضان نهر النيل وانغمار الأراضي بالمياه الأمر الذي جعل المسلمين يغيرون طريقهم المباشر والأقصر إلى الإسكندرية، ويتبعون الطريق الصحراوي الطويل، مما أخر وصولهم إليها إلى يوم الخميس ١٦ / تشرين الأول للعام نفسه ، حينما كان الصليبيون يهيمون عائدين إلى قبرس[٤].

١- النويري : الإلمام ، ص ٥١٦

٢- النويري:المصدر نفسه، ص٦٠

ابن إياس : بدائع الزهور ، ص ٢١ / المقريزي : السلوك ،ج ٣ ، ص ١١٥

٣- المقريزي : المصدر نفسه ، ص ١٠٥ / أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج١١ ، ص٢٥

٤- ابن إياس : بدائع الزهور ، ص٢٢ / النويري : الالمام، ص١٠٦

وصل الجيش الإسلامي بقيادة الأمير يلبغا إلى الإسكندرية فكان " كالجراد المنتشر "[1] وشهد ما

حل بها من دمار وخراب ووباء، فأمر بدفن المسلمين الذين استشهدوا، وبترميم ما خرب وأحرق، كما أصدر أوامره بإلقاء القبض على كل من بقي من تجار الفرنجة الذين بقوا بالإسكندرية، وساقهم إلى القاهرة مشاة حفاة، وألقى القبض على كثير من النصارى في مصر والشام، وألزمهم بتقديم أموالهم لفداء أسرى المسلمين[2] أما ابن إياس فذكر بأن السلطان ألزمهم بتقديم نصف أموالهم حتى يخلصوا المسلمون من الأسر[3] " فلما قبض عليهم أودعهم في الحبوس، وضيق عليهم، وقاسوا مالا خير فيه، حتى يرى ما يكون من أسرى المسلمين، وكانت وقعة الإسكندرية من أشنع ما مر بالإسكندرية من حوادث"[4] .

لقد أحدثت كارثة الإسكندرية دوياً هائلاً في الغرب الأوربي، وعدها انتصاراً لا يعلوه انتصار آخر، فلم يكد البابا يسمع بالخبر حتى أرسل مهنئاً الملك بطرس، كما أرسل إلى ملوك أوربا وأمرائها يناشدهم بتقديم المساعدة لملكها الأسد الشجاع، أما ملك فرنسا شارل الخامس، فقد دبت في نفسه الحماسة، وأرسل إلى بطرس يخبره بأنه سوف يبعث إليه بجيش كبير عظيم يحطم به قوة المسلمين[5] و كذلك فعلوا حكام الغرب و قرروا الإعداد لحملة من أجل مساعدة الملك القبرسي[6].

أضف إلى ذلك أنها أدت إلى نزوح أعداد كبيرة من المغامرين من فرسان أوربا إلى قبرس للدخول في خدمة ملكها، بعد سماعهم عن الغنائم الكثيرة التي غنموها في الإسكندرية وازدياد الحماس الديني عندهم، ولكن كل تلك الوعود زالت بوقتها، وكأنها حبر على ورق، ولم يلب أحد من هؤلاء نداء البابوية، بل تغيروا وألقوا اللائمة على بطرس بسبب إخلائه الإسكندرية وعدوها غلطة لا تغتفر له، وباعتراف القبارسة أنفسهم بندمهم الكبير على ما حصل، أخفقت

---

[1] - النويري : الالمام ، ص٦٠

[2] - المقريزي : السلوك ، ج٣ ، ص ١٠٦

[3] - ابن إياس : بدائع الزهور ، ص٢٣

[4] - ابن إياس : المصدر نفسه ، ص ٢٥

[5] - (Makhiaras, 1) recital concerning the sweet land of Cyprus p. 157

[6] ماكارياس: تاريخ قبرص خلال الحروب الصليبية،الفقرة ١٧٥

الحملة في نظرهم، لأنها لم تحتفظ بالثغر على الأقل، ولو أنهم احتفظوا بالإسكندرية وأقاموا بها لهلك المسلمون في إخراجهم منها لحصانة أسوارها، أما سيتون فقد عد سقوط الإسكندرية بيد الصليبيين كان بفضل معجزة إلاهية ، أما أهم نتيجة من نتائج التدمير الفرنجي للإسكندرية ، فهو التدمير النهائي لمملكة الصليبيين في قبرس[١].

وكنتيجة لما حل بالإسكندرية، وكرد فعل على ما حصل، أكدت جميع المؤشرات إلى حاجة المسلمين الماسة لبناء أسطول بحري كبير قادر على احتلال جزيرة قبرس؟ وخلال هذه المدة توجه الأمير يلبغا إلى عمل الشواني البحرية وإصلاحها لغزو الفرنج، فجمع من الأخشاب والحديد والآلات اللازمة، وشرع التجار بعملها في جزيرة أروى أو الجزيرة الوسطى[٢]، ونودي بالقاهرة ومصر لحضور البحارة والنفاطة (الذين يرمون النفط) ومن يريد إليها وفي سبيل الله إلى بيت الأمير يلبغا ، كما كتب إلى طرابلس وغيرها من بلاد الساحل بإنشاء مراكب حربية وجمع رجالاتها[٣]، ولهذا أرسل الأمير يلبغا لنائبه في دمشق(بيدمر الخوارزمي)[٤] من من أجل بناء ذلك الأسطول فحضر إلى بيروت سنة ٧٦٧هـ / ١٣٦٥م الكثير من الصناع من مختلف المناطق في مصر والشام، (وجعلوا إقامة العساكر الشامية في بيروت بالبدل)[٥] إلا أن المنية وافت يلبغا في سنة ٧٦٨هـ / ١٣٦٦م الأمر الذي أثر سلباً على العمل في بناء السفن، ولم يكتمل الأسطول الذي سيغزون به قبرس، وفي سنة ٧٦٩هـ / ١٣٦٧م ، جهز سلطان المماليك في القاهرة حملة للاقتصاص من النصارى الذين وقفوا إلى جانب ملك قبرس، فأغار على مقر البطريرك الماروني (جبرائيل الحجولي) في بيروت، وهرب الكثير من

١- سيتون : البابوية و الحروب الصليبية ، ص٥٣١

٢- سميت **بالجزيرة الوسطى** لوقوعها في النيل بين الروضة وبولاق، وبين بر القاهرة وبر الجيزة ويبدو أن الماء قد انحسر عنها بعد سنة ٧٠٠هـ/١٣٠٠م المقريزي: المصدر نفسه، ص١١٣

٣- المقريزي: السلوك،ج٣، ص١١٣/ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة،ج١١، ص٢

٤- **بيدمر الخوارزمي**: سيف الدين بيدمر الخوارزمي تولى حلب في سنة ٧٦٠هـ/١٣٥٩م،ثم نقل في السنة التالية إلى نيابة دمشق وتوفي مسجوناً في دمشق ٧٨٩هـ/١٣٨٧م

ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة،ج٣، ص٤٦

٥- صالح بن يحيى: تاريخ بيروت، ص١٠٢

الأساقفة الموارنة عندها إلى قبرس، لذا تحول الاهتمام إلى غزو قبرس نفسها، بعد إجبار الموارنة على الإخلاد إلى السكينة وعدم مجابهة المماليك ، **ومن هنا يستخلص أهم الأسباب التي دفعت المسلمين إلى التفكير باحتلال قبرس أهمها:**

١- توجيه ضربة مباشرة لقاعدة عسكرية مهمة للفرنجة[1].

٢- كثرة الغارات القبرسية الفرنجية على المسلمين .

٣- حباً للانتقام وغسلاً للعار الذي لحق بالمسلمين في حملة الإسكندرية .

٤- أسلوب المراوغة الذي اتبعه معهم ملك قبرس ، فقد كان يظهر مصالحته للمسلمين وهو في الحقيقة متواطئ مع قراصنة الفرنجة الذين كانوا يغيرون باستمرار على السواحل الإسلامية إذ أصبح ميناء بيروت الميناء الذي تتوجه منه مراكب المسلمين لغزو قبرس .

وهنا يمكن القول: مع أن حملة الملك القبرسي على الإسكندرية لا تقاس ضراوتها أو نتائجها بالحملات الفرنجية السالفة، إلا أنها كانت بمثابة تذكرة أخيرة للحروب الصليبية في الشرق الإسلامي، كما كانت آخر الحملات الصليبية التي وجهت ضربتها مباشرة إلى الدولة المملوكية في مصر والشام، ونحن إذا نظرنا إلى هذه الحملة لنرى ما حققته من نتائج سواء بالنسبة لقبرس أو بالنسبة للغرب الأوربي، فهي لم تحقق غرضها المعلن عنه وقتها وهو استرجاع بيت المقدس،أما غرضها الخفي، فكان الحصول على امتيازات تجارية لقبرس، أو في حالة تعذر هذا المطلب، فعلى الأقل تحطيم ميناء الإسكندرية المنافس لميناء فاماجوستا القبرسي وتعطيل تجارته، مما يلحق بالدولة المملوكية أضراراً اقتصادية، وبالتالي ستنتعش قبرس اقتصادياً ، غير أن هذا المطلب لم يستطع بطرس تحقيقه لأسباب عدة ارتبطت بالعصر نفسه، وبالمتغيرات الاقتصادية والسياسية والثقافية والدينية التي كان يشهدها، وكان من الممكن لبطرس دي لوزينيان أن يسير بالاتجاه نفسه الذي سارت فيه الدويلات التجارية الايطالية التي أقامت علاقات دبلوماسية وتجارية مع الدولة المملوكية، ولكن يبدو أن هذا الحاكم الفرنسي الأصل لم يكن على معرفة جيدة بطبيعة القوى الاقتصادية السائدة في ذلك العصر، ففضل أن يختار حرباً صليبية لا تتناسب مع العصر ومتغيراته، ولا أدل على ذلك من كلام المؤرخ رنسيمان وغيره

---

[1]- شبارو(عصام) : تاريخ بيروت منذ أقدم العصور حتى القرن العشرين ، مصباح الفكر ، لبنان ١٩٨٧م ،ص١٠٣-١٠٤

الذين عدوا هذه الحملة من الأخطاء التاريخية الكبرى التي أضرت بالمسيحية وبالغرب الأوربي[1].

٩- نشاط قبرس ضد طرابلس والساحل السوري (جبلة،اللاذقية، بانياس) وبعض المدن الأرمينية (إياس):

تضررت المصالح الاقتصادية للفرنجة والدويلات التجارية الايطالية كثيراً جراء كارثة الإسكندرية، وأرسل هؤلاء برسلهم إلى المدينة من جديد بعدما أحسوا بفداحة الخسائر والأضرار الجسيمة التي لحقت بهم وبتجارتهم، وقد طلب هؤلاء الرسل عند وصولهم إلى مرفأ الإسكندرية رهائن حتى ينزلوا من مراكبهم، ويؤدوا رسالتهم إلى السلطان، وأنهم مساعدوه على ملك قبرس حتى يرد الأسرى الذين أخذوا من الإسكندرية، كما سألوا تجديد الصلح، وأن يتمكن تجارهم من القدوم إلى المدينة، وأن تفتح كنيسة القيامة بالقدس، بعد أن أغلقت بسبب حادثة الإسكندرية، على أن الأمير الأتابكي يلبغا الخاصكي سرعان ما رفض هذه المطالب، وقال لهم: إنه لا بد من غزو قبرس وتخريبها، ثم بعث بهم إلى القاهرة لمقابلة السلطان هناك، حيث نزلوا بدار الضيافة، فلما عاد السلطان من الجيزة حظوا بمقابلته، لكنه لم يجبهم لمطالبهم، ولم يلبث أن قدم إلى مصر رسل ملك جنوة، ومعهم ستون أسيراً من أهلها (الإسكندرية) مع هدية للسلطان، وقد ذكر الرسل أن هؤلاء الأسرى كانوا من نصيب ملك جنوة، وإن ملكهم لم يكن على دراية باحتلال الإسكندرية إلا بعد وقوعها، وأنه سيظل وفياً لعهد الصلح، ومتى تمكن من ملك قبرس قبض عليه وقتله[2]، ولم يمض وقت طويل حتى أعاد ملك جنوة محاولته في الصلح، فبعث إلى السلطان حتى يتمكن تجارهم من القدوم إلى الإسكندرية فأجاب طلبهم[3]، ولما كان سلطان مصر قد أخذ عهداً على نفسه ألا يتفاهم مع أي شعب مسيحي ما دام في حالة

---

[1] - رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية : ج٣،ص٧٥٢/ اديوري: قبرص و الحروب الصليبية ، ص١٥٦

[2] - المقريزي: السلوك،ج٣، ص١١٨-١١٩-١٢٢/ سرور: دولة بني قلاوون، ص٢٥١

[3] - المقريزي: السلوك ، ص١٢٣

حرب مع قبرس، وأن الصلح يجب أن يعقد أولاً مع حاكمها(بطرس الأول) لذلك عــول رسـل البندقية بعد تركهم الإسكندرية على الإبحار إلى قبرس، ليقنعوا ملكها للوصول إلى حل ودي ولتناسي الأحقاد القديمة، فبعث بطرس رسله مزودين بالهدايا، وسارع الملك وقام بإحضار مــن بقي لديه من الأسرى، ثم أرسلهم إلى مصر على زورق خاص أعده لهم، هذا وقــد اســتمرت المفاوضات بين مصر وقبرس أكثر من أربع سنوات، وكان يعترضها من حين لآخر غــارات القبارسة على سواحل الشام ومصر، وواصل بطرس غاراته من جديــد علــى ســاحل بــلاد الشام*[1] ، وأخذ يجمع السفن لما عرف برفض السلطان للشروط المعروضــة عليــه لحســم النزاع، إلى أن أصبح لديه مائة وستون سفينة، أمــده فرســان رودس ببعضــها، فظــن أهــل الإسكندرية أن بطرس ينوي قصدهم من جديد، غير أنه قصد مدينة طــرابلس[2]هــذه المــرة، وخرج على رأس أسطوله في سنة ٧٦٩هـــ / ١٣٦٧م، ولم يكد يبرح قبرس حتى هبت علــيهم عاصفة بحرية، قذفت بسفنه بعيداً وفرقتها تباعاً، فعاد هو إلى جزيرة قبرس طلباً للسلامة، أمــا سفنه فلم يصل منها إلى طرابلس سوى خمسة عشرة سفينة، ظلت منتظرة بقية الأسطول مــدة اثني عشر يوماً، حتى تهاجم ميناء المدينة، لكن الأسطول لم يأت وطــال انتظــارهم، فــأطلق رجالها يد النهب والسلب في المدينة، ثم عادوا إلى قبرس[3]، صحيح أن الحملة عادت أدراجها

---

[1]- كان الساحل الشامي بالغ الأهمية من الناحية الإستراتيجية لجزيرة قبرس، إذ أن كل عدو على هذا الساحل سوف يهدد بلده، فكان الملك يوثر أن تبقى موانئ، هذا الساحل مهجورة لأن موانئ الشام سوف تمكن الفرنجة من تحقيق الاتصال البحري السريع ، أضف إلى ذلك أن مصرشكلت تهديداً أشد خطراً آخر على قبرس.

رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية،ج٣، ص٧٣٥/شبارو: تاريخ بيروت ، ص٧٢

سرور: دولة بني قلاوون، ص٢٥٣

ATIYA, THECRUSADES IN THE LTE MIDDLE AGES P372/

[2]- **طرابلس**: هيأ موقع طرابلس الجغرافي لهذه المدينة أهمية سياسية وتجارية في المنطقة فقد شكلت محطة تجارية بحرية وبرية، وكانت دائماً عرضة للغزو الصليبي حيث هاجمها الفرنج أكثر من مرة لاعتمادها قاعدة هامة لهم على ساحل المتوسط فهي تربط المناطق الساحلية، لذلك استقر فيها الصليبيون وجعلوها مقراً لإماراتهم التي أنشأوها في المشرق، كما هاجمها القبارسة و الجنويون وسكان المدن الايطالية وذلك من أجل الحفاظ على الامتيازات التجارية.

إسماعيل (اكتمال): الآثار الاجتماعية والاقتصادية للحملات العسكرية المغولية على بلاد الشام، دمشق،١٩٩٤م /ص١١٥

أما عن غارات بطرس على طرابلس و المذابح التي فعلوها انظر:

(Makhiaras, i) recital concerning the sweet land of Cyprus. p191

ماكارياس: تاريخ قبرص خلال الحروب الصليبية ، الفقرة رقم ١٩١

[3]- النويري: الإلمام، ص١٦٨،١٦٩/عاشور: قبرس والحروب،ص٧٣/

إلى قبرس إلا أنها عادت بفائدة مرجوة، إذ أنها أدت إلى فتح باب المفاوضات والصلح بين الطرفين المتصارعين، وهنا يتبادر إلى الذهن السؤال الآتي : ما هي حقيقة الأسباب والدوافع التي جعلت ملك قبرس يميل إلى طلب الصلح مع المماليك، وهو الذي خرج منتصراً ومحملاً بالغنائم والأسلاب والأسرى؟

لقد وافق بطرس على إبرام الصلح مع المماليك لعدة أمور:

أولها: أنه أراد تعويض ما خسره من الأموال في حروبه مع المسلمين، فقد اضطر إلى الاستدانة من الكنائس والأديرة، بعد أن وعد رجال الدين بأنه سيسدد تلك الأموال مما يغنمه من المسلمين.

ثانياً: لما رآه من سخط القبارسة عليه وعلى سياسته الجوراء التي جرتهم إلى ما لا نهاية ، وأفقدتهم الكثير من الأرواح والأموال، وبالمقابل ظل السلطان المملوكي متردداً في أمر هذا الصلح، فلم ينس ما حصل للإسكندرية من كوارث وشقاء، ومصائب سببها الفرنجة، وكيفما كان الأمر أخفقت تلك المفاوضات لأن صاحب قبرس كان يظهر مصالحته للمسلمين ، وهو في حقيقة الأمر متواطئ مع قراصنة الفرنجة الذين كانوا يغيرون باستمرار على السواحل الإسلامية[1]، وما لبثت النزاعات أن تجددت، فعقدت من أجل ذلك سفارة أرسلت إلى القاهرة برئاسة(سيكويسدنوفز) **cquesde noves** لكنها لم تنجح في مهمتها، الأمر الذي دفع بطرس إلى التفكير بغارة جديدة على طرابلس، فأبحر إليها في الثاني و العشرين من شهر أيلول للسنة نفسها[2] بأسطول بلغ عدده مائة وخمسين سفينة بما في ذلك الزوارق وغيرها، وكانت تضم هذه الحملة البحرية عناصر مختلفة من أهالي قبرس وجنوه وكريت والبندقية وردوس وفرنسيين وهنغاريين[3] وصلوا مدينة طرابلس في أوائل سنة ٧٦٩هـ/١٣٦٧م أتوها بقوارب الصيادين

المقريزي: السلوك ،ج٣ قسم ١، ص١٤٩

[1]- شبارو: تاريخ بيروت ، ص٤-٦

[2]- مكارياس : تاريخ قبرص خلال الحروب الصليبية ،الفقرة رقم٢١٠

[3]- النويري: الإلمام، ص١٦٩-١٧٠/

(Makhiaras, l) recital concerning the sweet land of Cyprus. p191

ATIYA, THECRUSADES IN THE LTE MIDDLE AGES P373

ليخيفوا برؤيتها المسلمين، فأوهم بها أهل البلد، فهربوا وأخلوها ملتجئين إلى جبل قريب، فدخل بطرس البلد[1] ونهبها الفرنجة وحملوا معهم ما قدروا على حمله من البضائع والأموال، لكن النجدة لم تلبث وأن وصلت إلى طرابلس من الجهات المجاورة، فحملوا على القبارسة حملة واحدة، وقاتلوهم إلى أن حقق المسلمون النصر، وأخرجوهم من المدينة، بعد أن أعملوا السيف بهم، وجرحوا العديد منهم، ومن بينهم بطرس نفسه[2]. في حين وردعند مخارياس بأن السبب الذيأدى إلى خسارة القبارسة في طرابلس هوانعدام النظام بين صفوف الرجال لأنهم " في سبيل قليل من الربح ذهبوا بشكل فوضوي، في حين جلس العدو في كمائن ، وتمكن من ذبحهم "[3]

وهكذا خرج القبارسة من طرابلس مهزومين يقصدون سفنهم للهرب، فاستغل المسلمون هذه الفرصة، وبعدهم عن المدينة، ورصدوا لهم الكمائن، حتى تمكنوا من قتل العديد منهم.

هذا وقد استطاع بعض القبارسة عند خروجهم اقتلاع باب مدينة طرابلس؟ فهل كان هذا التصرف نوعاً من التشفي، أم لحاجتهم لباب يضعونه لقلعة جورجيوس لأنها كانت بغير بوابة[4]؟

فكر بطرس ملياً بعد إخفاقه في تحقيق النصر في طرابلس، وخسارته الكبيرة بالطريقة وكيفية تسديد ما ترتب عليه من الديون، فكان لا بد له من تعويض تلك الخسائر عن طريق الغارات المتكررة على ساحل الشام وأرمينيا الصغرى. فأغار على بلدة جبلة[5]، ولما رأى أهالي هذه البلدة أسطوله قادماً نحوهم، دخلوا ضريح الشيخ إبراهيم بن أدهم، يتضرعون إلى الله كي ينجيهم منه، وإذا بعاصفة بحرية تهب على المراكب الفرنجية اضطرتهم إلى الخروج من البلدة

---

[1] - النويري: المصدر نفسه، ص١٧٢، وللمزيد عما فعله القبرسي بطرابلس انظر في ص١٧٣,١٧٥,١٧٦

[2] - أبو المحاسن: النجوم الزاهرة،ج٥، ص٢١٢/عاشور: قبرس والحروب الصليبية، ص٧٧

[3] - مكارياس: تاريخ قبرص خلال الحروب الصليبية ،الفقرة رقم٢١٠

[4] - ماكارياس : المصدر نفسه،الفقرة رقم ٢١٠/ عاشور: قبرس و الحروب الصليبية، ص٧٧

ملحوظة: لم تذكر بعض المصادروالمراجع مرور بطرس على جبلة وإنما ذكرت مروره على طرطوس وإحراقه لأخشابها.، كما أن الباب الذي اقتلعوه هو الباب الحديدي لطرطوس و ليس لطرابلس حسب ما ورد عند مخارياس انظر:

ماكارياس : المصدر نفسه ، الفقرة رقم ٢١١/سرور: دولة بني قلاوون، ص٢٢٥

ATIYA, THECRUSADES IN THE LTE MIDDLE AGES P373

[5] - جبلة: بلده صغيرة على ساحل المتوسط لها قلعة، وبها سوق عظيمة وبها قبر الولي الصالح إبراهيم بن أدهم. انظر أبو الفداء: تقويم البلدان، ص٣٥٥/ابن بطوطة: الرحلة، ص٢٩١ وللمزيد عن حياة الشيخ إبراهيم بن ادهم انظر ابن بطوطة: المصدر نفسه، ص٢٩٠-٢٩١

وتركها، (فصرف الله به العدو عن أهل جبلة)[١]، لكن بطرس انتظر حتى تجتمع بقية مراكبه التي بعثرتها العاصفة، فسار بها إلى اللاذقية غير أن رياحاً شديدة صادفتهم هناك بالإضافة إلى قوة تحصينات مرفأ المدينة حال دون نزولهم بها، كما تسببت تلك الرياح بارتطام بعض السفن بسلسلة الميناء، فانكسرت سفينتان، وقبض المسلمون على سفينة ثالثة الأمر الذي دفع ببطرس إلى الخروج من ميناء اللاذقية دون نتيجة تذكر[٢] ولما حلت الهزيمة بصاحب قبرس في ميناء اللاذقية تحول إلى الاستيلاء على مدينة بانياس[٣] لكن مخارياس خالف ذلك الأمر و قال بأن بطرس توجه إلى بانياس أولاً فأحرقها ثم توجه نحو اللاذقية و ليس العكس[٤]، وغادرها بسبب مينائها الحصين و بسبب الرياح العاصفة التي منعتهم من الوصول إلى البر، و من هناك ذهبوا إلى قلعة مالو شرقي أذنة ، مكثوا فيها لمدة يومين ، وبعد خيبة مريرة توجه ملك قبرس بعدما صدق قول راهب عنده من نصره المؤكد على بلدة إياس[٥] الواقعة على شاطئ أرمينيا الصغرى، والتي كانت مأهولة بعدد كبير من المماليك والأتراك فضلاً عن أهلها الأرمن المسيحيين مع أنها كانت للتكفور ملك الأرمن فيما مضى (وكان تجار المسلمين يأتون إليها

---

[١]- النويري: الإلمام،ج٤٩، ص١٨٠/عاشور: قبرس والحروب ص٧٧/

Makhiaras, 1) recital concerning the sweet land of Cyprus. p193

[٢]- النويري: الالمام، ج٤٩،ص١٨١/ماكارياس : تاريخ قبرص خلال الحروب الصليبية ، الفقرة رقم ١٢١/ عاشور: قبرس و الحروب الصليبية ص٧٧/سرور: دولة بني قلاوون، ص٢٥٥

النويري: الالمام،ص١٨١

ارنولد : رواية أرنولد عن فلسطين، الموسوعة الشامية،ج٣٧،دمشق،ص٤٤/

MAKHIARAS. RECITAL. P 193

[٣]- بانياس: وبلنياس بالضم تسميتها القديمة وهي مدينة على ساحل المتوسط لتميزها عن بانياس الداخل التي هي من أعمال دمشق وهي مدينة عظيمة الشأن مستقلة من كلمة بالانيا بسبب جمال الموقع وبلانيا باليونانية تعني الحمامات العامة.

ابن الأثير: الكامل،ج٦، ص٣٩٨/النويري: نهاية الأرب،ج٢٨،ص٢٦٧/ ماكارياس : تاريخ قبرص خلال الحروب الصليبية، الفقرة رقم ١٢١

٤- ماكارياس : المصدر نفسه، الفقرة رقم ١٢١

[٥]- آياس: مدينة ثغرية على شاطئ البحر المتوسط،وهي بلده كبيرة على ساحل البحر وبها ميناء حسنة، ذكرها أبو الفداء في إقليم الشام، ولكنها أصبحت من موانئ مملكة أرمينيا الصغرى، وتعود أهميتها كونها للنصارى فاستقر بها المسلمون وصارت ميناء مشهوراً ومجمعاً عظيماً لتجار البر والبحر، وأضحى مينائها الممون الرئيسي للتجارة.

أبو الفداء: تقويم البلدان، ص٣٤٩

MAKHIARAS. RECITAL. P 193

فيتلوس: رسالة فيتلوس في وصف الأراضي المقدسة،ج٣١، ص٣٦٢/ ماكارياس : المصدر نفسه ، الفقرة رقم ١٢١

يبيعون ويشترون فيها[1] كما كان لهم بها مسجد جامع[2]، فنزلت نصارى الأرمن على المسلمين في صلاة عيدهم، وكبسوا عليهم بالسيوف فقتلوهم، فبلغ ذلك الأمر السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، الذي أرسل جيشاً أغار على بلاد الأرمن، أحرق بيادرهم، ونهب ما قدر عليه، وأخرب قلعتهم)[3]، فأصبحت منذ ذلك الوقت تدين بالطاعة لسلطان المماليك، وفي سنة ٧٦٩هـ/١٣٦٧م أبحر القبرسي بأسطوله نحوها، ولما وصل خبرهم إلى المسلمين، اجتمعوا بنصارى الأرمن المقيمين معهم، وشاوروهم فيما يفعلون لتلافي خطره، فأشاروا عليهم بأن يتحالفوا معاً على محاربته، وأن يرسلوا في طلب النجدة من المراكز القريبة منهم، ثم طلب المسلمون من الأرمن أن يتقدمونهم في مقابلة صاحب قبرس وأتباعه وفق خطة محكمة، ويحتالون عليه بالمكان إلى حين وصول النجدات إليهم، " ليصير للمسلمين بوصولها قوة وعدداً لهم، فإن هذا الكلب الملعون قد أتى إلينا وقصده تملك القلعة ويأسركم ويأسرنا"[4] فلما رسا أسطول صاحب قبرس بإياس، تقدم نائب الملك بأرمينيا يرافقه عدد من النصارى الأرمن، وركبوا القوارب حتى وصلوا إليه ثم قالوا له:" أيها الملك المظفر نسألك حقن دمائنا ولتستريح من غضب السيد المسيح، واسمع كلامنا ففيه لنا و لك النجاح والرشد والصلاح فقال: وماذا تريدون؟ وبأي شيء تقولون؟ قالوا: اهبط أيها الملك من المراكب، فأنت وحق المسيح الظافر والغالب، وتسلم البلاد من غير ضرر ولا نكد، واطرد عنا هؤلاء المسلمين الذين تركونا ببلدنا ذليلين بما نسمع لهم من التسبيح على منار مسجدهم مع التأذين[5] أنت أولى بما يأخذونه منا، ونصير نحن وأنت في المحيا واحد، إن خطر ببالك الشركة ، وإلا فالملك التكفور لا يتحرك عليك بحركة، وينزل لك عن نصيبه منها، لأنه في غنى بغيرها عنها، وتطرد عنا من يؤذن

---

[1] - النويري: الإلمام، ص١٨٥/عاشور: قبرس والحروب، ص٧٨/سرور: دولة بني قلاوون، ص٢٥٥.

[2] - **مسجد جامع**: المسجد جمعه مساجد وهو مصلى الجماعة والمسجد الحرام والكعبة والأقصى أما الجامع فهو من أسماء الله الحسنى والمسجد الجامع هو المسجد الذي تقام فيه صلاة الجمعة وتلقى به الدروس أيضاً

محمد خير أبو حرب: المعجم المدرسي،ص٢٠٧

[3] - النويري: الإلمام، ص١٨٦

[4] - النويري: الإلمام، ص١٨٥

[5] - النويري :المصدر نفسه ، ص١٨٧ / سرور : دولة بني قلاوون، ص٢٥٥،٢٥٦،٢٥٧

على رؤوسنا، ويقهرونا في كنائسنا، فقال إني عذرتكم، لئلا يكون كلامكم حيلة ومكيدة منكم، ويبدو أن بطرس شكك في الأمر، وأراد أن يستمع إلى كلام أمير المسلمين، فأرسل في طلبه، ركب أمير المسلمين قارباً مرتدياً زي المساكين " فسلم على القبرسي، وخضع له، وأظهر له المودة والمحبة وقال في خلال كلامه: إن والدك السلطان كان في أيام دولته يهادي السلطان الملك الناصر ويهاديه، وهو الآخر يهاديه، لما كان بينهما من المودة والصحبة، وكان من هدية صاحب مصر الملك الناصر محمد بن قلاوون مراكب القمح، تبسم وقال، وما مراكب القمح؟ قال: التي أرسلها لوالدك لما وقع الغلاء بجزيرة قبرس أرسلها إعانة للملك ولأهل جزيرته، فقال: صدقت، أخبرني بذلك والدي أنها أتت له موسوقة بالقمح من عنده قبل أن أخلق"[1]، ويبدو أن ملك قبرس ارتاح لما سمع بهذه الحكاية وسأل عن البلد، فأطمعه أمير المسلمين بها وقال له:"إن هذا البلد كان فيما مضى لأبيك وجدك من قبلك، فتغلب عليه الملك التكفور أخذه منه، فصار نصفه الآن آخذه منه، فصار نصفه الأول لصاحب مصر ونصفه الثاني للتكفور، وأنت أولى به منهما لأنك وارث آبائك وأجدادك ، فطمع القبرسي بالبلد، وأراد أخذه، فنزل بجنوده بعدتهم، ولقي ترحاباً عظيماً بقدومه عليهم فنهبها، وإذا بجيوش المسلمين تهب مسرعة لنجدة إياس، أرسلها إليهم نائب حلب، ومنها من العربان والتركمان، فانقضوا عليه ليلاً، ووضعوا السيوف على رقابهم، فكانت هذه غزوة لم ير مثيلها، ولم يسلم من القتل، إلا من هرب وسارع بنفسه إلى المراكب" [2]حينها خاب أمله، واضطر بطرس إلى ترك المدينة وعودته خائباً إلى فاماجوستا في سنة٧٦٩هـ /١٣٦٧م، حيث أصدر بياناً دل فيه على إحساسه بالأسى، واستحالة نجاح عمل صليبي كبير دون معونة عظيمة من أوروبا، إذ أعلن أنه سوف لن يقوم بمحاولة جديدة على شواطئ المماليك، ولكنه مستعد لمساعدة الراغبين من رعاياه الإفرنج بالإغارة على بلاد المسلمين، ومنذ ذلك الحين أخذت الحروب الصليبية منحنى جديداً، إذ تحولت إلى نوع من القرصنة والمغامرة(جماعية أو فردية)، فقد خرج أحد القبارسة المغامرين والمحبين للثروة

---

[1] - النويري: الإلمام، ص١٨٨ وللمزيد عن قصة مراكب القمح انظر في ص١٨٨-١٨٩

[2] - النويري: الإلمام، ص١٩٠

ذكر النويري كثيراً من الروايات التي قيلت عن غزوه آياس انظر من ص١٩٠-١٩١-١٩٢..... ١٩٧

المدعو(حنا الصوري) إلى سواحل الشام (بلدة الصرفند بفلسطين) فقتل وأسر أهاليها، كما أغار أخوان جنويان على صيدا، ثم قصدا الإسكندرية حيث وجدا سفينة إسلامية[1] جهزت بالبضائع متجهة إلى طرابلس الغرب(ليبيا) فأسراها وعادا بها إلى فاماجوستا في أول نيسان سنة ٧٧٠هـ/١٣٦٨م، هذا وقد استاء الريس إبراهيم التازي[٢] من هذه الأفعال المشينة، وأراد الرد على هؤلاء القبارسة، فجهز سفينتين كبيرتين تحمل كل منها مائة وخمسين مقاتلاً، فغادر الإسكندرية في آذار، وتمكن من أسر سفينة للبنادقة، أرسلها إلى الإسكندرية، كما حاول الإغارة على فاماجوستا، لكن تكاثرت عليه السفن القبرسية هناك، إلا أنه تمكن من الفرار، وبعد غيبة مدتها ثلاثاً وعشرين يوماً، عاد التازي إلى الإسكندرية يحمل معه خمس وثلاثون أسيراً من الفرنجة، وكميات كبيرة من الأغنام والأسلاب، فاستقبله أهالي الإسكندرية استقبالاً بهيجاً[٣] هذا وقد ظلت العلاقات متوترة بين مصر وقبرس إلى أن ذهب بطرس ضحية المؤامرة التي دبرها نبلاؤه[٤]، ولكن موته لم يؤثر على سياسة الغربيين إزاء السلطان المملوكي بل على العكس، ففي السنة الأولى من حكم خليفته بطرس الثاني[٥](٧٧١-٧٨٤هـ/١٣٦٩-١٣٨٢م)استمرت الغارات البحرية على الشواطئ الإسلامية، فأبحرت في سنة ٧٧١هـ/١٣٦٩م قافلة مؤلفة من أربع سفن قبرسية إلى ساحل الشام، هاجمت موانئ بلاد الشام، وأوقعت التخريب بموانئ صيدا

---

[١] – عاشور: قبرس والحروب، ص٧٨/

MAKHIARAS. RECITAL. P201 / مكارياس : ماكارياس : تاريخ قبرص خلال الحروب الصليبية ، الفقرة رقم٢١٣

[٢] - الريس ابراهيم التازي: هو رئيس دار الصناعة بالإسكندرية ، وكان قائداً بحرياً من قواد السلطان الأشرف شعبان انظر د: العبادي – سالم :تاريخ البحرية الاسلامية ، دار النهضة ، بيروت ، ١٩٨١ ، ص٣٢٧

[٣] - النويري: الإلمام، ص٢١٥-٢١٩

[٤] – قتل بطرس سنة ٧٧٠هـ/١٣٦٨ في شهر رجب حسب ما جاء عند ابن قاضي شهبه أما سيتون فذكر بانه قتل مذبوحاً في قاعة نومه فجر الاربعاء سنة ٧٧١هـ/١٣٦٩م من قبل بعض البارونات القبارسة .وذكر إديوري بأن مجموعة مؤلفة من أمراء العائلة المالكةو الفرسان في القصر حيثأقدم ثلاثة منهم على قتله صبيحة الثلاثاء ١٦تموزللعام نفسه .

ابن قاضي شهبه: الكواكب الدرية،ج٢، مخطوط ص٣٤٥/ سيتون:البابوية و الحروب الصليبية ، ص ٥٥١/ إديوري: قبرص و الحروب الصليبية ، ص١٥٣/اديوري: قبرص و الحروب الصليبية،ص١٥٤

MAKHIARAS. RECITAL. P 263

[٥] – بطرس الثاني: كان ولداً صغيراً حينما خلف والده، فجعل عمه مدبراً لأموره ووصياً عليه انظر:

ابن قاضي شهبه: المصدر نفسه، ص٣٤٥

MAKHIARAS. RECITAL. P 267

وطرطوس واللاذقية[١]، وبعد أن زودت هذه السفن بالمؤن في أرمينيا، أبحرت في الشهر التالي إلى الإسكندرية، ولما أرست في موانيها، بعث خلالها الفرنجة إلى حاكمها يسألونه فيما إذا كان السلطان يود الاتفاق معهم أم لا، ولما أجيب بالنفي اتجهوا بسفنهم إلى رشيد وحاولوا النزول فيه، لكن الرياح الشديدة حالت دون ذلك، فأبحروا إلى صيدا وبيروت، حيث اشتبكوا في معركة عند صيدا[٢] في العام نفسه، ولكن بعد يوم طويل من المواجهات العنيفة، ابتعد القبارسة عن هدفهم بسبب زوبعة، الأمر الذي اضطرهم إلى المغادرة، والتوجه إلى بيروت بسبب قربها من قبرس[٣]، حيث أرغموا على عدم مهاجمتها لوجود برجين دفاعيين عند مدخل الميناء ، لكنهم تابعوا الإبحار شمالاً ، فنزلوا عند البترون و طرطوس، ونهب المكانين، كما دمروا المناطق الريفية وصولاً حتى اللاذقية، ومرة أخرى وقفت الأبراج القوية في وجههم، وجعلتهم عرضة لمخاطر الهجوم عليها، كما قال مخارياس "بسبب الحامية الكبيرة التي كانت فيها"[٤] بعدها أمضى الصليبيون ثلاثة أيام في ميناء جنوب غرب اياس ميناء(دي بالي)، ومن ثم توجهوا نحو أضاليا " أنطاليا" وهناك قاموا بطلي الغلايين بالقار، وأقلعوا نحو الإسكندرية، حيث تمكنوا في التاسع من تموز من خرق دفاعات الميناء، لاسيما بعدما رفض المماليك كل محاولة سلام معهم، وعانى القبارسة كثيراً من إصابات كبيرة في محاولة غير مجدية للاستيلاء على سفينة تجارية مغربية كانت ترسو في الميناء القديم، وعاد القبارسة مارين برشيد إلى صيدا حيث نزلوا بها مرة ثانية في ١٩ تموزللعام نفسه، ولكن هبت عليهم عاصفة قوية ساقتهم إلى غلايينهم، ثم أبحروا إلى بيروت، ثم عادوا أدراجهم إلى قبرس في ٢٢ تموز ، بعدما استمروا في غاراتهم سبعة أسابيع.[٥]

---

[١] - ذكر عطيه في مؤلفه بأنه وقع تخريب في موانئ صيدا واللاذقية وبيروت ولم يأت على ذكر طرطوس
ATIYA, THECRUSADES IN THE LTE MIDDLE AGES P376
سيتون : البابوية و الحروب الصليبية، ص٥٥١

[٢] - المقريزي: السلوك،ج٣،ص١٦٧-١٦٨/ سرور: دولة بني قلاوون في مصر، ص٢٥٧
طقوش: تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ص٣١٩/
ATIYA, THECRUSADES IN THE LTE MIDDLE AGES P.375

[٣] MAKHIARAS. RECITAL. P 157-

[٤] MAKHIARAS. RECITAL. P 193-

[٥] - سيتون : البابوية و الحروب الصليبية ،ص ٥٥٢،٥٥٣ /

١٠- الصراعات الداخلية في قبرص:

منح هنري الأول امتيازات كثيرة للجنويين في قبرص، وكان استيطان هذه الجالية كما سلف الحديث بداية لمنافسة عظيمة لهم، إذا أصبح الجنويون يشكلون خطراً كبيراً على التجارة اللوزينيانية، غير أنه وفي الوقت ذاته أعطيت لغيرهم امتيازات (البندقية) ، وأخذت التجارة تتقدم وتنمو، وقد استوطن هؤلاء على مختلف جنسياتهم، وأقاموا جميعهم في فاماجوستا التي أصبحت مركزاً تجارياً هاماً، بعد أن فقدوا المراكز والموانئ الهامة في الشام بعد تحريرها من قبل المسلمين، لكن سرعان ما تسببت تلك الامتيازات بصراعات ومنافسات شديدة ولا سيما (بين جنوة و البندقية)[1]، وبينهم وبين الأسرة اللوزينيانية الحاكمة، لقد سببت هذه المنافسات الكثير من الثورات الداخلية ضدهم، وضد الفرنجة عموماً، وأصبحت الجزيرة في وضع لا تحسد عليه من الإضطرابات، والفوضى العارمة في البلاد، وقد عجلت الغيرة والبغضاء بين رؤساء المقاطعات بانهيار النظام والقانون ، و أضحت القلاع سجوناً لأعداء الحكم وحيكت المؤامرات بداخلها الأمر الذي انعكس سلباً على الحكام الفرنجة أنفسهم، مما شكل خطراً على حكمهم،ونذير شؤم على الجزيرة حينما بدأت العائلة اللوزينيانية المالكة تتدهور، ولا سيما بعد الموت الفجائي لبطرس الأول حاكم الجزيرة سنة ٧٧١هـ/١٣٦٩م، ففي عهده بلغت فيه الأسرة المالكة أوج قوتها ومجدها، فهل كان مقتله مجرد صدفة لعبها القدر، و ما هي منعكاساتها على البلاد فيما بعد ؟ هل كان هو الطمع بالعرش أم هناك مؤامرة مدبرة حيكت ضده أوقعت به وأدت إلى مقتله ، هل كانت الاضطرابات السياسية والفساد الأخلاقي الذي استشرى في البلاد و الخيانة الزوجية دور في ذلك ؟ وهل كان لزوجته المدللة إيليا نورا التي أحبها بطرس كثيراً علاقة في ذلك الأمر ؟ أم أن هناك أمور داخلية سياسية مخفية و أمور أخرى ساهمت إلى حد كبير في مقتله وتقلقل البلاد ؟ أم لكل هذه الأمور مجتمعة؟ في الحقيقة ساهمت كل تلك العوامل في مقتل الملك القبرسي بطرس الأول ، لقد أظهر اغتيال بطرس

---

[1] - عن الصراعات والمنافسات بين الجنويين والبنادقة انظر:

ماخوت: الاستيلاء على الإسكندرية، ص٧٥٥-٧٥٦-٧٥٩-٧٦٠-٧٦١/ سبيريداكس: موجز تاريخ قبرص، ص١٠٩

تأثيرات الحرب على المجتمع القبرسي ، كما أن التوترات و الإخفاقات انعكست على الملك نفسه ، ولا بد أنها تفسرإلى حد ما تصرفاته الاستفزازية الخاطئة لدفع نفقات الحرب ، إذ كان عليه استدانة مبالغ كبيرة للحملة ومن التخلي عن موجودات خاصة بالتاج ، مما ترك لخلفائه عجزاً واضحاً في الإرث و في الخزينة ، كما كان النبلاء معرضين للضغوط ، وقلقين من النفقات ، متخوفين بشأن التهديد الذي قد تتعرض له أوضاعهم في حال وجود رجال جدد من الخارج ، بالإضافة إلى تخوفهم من العواقب البعيدة المحتملة بالنسبة للتجارة التي هي مصدر الربح لا سيما بالنسبة إلى التجار القبارسة، وبالعودة قليلاً إلى الوراء ، فمنذ تولي بطرس عرش قبرس أي في سنة ٧٦١هـ/١٣٥٩م حدث هياج و فوضى عظيمة ، وذلك بسبب قدوم النائب البابوي بطرس دي توما الذي أراد تحويل جميع "الإغريق في البلاد إلى لاتين الأمر الذي تسبب بتلك الفوضى و حدوث الشجارات و خصام عنيف بين الاغريق و اللاتين، و هذا ما بينه بشكل واضح مخارياس وما جرى من أحداث إلى أن تدخل الملك بطرس لتهدئة الوضع حيث قال : (" وقد بعث لجلب الأساقفة ، ورعاة الأديرة (و الكهنة) و قد جاءوا (جميعاً) في أحد الأيام إلى كنيسة القديسة سانتا صوفيا في نيقوسيا، ولم يعرف الأساقفة نيته ، وعندما صاروا في داخل الكنيسة أغلقت الأبواب، وهم أعتقلوا كاهناً كان اسمه مانيزاس MANTZAS، و قد قاوم بقية الناس و حاول الفرنجة مواجهتهم بالقوة ، فقامت ضجة كبيرة و انبعثت أصواتاً عالية ، وسمع الناس أصوات الضجيج، فركضوا نحو داخل كنيسة سانتا صوفيا ، و هم لم يسمحوا لهم وأغلقوا على أنفسهم و أرتجوا الأبواب، و عند ذلك ذهبوا وجلبوا عوارض خشبية كبيرة لتحطيم الأبواب ، و أشعل آخرون النار (لاحراقهم) وعندما سمع الملك بالذي حدث ، بعث أخاه الأمير والأدميرال وعمدة ليفكوسيا، فأصدروا أمراً لفتح كنيسة سانتا صوفيا وضبط الناس الذين انسحبوا نحو أحد الجوانب ، وعلى الفور جلبوا الأساقفة الاغريق و(رعاة الأديرة) والأساقفة وطلبوا منهم متابعة العمل حسبما كانوا قد اعتادوا ، وأمروا النائب البابوي بمغادرة قبرص وبهذه الطريقة توقفت المصادمات ") [١] وتكررت الفوضى و حدث هياج في قبرص في سنة

[١] - مكارياس: : تارخ قبرص خلال الحروب الصليبية ، الفقرة رقم ١٠١

٧٦٢هـــ/ في شهر نيسان ١٣٦٠ م، سببه نشوب نزاع بين الرجال المسلحين القدماء من أهل البلاد و بين المجندين الجدد (الذين جلبوا من الخارج) و كان النزاع على أشده راح ضحيته موت الكثير من القبارسة و اثنين من الغرباء على حد قول مخارياس، واستمر الوضع كذلك حتى تدخل الملك بطرس ، وجرى الاعلان عن أمرالملك بألا يتجرأ أحد على حمل السلاح أو صنع الشجار ، وتهدد من يفعل ذلك بفقدان رأسه، أما الذين تسببوا وعملوا تلك البلبلة عاقبهم الملك، فعلقواعلى أعواد المشانق حتى خمد الاضطراب[١] صحيح أن الاضطرابات توقفت حينها لكنها حقيقة لم تنته ، وأثرت سلباً على الأوضاع السائدة في البلاد، هذا بالإضافة إلى استمرار الصراعات ما بين الجنوية وكل من البندقية حول الامتيازات الاقتصادية كما سلف الحديث ، ومحاولات جنوة المستمرة في الاستيلاء على قبرس ، و كانوا يحتالون في هذا الأمر من أجل ايجاد المسوغ المناسب لاحتلالها، فوجدوا ذلك عن طريق المشاجرات[٢] و النزاعات المستمرة لاتفه الأسباب، كما حدث خلاف بين الجنوية و الصقليين على أرض قبرس، هذا و قد ذكر مخارياس أمثلة كثيرة عن المشاكل التي أحدثتها الجنوية على أرض قبرس منها على سبيل المثال لا الحصر ، جرت العادة بأن تجهز أربعة غلايين في فاماجوستا من أجل حراسة الجزيرة ، وحدث أن هرب اثنان من الملاحين بعد أخذ مستحقاتهم، فتم البحث عنهما و تجريمهما ، و تم قطع الأذن اليمنى لكل واحد منهما عقوبة عما اقترفوه، لكنهما احتجا في دفاعهما بأنهما كانا جنويين ، وكان في الميناء غليوناً جنوياً استأجره الملك ليأخذ مؤناً إلى أضاليا ، لكن الملاحين الجنويين لم يتقبلوا الإهانة التي لحقت برفيقيهما، وأرادوا الانتقام لذلك صعدوا إلى متن الغليون القبرسي و قطعوا آذان أعداداً كبيراً من القبارسة ، وأخذوا المؤن و هربوا إلى كيوس أو(جزيرة خيوس) ، عندها أرسل النائب الملكي أمراً باعتقال جميع الجنويين و إعادة ما أخذوه و هربوا به، أرسل مقدم الجنوية في فاماجوستا سفينة للبحث عن الغليون ، و في ذلك الوقت عادت الغلايين الأربعة التي كانت تحرس قبرس من جولتها إلى الجزيرة و بقيت تنتظر الأوامر، لكنهم عندما رأوا الغليون الجنوي عائداً من كيوس انقضوا عليه، فقد قفزت

---

[١] مكارياس: : تارخ قبرص خلال الحروب الصليبية ، الفقرة١١١

[٢] - مكارياس: : المصدر نفسه ، الفقرة رقم ١٥٣

مجموعة من المرتزقة الصقليين من غليون الملك إلى ظهر الغليون الجنوي ، و عملوا أضراراً كما تسببوا في مقتل العديد من الجنويين، و عندما سمع المقدم الجنوي و ليم ليرمين **William lermin**– بما حصل و بالأضرار التي تسببوا بها ، أمر بالقاء القبض على رجل جنوي يدعى بيزي كان على غليون الملك ، لكن الرجل أنكر أنه جنوياً و مع ذلك أمر بقطع لسانه ، و عندما سمع النائب الملكي دي سويسون بهذا الحكم أخبر الأدميرال السير جون دي سور، فغضب جداً وتوجه مع النائب إلى مكان الجنوية حيث وجدوا خلافاً نشب بين الصقليين و الجنوية و طلب الأدميرال من مقدم الجنوية وقال له:"أصدر أوامر إلى الجنوية بالذهاب إلى بيوتهم ، و إلقاء أسلحتهم ، و إذا لم تفعل ذلك فسوف آمر رجالي بتمزيقهم و قتلهم " فقال المقدم له:" لا تظنن أنك إذا مزقت الجنوية الذين هم في فيماغوستا ، بأنك تكون قد قتلت جميع الجنوية في العالم ، فهناك الكثيرون و المزيد من أقربائنا في العالم ، وهم سوف ينتقمون من القتلة لا تظنن أننا أقناناً عندك" وهذا دليل على الغرور والغطرسة التي اتصفت بها الجنوية و عدم اكتراثهم بالآمر، المهم أنه استمرت المذابح الوحشية و قتل الكثيرين ووصلت الأخبار إلى نائب الملك ، فأرسل على الفورأربعة فرسان للتحقيق في القضية و هم : السير توماس دي مونتوليف مدقق الحسابات ، والسير جيمس دي نوري التوركوبلير، و السيرجون دي مورفو ، كونت أوف روخا ، و مارشال قبرس، و السير جيمس دي سنت ميشيل ، وذهب هؤلاء إلى كنيسة القديس نيقولا بفاماجوستا وعقدوا مناقشات لايجاد حل للمشكلة[١] إلى أن انتهى الجدل وأمر النائب بوجوب عمل إعلان ، بأن كل جنوي يرغب في البقاء في قبرس يمكنه البقاء دون خوف على ذاته أو سلعه [٢] هذا من جانب أما من الجانب الآخر كان لا بد من الوقوف حول نقطة هامة هي حكاية الملكة التي كان اسمها ايليا نورا، فما هي قصتها ، و ما هو الدور الذي شغلته هل كانت خيانة زوجها لها سبب في مقتله أم ؟ ؟! في الحقيقة وقع الملك بطرس بحب ايليا نورا و تزوجها ، فقد ذكرمخارياس بأن بطرس أحب الملكة كثيراً حتى أنه أمر واحد من خدمه كان اسمه **باسيت** -**BASET**- – عندما يسافر بعيداً عنها أن يضع واحداً من قمصانها الداخلية في

---

[١] - مكارياس: تارخ قبرص خلال الحروب الصليبية ، الفقرة١٤٦-١٤٧

[٢] - مكارياس: المصدر نفسه، الفقرة١٤٨

فراشه ليكون إلى جانبه، و عندما كان الملك يتمدد لينام كان يأخذ القميص المذكور، و يضعه بين ذراعيه، وهكذا يمكنه أن ينام ، فهل استمر الوضع كذلك؟ ، وهل بقي محتفظاً بزوجته و ما هي ردة الفعل لديها عندما علمت بخيانته لها؟ في الحقيقة لقد وقع الملك بطرس في الضلال و ارتكب الزنى، فهو على الرغم من محبته الشديدة لزوجته كان لديه عشيقتين ، وربما أكثر فكيف ذلك؟ لقد كان لدى الملك بطرس عشيقة حملت منه كان اسمها **جوانا لي ألمان** JOANNA I,ALEMAN وهي سيدة نبيلة أرملة السير جون دي مونتوليف صاحب خولو -khoulou- على الضفة الشرقية لنهر ايزوزا EZUZA على بعد١٢- ميل عن بافوس و إلى الشمال الشرقي منها) ، لقد لاقت جوانا الويل و العذاب في حياة الملك و بعد وفاته [١] وعندما سافر بطرس إلى فرنسا ، قامت الملكة باستدعائها إلى البلاط وجرى تعذيبها بشتى أنواع العذاب ، هذا و باعتراف المؤرخ مخارياس الذي وصف و صور ما اقترفته هذه الملكة من آثام من جراء ذلك حيث قال (" وعندما مثلت أمامها شتمتها بعبارات مهينة و قالت لها :"عاهرة شريرة (إنك أنت التي فصلتيني عن زوجي) و كانت السيدة صامتة وأعطت الملكة نساءها أمراً، فرمين إياها على الأرض (وبناء على أمرها جلبن قطعة رخام كبيرة) و مهراس ووضعوه على رحمها ، و طحنوا قفيزاً من ملح فيه لجعلها تجهض بحملها ، و جلبها الرب إلى السلامة ، فلم تجهض ، وعندما رأت الملكة أن تعذيب اليوم كله لم يجعلها تجهض ، أمرت بسجنها حتى اليوم التالي ، وعندما أطل فجر اليوم التالي أمرت بجلبها إلى أمامها ، و جلبوا رحى يدوية فوضعوها فوق رحمها وهي ممددة فوق الأرض بثبات ، و طحنوا قفيزين من القمح فوق رحمها ، فبقيت هي لم تجهض ، وعذبتها الملكة بقسوة بعدة طرق: بالدخان ، وبالقريص، و بالروائح الكريهة ، وبالعقاقير ووسائل التعذيب الأخرى ، و بكل شئ شرير يخطر على بال القابلة ، غير أن الولد في رحمها صار هو الأقوى ، فأمرتها بالذهاب إلى بيتها وأخبرت جميع القابلات(بأن أية واحدة منهن سوف تولدها ، إذا لم تأخذ المولود منها فور ولادته) و تجلبه إلى الملكة (وهي سمعت بذلك ، فلسوف تقطع رأسها وهذا ما حدث") [٢] في

---

١ - عثمان : تاريخ قبرص ،ص ١٥٧

٢ - مكارياس: تارخ قبرص خلال الحروب الصليبية، الفقرة رقم ٢٣٤

الحقيقة لم يعرف مصير هذا الطفل وماذا حدث له ، المهم أنه تم أخذ جوانا إلى زنزانة في

كيرينيا وهي تنزف بالدماء ، و بقيت لمدة عام في حالة مزدرية ، بل حرمت من كل شيء بناء على أوامر الملكة ، لكن حالها بدأ بالتحسن عندما تغير قائد كيرينيا و الذي كان من أقرباء جوانا و كان اسمه **السير لوقادي أنتيومي LUKE D,ANTIAUME** ، كما وصلته توصية بها من قبل نائب الملك وبشكل سري على تحسين وضعها من أجل حب الملك، لم تسكت جوانا على حالها و ما فعلته الملكة بها، بل أرسلت قريبها إلى فرنسا ليخبر الملك بما حصل ، وعندما سمع الملك بهذا غضب كثيراً و كتب إلى الملكة مهدداً قائلاً:(" لقد سمعت أنا بسوء ما فعلتيه إلى محبوبتي السيدة جوانا لي ألمان ومن أجل هذا أنا أقسم لك أنني إذا ما رجعت إلى قبرص بسعد جيد بوساطة عون الرب، إنني سوف أتعامل معك بسوء شديد ، يجعل الكثيرين يرتجفون، و لذلك قبل أن أعود افعلي لها أسوأ ما تستطيعين")[١] خافت الملكة من زوجها الملك ، وأرسلت على الفور أمراً باخراج السيدة من السجن ، كما أمرت بوجوب أن يعاد إليها جميع ما أخذت من بيتها ، ولما حضرت جوانا إلى عند الملكة قالت لها الملكة:"إذا ما رغبت في أن نكون أصدقاء ، وأن تكوني بسلام معي اذهبي إلى أحد الأديرة "و قالت السيدة جوانا لها"أنا طوع أمرك يا سيدتي ، أخبريني إلى أي دير ينبغي أن أذهب" فأمرتها بالذهاب إلى **دير القديس فوتيني PHOTEINI** أوالدير المعروف باسم سانتا كلارا - **SANTA CLARA** - هذا ما حصل لهذه السيدة النبيلة ، فما كان حال السيدة و الخليلة الأخرى لبطرس؟ أما الخليلة الأخرى لبطرس فكان اسمها **ايشيفي دي سكانديليون- ECHIVE DE SCANDELION** – وهي زوجة السير رينير لي بيتيت **RENIER LE PETIT** ، لكن الملكة لم تجرؤ على إلحاق الأذى بها كونها متزوجة ، وحقيقة لم يسكت الملك بطرس لما سمع عن هذه الأخبار وعقب وصوله أمر باحضار السيدتين ، و استجوبهن على انفراد ، و يبدو أن السيدتان كانتا قد هددتا من قبل الملكة لذلك رتبتا ما ستقولانه للملك ، وكلتاهما قالتا الشيئ ، لكنه في قرارة نفسه لم يصدقهما ، وعلى هذا سرى الفساد الأخلاقي في جسم المجتمع

[١]- مكارياس: تارخ قبرص خلال الحروب الصليبية ، الفقرة رقم٢٣٦

القبرسي حتى وصل إلى قصر الملك نفسه ، و علل مخارياس أنه وعلى الرغم من الحب الشديد الذي أظهره بطرس لزوجته و بالوقت ذاته كان له عشيقات؟ وأرجع سببه إلى (شبقه الجنسي و شهوانيته الكبيرة لأنه كان شاباً")[1] ، هذا من ناحية الملك وخليلاته ، فهل تورطت الملكة أيضاً بهذه القضايا المخلة بالشرف ؟ في الحقيقة انتشرت فضيحة في البلاد حول الحب الذي جمع بين السير جون دي مورفو كونت أوف روخا والملكة ، فقد أحب الملكة كثيراً و حاول استخدام كثير من الحيل و المرواغة للوصول إليها حتى تم له ذلك[2] ، وكان الناس لا يتكلمون عن شئ آخر ، حتى الأطفال باتوا يتحدثون عن ذلك إلى أن وصل الخبر إلى أخوة الملك ، فغضبوا كثيراً ، وفكروا بطريقة للتخلص من هذا الشر ، حيث قاموا باستجواب السير جون فيزكونتي الذي كان يحرس بيت الملك في غيابه ، فأنكر ذلك و قال إنها مجرد أقاويل و اشاعات رددها الناس فمن يستطيع ضبط ألسنتهم ؟ وقام هذا الفارس بإرسال رسالة إلى الملك في سنة٧٧٠هـ/الثالث عشر من كانون الأول ١٣٦٨م حول هذه الفضيحة خوفاً من العقوبة و المؤاخذة إذا ما عرف الملك من مصدر آخر ، و بالإضافة إلى ما تقدم ، فقد سرى مرض أخلاقي آخر على أرض قبرص ألا وهو " **اللواطية**" و انتشرت ممارساتها كثيراً في فاماجوستا على الرغم من تحريمها في التعاليم الكنسية و في الكتب المقدسة" عليك ألا تنام مع ذكر لتذنب معه" [3] و بدأت الاضطرابات والصراعات في قبرص بل واستمرت في عهد الملوك الذين خلفوا بطرس الأول، فقد كانوا ضعاف النفوس والأخلاق، وأصبح بلاطهم مركزاً للدسائس والمؤامرات التي قام بها قناصل جنوه وفينيسيا (البندقية)، كما ساهمت الغيرة والبغضاء بين رؤساء المقاطعات بانهيار القانون والنظام، أما قلاع الجزيرة أصبحت سجوناً لأعداء الحكم و منفى لهم ، كما بلغت حدة العداء بين الجنويين والفينيسيين غايتها في منتصف القرن ٨هـ

---

[1] - مكارياس : تارخ قبرص خلال الحروب الصليبية، الفقرة رقم٢٤٢

[2] - هذا و قد ذكر مخارياس في كتابه بأن الملكة قامت بإغواء فارس برجاسي السير ثيبولد اتهمها وبشكل علني بالخيانة والعهر وأنه رفض هواها وأنها من سببت فيما بعد بقتل زوجها الملك انظر

مكاريوس :تارخ قبرص خلال الحروب الصليبية، الفقرة رقم ٥٧٥

[3] - مكارياس : المصدر نفسه ، الفقرة رقم ٤٨١

/١٤م، فقد تنافسوا على احتلال المكانة الأولى في التجارة وفي كل شيء[١]ظهرت هذه الأمور بوضوح عند تتويج الملك الشاب بطرس الثاني سنة (٧٧١-٧٨٤هـ/١٣٦٩-١٣٨٢م) في فاماجوستا، وكنتيجة حتمية لرفض سلاطين المماليك إبرام صلح مع القبارسة، استمرت غاراتهم المدمرة على موانئ بلاد الشام، كما حدث في سنة ٧٧١هـ/١٣٦٩م، فما هو موقف كل من البندقية و جنوة من هذه المراسيم وهل قاموا بأية محاولة لعقد السلام مع المماليك و هل نجحوا ؟ لقد واجه التجار الجنويون و البنادقة مصاعب جمة، لا سيما بعد حادثة الاسكندرية، لا بل أخفقوا في تحقيق سلام مع المماليك، فتحول موقفهم إلى موقف عدائي ضد الحكومة المصرية، التي عدوها بنظرهم مراوغة، في الوقت الذي نشر فيه البابا أوربان الخامس مرسوماً بابوياً خول فيه (دوج البندقية ودوج جنوة) صلاحية تشكيل حلف ضد سلطان القاهرة، كما أصدر البابا في اليوم السابع والعشرين مرسوماً آخر منع فيه جميع المسيحيين من المتاجرة مع المسلمين، وألغى جميع المراسيم والصلاحيات من أجل هذه التجارة، وسوف يتعرض كل من يخرق هذه القوانين إلى الحظر البابوي والحرمان الكنسي، وسوف تصادر كل بضائعهم و سفنهم[٢]، وجرى في سنة ٧٧١هـ/ ١٣٦٩م تكريس الحلف الجنوي البندقي، فقد توجب على كل فريق من هذا الحلف تجهيز غلايين مسلحة، كانت ستبحر من موانئ بلادها إلى جزيرة رودس في شهر آب، وعندما يتحد الفيلق سيتناوب على القيادة كل يوم قبطان بندقي، وقبطان جنوي، وستتوجه تلك الغلايين إلى الاسكندرية للاستيلاء عليها، أو على أية ممتلكات اسلامية ممكنة، بحيث لا يجوز لأي فريق التفاوض على سلام منفصل مع القاهرة، كما لا يجوز لأي

---

[١]- لا يخفى عن المتتبع والقارئ لتاريخ الحروب الصليبية منذ بدايتها عن الدور الهام الذي شغلته الدويلات البحرية الإيطالية وغيرها في هذه الحروب ومساعدتها لهم مقابل امتيازات ومنح جديدة، وبالفعل حقق هؤلاء التجار (مزايا اقتصادية- قانونية) حتى أنهم تدخلوا في -المجالات السياسية الداخلية وغيرها، منذ قيام الحملات الصليبية الأولى ومع ذلك فقد عانى الفرنجة من مشكلة رئيسية طوال وجودهم في المشرق الإسلامي تجلت في التنافس والصراع بين الايطاليين أنفسهم وبينهم وبين غيرهم من الدويلات التجارية الأخرى.

سانوتو: الأسرار، ص٧٩-٨٠-٨١-٨٧/عطية: إمارة أنطاكية ص١٦١-١٨٥/كيناموس: أعمال يوحنا كيناموس، من خلال الموسوعة ،ج٢٩، دار الفكر،١٩٩٧م، ص٦٦٦وما بعدها/التطيلي(بنيامين) : رحلة بنيامين، ترجمة عذرا حداد، بغداد،ط،١٩٥٤، ص٥٨/رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج٣، ص٦٠٧-٧٠٨وأكد على هذا القول أيضاً أحد الحجاج عندما تحدث عن أهالي بيزة قائلاً:((إنهم وفيما بينهم يغارون من بعضهم بعضاً ويتخاصمون بشدة حاج مجهول قبل ١١٨٧، من خلال الموسوعةج٣٧، ص٣٧-٣٨ واستمرت تلك المنافسات والنزاعات حتى هذه الحقبة الزمنية، الأمر الذي جعل أساطيل الجاليات سلاحا ذو حدين، فكما كانت العامل الأكثر أهمية ، وساهمت في نجاح الصليبيين وتقديم العون المادي لهم، أضحت بمقتضى حده الخلافات عاملاً قوياً من عوامل تفكك وضعف الفرنج الصليبيين في القرن ٧هـ/١٣م

[٢] - سيتون : البابوية والحروب الصليبية ، ص٥٥٣

فريق المتاجرة مع رعايا السلطان، ولا يسمح للمسيحيين الآخرين فعل ذلك، وعملت شروط من

أجل اقتسام الغنائم والأسرى الذي كان من المتوقع استيلاء الغلايين عليها، أما في حال الإخفاق أو عدم الالتزام بمواد الميثاق، فعلى أحد الفريقين دفع غرامة مالية قدرها ٢٠٠٠٠ ألف فلورين ذهبي ، وفي ٢٩ تموز للعام نفسه، أمر البابا مقدم الاسبتارية – ريموند بيرنير – وجون أوف لوزينيان النائب الملكي لقبرس بأن يلتحقا بالحلف ضد المسلمين، و منعهم من المتاجرة معهم، وكانت غلايين البندقية بالطبع ستتابع أعمالها التجارية بالسفر إلى كريت وقبرس لارتباطها التجاري معها، وحدث في ٣١ آب أن تضررت التجارة نتيجة لتكدس بضائع الرعايا السوريين والمصريين التابعين للسلطان في بلادهم، بسبب تلك المراسيم ، كما أن التحالف البندقي – الجنوي أوضح كل الوضوح عدم جدوى تعاون الفريقين مع بعضهما بشكل جدي في شن حرب على المماليك، وهما اللتان أرادتا استئناف وتجديد الروابط التجارية معهم، وهذا ما فعله القبارسة والاسبتارية من أجل تكثيف جهودهم للوصول إلى تفاهم حقيقي مع السلطان في القاهرة[١] لا سيما وأن هذه الحملة قد ألحقت أضراراً فادحة ليس على الجبهة الصليبية فقط، وإنما ألحقت خسائر فادحة لتجار البندقية في مصر والشام ، وأضعفت العلاقات التجارية بين البندقية وسلاطين المماليك بعد أن كانت حسنة ؟ ويبدو أن إخفاق البندقية في أعقاب الحملة في إقناع بطرس بضرورة الصلح، وتوقيع معاهدة سلام معها، الأمر الذي أصدره مجلس الشيوخ **السناتو**[٢] البندقي بتاريخ ٧٦٨هـ/١٣٦٦م، يمنع فيه رعاياها من التجار والبنادقة من تصدير الأسلحة والخيول التي تحتاجها قبرس، ولكن مالبثت أن عادت تلك العلاقات بين قبرس والبندقية إلى حالتها الطبيعية، بعد توقيع معاهدة السلام في سنة ٧٧٢هـ/١٣٧٠م [٣]، ومن هنا يعرف

١- سيتون : البابوية والحروب الصليبية ، ص٥٥٤، ٥٥٥

٢- **السناتو**: أو مجلس القومون البندقي تشكل لأول مرة سنة٥٣٨هـ/١١٤٣م كان في معظمه بأيدي العائلات البندقية الثرية ، و اتسع اختصاص هذا المجلس مع مرور الأيام الأمر الذي جعله يضم في عضويته كل رجال الأعمال البنادقة و منه انبثقت كل التنظيمات التجارية و الإدارية و السياسية و العسكرية التي حكمت البندقية و مستوطناتها التجارية في الخارج للمزيد انظر:

زيتون : : (عادل) العلاقات الاقتصادية بين الشرق و الغرب في العصور الوسطى ، دا ر دمشق ، ط١ ،١٩٨٠م ، ص٣٢

٣- زيتون : المرجع نفسه ، ص٢٥٨

أنه ليس بالمستطاع فهم التاريخ السياسي للحركة الصليبية في منطقة ما، ما لم نضع في الحسبان ما للأساطيل والنزلاء التجار الايطاليين من حاجات تجارية و[illegible] فيها، وآسيا في هذه الحقبة[1] حيث كان للأوروبيين الغربيين السيطرة على معظم المياه البيزنطية والشواطئ الجنوبية لآسيا، وبهذا وقع طرفا طرق التجارة الهامة بين شرق البحر المتوسط وغربه في قبضتهم، وتمكنوا من السيطرة على معظم المراكز الاستراتيجية الهامة في وقت لاحق.

١٢- توقيع الصلح بين السلطان الأشرف شعبان وقبرس سنة ٧٧٢هـ / ١٣٧٠م :

في الوقت الذي كان فيه أوربان الخامس مشغولاً بشؤون إيطاليا، والوضع غير مناسب لقيام أية حملة صليبية أخرى في الأفق، وضح كل الوضوح بأن" القبارسة سوف لن يحصلوا على أية مساعدة أخرى قريبة من أوربا أشفق عليهم"[2] أما حكومة المماليك فقد كانت غارقة في الخلافات الداخلية آنذاك، ومما لا شك فيه أنها عانت بما فيه الكفاية من غارات القبارسة عليها وأحسوا بما حل ببلادهم جراء الحروب والغارات المتكررة، بعد أن أفقرت إيرادات دولتهم وقلت، فعمت المجاعة وارتفعت الأسعار، وكل ذلك حدث بسبب تعطل طرق التجارة لعدم استتباب الأمن، فمالوا إلى الصلح مع قبرس[3]، وأمام إلحاح البنادقة والجنوية الذين بقي لديهم الأمل في توقيع ذلك الصلح، وخاصة بسبب تضرر مصالحهم الاقتصادية، وأمام توسط البابا للصلح، فقد اقتنع حاكم قبرس، وبالوقت نفسه ألح البنادقة على السلطان، وأقنعوه بأن السبب الذي سبب تلك الكارثة قد قتل ومات، فلتقلب تلك الصفحة السوداء والبدء بصفحة جديدة، وأن الوصي مستعد لترضية السلطان على حد قول النويري في الإلمام[4] في حين أخبر مخارياس في روايته : بأنه لما علم سلطان القاهرة بموت بطرس، وبأن القبارسة سوف لن

---

[1] – سانوتو: الأسرار، ج٣٨، ص٨١، ٨٧،٧٩،٨٠

2/ MAKHIARAS. RECITAL. P 201

[3]- ATIYA, THECRUSADES IN THE LTE MIDDLE AGES P.375

طقوش :تاريخ المماليك،ص٣١٩/سرور :دولة بني قلاوون،ص٢٥٨

[4]- النويري:الإلمام، ص٢٨٨,٢٨٩ /عاشور: قبرس والحروب الصليبية، ص٣١٩

يحصلوا على مساعدة أخرى قريبة من أوربا " فشعر بالشفقة علينا وأراد إبرام السلام"[١]، وبالفعل أرسل الوصي بعثة إلى السلطان المملوكي لعقد الصلح، فوصلت إلى الإسكندرية في سنة ٧٧٢هـ / آب ١٣٧٠م، وقام السلطان باستقبال تلك السفارة، وانتهى بهم الأمر إلى عقد معاهدة صلح لمدة عشرين سنة[٢] بين الطرفين بعد أن أقسم سلطان القاهرة على القرآن ، و الأمير نائب ملك قبرس من أجل المحافظة على السلام، وكما قال مخارياس "من دون نية شريرة أو خداع "[٣]حيث جرى تبادل الأسرى، وأعيد فتح كنيسة القيامة أمام الحجاج المسيحيين، فاستعاد الصليبيون في الشرق حريتهم من جديد[٤] ، وما لبث الفرنجة أن بعثوا للسلطان بالأسرى الذين كانوا ببلادهم[٥] **كما احتوت هذه الاتفاقية على شروط منها :**

١- إعطاء مدة ثلاثة أشهر قبل استئناف الأعمال العدوانية.

٢- إعادة القناصل اللاتين إلى القاهرة.

هذا وقد تأسست ضرائب الأراضي المملوكية العشور الجمارك وفقاً لتعريفات محددة، وهكذا وبعد خمسة أعوام من الحروب والقرصنة، تم استئناف التجارة في موانئ المماليك، ولكن بقيت ذكرى نهب الإسكندرية ذكرى مؤلمة لم تكن لتنتسى أو لتغفر[٦].

وهكذا بعد خمسة أعوام من القرصنة، تم استئناف التجارة في موانئ المماليك، وعادت الأحوال إلى ما كانت عليه بين قبرس والبندقية وجنوه من جهة، وبين مصر والشام من جهة أخرى، وأخذت السفن الفرنجية تأتي إلى الإسكندرية بلا انقطاع " فباع المسلمون بضائعهم لهم، وتعوضوا عنها من بضائعهم، واطمأنت الناس وما فات مات"[٧]، لكن قبرس لم تنعم طويلاً

١- MAKHIARAS. RECITAL. P 201

٢- انعقد الصلح بين المسلمين وصاحب قبرس في محرم سنة ٧٧٠هـ/١٣٦٨م حسب ما جاء عند ابن قاضي شهبه وغيرها. ابن قاضي شهبه: الكواكب الدرية، ج٢ من المخطوط من ص٣٤٥/النويري:الالمام، ص٢٨٩/ سيتون:البابوية و الحروب الصليبية، ص٥٥٥

٣- MAKHIARAS. RECITAL. P169.183.185

٤- طقوش: تاريخ المماليك ، ص٣١٩

٥- المقريزي:السلوك،ج٣، ص١٧١,١٧٢/سرور: دولة بني قلاوون، ص٢٥٨

٦- سيتون : المرجع نفسه ، ص٥٥٥،٥٥٦

٧- النويري:الالمام، ص٨٩

بالراحة والهدوء بعد عقد الصلح مع المسلمين، لأنهم تعرضوا لاحتلال من نوع جديد، وهذا ما سيرد في الأحداث اللاحقة.

١٣- الاحتلال الجنوي لقبرص (٧٧٥ - ٧٧٦هـ / ١٣٧٣ - ١٣٧٤م):

كانت جنوه مع البندقية من أنشط الجمهوريات الايطالية في حوض البحر المتوسط في تحرك أساطيلهما من نابولي (جنوبي ايطاليا) وغيرها، إلا أن سيطرة النورمان البحرية على الجنوب الايطالي وصقلية، وقوة الأسطول البيزنطي في الشرق، من ناحية أخرى قد أخر من امتداد جنوه والبندقية بأساطيلهما التجارية والحربية إلى الحوض الشرقي لبعض الوقت[1] وعادت المشكلة الجوهرية التي واجهت قبرص إلى الظهور، وهي مشكلة المنافسة بين سياسة البنادقة و سياسة الجنويين، وازدياد أطماعهم وشرهم[2]، فهل نجت قبرص من تلك المنافسات أم أنها تضررت؟ وهل دخلت في غمار ذلك الصراع، أم انتقل الصراع إلى أرضها و شعبها ، فتحملت وحدها عبئ تلك المنافسات ؟ أم أنها وقفت على الحياد ؟ للإجابة على تلك التساؤلات كان لابد من معرفة الأسباب الحقيقية التي دفعت بجنوة لاحتلال قبرص؟ ومن العودة قليلاً إلى الوراء لفهم هذه المسألة.

ارتبط النشاط التجاري للجنوية في قبرص إرتباطاً وثيقاً من خلال المعاهدات التجارية التي وقعها القومون الجنوي مع الملوك القبارسة على امتداد القرن ٧هـ/١٣م ، والقرن ٨هـ/١٤م، وتعد المعاهدة التي وقعها القومون الجنوي مع **الملكة أليس دي شامبني** في سنة ٦١٥هـ/١٢١٨م، البداية الحقيقية لنشاط التجارة الجنوي في الجزيرة، فقد اشتملت المعاهدة على إعفاء الجنوية من الرسوم و الضرائب المتعلقة بعمليات البيع و الشراء في مدن الجزيرة و موانئها كافة، كما حصلت الجنوية على استقلال قضائي في الجزيرة من كل القضايا المتعلقة برعاياها، ماعدا جرائم القتل والاغتصاب والخيانة، كما منحت هذه المعاهدة للجنوية قطعتي

---

[1] - زنتاني: قبرص من معاوية إلى أجاويد، ص٧٨/ MAKHIARAS. RECITAL. P 359. 357

[2] - كان الجنويون كما وصفهم ماكارياس " أناس متكبرون خونة ، ذلك أنهم كانوا يحاولون دوماً الاستيلاء على قبرص، ووضعها بين أيديهم و كانوا يحاولون إيجاد مسوغ لهذا ، و قد وجدوا هذا المسوغ في المشاجرة" انظر ماكارياس : تارخ قبرص خلال الحروب الصليبية ، الفقرة رقم ١٥٣

أرض في كل من ليماسول وفاماجوستا، لبناء منازل ومكاتب تجارية ومستودعات لها، بالمقابل

تعهدت حكومة قبرس بحماية أرواح التجار الجنويين، وممتلكاتهم ومتاجرهم في حالة تحطم، أو غرق سفنهم قرب الشواطئ القبرسية، فما هي واجبات الجنوية تجاه قبرس إزاء كل تلك المـــنح التي قدمت لها؟

كان على الجنوية تقديم تعهد واحد يلزمهم بتقديم المساعدات البحرية للدفاع عن الجزيـــرة عنـــد الضرورة، وهذا إن دل على شئ، فهو دلالة واضحة على ضـــعف القـــوة العســـكرية لـــديها وافتقارها للأسلحة والمعدات، مقارنة بثرواتها الطبيعية، ومـــن المؤكـــد أن الجنويـــة رحبـــوا بالإمتيازات التي حصلوا عليها في قبرس، ونظروا إليها على أنها فرصة مناسبة لتشكيل جاليات تجارية لهم في مدنها و موانئها الرئيسة من أجل حماية مصالحهم التجارية الكبـــرى [1] و فـــي سنة ٦٢٩هـــ/١٢٣١م، وقع حنا دي إبلين الوصي على الملك هنري الأول ملك قبرس معاهـــدة مع الجنوية جددت من خلالها الامتيازات التي حصلوا عليها في السابق ، ومنح الجنوية محكمة خاصة بهم في الجزيرة، مقابل دعم الجنوية لحنا دي إبلين في صـــراعه الـــدائر مـــع قـــوات الامبراطور فريدريك الثاني و نوابه في قبرس، وهنا دلالة على دخول الجنوية في الصـــراعات الداخلية في قبرس، وهنا وقفت قوات جنوة إلى جانب الوصي، وشغلت دوراً هاماً في إخضـــاع نواب الإمبراطور الموالين له في قبرس، الأمر الذي جعل الملك هنـــري الأول يصـــدق علـــى المعاهدة الموقعة بين حنا دي إبلين وبين الجنوية في مدينة فاماجوستا بتاريخ ٦٣٠هـــ/١٢٣٢م، كما أضاف الملك هنري الأول امتيازات جديدة للجنوية بموجب هذه المعاهدة، اشتملت على أن يكون للجنوية بيوتًا في كل من نيقوسيا، وبافوس و فاماجوستا و يبـــدو أنـــه حتـــى عـــام ٦٣٠ هـــ/١٢٣٢م لم يكن لجنوة قنصل في قبرس، إنما كان لديهم ثلاثة موظفين فـــي ثلاثـــة مـــدن قبرسية هي فاماجوستا، نيقوسيا، ليماسول، لمعالجة المسائل المتعلقة بالتجار الجنويين المقيمـــين فيها ، لكنه و منذ النصف الثاني من القرن ٧هـــ /١٣م أصبح للجالية رئيساً اتخذ مقراً في مدينة فاماجوستا، وبما أن المنافسات القوية مابين البندقية و جنوة على التجارة الشرقية كانت مستمرة،

---

[1]- زيتون :العلاقات الاقتصادية بين الشرق و الغرب ، ص٢٧٠

الأمر الذي أدى إلى ضعف النشاط التجاري الجنوي في قبرس، لاسيما بعدما انتقلت التجارة من بيزنطة و الإمارات الصليبية إلى قبرس و مياهها [١] و هذا كله بقي مستمراً إذا عرفنا أنه كان وراء كل تلك المنافسات والصراعات جشع اقتصادي واضح كل الوضوح، دخل حتى إلى السياسات الداخلية للمدن الصليبية، و لم يولد إلا المزيد من الأحقاد و المنافسات الاقتصادية بين المدن الايطالية و غيرها.

لقد كان طرد الجنوية من عكا من قبل خصومهم البنادقة في آواسط القرن ٧هـ/١٣م محنة قاسية بالنسبة لهم، فقد دمرت بيوتهم، و تقاسم أعداؤهم ممتلكاتهم هناك، لذلك أرادت جنوة استغلال أية فرصة للانتقام والرد على إساءة البنادقة لها و لو بعد حين، كما أنهم كانوا لا يزالون يشعرون بالاستياء من اللوزينيانيين لدورهم في هزيمتهم، واخراجهم من عكا نهائياً أثناء حرب دير القديس ساباس [٢] الأمر الذي جعل جنوة تتحين الفرصة المناسبة لرد اعتبارها، وانتقل الصراع بين البنادقة والجنوية إلى قبرس نفسها [٣] في سنة ٦٩٢هـ /١٢٩٢م مع ازدياد أطماعهم وشرهم، عندما هاجمت بعض السفن البندقية سفناً تجارية جنوية بالقرب من قبرس، إلا أن الجنوية انتصروا على البنادقة، فأرسلت البندقية أسطولاً آخر في سنة ٦٩٤هـ/١٢٩٤م قام بمهاجمة الجنويين المقيمين في ليماسول وفاماجوستا وميناء أياس في كيليكيا، حيث استولى على سفينة جنوية كانت ترسو فيه، لكن الأسطول الجنوي سرعان ما ظهر، وكبد البنادقة هزيمة ساحقة، وانتزع كل السلع والمتاجر التي نهبها البنادقة من ميناء إياس.

وصلت هذه المنازعات إلى داخل قبرس وبين جالياتهم المقيمة في الجزيرة، وذلك عندما أحرق البنادقة في ميناء فاماجوستا سفينة جنوية كانت ترسو هناك في سنة ٦٩٧هـ/١٢٩٧م، لكن الجنويون لم ينتقموا لهذه الحادثة على اعتبار أن الملك القبرسي قد وعدهم بالتعويض عن خسائرهم، لكنه لم يف بوعده، الأمر الذي دفع بالحكومة الجنوية إلى قطع علاقاتها التجارية مع

١- زيتون : العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب، ص٢٧١/ اديوري : قبرص و الحروب ، ص١٤١

٢- اديوري : المرجع نفسه، ص١٠٨-١٠٩/ زيتون : المرجع نفسه ، ص٨٦-١٥٢

٣- MAKHIARAS. RECITAL. P 299. 231,357.359

قبرس، وطلبت من جميع رعاياها مغادرة الجزيرة [١] بل ازداد الموقف تعقيداً مما كان عليه بين الطرفين (الجنوية ، القبارسة) وذلك بسبب مقاطعة السلع والمتاجر الجنوية في سنة ٦٩٩هـ/١٢٩٩م بأمر من الملك القبرسي (هنري الثاني) رداً على اجراءات الحكومة الجنوية كما أنه استولى على جميع ممتلكات الجنوية في مدن الجزيرة كافة، أما الجنويين الذين بقوا على أرض قبرس، فقد أجبروا على أداء يمين الولاء و الطاعة لملك ولشعب قبرس، كما جردهم من أسلحتهم، وتم نقلهم إلى مدينة نيقوسيا و حصرهم فيها، فكيف كان الرد الجنوي ؟ هل وقفوا مكتوفي الأيدي أمام هذه الإجراءات التي صدرت بحقهم واستكانوا للأمر؟ أم أنهم انتقموا من القبارسة شر انتقام ؟

وكنتيجة للإجراءات القاسية التي اتخذت بحق الجنوية، ورداً على تلك الإساءة المباشرة، منحت الحكومة الجنوية حق الحماية لكل جنوي يلحق الأذى بالقبارسة والبندقية معاً، وعلى أثر ذلك بدأ القراصنة الجنويون يغيرون باستمرار على الشواطئ القبرسية، كما لوحقت السفن القبرسية والبندقية في مياه الجزيرة وموانئها كي يلحقوا أكبر الخسائر بالقبارسة، ففي سنة ٧٠٣هـ/١٣٠٣م، كتب المندوب البندقي تقريراً إلى حكومته، أبلغهم فيه بمهاجمة الجنوية للسفن التجارية التابعة للبندقية وإلحاقهم بها أضراراً بالغة، ولقد بلغت أعمال القراصنة الجنويين ضد قبرس ذروتها، بمهاجمتهم لمقاطعة بافوس في سنتي ٧١٢هـ/١٣١٤م وسنة ٧١٦هـ/١٣١٨م [٢]، لكن هذا الأمر لم يؤثر البتة على الجالية الجنوية التي كانت مقيمة في قبرس ؟

صحيح أن القراصنة الجنويين ألحقوا أكبر الأضرار بتجارة قبرس، لكنه بالمقابل انعكس سلباً على تجارة جنوة نفسها وجاليتها في قبرس أكثر مما لحق بالقبارسة أنفسهم، ففي سنة ٧١٦هـ/١٣١٨م، ردّ الملك القبرسي على الجنوية وأعمالهم باعتقال جميع الذين كانوا يعيشون بقبرس وقتذاك، وأودعهم سجون نيقوسيا حتى الأطفال والنساء لم يسلموا من الأسر، ولم يتم الإفراج عنهم إلا بعد وساطة البابا حنا الثاني في سنة ٧٢٠هـ/١٣٢٠م، كما أسفرت هذه

١- زيتون : العلاقات الاقتصادية ، ص٢٧٢ /اديوري : قبرص و الحروب الصليبية ، ص١٠٩

٢ - زيتون : المرجع نفسه ، ص٢٧٣/ اديوري : المرجع نفسه ، ص ١٠٩

الوساطة على تبادل السفارات بين جنوة و قبرص من أجل التوصل إلى عقد معاهدة سلام و

تجارة، بعدما أدرك الطرفان مدى الخسائر التي أصابت كلا الطرفين، ولاسيما تجارة الجنوية خلال الفترة الممتدة من سنة ٦٩٢هـ/١٢٩٢م حتى سنة ٧٢٠ هـ /١٣٢٢م ، ومدى خطورة الوضع على مستقبل التجارة الجنوية في جزيرة قبرص فحسب، بل في أنحاء الحوض الشرقي للبحر المتوسط.

انهمكت جنوة في سلسلة من النزاعات المتدامية مع الحكومة القبرسية حول حقوق وامتيازات لتجارها، وكانت العلاقات التي جمعت بين قبرص وجنوة تزداد سوءاً في هذا القرن، باتت تظهر دلائلها خلال عهد الملك القبرسي هنري الثاني، واستمرار العنف في الجزيرة على الرغم من التسويات لحل الخلافات القائمة [١]

وفي الحقيقة نجح الطرفان في التوصل إلى معاهدة تم توقيعها في نيقوسيا بتاريخ ٧٣٠ هـ/١٣٣٩م، **وأهم ما جاء فيها :**

١- تجديد جميع الإمتيازات للجنوية التي منحت لهم في السابق .

٢- وعدت الحكومة القبرسية بدفع كامل التعويضات عن الخسائر التي لحقت بالجنوية.

٣ - وعد الملك القبرسي بدفع تعويض مالي قدره ٢١٠ ألف بيزنط (بيزنت) تعويضاً عن التدمير الذي ألحقه القبارسة بسفينة جنوية .

٤- تسوية المشاكل المتعلقة بالجالية الجنوية في قبرص ، و إعادة كل الممتلكات التي انتزعت منهم مابين ٦٩٢هـ/١٢٩٢م حتى سنة ٧٢٠ هـ/١٣٢٠م.

لكن وعلى الرغم من كل تلك التعهدات من قبل ملك قبرس، لم تنته المنازعات بين الطرفين في الجزيرة، فقد استأنف القراصنة الجنويون غاراتهم، ونشاطهم العدائي في مياه قبرس ، كما استأنفت الجنوية نشاطها التجاري في مدن قبرس و موانئها، وفي سنة ٧٣٩هـ/١٣٣٨م وقعت معاهدة في نيقوسيا بين الملك القبرسي - هيوج الرابع ، والسفير الجنوي - سبينولا- التي

١- اديوري : قبرص و الحروب الصليبية ، ص١٢٧

نصت على تجديد كل الامتيازات التي منحت للجنوية في قبرس، إضافة إلى وعد الملك

القبرسي بالنظر في الشكاوى المقدمة من بعض التجار الجنوية على القراصنة القبارسة [1].

واستمرت العلاقات بين الطرفين بعد توقيع الاتفاقية في ازدهار، إلى درجة أن اتخذت فيها السفن الجنوية من الجزيرة محطة رئيسة لرحلاتها التجارية المتجهة إلى مصر و الشام، ولم يمض ربع قرن على توقيع تلك المعاهدة حتى انتهز الجنويون فرصة وجود الملك القبرسي – بطرس الأول – في جنوة مضطراً فيها إلى توقيع معاهدة معهم في سنة ٧٦٥هـ/١٣٦٣م ، جددت خلالها جميع الامتيازات للجنوية ، كما ثبتت ممتلكات الجنوية في قبرس في كل من نيقوسيا و فاماجوستا و بافوس [2] فضلاً عن ذلك، فقد أكدت المعاهدة على حقوق الجنوية في الاستقلال القضائي و الإعفاءات الجمركية[3]، لكن لم تلبث العلاقات أن ساءت بينهم مجدداً في سنة ٧٦٦هـ/١٣٦٤م بسبب معاقبة السلطات القبرسية لبعض الملاحين الجنوية الذين يخدمون في البحرية القبرسية، حينها أرسلت جنوة إلى قبرس للتحقيق في القضية ، وقد وصل الجنوي إلى قبرس في ١٢أيلول للعام نفسه، و أرسل تقريره إلى جنوة، و عملت دعاوى ضد بطرس من أجل الخطأ الذي اقترف بحقهم في قبرس، لذلك أجبرت الحكومة الجنوية جميع رعاياها المقيمين بقبرس على المغادرة خلال فترة أقصاها شهر شباط من سنة ٧٦٧هـ/١٣٦٥م[4]، فلماذا قامت بذلك التصرف المفاجئ وهي التي امتلكت تلك المزايا الهائلة و المغرية في قبرس، وهل خافت على جاليتها المقيمة في قبرس نتيجة لتردي العلاقات معها؟ وما هو الموقف القبرسي من قرارها المفاجئ ؟هل كان سيؤثر عليهم سلباً أم إيجاباً؟

لم تكن هذه المسألة حقيقة في صالح القبارسة، ولم يكن في نية الملك القبرسي بطرس الأول قطع العلاقات مع جنوة في هذه الفترة الحساسة والحاسمة بالذات، لاسيما وأنه كان خلالها يعد نفسه للحملة الصليبية على مصر، فهو بحاجة إلى كسب كل الأطراف والقوى البحرية إلى

---

١ - زيتون : العلاقات الاقتصادية ، ص٢٧٤

٢- زيتون : المرجع نفسه ، ص٢٧٥

٣- ماكارياس : تاريخ قبرص خلال الحروب الصليبية ، الفقرة رقم ١٥٣-١٥٤

٤ - ماكارياس : المصدر نفسه ، الفقرة ١٤٨-١٤٩-١٥٣/ اديوري: قبرص و الحروب ، ص١٢٨

جانب مشروعه، لهذا وعد الحكومة الجنوية بمعاقبة القبارسة المسؤولين عن الحوادث الدامية التي حدثت في سنة ٧٦٦هـ/١٣٦٤م ، ووقع معاهدة صلح معهم في سنة [illegible]هـ/١٣[illegible]م، اشتملت على تجديد معاهدة سنة ٦٣٠ هـ/١٢٣٢م، مع توسيع الامتيازات القضائية للجنوية في قبرص [1] كما شملت المعاهدة على حق السفن الجنوية في الإلتجاء إلى الموانئ القبرسية عند تعرضها للخطر، بالمقابل اشترط القبارسة عليهم شرطين اثنين :

١- عدم نقل أي شخص غير جنوي في السفن الجنوية إلا بإذن الحكومة القبرسية .

٢- لا يجوز للسفن الجنوية نقل السلع و المتاجر التي حرمتها الكنيسة مثل (الخشب ،الحديد ، القار) أي المواد اللازمة في المعارك و الأسلحة إلى المسلمين في مصر و الشام و من أجل إبرام هذه الاتفاقية أرسل بطرس ثلاثة من الفرسان إلى جنوة للتفاوض ، وكان هؤلاء (السير فيليب دي ميزيري-**philip de Mezieres** – و السيد سيمون تينوري- **simon tenouri** – والمعلم غي- **gi**- و بعد المباحثات توصلوا إلى اتفاقية مؤلفة من عشرين بنداً جرى تدوينها على قطعة من الرق مكتوبة باللاتينية، **و أهم بنود هذه الاتفاقية كما جاءت عند مخارياس:**"

أولا: يرغب ملك قبرس السلام، السلام الذي سوف يكون ثابتاً وصحيحاً ولعل الرب يحفظه ، و فيما يتعلق بالأضرار التي عملت في قبرص سوف يعملون تعويضاً، و بالنسبة للمشاجرة في فيماغوستا سوف يمنعون أية أعمال انتقام ، وفي سبيل هذه الغاية هم أرسلوا مبعوثين للإعداد للسلام.

واجتمع المستشارون الاثنا عشر لمملكة الدوج ، الذين دونت أسماؤهم لصنع السلام و هذا هو **البند الثالث** : الأول الدوج السير غبرييل أدورنو **GABRIEL ADORNO** و السير لاروس ليوردوس **LAURUS LEORDUS** أولاً، و جيمس دي فرانسيس **JAMES DE FRACISCIS** وهو الثاني ، و الثالث هو السيد هيكتور فينسينتيوس **HECTOR VINCENTIUS** و الرابع السيد بطرس دين يغروني **PETER DE NEGRONE** و الخامس السيد بارثولوميوبورتوناري **BARTHOLOMEW PORTONARI** ، و

١- اديوري : ا قبرص و الحروب ، ص١٢٨ / زيتون : العلاقات الاقتصادية ، ص٢٧٥

السادس السيد جوليان دي كاسترو **JULIAN DE CASTRO** ، و السابع السيد جـون دي فونتانيغيو **JOHN DE FONTANEGIO** ، الموثـق ، و الثـامن توماس دي أزاريـو **THOMAS DE AZARIO**، و التاسع جيمس دي بونتي **JAMES DE PONTE** ، و العاشر بامبلوس دي كاسالي **PAMBELLUS DE CASALI** ، و الحادي عشر ثيلـدوس دي كورفاريا **THEALDUS DE CORVARIA** ، و الثاني عشر بارثولوميودي فيـالي **BARTHOLOMEW** .

الرابع: إنهم سوف يقررون من هو جنوي ، ومن الذين يمكنهم استخدام اسم جنوي لمعرفة فيما إذا كانوا أناساً جنويين بفضل العتاقة و حق التصويت، و لتقرير قضية جميع الذين يعيشون في أراضي جنوية .

الخامس: هم سوف يفحصون و ينهون بوضوح مسألة العشور المستحقة وفقاً للقرارات المتخذة و لسوف يستمكرون بالعمل وفقاً لما اعتادوا عمله في الأوقات الماضية.

السادس:سوف يمتلك الذين يستخدمون اسم جنوية الحرية الكاملة العائدة إلى الجنويين.

السابع: سوف تكون الأحكام القضائية المتعلقة بالجنويين هي من اختصاص المقدم مثلما كانـت أولاً من قبل.

الثامن: إنه فيما يتعلق بالجنويين الذين هم في خدمة الملك – و هناك الكثيرين الـذين أرغمـوا على فعل ذلك بسبب فقرهم – سوف لن يقبلهم الجنويون في وسطهم.

التاسع:سوف لن يضغط موظفو الملك عليهم للدخول في خدمة الملك بالقوة .

العاشر: سوف يمتلك الجنويون و الذين يستخدمون اسم جنوي الحق بالذهاب إلى قبرصو الإياب منها من دون خوف في أية سفينة يرغبون.

الحادي عشر: إذا ما جاءت غلايين جهزت في جنوى إلى قبرص ، و لم يكن لـديها بضـائع تجارية على متنها ، سوف لن يرغموها على الرسو في فيماغوستا.

الثاني عشـر: سوف يمتلك الجنويون ، أو الذين يستخدمون اسم جنويين السلطة ، و الحق فـي الرسو حيثما أرادوا في جميع الجزيرة.

الثالث عشر: سوف يمتلك القباطنة الجنوية ، أو الذين يستخدمون الاسم الجنوي السلطة بمغادرة قبرص من أية نقطة يرغبون لمتابعة رحلتهم.

الرابع عشر :سوف لن يمتلك الملك أو موظفيه سلطة اعتقال الجنويون ، أو الذين يستخدمون الاسم الجنوي ، و لا على سفنهم ، ولا على سلعهم.

الخامس عشر: سوف تكون أوزان الجنوية و مكاييلهم المستخدمة في حوانيتهم تحت اشرافهم، يعني أن تقول تحت اشراف مقدمهم تماشياً مع الامتيازات الممنوحة من قبل الملك هوغ، و هذا الذي وافقوا كتب في العاشر من كانون الثاني لعام ١٢٣٢بعد المسيح.

السادس عشر: سوف تمتلك الجمهورية الجنوية حيزاً خاصاً ، والحق في انشاء محلة خاصة بالجنوية .

السابع عشر: سوف يتولى الملك و موظفيه عمل القضاء ، و سوف يعطون الجنوية ترضية عادلة من أجل السلع التي يحملونها و يذهبون بها.

الثامن عشر: سوف يمتلك الجنوية حق القيام بأعمال القضاء على الصقليين و على الآخرين الذين هم في حي الجنوية في فيماغوستا.[١]

التاسع عشر: سوف يرعى القبارصة الامتيازات الممنوحة من قبل الملك هوغ صاحب الذكرى المباركة كثيراُو في كل قضية تتعلق بالامتيازات المذكورة الممنوحة إلى الجنوية ، سوف يستمر عرضها على القضاء و الحكم عليها وفقاً لبنود الامتيازات ، و لسوف ينفون من قبرص (جون دي سور، الأدميرال) و السير جون سويسون الذي كان من قبل نائب الملك في فيماغوستا، و لسوف يبقون لبعض الوقت بعيدين عن قبرص.

العشرون:إن جميع الذين يرغبون في الاعلان عنهم كجنوية سوف يجري قبولهم على الفور، شرط أن يكونوا قدموا من أراضي جنوية ، وأن يقدموا شاهدين، وبعدما انتهى المندوبون من صنع السلام عادوا إلى قبرص، ونسخوا بنود الاتفاقية من جديد و باللغة الفرنسية، و أروها لبطرس ، فوافق على بنودها باستثناء ما ورد حول نفي الأدميرال و السير جون دي سويسون

[١] - مكارياس: تاريخ قبرص خلال الحروب الصليبية ، الفقرة رقم ١٥٣

john de soissons (النائب الملكي على فاماجوستا)، و أرسل بطرس برسالة إلى جنـــوة بأخذ موافقتهم على عبور حر أي (جواز أمان بالعبور) [١] فحصل على ما أراد.

لقد كانت هذه المعاهدة تحمل طابعاً خاصاً عن تلك التي سبقتها ، وتطوراً جديـــداً فـــي طبيعـــة المعاهدات الموقعة بين قبرص و جنوة ، وكانت مجحفة كثيراً بحق القبارسة و الجزيـــرة ، فمـــا الذي حدث بعدكل تلك الامتيازات الضخمة، وما الذي خطر ببال الجنوية بعد اغتيال ملك قبرص بطرس الأول و هل استطاعت تنفيذ مخططها ، أم انها أخفقت ؟

بقي الحال على ماهو عليـــه إلـــى أن اغتيـــل الملـــك القبرســـي بطـــرس الأول فـــي ســـنة ٧٧١هـ/١٣٦٩م، وعمت الفوضى في أنحاء الجزيـــرة، الأمـــر الـــذي أثـــر علـــى الوضـــع التجاري، حيث ألحقت أضراراً بالغة بالنشاط التجاري للجنويـــة، وعلـــى الـــرغم مـــن تلـــك المعاهدات الموقعة، لم تنس جنوة ما حل بها من أضـــرار و مصـــادرات فـــي قبـــرس علـــى أيدي ملكها هنري الثاني، و لم يكن بإمكانهم تجاهل الكراهيـــة التـــي يظهرهـــا لهـــم الشـــعب القبرسي، بالإضافة إلى ذلك هو التزايد المســـتمر لأعـــداد عـــدوتهم التقليديـــة (البندقيـــة) و ازدياد نفوذهم في قبرس، عنـــدها أدركـــت و راودت جنـــوة فكـــرة رهيبـــة تجســـدت فـــي احتلالها لجزيرة قبرس من أجل اســـتمرارها وحمايـــة مصـــالحها التجاريـــة فيهـــا [٢] ومـــا كادت تستقر الأحوال في قبرس بعد حادثة الإغتيال، حتـــى نشـــب صـــراع بـــين الجنويـــة و البندقية في مدينة فاماجوستا سنة ٧٧٥هـــــ/١٣٧٣م أثنـــاء حفلـــة تتـــويج الملـــك القبرســـي الجديد بطرس الثاني، فوقف القبارســـة إلـــى جانـــب البندقيـــة، و ســـاعدوهم فـــي مهاجمـــة الحي الجنوي، فنهبوا و دمروا ممتلكاتهم، و قتلوا أعداداً كبيـــرة مـــنهم، الأمـــر الـــذي صـــدم حكومة جنوة نفسها ، لاسيما بعـــد وصـــول تقريـــر حماتهـــا فـــي قبـــرس، لـــذلك أرســـلت أسطولاً بقيادة **داميان كاتانو** إلـــى قبـــرس، طالبـــت فيهـــا الحكومـــة بـــالتعويض عـــن كـــل الخسائر التي لحقت بجاليتها في فاماجوستا، وبمعاقبة المســـؤولين عـــن تلـــك الأحـــداث (أي

---

[١] - مكارياس : تاريخ قبرص خلال الحروب الصليبية ، الفقرة رقم ١٥٣-١٥٤

[٢] - زيتون : العلاقات الاقتصادية ، ص٢٧٦/اديوري : قبرص و الحروب الصليبية ، ص١٢٧

القبارسة و البنادقة) معاً، ولم تنته تلك المفاوضات التي بدأها داميان حتى أغار الأسطول الجنوي على شواطئ الجزيرة، فما كان من الملك القبرصي إلا أن يرد، وكان رده اعتقال جميع الجنويين الذين يعيشون في نيقوسيا وفاماجوستا، ترك ذلك التصرف بالغ الأثر في نفوس الجنوية بل كان دافعاً هاماً لاحتلال الجزيرة، صحيح أن جنوة حصلت على امتيازات تجارية عديدة في قبرص[1]، لكن طمعها فاق كل حد، فلم تكتف جنوة بها، وإنما أرادت امتلاك قواعد تجارية ثابتة فيها من أجل توسيع نشاطهم التجاري البحري، الأمر الذي انعكس سلباً على قبرص في جميع الأحوال والاتجاهات، بل اتخذ طريقه إلى السياسة الداخلية والتدخل فيها، ولا سيما بعد ما تبين للجنوية ميل الوصي على قبرص إلى البنادقة، ومنعاً لحصول البنادقة على أية امتيازات أخرى، أرسلت جنوة حملة عسكرية [2]، وكانت جنوه السباقة إلى قبرس هذه المرة خوفاً من أن تسبقها البندقية ، فقد داهمت الجزيرة في سنة ٧٧٥هـ / ١٣٧٣م " أخذوها من القبارسة بعد أن قتلوا خلقاً كثيراً، وملكوها منهم" [3]، فاحتلت فاماجوستا وسيطروا عليها، ثم احتلت القوات الجنوية مدينة نيقوسيا الجميلة ، وأعملوا في شوارعها السلب والنهب والقتل و استولوا على بيوت الأمراء و سلعهم وممتلكاتهم و كل ما وجدوه من الكنوز و الأموال[4]، وخلال السنتين التاليتين من مهاجمة الجزيرة واحتلالها، جرت محاولة لأعتقال ملكها الصغير(بطرس الثاني) والوصي عليه عمه (حنا دي ابلين) ووضعوه بالسجن، وأحاطت به الجنوية إحاطة تامة، فبات جميع حراس الملك جنويين

---

[1] - احتكرت عائلة إمبرياتشو إدارة الأحياء التابعة لمدينة جنوة في المدن الصليبية كافة و تطورت خلال القرن ٧هـ/١٣م حيث بدأ القومون الجنوي نفسه بتولي إدارة جالياته ، و جمعت الإدارة بيد اثنين من الموظفين الكبار ، الأول اتخذ لقب قنصل و الآخر لقب فيكونت ، و كان القنصل ممثلاً لحكومة القومون الجنوي في حين كان الفيكونت مسؤولاً عن الشؤون القضائية في الحي الجنوي وفي سنة ٦٧٣هـ/١٢٧٤م حدث تطور في إدارة أحياء جنوة حين عين القومون الجنوي لإدارة أحيائه هذه باسم – البودستا– بدلاً من قنصل وبدا هذا الأمر طبيعياً أمام توسع ممتلكات الجنوية ، و ازدياد المهام الملقاة على عاتقهم للمزيد من المعلومات عن البودستا و غيرها انظر القلقشندي: صبح الأعشى ، ج٨، ص٤٦/ زيتون: العلاقات الاقتصادية ، ص ١٥٥-١٥٦-١٥٧-١٥٨-١٦٥إلى ص١٦٥

٢- النويري:الإلمام، ص٩٢، /عاشور: قبرس والحروب،ص٨٣/زنتاني : قبرس من معاوية إلى أجاويد، ص٧٨/

MAKHIRAS' recital, p.359.357.511.309

٣- زنتاني : قبرس من معاوية إلى أجاويد ، ص٧٨

MAKHIRAS' recital, p357

[4] - مكارياس: تاريخ قبرص خلال الحروب الصليبية ، الفقرة رقم ٤٥٠-٤٥١

ومنع التحدث مع الملك على انفراد وخصوصاً إذا كانوا غير جنـوويين، فبـات لا حيلـة لـه ولا قوة ، واستطاع الكنداسطبل عم الملك التحصن بقلعة كيرينيـا مـن أجـل الملك، ومنع الجنوية من أخذها، ولكن والدة الملك الأرغوانيـة (ايليـا نـورا) مـع المخلصـين لقبـرس تمكنوا من الفرار من الجنوية فيما بعد ، وتوجهوا إلـى قلعـة كيـرين، أو (كيرينيـا) فكيـف تم ذلك ؟ وما هي الأسباب التي مكنت جنوة الاستيلاء علـى الجزيـرة؟ هـل كـان الطمـع بالعرش من قبل الكنداسطبل جيمس دي لوزينيان عم الملـك الـذي تحصـن بقلعـة كيرينيـا وتحصن الأمير(أمير أنطاكية) جون دي لوزينيان العـم الآخـر للملـك فـي قلعـة القـديس هيلاريون السبب في احتلال قبرس وهـل كـان التحصـن بهـذه القـلاع لصـالح الملـك و البلاد أم لمصالحهما الشخصية؟ ألم يظهر القبارسة شـيئاً مـن المقاومـة لهـذا الاحـتلال، وما هي الحيل و المكائد التي اتبعها الجنويـة مـن أجـل الاسـتيلاء علـى كيرينيـا ؟ فهـل حصلوا على مبتغاهم وأجبروا الكنداسطبل على مغادرتهـا؟ فـي الحقيقـة اسـتولت الجنويـة على فاماجوستا و قبرس كلها، و يعـزي مخاريـاس السـبب فـي ذلـك كلـه إلـى كثـرة الذنوب التي ارتكبها القبارسة بحـق أنفسـهم و بحـق شـعبهم ، الأمـر الـذي أضـعفهم و جعلهم ألعوبة بأيدي الجنوية ، فالقسـوة التـي مارسـها القبارسـة بحـق العبيـد و الرجـال الذين جلبوا إلى هذه الجزيرة كأسـرى و كعبيـد والاضـطهاد الـذي مـورس بحقهـم إلـى درجة أوصلت هؤلاء العبيد برمي أنفسـهم مـن علـى الأسـطح و الشـرفات، كمـا كـان البعض الآخر يرمي بنفسه في حفرة عميقة أو يشـنقون أنفسـهم ، كـل ذلـك كـان بسـبب التعذيب الذي جعلهم لا يحتملون المزيد من الإهانـة و المذلـة ، بالإضـافة إلـى فقـرهم و تجويعهم ، وبسبب تخلي القبارسة عن مـولاهم الملـك بطـرس الأول و تسـليمه للقتلـة ، وبسبب الفساد الأخلاقي المتفشـي فـي قبـرس لا سـيما (**اللواطيـة**) الـذي انتشـرت فـي قبرس" لا سيما في فاماجوستا[1] وأخيراً كـان ذنـبهم الكبيـر هـو غـرورهم و تجبـرهم و معاملتهم الناس بالسوء ("بسبب ثرواتهم الكبيـرة ازدروا النـاس") لعـل الله غضـب مـنهم

[1] - مكارياس: تاريخ قبرص خلال الحروب الصليبية ، الفقرة رقم ٤٨١

لأفعالهم المشينة وأراد معاقبتهم و تلقينهم درساً، و أخذت المملكة بالتمزق ، لا سيما

بعد احتلال الجنوية لفاماجوستا شكلوا عصابات و قاموا بشتى أنواع القتل و النهب في المدينة دون استثناء ،[1] و اقتاد المحتلون الجزيرة إلى الأسر و العبودية ، لذلك ارتأى الأمراء و السكان شراء الجنوية بأموالهم من أجل مغادرتهم البلاد، لكن خطتهم باءت بالإخفاق لأن جنوة لما رأت الثروات التي لا تقدر بالبلاد اجترها الطمع فسأرادت المزيد، لذا أقدمت على نهب البلدة و الفرسان و البرجاسية و الأغنياء للمرة الثانية و الثالثة ، حتى حارتي اليهود في فاماجوستا و نيقوسيا لم تسلما من النهب ومات الكثيرين جراء التعذيب[2] لقد حمل الجنويون ا"الأسلاب التي نهبوها من نيقوسيا على ظهورالجمال، وفي العربات على نية أخذها إلى فاماجوستا (مقر الإدارة) وفي هذه الأثناء تمكن أحد الأطفال القبارسة الصغار الذي كان واحد من الأطفال الذين حملوا الثروات التي نهبها الجنوية من الهرب وذهب إلى كيرينيا كي يخبر الكنداسطبل(عم الملك بطرس واسمه جيمس دي لوزينيان) بما جرى والجهة التي سينقلون إليها جميع ما نهبوه و عددهم ، فشكره الكنداسطبل و منحه جائزة مالية جيدة ، وعلى الفور أمر بتسليح خمسمائة رجل وأن يمتطوا خيولهم ويسيروا خلفه، ثم توجهوا حتى وصلوا إلى مدينة سيفوري **sivOuri** التي تبعدعشرة أميال غربي فاماجوستا وسأل هناك إن كانوا يعرفون مكان تجمع الجمال و العربات المسلوبة، فأجابهم سكانها بأنهم توقفوا للاستراحة في آسكيا **ASKIA** ولم يصلوا بعد ، لذا عقد الكنداسطبل اجتماعاً تشاورياً و تباحث حول الذهاب إليهم في آسكيا أو البقاء في انتظارهم، و فكروا أنهم لو باغتوهم هناك لسوف تكون مخاطرة عليهم فيقومون بالهجوم سريعاً ، بسبب قرب فاماجوستا منهم و سرعة وصول الأخبار، لكن تقرر الانتظار في سيندا لكي يقومون بالهجوم على الجنوية لأخذ الأسلاب، و بقي رجال الكنداسطبل في مراقبة جيدة للطريق ، حتى شاهدوا أربعة رجال استطلاع من الألمان أستأجرهم الجنوية للعمل

---

[1] - مكارياس: تاريخ قبرص خلال الحروب الصليبية ، الفقرة رقم ٤٥٢-٤٥١

[2] - مكارياس: المصدر نفسه ، الفقرة رقم ٤٥٢-٤٥٣-٤٥٤

معهم، و على الفور أنقضوا عليهم حتى أعلن هؤلاء الطاعة و الرضوخ ، ومنهم علموا بأن العربات و الجمال على وشك الوصول ، و ما أن ظهر هؤلاء حتى هاجم الكنداسطبل و جيشه الجنوية حتى استسلموا، و أخذوا الأحياء منهم أسرى إلى كيرينيا أما الكنوز فحملوها إلى ترايبيميني TRYPIMENI (على بعد ستة أميال شمال غرب نيقوسيا) أفرغوا الحمولات من على العربات و حملوها جميعها على الجمال، وغادروا المدينة مسوعين إلى كيرينيا، و ما أن انتهوا من تفريغ الحمولات أعادوها إلى أصحابهاإلى نيقوسيا، لكن شاءت الصدفة أن بعض الجنويين الذين تخلفوا عن رفاقهم بقوا في نيقوسيا وكانوا على طريقهم إلى فاماجوستا فتصادفوا معهم، وسألوا ساعقي هذه العربات" أين أفرغتم العربات ؟"فأخبروهم بما حصل و أن الكنداسطبل وجنوده قاموا بهجوم على الجنوية، و أخذوا جميع الأسلاب سالمة إلى كيرينيا، أما الناجين أخذوا أسرى من قبلهم، وعلى الفور أرسلت الجنوية إلى إخوانهم في فاماجوستا للاستعداد من أجل مواجهة الكنداسطبل٧٧٦هـ/١٣٧٤م ،[1] غير أنهم في حقيقة الأمر أدركوا عدم قدرتهم على القتال مع الكنداسطبل لا سيما بعد الأضرار الجسيمة التي ألحقها بهم، وأنهم صاروا يقتلون يومياً و ينهبون ، فما هو الحل الذي توصلوا إليه للتخلص من هذه المصيبة والقضاء على الكنداسطبل ؟ في الحقيقة عقد الجنويون إجتماعاً قرروا فيه الاستيلاء على قبرس كلها و بالقوة وعندما اتخذوا قرارهم فكروا أن تكون الملكة هي الطعم، فإذا استطاعوا اصطحابها معهم فعندئذ سوف تسلم كيرينيا لها عندما يراها الكنداسطبل، فهل استطاعوا خداع الملكة أم الملك بطرس بسهولة وتحريضها على الكنداسطبل كي يسلمها القلعة؟ أم أن الملكة هي التي أعملت الحيلة وتمكنت من الفرارمنهم والتحصن بكيرينيا؟ توجه الجنويون إلى عند الملكة للتحدث "إليها محاولين خداعها بتواضع وأدب و تحريضها على الكنداسطبل وأخيه الأمير أعمام الملك ،للمجيئ معهم حتى تتسلم القلعة؟ وأدعى الجنوية أنهم

[1] - مكارياس: تاريخ قبرص خلال الحروب الصليبية ، الفقرة ٤٥٧-٤٥٨

يريدون حماية الملكة قائلين لها (" مولاتنا نحن تركنا بلادنا ، وممتلكاتنا ، وقدمنا من أجل الانتقام من عدويك : الكنداسطبل [١] و الأمير ، وفي سبيل حماية المملكة

وحراستها من أجل ابنك المحبوب (الملك) وإنه من أجلك أنت نحن بقينا (في البلدة حتى الآن ، فنحن هنا منذ خمسة عشر يوماً ، ونحن نعاني في كل يوم ، وهم قد قتلوا رجالنا و سلبونا، و يمكن لهذا أن يكون تماماً على حسابك، وإنه -على كل حال- إن لم يكن على حسابك، إن هذه المساوئ و الشرور التي يقترفونها ضدنا، بدأت بكونها ضدك ، عندما قتلوا الملك الجيد بطرس، و هكذا هم يبذلون غاية جهدهم من أجل تدميرك في سبيل الاستيلاء على المملكة، وبناء عليه إنه بموجب إرادتك، دعينا نذهب إلى كيرينيا، حتى يقوم الكنداسطبل بتسليم القلعة إليك تماشياً مع الأوامر التي أعطيت من قبل ابنك، صاحب الجلالة الملك، وعندما سنستولي عليها ، نحن سوف نصطادهم جميعاً و نطيح بهم ، وقالت الملكة لهم :"أصدقائي الجيدين ، دعونا نذهب، ولا تدعوني أفعل شيئاً يغيق" إذاً وافقت الملكة على الذهاب معهم، فهل صدقتهم أم أنها أضمرت شيئاً آخراً؟ لم تنطل الحيلة عليها و كانت على علم بخداع الجنوية و مكرهم وما فعلوه بقبرس ، لكنها خافت من أن تقتل إذا رفضت أوامرهم مما أجبرها على الصمت حتى تتسنى لها الفرصة و تنجو بنفسها، هذا ما أخبرت به الملكة سكرتيرها المدعو ديمتريوس دانييل [٢] قائلة له: ("لو أن أي شيئ وقع من فمي لكنت إمرأة مذبوحة ، ومثل ذلك ابني الملك المثلث المحبة ، ولكانت الجزيرة كلها اقتيدت إلى الأسر ") خرج الجنوييون وبرفقتهم الملكة إلى كيرينيا، فركبت على بغلة اسمها مرغريتا، كانت لزوجها الملك بطرس، وأمرت تابعها بوتسوريلو putsurello أن يجلب لها مهمازين ، وقالت له:"عندما أصنع إشارة إليك ، أدر قدمي حتى تجعلني أجلس مثل رجل ، وضع مهمازي " وكان الجنوية يسايرون موكبها ، وهم يفكرون كيف سيستولون على القلعة ، ومن الذي سيتولى حراستها ، لكن ما أن وصلت الملكة

---

[١] - مكارياس: : تاريخ قبرص خلال الحروب الصليبية ، الفقرة ٤٥٩

[٢] - مكارياس: المصدر نفسه ، الفقرة ٤٥٩-٤٦١

إلى الهضبة القريبة من القلعة ، حتى أشارت إلى بوتسوريلو، فألبسها مهمازيها عندها ضغطت الملكة على بغلتها الزكية ، فانطلقت بها وبسرعة كبيرة، وحاول البلغاريون اللحاق بها فلم يستطيعوا ، وعلى الفور وصلت الملكة إلى كيرينيا وسط جيش الكنداسطبل ، حيث استقبلت خير استقبال ، وسكنت في القلعة غير القلعة العليا التي كان يسكنها الكنداسطبل ، وما أن وصل الجنوية إلى الهضبة حتى انقض عليهم البلغار في جيش الكنداسطبل وضربوهم ضربة ساحقة ، فهربوا مهزومين إلى نيقوسيا[1] ونزل الكنداسطبل لاستقبال الملكة ، وسألها بأن تذهب إلى القلعة العليا وتسليمها المفاتيح (هذا إشارة على عدم استئثاره بالقلعة لنفسه وحفاظه على إخلاصه لمولاه الملك) ، لكنها فضلت البقاء مع خدمها في القلعة الأخرى ، وقالت له: إنني تحت وصايتك ،فلم تقوم بعرض المفاتيح علي؟ احتفظ بهم و احرس القلعة من أجل ابن أخيك"[2] و قامت الملكة الأم بشراء ما تحتاجه القلعة من طعام ومؤن تكفيها بفضل الأموال التي جلبتها معها ، و إزاء ما جرى من الأحداث في جزيرة قبرس ، ما هو موقف الجزيرة المجاورة لها (جزيرة رودس) مما حصل ، هل امتعضت لما حصل للقبارسة ؟ أم أنها حاولت الاصلاح و التدخل في الصلح بين الطرفين المتصارعين ؟ وهل نجحت في محاولتها؟

قلق الروادسة حقيقة مما كان يجري على أرض قبرس من الفوضى والمماطلة من قبل الجنوية (" لاسيما و أنهم استولوا على مدينة فيماغوستا الجميلة و الغنية، (و أنزلوها إلى حالة الأسر والعبودية) وكذلك على بلدة ليفكوسيا الكبيرة (واعتقلوا الملك و الفرسان) وتمكنوا بأعمال التعذيب ، وكثير من أنواع التشويه ، ومئات آلاف الخدع ، بالذهاب بحياة الفرسان ، و جميع بقية الناس ")[3]، فلم يصبروا لانتظار المزيد ، وجهزوا غليوناً كبيراً للذهاب إلى قبرس حتى وصل إلى فاماجوستا في شهر كانون الثاني ، محاولاً التدخل من أجل الصلح، لكنهم فوجئوا بما

---

[1] - مكارياس: تاريخ قبرص خلال الحروب الصليبية ، الفقرة ٤٦٠

[2] - مكارياس: المصدرنفسه ، الفقرة ٤٦٢

[3] - مكارياس: المصدر نفسه ، الفقرة ٤٧٣

فعله الجنوية من نهب و افقار و اضطراب كبير للمملكة ، وعلى الرغم من محاولتهم وجهودهم إلا أنهم أخفقوا في ذلك ،الأمر الذي أزعج مقدمهم كثيراً ، ولشدة غضبه وقع مريضاً حتى توفي في شهر شباط سنة ٧٧٦هـ/١٣٧٤م في نيقوسيا، أما السفينة فعـــادت أدراجهـــا إلـــى رودس وبدأت شرارة الحرب بين جنوة ضد كيرينيا لم تفلح الجهود و محاولات جنـــوة إقنـــاع الملـــك وخداعها ، لذلك توجهوا إلى الملك الضعيف بطرس الثاني و قاموا بتحريضـــه علـــى أعمامـــه قائلين له :" اقتسم عماك قبرص فيما بينهما ، فقد استولى الأول بينهما على مدينة أوقلعة القديس هيلاريون (إيلاريون كما وردت عند سبيريذاكس)[1] (قلعة غربـــي كيرينيـــا علـــى الطريـــق السريع الرئيسي إلى نيقوسيا)[2]، و استولى الآخر على قلعة كيرينيا[3] ، فما الذي بقي لـــك؟ و هو قال لهم : " وماذا يمكنني أن أفعل ، فأنا يتيم، مسكين ، موضوع مثل سجين بين أيـــديكم ؟ مالذي يمكنني فعله "؟ فقالوا له:" تعال و اقدم معنا ، فنحن سوف نذهب لمهاجمة كيرينيا "فقـــال لهم :" أنا قيد أوامركم " فقالوا له :"نحن سوف نهاجمها ، و لسوف ننتقم مـــن الكنداســـطبل ، و سنسلمها إليك" [4] فهل كانوا صادقين بزعمهم وهم الذين اتصفوا بالكذب و المكـــر و الـــدهاء؟ جهزت جنوة حملة مؤلفة من ألفي رجل تحت السلاح بقيادة الأدميـــرال الجنـــوي بطـــرس دي كامبو فريغوسو **petter de campo frigoso** وبصحبتهم الملك ، وتحركوا حتـــى وصـــلوا ديكومو **DIKOMO** على بعد حوالي سبعة أميال شمالي نيقوسيا، لكن لم يسـتطيعوا التقـــدم

---

[1] - سبيريذاكس :موجز تاريخ قبرص،ص ١٠٦

[2] - ذكر أحمد عتمان في كتابه تاريخ قبرص أنه و في سبيل مواجهة الخطر العربي على قبرص شرعت السلطات البيزنطية في بناء سلسلة من القلاع و الحصون بالمناطق الحساسة مثل بافوس (حصن سارندا كولونيس أو الأربعين عموداً و حصن البنتاداكتيلوس(الخمس أصابع)و قلعة سانت هيلاريون و كيرينتيوسا و كيرينيا ،،الخ٠٠٠٠٠٠هذا و قيل أن تسمية القلعة بالقديس هيلاريون نسبة إلى شاب فلسطيني من جنوب غزة مؤسس الحياة النسكية في فلسطين و قد هاجر منها بسبب الاضطهاد و التعذيب الذي لاقاه إلى الجزيرة وتقع القلعة على سلسلة جبال كيرينيا تتألف القلعة من ثلاثة أقسام و اسطبلات و أماكن للمعيشة وكانت القلعة بمثابة برج للمراقبة وبهدف صد الغزوات الآتية من الخارج، كما استخدمت قلعة القديس إيلاريون كما وردت عند سبيريذاكس كمصيف للملوك ،فقد اتصفت القلعة بمتاهاتها الكثيرة وقيل إن الملكة كان لها لوحدها مائة غرفة في هذه القلعة لذلك كانت تسمى منزل الملكة ذو المائة غرفة وكان مشهد الساحل من غرفات الملكة في قلعة هيلاريون رائع الجمال ، انظر:

عتمان: تاريخ قبرص ، ص ١٣٠/ سبيرايذاكس: المرجع نفسه قبرص،ص ١٠٤

[3] - كان تحصين القلاع وتقويتها لاسيما قلعة كيرينيا ضرورة كبيرة من أجل تأمين الانتقال إلى أوروبا دون التعرض للأخطار و لصد الهجمات من الخارج كما حدث في العصور البيزنطية ،وكانت القلعة تستخدم كقصر حصين للأسرة الملكية بالإضافة إلى القلاع الأخرى الهامة على السلسلةالشمالية لجزيرة قبرس منها قلعة القديس هيلاريون - قلعة فوفافينتون وكانتارا هذا وقد وجد في قلعة كيرينيا و قلعة القديس هيلاريون أقدم الكنائس البيزنطية انظر: سبيريذاكس: المرجع نفسه ،ص١٠٦

[4] - مكارياس: تاريخ قبرص خلال الحروب الصليبية ، الفقرة ٤٦٥

أكثر لأن المنطقة وعرة وصعبة و مليئة بالمنحدرات والشعاب الخطرة، لذلك أقاموا معسكرهم في مأمن ثم أرسلوا مجموعة استطلاعية من رجالهم لمراقبة الطريق وتسهيل مرورهم، لكن المنحدر كان ضيقاً و الكثير من الحراس من على الجانبين، وعلى الرغم من الجهود المبذولة التي قام بها الأدميرال و المحاولات المتتالية ، لم يتمكنوا من عبور المنحدر ، بل تعرضوا للخطر فجرح بعضهم ، والبعض الآخر وقع بالأسر في كيرينيا، بل وقتل الكثير منهم ، دل على ذلك قولهم للأدميرال " يبدو لنا بأنك جلبتنا إلى هنا لنموت ، ونحن نرى أنفسنا في كل يوم نخرج فيه ، يجري تمزيقنا إلى قطع، ولذلك دعنا ندير ظهورنا ، ونعود إلى الوطن "[١] بقي الجنويون حوالي ثمانية أيام في ديكومو لم يستطيعوا صبراً عادوا وجروا ورائهم ذيول الخيبة و الإخفاق وهم عائدين إلى نيقوسيا، وبينما هم في الطريق رآهم كاهن إغريقي موال للملك ، فسألهم عن مشكلتهم ، لكن الجنويون استطاعوا خداع ذلك الكاهن وأقنعاه بأنهم سوف يساعدون الملك المسكين الذي معهم على استرداد قلاعه من أعمامه المتآمرين، صدقهم الكاهن و حاول مساعدتهم من أجل الملك ، فدلهم على ممر سري يقطع على الأقدام ، فوجدوا الحراسة هناك ضعيفة مهملة و أن الحراس قد جلسوا يستريحون على الأرض ، فطوقهم الجنوية من كل الجوانب ، حتى أنه لم يصل إلى مدينة القديس هيلاريون أقل من مئة رجل[٢] أما بقية البلغار كانوا قد قتلوا في ذلك المنحدر المشؤوم ، وأمام هذا النصر الذي حققه الجنوية اقتيد الملك المسكين مذلولاً وكأنه حيواناً مقاد للذبح ، حيث نصبوا خيمهم على مقربة من قلعة كيرينيا، حيث كانت ترعى الأغنام التي امتلكها أهالي كيرينيا، وكانت الجنوية في كل يوم يذبحون من المواشي و يأكلونها حتى أكلوها جميعها أثناء حصارهم للقلعة ، وحرموا الأهالي منها بقصد التجويع، ولما اقتربوا من القلعة طلبوا تسليمها إلى الملك كما أنهم شتموا الملكة وأهانوها بسبب التجائها إلى القلعة ، لكن رجال القلعة لم يقفوا مكتوفي الأيدي دون عمل ، إذ أنهم أغلقوا الأبواب ورفعوا الجسور، ورموا على الجنوية النار والحجارة و غيرها من الأسلحة لإبعاد الجنوية عن قلعتهم ، الأمر الذي دفعهم إلى التراجع مؤقتاً ونقل معسكرهم بعيداً عن رمايات

---

[١] - مكارياس: تاريخ قبرص خلال الحروب الصليبية ، الفقرة رقم ٤٦٦-٤٦٧

[٢] - مكارياس: المصدر نفسه ، الفقرة رقم٤٦٨-٤٦٩

القلعة ، وقاموا بصنع الكثيرمن السلالم من أجل تسلق جدران القلعة و اختراقها، حيث طلب الأدميرال الجنوي بأخذ قسم كبير من هذه السلالم إلى كيرينيا ، لكن رجال القلعة قاموا بهجوم عليهم وقتلوا الكثيرين منهم وأخذوا السلالم إلى القديس هيلاريون ، عرف الجنوية بما حصل و أصروا على أخذ كيرينيا ، فقطعوا الأشجار الضخمة ورموها في خندق كيرينيا ، ثم أنهم نصبوا السلالم على الأسوار ظانيين أنهم بذلك سوف يحققون النصر من الهجوم الأول وخلال ساعات قليلة خصوصاً وأنه لم يظهر أحد من رجال القلعة في البداية ، فهل كان ذلك مرده الخوف منهم ؟ أم أن خطة محكمة وضعها الكنداسطبل لإيقاع الجنوية بالفخ ؟ في الحقيقة أمر الكنداسطبل الجنود بوجوب ألا يظهروا وجوهم وأنفسهم إلا في الوقت المناسب، وعندما لم ير الجنوية أحداً تخلوا عن خوفهم وحذرهم ظناً منهم أنهم سيحققون الانتصار سريعاً ، عندها وجه هؤلاء الجنوييون نداءاً باسم الملك لتسليمهم القلعة أوالقتال:"(أيها السادة ، أيها الناس من صغير و كبير، أنتم الذين برفقة صاحب الجلالة الملك ، عليكم ألا تطلقوا أية رماية على كيرينيا ، فهذا ما يتوجب أن تعاهدوا أنفسكم عليه ، لأن من المحتمل أن يختاروا الاستسلام إلى مولاهم الملك وعلاوة على ذلك أنتم أيها السادة الذين في القلعة ، إنكم إذا ما رغبتم مع نعمة طيبة أن تعيدوا القلعة إلى صاحبها ، سوف تعيشون أبداً بسلام ، ولسوف يستقبلكم الملك ببهجة كبيرة ، وسيعطي كل واحد منكم جائزة كما هو مناسب ، وعاهدوا أنفسكم ألا تقذفوا أية رماية حربية على معسكر صاحب الجلالة الملك ، وإذا ما اختار أي واحد أن يقذف سوف نعده خائناً ، وإذا لم تسلموا القلعة إلى صاحبها بنية صالحة ، سوف ندخل إليها بعنف ، ولسوف نمزقكم كخونة للملك" [١] ردّ الناس الذين بالقلعة على المنادي قائلين:بأنهم لن يسلموا القلعة إلا للملك وحده ، وسوف لن يسمحوا للجنوية الخونة و الخداعين بالدخول فلن ينسوا ما فعله هؤلاء المجرمين بحق قبرص وصرخوا جميعهم مع بعضهم بصوت واحد ثلاث مرات "يحيا الملك بطرس" ومضى الجنوية إلى معسكرهم وعملوا ترسة كبيرة من ألواح الخشب و صنعوا سلالم لتسلق الأسوار وعادوا للهجوم من جديد معلنين أنه من ينصب الراية على القلعة سوف ينال جائزة

---

[١] - مكارياس: تاريخ قبرص خلال الحروب الصليبية ، الفقرة٤٧٢

قدرها ألف بيزنط ، وعلى الفور لما سمع من في القلعة بذلك غضبوا غضباً شديداً ، فنصبوا راياتهم من أجل الملك مرة أولى و ثانية وثالثة ورابعة وسددوا رماياتهم نحو الجنوية واستمر القتال بين الطرفين قائماً لمدة ساعتين ونصف الساعة، وقد قتل حوالي أربعمائة رجل جنوي ، الأمر الذي جعلهم يفقدون شجاعتهم و يتراجعون إلى معسكرهم للإستراحة، هذا وقد أورد وتحدث المؤلف مخارياس عن فنون القتال والبراعات والمغامرات التي تميز بها رجال القلعة ضد الجنوية، حيث عملوا الكثير من الحيل والخطط و طرق القتال حتى أنه تطرق إلى أنواع الأسلحة التي استخدمت في القتال فمثلاً استعملت الجنوية منجنيق يستخدم لقذف حجارة ضخمة كانت تزن حوالي أربعة قناطير قبرصية (أي مائة كغ) يرمونها على أسوار القلعة [1] واستمر القتال ومن أجل الضغط على الجنوية و مضايقتهم تلقى السير جون بيروت أوامر من الكنداسطبل وأخيه الأمير بأن يأخذ البلغار ويقوموا بحراسة مشددة بخارج نيقوسيا كي لا يحصل الجنوية على أية امدادات، فلما سمع الجنوية الرسالة التي وصلت إليهم من إخوانهم في كيرينيا بأن عليهم إرسال الطعام إليهم من فاماجوستا وإلا سوف يتخلون عن مواقعهم القتالية، أرسلوا إليهم خمسين جملاً كانوا محملين بالأطعمة وبالتجهيزات ، غيرأن البلغار كانوا لهم بالمرصاد عند المنحدر ، هاجموهم وقتلوا الكثيرين، كما أنهم استولوا على حمولة الجمال وأرسلوها إلى قلعة القديس هيلاريون ، بالمقابل وكما جرت عادة الجنوية ردوا على الهجوم عليهم بهجوم مماثل على كيرينيا لكن النصر كان من نصيب القبارسة الشجعان، الأمر الذي أجبر الجنوية على التراجع وعلى ارسال الملك إلى فاماجوستا برفقة الأدميرال الجنوي[2] ، ومع يأس الجنوية من تحقيق النصر على القلعة طلبوا التفاهم مع الكنداسطبل ، فراسلوه من أجل التوصل إلى تفاهم و الانصراف إلى أشغالهم ، سرّ الكنداسطبل بما سمعه لأنه في حقيقة الأمر كان بحاجة إلى ذلك الأمر بسبب الضائقة الشديدة وقلة الطعام والمؤن لديهم في القلعة أثناء حصارهم ، لذلك طالب بإرسال عشرة جنوية يحتفظ بهم في كيرينيا ، بالمقابل كلف

---

[1] - مكارياس: تاريخ قبرص خلال الحروب الصليبية ، الفقرة رقم ٤٧٦-٤٧٧-٤٧٨-٤٨٠

[2] - ذكر مخارياس أعداد الرجال و الذين لاقوا حتفهم و الغلايين المهزومة على أيدي القبارسة من أجل المقارنة وليس من أجل التفاخر، بأن مجموع عدد الغلايين التي قدمت من جنوة تسعة وأربعين و سفينة تجارية واحدة وكان الذي عاد منها إلى جنوة اثني عشر غليونا فقط وهذا لدليل على التفوق والمقاومة القبرسية الصلبة للاحتلال انظر: مكارياس : تاريخ قبرص خلال الحروب الصليبية: ، الفقرة رقم ٤٨٤

الكنداسطبل فارساً فرنسياً للتحدث إلى الملك و الأدميرال ، وحمله أيضاً برسائل شفهية ، لكنـــه ما أن وصل إلى نيقوسيا لم يجد لا الملك ولا الأدميرال بل وجد القائد [illegible] فـــي نيقوسيا ، وعين عليه في مكان إقامته حرساً ومنع من التحدث إلى أي شخص خوفـــاً مـــن أن تصبح مهمته معروفة، وربما هو الخوف من شئ آخر ، كما تم تعيين رجل لرفقـــة مبعـــوث الكنداسطبل إلى فاماجوستا ، لم يستطع الرسول التحدث مع ملكه على انفـــراد لأن الجنويـــون أحاطوا به إحاطة كاملة ، وبعد أن قدم تحياته إلى ملكه أبلغ الملك بتحيات الكنداســـطبل وبـــدأ بإعطاء رسالته بعد أخذه الأمان من الأدميرال الجنوي(بطرس كامبو فريغوســـو) طالبـــاً منـــه الرحيل ومغادرة بلادهم وما اقترفوه من أفعال وجرائم مشينة بحق الملك والناس والبلاد قائلاً : (" مولاي الأدميرال ، يرسل مولاي الكنداسطبل التحيات إليكم ، وهو يتساءل متعجبـــاً كثيـــراً ، بأنكم رجال ذوي شجاعة وحكمة ، وشرف ، قد جئتم من الغرب إلى جزيرة مسكينة ، وإلـــى مملكة يتيمة ، لأن هذه الجزيرة مبنية فوق صخرة في وسط البحر ، وهي مطوقـــة مـــن قبـــل الكفار : الأتراك ، والمسلمين ، وأنت عاقبتنا ، وصنعت كثيراً من الأذى إلى السكان الذين هـــم رعايا المملكة ، تحت حماية الملك ، وفوق هذا كله إنك تريد أن تعتقل الملك وتبقيه فـــي حالـــة فقر ، وأن تجرده من مملكته بشكل غير عادل ، وفي هذه القضية عليك أن تخاف الـــرب ، وأن تعلم بأن الموت سوف ينزل بنا نحن وأنت ، وإنه يكفيك أنه قد دفعت إليـــك جميـــع مطالبـــك ، فالبنسبة للمطلب الأول إنك قتلت ثلاثة أو أربعة فرسان ، ولندع هذا يكون مقابل الجنوية الـــذين قتلوا أثناء التتويج ، وهناك أيضاً الذين قتلتهم في القتال وثانياً إنك قمـــت بنهـــب فيماغوســـتا المدينة الجميلة ، وليفكوسيا المدينة النبيلة ، وأنك بمكر وبراعة فرضت قرضاً وأخذت كل شئ امتلكه الناس ، جميعاً من كل الفقراء و الأغنياء ، وبهذه الطريقة أنت دفعت نفقاتـــك، وأخـــذت مقابل مانهب من قبل شعبك ، ولذلك نحن نعتقد إن عليك أن تحمل نفسك وتخرج من الـــبلاد ، وأن تذهب بعيداً بلا عودة ، وأنا أشير عليك بالرحيل وعدم العودة ، وأن تترك الملك يرتـــاح و يعيش بسلام بعد المساوئ التي ألحقتها به ، وإنك إن لم تصغ إلى نصيحتي، إنك ســـوف تـــدفع مقابل ذلك ثمناً عالياً وإذا كانت رغبتك أن تجرد الملك من ميراثه فإن رب السموات ســـوف لن يتحمل ذلك ، وإن الذي فعلته هو كاف ، اذهب الآن إلى بلادك، وإذا ما فعلت هذا ، الـــرب

سوف يكون ممنوناً نحوك ، وأنت سوف تكون أيضاً مرضياً لجلالته الربانيـة ، وكـذلك إلـى الناس")[1] ردّ الأدميرال على كلام المبعوث الفرنسي بعدما انتهى الأخير من قراءة رسالته رداً لطيفاً وبإعصاب باردة قائلاً:("السيد الفارس سمعت أنا و السادة الذين هم معي الرسـالة التـي جلبتها وألقينها أمام الملك وأمامي وأمام القادة الذين هم معي ، وعلى هذه الرسالة أنـا أجيـب: أولاً إنه بالنسبة للرجال الذين قتلوا ، أنتم تقولون إن فيهم سداد لدماء جنويتنا ، والأمـر لـيس كذلك ، لأنهم سلبونا أكثر مما أعطوه لنا ، وبناء عليه نحن عانينا من خسائر كبيرة ، وعنـدما تقول بأننا استولينا على البلاد ، وجردنا الملك من ميراثه ونهبنا بلاده ، إن هذا عمل بوسـاطة نعمة الرب، الذي يريكم بكل وضوح أنه غاضب عليكم ، أنتم الذين ذبحتم مولاكم وهو متمـدد في فراشه، وهو الذي كان ممسوحاً عليكم، والذي كنتم مرتبطون به بأيمانكم، وأنتم قتلتموه وهو في بهاء جسده، وفي سعادة سني شبابه ، ولذلك ينبغي أن تعلموا جميعاً أنكم محرومون كنسياً ، وأنكم مطرودون من كنيسة الرب، وملعونون من قبل الرب، وعندما تقولون بأننا أخذنا كثيـراً من الناس ، وأنه ينبغي أن نعد أنفسنا وقد سدد إلينا بشكل جيد ، ولكن اعلـم أن جميـع هـذه الأشياء التي تحدثت عنها ، أخذت من قبل الرجال تحت السلاح ، وليس من قبلنا ، وأنـتم لـم تسددوهم لنا عن طريق الدفع، فقد أخذهم الناس كأسلاب واقتسموهم فيما بينهم أنفسهم ، وعندما تقول بأننا نرغب في تجريد الملك من مملكته ، لاجعل الرب إرادته هذه أبداً ، بل بـالحري إن جهودنا وقدومنا إلى هنا هو لنجعله متملكاً لمملكته، ولننتقم له من أعدائه، وانتهاء القضية سوف يظهر نوايانا ، وبناء عليه أخبر الكنداسطبل ، إنك إذا رغبت لنا في أن نذهب من هنا عليـه أن يرسل إلينا مليون دوقية، وهذا ما سوف نطالب به وسوف نحصل عليه ، وإذا لم يكن يمتلك هذا المبلغ في الوقت الحالي ، دعه هو ومجلسه الاستشاري يكتبون وثيقة موقعة من قبـل الملـك ، وأن يرسل إلينا تعهدات، ونحن سوف نغادر ، وليس على شرط آخر ، سوف لن نذهب إلى أن نموت، وهذه هي نهاية العمل")[2] ، وعلى الرغم من محاولات الفارس التحدث على انفراد مع الملك واقناعه بإصدار أمر إلى الجنوية إلى الخروج أثناء الحديث معه إلا أنهم لم يسـمحوا لـه

[1] - مكارياس: تاريخ قبرص خلال الحروب الصليبية ، الفقرة رقم ٤٨٩

[2] - مكارياس: تاريخ قبرص خلال الحروب الصليبية ، الفقرة٤٩٠

بذلك، وهذا ما أكد عليه تطويق الجنوية للملك وكأنه محفوظ في سجن وما من أحد يستطيع أن يتحدث معه على انفراد بالمقابل أراد الأدميرال اقناع الملك بعدم الوثوق بهذا الفارس وبكلامه لأنهم لايريدونه معرفة حقيقتهم الزائفة لكن الفارس الفرنسي لم يبق صامتاً ورد على الأدميرال بالكثير من الجرأة ، ونعتهم بالخيانة و المراوغة و الكذب وأنهم يريدون استعباد الجزيرة أبد الدهر، وبعدها أعطى المستشار الجنوي رسالة جوابية وتهديد إلى الكنداسطبل كي يسلمها الفارس ويغادر إلى كيرينيا طالبين من الكنداسطبل تسليم القلعة للملك ولاصدقائه عندما يذهبون إليها وإلا سوف يهاجمونها بقوة كبيرة ، توجه الرسول إلى كيرينيا ، فوصلها في يوم الأربعاء الثاني من شهرآذار عام٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م، لكن لم تلبث أن وصلت الغلايين الجنوية إلى كيرينيا ترافقها قوة برية للهجوم عليها وبدأ الهجوم ، و جاء السير توما تاغا **TOMAS TAGA** الجنوي بجيشه من نيقوسيا نحو أسوار كيرينيا ونصبوا السلالم على أسوارها ، لكنه أصيب برمية في جبهته أثناء تسلقه السلالم ، كما تلقى ضربة أخرى في الصدر من يد الكنداسطبل نفسه ، و جرح الكثيرون من الجنوية ، ولقي الكثير حتفهم أثناء المعركة [١] ومني الجنويون بخسائر جسيمة وخزي، ولما يئسوا من هذه الحرب وعدم قدرتهم على الاستمرار ، أرسلوا من معسكرهم خبراً إلى كيرينيا بحجة أنهم يريدون قتالهم بشكل مباشر يداً بيد، لذلك أرسل الكنداسطبل فارساً شاباً اسمه بولص ماكياراس مع فرسه ومجموعة من الرجال الأكفاء إلى الخارج للقتال مع الجنوية ونصب الجنوية الرمح في الميدان من أجل القتال لكنهم في حقيقة الأمر لم يكونوا يرغبون القتال بسبب تلك الخسائر، وكذلك القبارسة لأنهم كانوا يواجهون مصاعب كبيرة بالنسبة للأطعمة ونقص في المؤن إذاً كان وقف القتال وتبادل الرسل بينهما في مصلحة الطرفين، لذلك عملت الجنوية إلى ارسال خبراً للكنداسطبل ليتم تبادل الرسل فيما بينهم بعد اعطائهم جواز الأمان إذ أرسلت جنوة رجالها إلى كيرينيا ومنهم السيردانييل دي كاتانيو **DANIEL CATTANEO** والسير جيمس دي سينت مايكل **JAMES DE ST. MICHEL**، وغيرهم ، بالمقابل أرسل الكنداسطبل رجاله إليهم، ومنهم السير نيقولا دي

---

[١] - ذكر مكارياس كثيرا من التفاصيل حول الهجوم على كيرينيا و الالآت الحربية التي استخدمها كلا الطرفين لا سيما آلات الرمي التي صنعها الكنداسطبل مثل البغلنغ والخدع الحربية انظر مكارياس: المصدر نفسه ، الفقرة رقم ٤٩٤-٤٩٥-٤٩٦-٤٩٧-٤٩٨

ابلين ، و السير جون دي بليسي JOHNDE PLESSIE و السير آرنولد دي ميمار ARNOLD DE MIMARS و آخرين حيث استقبلوا بترحاب كبير، وتم اكرامهم وتقديم

كميات كبيرة من الطعام كي يثبتوا للجنوية بأنهم لا يحتاجون شيئاً ، المهم كان فحوى الرسالة التي وجهها الجنوية إلى الكنداسطبل هو طلب الجنوية تسليم قلعة كيرينيا لهم ، فما كان من الكنداسطبل إلا ورد عليهم بالمثل متعجباً من طلبهم ، فكيف له تسليمها لهم وصاحبها موجود وهو الملك؟ ثم تابع الكنداسطبل جوابه قائلاً : (" لكنني أرى أنكم خدعتم الملك ، وأنتم محتفظون به في السجن ، ومثل ذلك أيضاً جميع الفرسان الآخرين ، وهؤلاء أو لم يضعوا ثقتكم بكم ؟(وأنتم قتلتم أيضاً أربعة فرسان) و أنتم تشيرون علي بأن أنصح الملك بأن يدفع لكم ، فمن الذي جعلني حاكماً و قاضياً على مولاي الملك ؟ وعلاوة على ذلك أنا أعلم بأن فيماغوستا وليفكوسيا هما في أيديكم ، ولا يمتلك الملك أي جزء منهما على الاطلاق ، وبناء على هذا كيف يمكنني أن أخبره بأن يدفع لكم")[1] واستمرت المحاولات من أجل هذه القضية و لم يتوقف الجنويون عن محاولة الحصول على كيرينيا لكنهم لم يحققوا نتائج مرجوة لذلك عادوا أدراجهم من حيث أتوا وعادوا مجدداً لتشديد الضغط على نيقوسيا وعلى الملك نفسه، فقد طلب الأدميرال الجنوي منه أن يرسل في طلب أمه الملكة والفرسان كي يتوصلوا إلى نتيجة ويحصلوا على الأموال ، ثم يرحلون إلى بلادهم ، في هذه الأثناء جرت محاولة من البلغار ورسموا خطة للاستيلاء على على البلدة لاسيما بعد سماعهم بأن معظم الجنوية في فاماجوستا وما بقي في نيقوسيا قلة قليلة ، وكان من بينهم أخوين شجاعين من الجنوية لكنهما كانا مأجورين الأول ويدعى كونت أوربينو URBINO والآخر أخوه فرانسيسكو، تمت مراسلة الملكة كي ترسل لهذين الأخوين من أجل استدراجهما إلى خدمتها وفصلهما عن الجنوية، وبالفعل أرسلت الملكة سكرتيرها الشاب ديمتريوس دانيال ليحمل رسالتها إلى متلقي اعترافاتها في نيقوسيا لكي يقنع الأخوين بالانضمام إليها بخطة هي أن يذهب إلى رجلاً كان عرابه (أبوه بالمعمودية) وكان للرجل عبداً راعياً ،اعتاد ذلك العبد على أخذ الحليب كل يوم إلى نيقوسيا وبيعه هناك ، فطلب

---

[1] - مكارياس: تاريخ قبرص خلال الحروب الصليبية ، الفقرة رقم ٥٠٠-٥٠١

الشاب من أبيه بالمعمودية أن يرتدي ملابس الراعي ويذهب إلى نيقوسيا لرؤية قومه ،خوفاً من التعرف عليه ويكتشفوه ، وفعلاً ملأ الجرة بالحليب وارتدى لباس الراعي متوجها إلى دير يدعى ديررهبان القديس أوغسطين ، وسلم الرسالة التي كان يحملها إلى متلقي اعترافات الملكة وبعدما قرأها نفذ ما بداخلها شريطة أن يغادرا البلدة بشكل سري و التكفل بحمايتهم وبالفعل تمكن الأخوين من مغادرة البلدة حتى وصلا إلى كيرينيا مع المعلم ديمتريوس، فلما رأتهما الملكة سّرت كثيراً وكافأت ديمتريوس، وطلبت من الشابين أن يقودا جيشاً لمهاجمة نيقوسيا [1]، لكن هذه العملية تحتاج إلى خيول وبدونها لن يستطيعوا القيام بمهتهم هذا ما طلبه الكونت من الملك للقيام بالعملية ؟ فهل استطاعت الملكة تأمين الخيول اللازمة لهم ؟ ومن أين ستجلب تلك الخيول إن كانت لا تستطيع تأمينها في كيرينيا؟ في الحقيقة لما عرفت الملكة الأم بأن الملك بطرس في نيقوسيا ، وأن الكونت قد طلب منها خيولاً حملت ديمتريوس الشجاع رسالة منها وللمرة الثانية استطاع أن يتنكرو يذهب إلى نيقوسيا لجلب الخيول المطلوبة ، فتنكر الشاب بزي راعي وجلب معه جرة الحليب وعندما سأله الجنوية عن مقصده أجابهم بأنه ذاهب لبيع الحليب فوصل الشاب إلى الدير المقصود وهناك قابل متلقي اعترافات من أجل تأمين الخيول المطلوبة الأمر الذي جعل الملك يستدعي سراً المسؤول على حفظ خيول الملك ويدعى بريميرا **PREMERA** قائلاً له :"عندما ستأخذ الخيول في الصباح للسقاية ، ولغسلهم ، سوف يأتي راعي إليك ، ويطلب منك خيولاً عليك أن تعطيه المقدار الذي يطلبه"[2] وجاء الرجل صباح اليوم التالي وأراه العلامة لبريميرا ، وأخذ ثلاثة عشر رأساً من أصل اثنين وستين ، أخذهم إلى كيرينيا في حين عاد ديمتريوس سراً إلى متلقي الاعترافات ، لكن الخيول لما عادت من الخارج عدها الجنوي فوجد أنها نقصت فقام وأخبر الأدميرال ، ولما سأله الأدميرال عن الخيول أخبره بأن فلاحاً ومعه رجال وأمروه باسم الأدميرال أن يسلم الخيول ففعل ، ولما سمع الأدميرال كلامه أمر بشنقه على الفور في حين تمكن ديمتريوس من الهروب عن طريق فتحة في السور كانت تتدفق من خلالها المياه الصادرة عن ينابيع خارج البلدة ، فأدخل نفسه في

---

[1] مكارياس: تاريخ قبرص خلال الحروب الصليبية ، الفقرة رقم ٥٠٨

[2] - مكارياس:المصدر نفسه ، الفقرة رقم ٥٠٨

الفوهة وعبر بجسده خلال الطين إلى أن وصل إلى اليابسة ونجا ماضياً إلـى كيرينيا ، أما الجنوية فقاموا في البحث ملياً عنه لكنهم لم يجدوه ووجدوا علامات دلت على مروره من خلال ذلك الأنبوب، الأمر الذي جعلهم يضعون حواجز حديدية على الفتحة حتى لايتمكن أحد من العودة إليها أو الخروج ثانية، فأين الأمير العم الذي تحصن بقلعة هيلاريون من كل تلك الأحداث؟ وهل حاول تقديم المساعدة للملك أم أنه كان ضد الملك والملكة الأم وأخاه الكنداسطبل أيضاً؟ في الحقيقة تحصن الأمير في القديس هيلاريون مع قوة جمعت بين العبيد و البلغاريين ورجال مسلحين من الإغرق والتتار وبرجاسية ، وعلى الرغم أنه كان يغار ويخاف كثيراً من الملكة ومن أخيه الكنداسطبل، شعر بغضب شديد ورغب بإلحاق الأذى والأضرار بهما لذا ضغط على الملكة كي ترسل الكونت أوربينو من أجل الاستيلاء على نيقوسيا، أحس الأخوين بالخطر المرتقب إذا ما قرروا الذهاب إلى المدينة حسب رغبة الملكة وإلحاحها الشديد ورفضوا في بداية الأمر لأنهم لو أرادوا الدخول مجدداً إلى المدينة من خلال الفتحة ، فكيف سيدخلون الخيول من خلالها وهي صغيرة؟ كما أنهما أحسا بالغدر في قدومهما وأنهما جلبوا ليموتوا ، لكنهم في النهاية لاسيما فرانسيسكو (أخو الكونت) قررا تنفيذ المهمة ، فقد خرج الكونت ومعه عدد كبيرمن الرجال حتى وصلوا إلى الفتحة في سور تراخونا لكنها أغلقت بحواجز كما مر سالفاً ورغبة منهم في عدم إحاث أي ضجة حول الأسوار لم يقوموا بالخرق من خلال الأبواب ركضوا إلى باب السوق واحتلوا الأبراج ، حينها أحس الجنوية بهم وتعالت الأصوات ، عندها قررالكونت الاقتحام من خلال الأبواب ، غير أن الجنوية أحست بقلة أعدادهم وأنهم يمشون دون خيول قاموا بحصارهم واستعدوا للقتال، فكان قتالٌ شديداً إلى حد أن سقط عدد كبير من على البرج وقتلوا ، أما الكونت فوقع بالأسر مع عدد كبير وسحلوا البقية خلف الخيول، ثم أمروا بشنق بمن تبقى بمن فيهم الكونت وأخيه [1] ، ومع كل ما حدث ظل الجنويون يحرضون الملك ويثيرونه على الكنداسطبل بقولهم :" هل من الممكن أن يتجرأ عمك الكنداسطبل على الاحتفاظ بالقلعة من أجلك ، وهو مع ذلك لم يعطك إياها؟ وهو أرسل خبراً إليك مرتين أوثلاث

[1] - مكارياس : تاريخ قبرص خلال الحروب الصليبية ، الفقرة رقم٥٠٩-٥١٠

مرات ، بأنه متمسك بها من أجلك ولصالحك وأنت لم تظهر ولا علامة على الغضب، أو

أرسلت إليه تخبره بتسليمك إياها وإخلائها ، لابل في الحقيقة ، لابد أنه بموجب أوامرك ، هو متمسك بها " هذا الكلام أثار امتعاض الملك وطلب من الجنوية ارسال شخص يحمل رسالة منه إلى الكنداسطبل في كيرينيا ، فاختاروا وعلى الفور سيدان هما السير لانفرانك دوريا **Lanfranc doria** والسير توماس كاتانيو **THOMAS CATTANEO** كانت الرسالة التي وجهها الملك إلى عمه وبناء على أوامر من الجنوية تسليمه القلعة لكي يحكمها وأنه إذا لم يفعل فسوف يأتي الجنويون لقتاله ، كما أمره بالذهاب إلى البندقية ويسحب نقوداً من أجل نفقاته اللازمة على حساب الملك وتعهد إليه بعدم اقتراب الجنوية منه إذا غادر كيرينيا بالإضافة إلى ذلك طلب منه التوجه إلى البابا في روما للاحتجاج عما فعله الجنويون في البلاد وهذا نص الرسالة كما ورد عند مخارياس : ("من بطرس الذي هو بنعمة الروح القدس : ملك القدس ، وقبرص ، إلى عمي المثلث المحبة الكنداسطبل ، وبناء على ماسلف وكتبت إليك مراراً في كثير من الأوقات الأخرى ، لإعادة قلعتي إلي لأحكمها ، وأنت أعطيت سبباً لتمسكك بها بأنك تفعل هذا فقط لتحول دون أخذها من يديك ، ووضعها من ثم في أيدي أعدائي ، ونحن نشكرك ونعترف أنه بين جميع الذين هم الآن في القلعة ، ليس بينهم واحد يريد منفعتنا أكثر مما تريد وتفعل ، والآن بما أننا نرغب كثيراً جداً بالتخلص من هؤلاء الجنوية الذين فرضوا أنفسهم علينا ينهبون ، ويأخذون الناس إلى حياة الأسر ، وبما أننا نحن أنفسنا مضغوط علينا أيضاً بشدة وبسبب أنني أقوم بصنع كثير من الاتفاقات معهم ، حيث أنهم يكونوا في الأوقات راضين ، وفي بعض الأحيان يحنثون بأيمانهم ، ولأنهم وجدوا الآن هذه الحجة ، ويرفضون الذهاب من هنا ، ما لم تعد أنت كيرينيا إلي ، ولهذه الأسباب نحن مرسلون خبراً إليك ، ونحن نناشدك بموجب الحب الذي لديك نحونا أن تتخلى عن القلعة وأن تسلمها إلى لوقا دي أنتيايومي **LUKE DE ANTIOUME** المحبوب كثيراً من قبلنا ، وأن تضعها في أحسن الأحوال حتى يتمكن من حراستها بشكل موائم وأنت سوف تقلع بغليوننا وتأخذ أيضاً معك غليوننا الثقال ، وأن تذهب إلى حيث تريد ، وأن تأخذ معك من شعب كيرينيا (الذين ترى أنهم موائمين) وليكن تنفيذ هذا قبل أن يأتي الجنوية للقتال ضدك ، ومن ثم احتجاز حريتك لأنهم كلهم أعلنوا على شكل

كتلة واحدة ، بأنك محتفظ بالقلعة لنفسك ، وعليك أن تجعلهم يتخلون عن هذا الرأي ، وهم وعدوا بمنحك جواز أمان ، وأنهم سوف يقسمون بأنهم سوف لن يبحروا من الجزيرة حتى مضي خمسة عشر يوماً على مغادرتك إياها وأنا مرسل إليك رسالة ، عليك أن تذهب بها إلى البندقية وأن تسحب عشرة آلاف دوقية(١) أنا أمتلكها هناك من أجل نفقاتك والأدميرال مرسل إليك جواز الأمان موقع بيده ، حتى إذا حدث والتقيت بالأسطول الجنوي ، فسوف ألا يلحقوا الأذى بك ، سواء في الميناء ، أو في القلعة ، أو فوق اليابسة ، ومن أجل الأمان الأعظم أنا مرسل إليك ثمانية قباطنة سفن لكي يذهبوا معك ، وأنت سوف تحتفظ بهم في غليونك كضمان ، وإذا ما صدف وحاول أي واحد من الغلاييين أن يسئ إليك أو يؤذيك ، يمكنك أن تأمر بقطع رأسه ، ونحن مرسلون خبراً إليك من هنا ، ونأمرك بموجب القسم الذي أديته لنا أن تذهب إلى روما إلى البابا الأب الأكثر قداسة ، لكي تحتج باسمنا ولصالحنا ضد الدمار غير العادل الذي أحدثه الجنوية ، وهذا ينبغي أن يعمل حتى وإن لم يعمل أي واحد أي تحريك ، وكان الجنوية على استعداد للذهاب من هنا ، وإنك إذا ما فعلت هذا ، فأنت تفعله كعم محبوب كثيراً لنا وهذا ما تؤكده وتضمنه محبتنا العظيمة لك وهذا ما نرغبه منك ، ونحن على ثقة بأنك سوف تفعله")(٢) هذا ما كان يأمله الملك من الكندسطبل كما وجه الملك رسالات وبراءات عدة إلى شعب كيرينيا حيث أكدعلى أن جميع منح الحرية التي أعطاها عمه والاعفاءات التي منحها إلى مرتكبي الجرائم ومقترفي الآثام واللصوص الخ ، فوافق عليها وكأنه هو الذي وقعها بنفسه، واعتبار كل الزيادات في الرواتب و المنح التي منحها عمه قانونية وحسب الأصول ، كما أرسل الملك رسالة وجهها إلى السير لوقا دي أنتيايومي في الرابع عشر من آذار لعام ٧٧٦هـ/١٣٧٤م، لكي يتسلم القلعة من عمه الكندسطبل جيمس دي لوزينيان من أجل حمايتها وحراستها ، وأوصاه بعدة توصيات قائلاً له : (" ولذلك نحن مرسلون إليك خبراً لتأمر شعبنا

---

(١) - أصدرت البندقية عملة ذهبية في سنة ٦٨٣هـ/١٢٨٤م عرفت باسم الدوكات نسبة إلى الدوق و نسبة الذهب فيها ٩٩,٧% انظر : القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الانشا ،ج٣، ص٤٤١

(٢) - مكارياس: تاريخ قبرص خلال الحروب الصليبية ، الفقرة رقم٥١٢

بالمحافظة على حراسة جيدة نهاراً وليلاً ، طالما الذئب(يقصد الجنوية) مقيم في قبرص ، خشية من أن يجد الرجال نياماً ويستولي على الخراف ، وكن مشغولاً بحراسة جميع القلعة من جميع النقاط ، وقم بالاهتمام بتلبية حاجياتها كلها ، وذلك مثلما كان عمي النبيل قد فعل ، وإذا كان هناك أي شئ محتاجاً أرسل خبراً إلينا ، ونحن سوف نرسل ونجهز القلعة بشكل جيد وعلاوة على ذلك عليك أن تأمر السكرتير ليرسل إلينا حسابات القلعة المذكورة ، حتى أشاهد الذي هوعائد للناس عن جميع شهر شباط ، وأنا سوف أرسل إليك حتى تدفع إليهم "[1] كما كتب بالوقت نفسه رسالة إلى عمه الأمير جون يخبره بما حدث ويحثه على حماية ما بقي لديه من ممتلكات لاسيما قلعة القديس هيلاريون إلى أن يغادر الجنوية البلاد [2] كما كان لأم الملك نصيب من تلك الرسائل التي أرسلها في الرابع عشر من آذار للعام نفسه بين لها فيها الأسباب التي دعت الجنوية إلى طلب الصلح وعقد الاتفاق أهمها هوالصراع الذي دار بين الغولفيين **GUELFS** و الغيبلينيين **GHIBELLINES** حتى الموت كما أن الصراعات الداخلية فيما بينهم لا سيما من الأدميرال الجنوي الذي كان من أصل غير نبيل ومن حزبه جعلهم يشعرون بالغيرة منه بالإضافة إلى غرورهم وكبريائهم، كل ذلك دفعهم إلى نقل معسكرهم من كيرينيا إلى نيقوسيا بعد أن بقوا فيها أربعة أشهرلم يستطيعوا الحصول على ما تمنوه من الربح بل فقدوا خلالها الكثير من الأرواح ، أما السبب الثاني هو نجاة العم الأمير جون من بين أيديهم ، أما السبب الثالث هو خداع الملكة الأم لهم واخفاقهم في الاستيلاء على كيرينيا ، بالإضافة إلى مقتل الكثيرين منهم على يد الكنداسطبل وإلحاق الأذى بهم ، لذلك رأت الجنوية أنه من الأفضل عقد الصلح والتخلص من الكنداسطبل ، وتم نقل معسكرهم في اليوم الخامس عشر من آذار للعام نفسه[3] ووقعت معاهدة السلام في سنة٧٧٦ هـ/ ١٣٧٤م، أطلق بموجبها سراح الملك الصغير على أن يتخلى عن أية سلطات قضائية في فاماجوستا، كما شملت المعاهدة على عدد من البنود تعلقت بالنشاط التجاري للجنوية و مستقبلها في الجزيرة منها: أن يتسلم النظام

---

[1] - مكارياس: تاريخ قبرص خلال الحروب الصليبية ، الفقرة رقم ٥١٥-٥١٦-٥١٧

[2] - مكارياس: المصدر نفسه ، الفقرة رقم ٥١٨

[3] - مكارياس: المصدر نفسه ، الفقرة رقم ٥١٩-٥٢٠

التجاري الجنوي المدعو الماهونا [1] تعويضاً قدره مليونان و اثنى عشر ألفاً و أربع مئة دوكات كتعويض على نفقات الحملة، مع احتفاظ الجنوية بمدينة فاماجوستا، وجر[illegible]اولات لإبعادهم عن فاماجوستا وأرادوا التخلص من الكنداسطبل و الملكة والأمير العم بطريقة ما إلى أن تمكنوا في نهاية الأمر من إخراج الكنداسطبل من القلعة، ونفوه إلى إحدى الجزر [2]. هـذا ما سوف تثبته الأحداث التالية.

والسؤال المطروح هنا ما هـي الطريقـة التـي جعلـت الكنداسـطبل يخـرج مـن القلعـة وماكان موقفه من رسالة الملك له ؟ وهل كان مقتنعاً بمـا أمـره بـه واسـتجاب لمـا طلبـه أم حدث غير ذلك وما هو غير متوقع ؟ وما هو رد فعل العم الأميـر وبقيـة قـادة القـلاع؟ ما أن تسلم الكنداسطبل رسالة الملك رد على الفور برسالة مماثلة بـين خلالهـا أنـه طـوع أمره وعلى استعداد تام لتنفيذ أوامر الملك وتسليمه القلعة متـى شـاء ، بالمقابـل لمـا سـمع كل من العم الأمير والقادة في القلاع في كانتارا وغيرها بالسـلام الـذي عقـد مـع الجنويـة كتب كل واحد منهم رسالة إلى الملك يعلمه بأنـه علـى أهبـة الاسـتعداد لتسـليم القلعتـين لصاحب الجلالة لكن في حقيقة الأمر وعلى الـرغم مـن اسـتعداد الكنداسـطبل لعمـل مـا يرضي الملك ، كان متخوفاً كثيراً من غدر الجنوية لهـم وبـيّن فـي رسـالته التاليـة التـي أرسلها للملك بطرس عدم اطمئنانه للجنوية ولمل سوف يفعلونـه لـذلك طلـب مـن الملـك مايلي : " وأنا أعتقد أنني لا يمكنني النزول إلـى البحـر ، مـالم يـذهبوا مبتعـدين ، ولكـن في سبيل تنفيذ ما يرضيك ، وفي سبيل أن أكون متأكـداً مـن جديـد ، أخبـر الأدميـرال أن يرسل إلى كيرينيا اثنين من الشخصـيات الجنويـة المهمـة ليقسـموا علـى جسـد يسـوع

---

[1] - الماهونا: تنظيم تجاري أسسته جنوة ، أطلقوا عليه ماهونا خيوس ،و أصل الكلمة غير معروف بالدقة و تعني الاتحاد في العربية و قد قام هذا التنظيم التنظيم في تمويل الحملة التي توجهت إلى قبرس تحت قيادة داميان كاتانو ، و كان معظم أفراد هذا التنظيم من عائلة جنوية ثرية هي عائلة جستيناني كما ساهم عدد من النبلاء كل منهم بجزء من رأس المال اللازم لإعداد أسطول قادر على استرداد جزيرة خيوس (أغنى جزر بحر إيجة) و تعهدت الحكومة الجنوية بأن تمنح تنظيم الماهونا الحق في إدارة الجزيرة و جمع الضرائب و احتكار مادة المصطكي التي يستخرج منها الصمغ انظر:

زيتون : العلاقات الاقتصادية ، ص٢٧٧-٢٨٣-٢٧٩

٢ - النويري : الإلمام ، ص٩٢/MAKHIRAS' recital, p309,511

المسيح ، عندما يرفع الكاهن جسد الرب عالياً ودمه بأنهم سوف لن يلحقوا بي أذى ، ولن يمنعوني من الذهاب على طريقي" [١] ولما قرأ الملك الرسالة [illegible] الأدميرال أرسل وعلى الفور مندوبين إلى كيرينيا واحد عن الملك وآخر يمثل الأدميرال هما السير داميان كاتانيو **DAMIAN CATTANEO** و السير جيمس دي سنت مايكل، فاستقبلهما الكنداسطبل بكل ترحاب، ثم توجهوا إلى كنيسة القديس يوجنومون **EUGNOMON** كي يقسموا من أجل الحفاظ واحترام جواز الأمان الذي أرسلوه للكنداسطبل وأن يكون حراً في رحلته ، وبذلك ترك الكنداسطبل القلعة بعد أن أقسم جميع الرجال فيها على حراستها وحمايتها لصالح الملك بطرس ، وبالوقت نفسه غادرت الملكة الأم كيرينيا وذهبت إلى نيقوسيا مع خدمها ، كما توجه الأدميرال الجنوي بطرس دي كامبو فريغوسو إلى فاماجوستا ، ظل الكنداسطبل خائفاً من عدم تقيد الجنويين بسلامهم لذا أرسل إلى الملك والأدميرال مونتوليف لسؤال الملك والأدميرال حول ما إذا كانوا يعدون الاتفاقية شرعية وقانونية، فأكدوا له بأنها شرعية وإن جميع الشروط التي عملها السير داميان كاتانيو مع الكنداسطبل سوف يجري المحافظة عليها والعمل بها إلى الآبد ، وأقسم الأدميرال وقادة السفن بأنهم سوف يعدون الاتفاقية بينهم شرعية ، وفي هذه الحال لم يكن بمقدور الملك سوى القبول والرضوخ للجنوية بسبب خوفه من أن يقتلوه ، فقبل كل شروطهم ، ولكي يتأكدوا من أن الملك سيدفع لهم حيث طلبوا مبلغ وقدره تسعمائة ألف دوقية ، وأخذوا مدينة فاماجوستا رهينة حتى يصلهم كامل المبلغ ، ثم ترك الأدميرال نيقوسيا للملك غادرها وجميع الجنوية متوجهاً إلى فاماجوستا ، لكنهم قبل أن يغادروا أرادوا التأكد من أن الملك سيدفع لهم خلال المدة المحددة على أن يدفع كل عام مئة ألف دوقية أرادوا بذلك استغلال الجزيرة وأن تبقى بقبضتهم وتحت سيطرتهم ، لكن هذه الشروط لم تكن لصالح القبارسة ، وكانت مجحفة بحقهم بقدرما حققت أرباح للجنوية، المهم

---

[١] - مكارياس: تاريخ قبرص خلال الحروب الصليبية ، الفقرة رقم ٥٢٣-٥٢٤

أعطي الكنداسطبل أمراً بمغادرة الجزيرة بناء علـى طلـب الجنويـة ، إذ أرسـل الأدميـرال الغليون الملكي لينقل الكنداسطبل من كيرينيـا ، وبـدا مـن الواضـح أنهم كانوا ينـوون التخلص من الكنداسطبل ومن الأمير لذلك أرادوا الاحتفـاظ بـه كرهينـة حتـى يـدفع لهـم المبلغ كاملاً ؟ فهل ستدع الجنوية الكنداسـطبل يرحـل بأمـان كمـا تعهـدت وأقسـمت ؟ أم كشفت زيفها وخيانتها ونسفت كل ماتم من اتفـاق مـع القبارسـة وأرادت نفـي الكنداسـطبل وكيف كانت رحلة الكنداسطبل وعائلته ؟ في الحقيقـة أعـد الغليـون الـذي سيسـافر بـه الكنداسطبل وعائلته جميعها وخدمه ، لكنه قبل مغادرته لكيرينيـا زودهـا بمـا تحتاجـه مـن مؤن وأطعمة ،[1] كما جعل السير لوقا دي أنتيامي، وجميـع النـاس فيهـا أن يقسـموا علـى تسليمها للملك وليس إلى الجنوية على الاطلاق لأنه كـان يعـرف الجنويـة وخيـانتهم خيـر المعرفة ، وبالفعل ماأن صعد الكنداسطبل على ظهـر الغليـون حتـى أحـاط بـه غليونـان جنويان بحجة أنه من دم ملكي ولن يـدعوه يـذهب دون مرافقـة ، ورافقـوه حتـى وصـل إلى رودس، عندها قام الرهبان باسـتقباله اسـتقبالاً عظيمـاً، وطلبـوا منـه النـزول إلـى القلعة حماية له من أعائه كي لا يعتقلـوه ، فشـكرهم الكنداسـطبل علـى حفـاوتهم ، لكـن الذي حدث أن أصيبت ابنـة الكنداسـطبل بـالمرض فـي الوقـت الـذي قـدم فيـه قائـدا الغليونين وهمـا : أنطـوني ديـل أدورنـو **ANTONY DEL ADORNO** و الآخـر أنطوني سكارزا فيغـو **ANTONE YSCAZAFIGO** وطلبـا منـه متابعـة رحلتـه ، لكنه أجابهما بلطف بأنه لايسـتطيع لأن ابنتـه مريضـة وسـوف ينتظـر حتـى تتحسـن ، لكن هذا الأمر لم يعجـب الجنويـة لـذلك طلبـت مـن القسـطلان روبـرت دي جيـولي **ROBERT DE GUILLY** ارغام الكنداسـطبل علـى الرحيـل مـن رودس، وهـددت جنوة بأنهم إذا لم يفعلوا فسوف يقومون بتحصيل المـدفوعات مـنهم ، خشـي الرهبـان فـي رودس من تهديد جنوة لهـم لـذلك أرسـلوا خبـراً إلـى الكنداسـطبل بمغـادرة الجزيـرة، ولأنهم وكما عرف عـنهم " كـانوا رجـالً مسـيحيين سـيئين ومخلوقـات الشـيطان " [2]

---

[1] -- مكارياس: تاريخ قبرص خلال الحروب الصليبية ، الفقرة رقم٥٣٥

[2] - مكارياس: المصدر نفسه ، الفقرة رقم ٥٣٦-٥٣٧-٥٣٨

فرفضوا إبقائه خوفاً من تعرضهم للخطر ، على الرغم من توسلات الكنداسطبل لهم لكنها لم تجد نفعاً لاسيما بعد معرفة الأدميرال الجنوي بمكوث القاندين و الفرسان الذي أرسلهما برفقة الكنداسطبل برودس بعد مضي ثلاثة عشر يوماً من رسوهم فيها فغضب غضباً شديداً ، وأرسل أمراً إلى جميع الرهبان بالجزيرة لاجبار الكنداسطبل على الرحيل وإلا سوف يعرضون أنفسهم للخطر ، فما كان منهم إلا أن أرسلوا خبراً إلى الكنداسطبل بمغادرة رودس في الحال خوفاً منهم عندها طلب الكنداسطبل مع أحد من الجنوية فأرسل إليه الأدميرال أربعة وبعد التحادث معهما ذهب معهم بعد أن أيقن بأنه لامجال للنجاة من بين أيديهم ، وأخذ الجنوية الكنداسطبل إلى جنوة بعد أن أقسموا له بأنهم لن يلحقوا الأذى به ، فهل كانوا صادقين بأيماناتهم وبما وعدوه به ؟ لقد خرق الجنويون كل العهود و المواثيق التي أعطوها للكنداسطبل فما أن وصلوا إلى جنوة حتى ألقوه في السجن مع الفرسان ، أما زوجته هيلويسي أوف برونزيك HELOISE OF BRUNSWICK تركوها حرة مع خدمها بعدما أستولى الجنوية على جميع أمتعتها ، عاشت مع سيدة أرملة في بيتها ، تخيط القمصان وأعمال أخرى من أجل عيشهما ومن أجل الانفاق على زوجها في السجن ، وخوفاً من هربه عملت الجنوية على ارسال زوجته بعيداً إلى أهلها في لومبارديا ، ثم رأوا بتحريره لكنهم لما سمعوا عن قيامه بمحاولة للهرب أخذوا يسيئون معاملته ويعذبونه أكثر فأكثر قيدوه بقطعة خشبية بوساطة المسامير، وعندما علمت زوجته بأنهم يعاملون زوجها بصورة سيئة عادت مسرعة إلى جنوة ، عندها أخرجوه على الفور من قفصه وحرروه من أغلاله ووضعوه في البرج معها [1] فماذا حل بالأمير في القديس هيلاريون و بالملكة الأم بعد مغادرة الكنداسطبل ؟ هل تخلصت الجنوية منهما وقتلتهما أم كان لدى الملكة إيليا نورا خطة أخرى ؟ بعدما غادر الكنداسطبل قبرس وبعد مرور حوالي خمسة عشر يوماً أعد الجنوية عشرة غلايين حملوها بالفرسان القارسة

[1] - مكارياس: تاريخ قبرص خلال الحروب الصليبية ، الفقرة رقم ٥٣٨

لابعادهم عن قبرص كرهينة حتى يتم كامل المبلغ كما سلف وأول واحد من هؤلاء

الفرسان كان ابن الأمير جيمس دي لوزينيان كونت طرابلس وجون دي لوزينيان أخيه (ابن زنى) وغيرهم الكثيرين [1] أرسلوا جميعهم إلى السجن ، كما حملوا معهم الشباب لتزويجهم من بناتهم ومنهم جون دي نوري **GOHN DE NORES** ليكون زوجاً لابنة السير بطرس دي كامبو فريغوسو (الأدميرال) وغيرهم ، أما الملكة الأم (ايليا نورا) فقد حقدت على الأمير أخو زوجها في هيلاريون الذي كان لديه أعداداً كبيرة من البلغار في القلعة وسعت للتخلص منه ، فأرسلت له رسالة تحذره من البلغار و تحرضه على قتلهم لأنهم كما ادعت يتآمرون على قتله ، فصدق كلامها بسهولة وقتلهم جميعهم ، واعتقد الأمير بأن الملكة نسيت حقدها عليه ولانت نحوه، فقدم إلى نيقوسيا لزيارتها ، لكنها حقيقة حضرت له مكيدة وأوقعته بالفخ بعد أن أثارت ولدها الملك ليقتله، فهي لن تتناسى مقتل والده بطرس الأكبر، وأنه الشخص الملام على قتل الملك ، ودبرت عملية قتله بعدما دعته لتناول الطعام معهما ، وكانت قد خبأت الرجال وأمرتهم بأنها ما أن ترفع منديل الطعام حتى يجهز الرجال عليه ليقتلوه ، ففعلوا ما طلبت وقتلوه) وهكذا تخلصت من الأمير والبلغار معاً وأبعد الكنداسطبل فخلت الساحة لها ولابنها بطرس الثاني، في هذه الأثناء ظهر فارس شاب اسمه ثيبولد **THIBALD** كان ابن السير جون بيلفاريج **GOHN BELFARAGE** قائد الفرسان وكان رجلاً ثرياً ارتاع من وجود الجنوية في البلاد وخشي من تدني الأوضاع، فالكنداسطبل وقع بين أيديهم وأنه من المتوقع جداً عودة الجنوية إلى البلاد ثانية ، لذلك فكر في أمر الذهاب إلى البندقية المنافسة القديمة والعدوة اللدودة لجنوة من أجل الإعداد لحملة لتحرير فاماجوستا من أيديهم ، وأخبر الملك بما ينوي عمله فأيده وقدم له ما يحتاجه ، كما أرسل إلى حكومة البندقية رسالة توصية بالفارس، وبالفعل سافر الفارس إلى البندقية ومضى الوقت ، فوجدت جنوة الفرصة المناسبة

---

[1] - للمزيد عن أسماء الرجال والفرسان الذين أخذهم الجنوية كرهينة انظر:

مكارياس: المصدر نفسه ، الفقرة رقم٥٤٢-٥٤٣

لكي تذهب لطلب الأموال من قبرس ، خصوصاً وأنه لم يبق من الأمراء والفرسان أحد تخشاه وأرسلت السير أنطوني كانتيل إلى الملك الذي كان في اضطراب وتوتر ، فما الذي عليه أن يفعله؟ في هذه الأثناء كان ثيبولد في البندقية يستأجر الرجال المقاتلين من مختلف الجنسيات لاعداد حملته على الجنوية واخراجهم من قبرس وجهز غليونين عائداً إلى قبرس، ففي الوقت الذي وصل فيه ثيبولد إلى بافوس في سنة ٧٧٧هـ/١٣٧٥م وصل السير أنطوني كانتيلي الجنوي ANTONY CANTELI من فاماجوستا لأخذ المئة ألف دوقية إلى عند الملك، وفي الوقت نفسه وصل الرسول الذي أرسله ثيبولد يخبر الملك بقتلهم غلايين الجنوية الذين هاجموهم ، وإلقاء القبض على الآخرين كأسرى ، فابتهج الملك من هذه الأخبار، ولما سمع السير أنطوني الذي كان في حضرة الملك كلامهم خرج هارباً وبسرعة إلى فاماجوستا ، وأغلقت المدينة أبوابها خوفاً وتحسباً من الهجوم المرتقب عليهم ، وما لبث أن توجه ثيبولد وجنوده الذين بلغ عددهم ثمانمائة جندي إلى قتال الجنوية في فاماجوستا ، فهل فعل ثيبولد ذلك دون مقابل ومن أجل بلاده فقط؟ أم كانت لديه طموحات وأماني أكبر من ذلك ؟ في الحقيقة تخوف الملك من السير ثيبولد وطلباته لاسيما عندما طلب منه قلعة غورهيغو بالإضافة إلى تطلعه نحو قريته إيليا ، فوعده الملك بإعطائة القرية، أما القلعة فلم يكن راغباً بذلك لأن الملك يريدها لنفسه، لكن ثيبولد تمسك بمطلبيه و ضغط على الملك كثيراً، واعتقد أنه سيحصل عليهما لدرجة ضرب نقوداً خاصة به من أجل القلعة المعنية وكأنه كان متأكداً أنها ستصبح له فهل حقق حلمه في الحصول عليها ؟ وما هو موقف الملك من ذلك ؟

لم يرغب الملك حقيقة إعطاء القلعة لثيبولد ، وشاور في ذلك الأمر معلمه السير فيليب الذي كان كاهناً لاتينياً وصاحب مشورة ، فلم ينصحه بذلك لأسباب منها: خوفاً من أن يتخذ موقفاً ضد الملك إذا ما منحه إياها ويخونه ، بالإضافة إلى أنه امتلك قوة لنفسه، فمعظم الرجال المسلحين تحت تصرفه ، ولديه كل الجاهزية للاستيلاء على

المملكة كلها[1] وبعد مضي الوقت أحس السير ثيبولد بأن الملك غير راغب بإعطائه القلعة ، وانزعج كثيراً من هذا الموضوع بل أراد معرفة الأسباب التي منعته من ذلك فعرف من خلال بحثه بأن الكاهن هو وراء امتناع الملك ، وأراد التأكد من ذلك لما وجد الملك مسروراً فعاد طلبه للقلعة ، فلم يرض الملك بحجة أنه كان برجاسياً وأن الملك جعله فارساً، وأعطاه الكثير من الأعطيات ويعده بإعطيات أخرى ماعدا القلعة ، وفي المساء عرف السيرثيبولد بأن الملك كان يتشكى منه إلى الكاهن فيليب وتأكد من صحة الخبر لذلك تدبر أمر قتله فقتله ، بل قام بأعمال شريرة كثيرة، ونشر شائعات حول الملكة الأم متهماً إياها بالعهر، وبأنها تحاول تسميم ولدها ، كما قام بقتل خدامها فذهبت إلى عند ابنها في حالة انزعاج شديدة على تصرفات السير ثيبولد، وشكته إلى الملك الذي كان متخوفاً من مطامعه وتمرده و كثرت الشكاوي عليه؟ حيث جرت مناقشة مابين الملك ووالدته حول مايمكن فعله إزاء الوضع الحرج، فطلبت عدم العفو عنه لأنه إذا ماتم ذلك فسوف تكثر الخيانات والقتل ، ويلحق الفرسان بالملك الأضرار والإساءات مثلما فعلوا مع والده حينما قتلوه غدراً، لذلك أمر الملك بعرض المذنبين للمحكمة واتهمهم بالقتل والخيانة ، ومع ذلك ظن هؤلاء بأن الملك سوف يرحمهم ويطلق سراحهم لما وصلوا إلى البلاط، لكنه لم يفعل ، وحملوا إلى خارج البلدة لتنفيذ حكم الشنق بهم يوم الجمعة العاشر من نيسان عام ٧٧٨هـ/١٣٧٦م واستولى خلالها الملك والملكة على كل أملاك ثيبولد في الوقت نفسه الذي كان يستعد الملك فيه للزواج وقدوم الملكة فالينتنا[2] التي كانت ابنة أخت السيد بيرنابو دوق ميلانو والذي كان حاكماً مطلقاً للومبارديين بإيطاليه وتزوج الملك بطرس منها في شهر حزيران للعام نفسه ، لكن نار الغيرة و الكراهية لم تلبث أن دبت بين الملكة وأم زوجها (حماتها)، عرف الملك بكره والدته لزوجته ، وبقي كلام السير ثيبولد عن أمه ماثلاً أمامه وأنها تسعى لتسميمه ، فرأت زوجته الملكة بإرسال أمه إلى أبيها في

---

[1] - مكارياس: تاريخ قبرص خلال الحروب الصليبية ، الفقرة رقم٥٦٥-٥٦٦

[2] - مكارياس: المصدر نفسه ، الفقرة رقم ٥٧٥-٥٧٦-٥٧٧-٥٧٨

آراغون ، وبالفعل أعد الملك سفينة لنقلهـا إلـى بلادهـا ، ولمـا أحسـت الملكـة الأم بمـا يدبر لها كتبت عدة رسائل إلـى الجنويـة تسـتدعيهم للمجـيء والاستيلاء علـى البلاد ، وأخفت تلك الرسائل تحت فراشها ، لكن الخادمة رأتهـم ، فـأخبرت الملـك علـى الفـور، ولما اكتشف الملك الحقيقة وما تخطط له أمه، أمـر بأخـذها بعيـداً عـن قبـرس ، وقـدمت غلايين البندقية الستة عشر مع سفينة قطلونية لنقـل الملكـة الأم ، إلـى أن أقلعـت الملكـة إيليا نورا في الفينة في شهر تشـرين الأول عـام ٧٨١هـ/١٣٨٠م متوجهـة إلـى رودس مع غليونيين ملكيين وسفينة قطلونية وتوقفت لمـدة طويلـة حتـى تحسـن المنـاخ فـأبحرت السفينة من جديد إلى قطلونيا[١] في هذه الأثناء كان قـد انتشـر خبـراً فـي الخـارج عـن وجود سفينة كبيرة للجنويـة اسـمها البيكينونـا **BECHIGNONA** وأعلـن بـأن تلـك السفينة قادرة على محاربة ثمانية عشر غليونـاً بـآن معـاً ، وعنـدما سـمع البنادقـة بهـذا الخبر جهزوا ستة عشـر غليونـاً بقيـادة شـاب اسـمه كـارلو زينـو **CARLO ZENO** ليبحث عن تلك السفينة ، وانطلق مبحراً حتى وصـل إلـى قبـرس متوقعـاً أن يجـدها فـي المياه القبرسية أو في في ميناء فاماجوستا حيـث يتواجـد الجنويـة ، علـم الملـك بقـدوم الشاب فأرسل في طلبه ، وطلب منه البقـاء فـي خدمتـه ، فوافـق زينـو بسـبب كرهـه للجنوية ، وبعد اتفاقه مع الملك أخذ زينو الغلايـين والسـفن قاصـداً فاماجوسـتا وهنـاك قاومتهم سفينة جنوية محاولة منعهم من الدخول لكن دون جـدوى ، حينهـا أحـس الجنويـة بقوة البنادقة الكبيرة ، وباتوا يفكرون بطريقة للتخلص مـن هـذا الخطـر علـيهم ، وخـافوا من أن يقوم هؤلاء البنادقة بالاستيلاء على فاماجوسـتا ، فوجـدوا أن أنسـب الحلـول لـذلك هو تسليمها إلى الملك أفضل مـن أن يسـتولي عليهـا البنادقـة منافسـتهم القديمـة نظـراً لكرههم لهم ولحروبهم الطويلة معهم ، لذلك أرسـلت جنـوة رسـول إلـى الملـك لتسـليمه المدينة [٢] فهل اصطدمت جنوة و البندقية مجـدداً وعـادت المنافسـات القديمـة والحـروب بينهما، لصالح من ، ومن كان المنتصر؟ لكن الـذي حـدث هـوأن جنـوة غيـرت رأيهـا

---

[١] - مكارياس: تاريخ قبرص خلال الحروب الصليبية ، الفقرة رقم٥٨٧

[٢] - مكارياس: المصدر نفسه ، الفقرة ٥٨٥

وأرادت حرباً بينها وبين البنادقة وهاجموهم على حين غرة ، الأمر الذي فاجأ البنادقة وأنهك قواهم ، فاضطروا إلى مغادرة الميناء متجهين نحو الغرب ، وعندما علمت جنوة بأن البنادقة يبحثون عن سفينتهم الضخمة للاستيلاء عليها ، توجهوا إلى كيوغيا **Chioggia** واستولوا عليها ، ولم يستطع البنادقة عمل شيئ نظراً لقلة السفن لديهم في البندقية لذلك عادوا أدراجهم خائبين إلى البندقية ، لما أحس البنادقة بضعفهم طلبوا عقد اتفاق مع الجنوية ، إلا أن جنوة وافقت على الصلح بشروط مذلة ومهينة للبندقية، وعندما رأى البنادقة نية الجنوية بنهب البندقية رفضوا قبول شروطهم ، وأرادوا الانتقام منهم ، فاستشاروا رجلاً عجوزاً حكيماً كان محبوساً لجريمة كان قد ارتكبها فحكم عليه بالسجن ، أخرجوه من السجن ليساعدهم على الجنوية ، فطلب الرجل قوة وتوجه نحو كيوغا محطة الجنوية في البحر وهناك أغرق سفينتين كبيرتين للجنوية وكان على ظهرها عدداً كبيراً من الرجال ، كما قام بالقبض على بقية سفن الجنوية فيها ، وحبسهم حتى عاد كارلو زينو من الشرق ، ويبدو أن غلايين البندقية التي خرجت تبحث عن السفينة الضخمة وجدت ضالتها قرب رودس ، فسيطروا عليها وألقي القبض على جميع بحارتها وأحرقوا السفينة ، وبعد تحقيق هذا النصر توجه كارلو إلى البندقية، لكن الجنوية لما سمعت بما فعله كارلو خافوا كثيراً وطلبوا وساطة كونت سافوي الذي كان موجوداً هناك لصنع سلام معهم بعد تجبرهم وغرورهم رضخوا طالبين الصلح ، فوافقت البندقية إنما بشروط وهي : تدمير كيوغيا وعدم المحاربة ضدهم ، وأن يطلقوا سراح ثلاثين جنوياً مقابل كل أسير بندقي ، وهكذا تم الصلح ، وتم إعادة بناء البلاد وتحمس الملك كثيراً لعمارتها من جديد، إلا أنه لم يعش كثيراً بعد ذلك، إذ وافته المنية في الثالث من شهر تشرين لعام ٧٨٣هـ/١٣٨٢م، [1] وهكذا انتهت هذه الحرب اللعينة ؟ فهل عاشت قبرس في سلام دائم طوال حياتها ، أم أن فرحتها لم تكتمل وواجهت خطراً أشد فتكاً من الأول ، وهل

[1] - مكارياس : تاريخ قبرص خلال الحروب الصليبية ، الفقرة ٥٩٨

كان حكم جسيمس دي لوزينيان(١٣٨٢-١٣٩٨م) بعد إخراجه من الأسر الجنوي أحسن حالاً من سالفه؟

في الحقيقة لقد قضت الحرب الجنوية على الازدهار في قبرس، وجاء استيلاء جنوة على فاماجوستا، والنهب الذي رافق ذلك الاحتلال ونضوب المعادن واشتداد الأخطار بانتشار الأوبئة والأمراض كالجراد والطاعون الأسود، أثر سلباً على اليد العاملة بقبرس وانخفاضها، وبالتالي انعكس سلباً على الحياة الاقتصادية والتجارية والسياسية لقبرس، أي أنه لم يعد بمقدورها أن تشغل أي دور في استمرار الصراع بين الفرنج الصليبيين والإسلام، بسبب المنافسات والصراعات عليها من أجل احتلالها، فوقعت قبرس ضحية الطامعين بها.

لقد كان احتلال الجنوية لقبرس حدثاً بالغاً الأثر في تاريخ الجنوية في حوض البحر المتوسط وعلى قبرس بالذات، ونقطة تحول هامة في النشاط التجاري للجنوية في قبرس على الرغم من أن أعداداً كبيرة من التجار غير الجنوية قد غادروا الجزيرة عقب احتلال الجنوية لقبرس، واحتكارهم التجارة فيها من خلال تنظيم الماهونا، إلا أن ذلك لم يشكل عائقاً أمامهم بل على العكس، فقد احتكروا التجارة في جزيرة قبرس وبشكل تدريجي، حيث اعتقلوا كل السفن التي كانت تحاول الوصول إلى ميناء غير ميناء فاماجوستا، وهذا ماحصل لسفن البندقية في سنة ٧٨٥هـ/١٣٨٣م، الأمر الذي جعلها مضطرة إلى إصدار تعليمات تمنع فيه التجار البنادقة من حمل السلع و المتاجر إلى جزيرة قبرس، وبهذا تحكمت الجنوية بفرض نفوذها وتجديد احتلالها لمدينة فاماجوستا، كما جددت امتيازاتها التجارية والقضائية في بقية المدن القبرسية، لاسيما بعد توقيع معاهدة ٧٨٥هـ/١٣٨٣م بين القومون الجنوي و الحكومة القبرسية، هذا وعلى الرغم من المحاولات التي قام بها القبارسة في سنة ٧٩٩هـ/١٣٩٦ للتخلص من الجنوية، إلا أنها استمرت بقبضة جنوة الحديدية، وبذلك حققت الجنوية تفوقاً كبيراً على البنادقة وعلى القبارسة

في الجزيرة، على حساب أرض وثروات قبرس نفسها، ومع ذلك ظلت الجزيرة بأيدي الجنويين مدة مئة سنة [1].

وهنا يمكن القول: إن الفوضى والمنازعات عادت إلى مسرح الأحداث في الجزيرة، و اختلت الموازين، لأن قبرس أصبحت فريسة للمحتلين الطامعين بعد أن كانت المركز والقاعدة العسكرية للهجوم؟

١- النويري: الإلمام، ص٩٣/سميث: الاسبتارية ، ص ١٩٩



خاتمة:

ظلت قبرس طوال ثلاثة قرون ونصف قرن تتلقفها الأيادي، ما بين احتلالها على يدي الملك ريتشارد قلب الأسد عاهل انكلترا في عام ٥٨٧هـ/١١٩١م حتى سقوط فاماجوستا بأيدي الأتراك العثمانيين في عام ٩٧٩هـ/١٥٧١م ، واقعة في مدار التوسع الأوروبي الغربي، وجاء فقدان الصليبيين لعكا بعد تحريرها من قبل المسلمين، وطردهم من الشام عام ٦٩٠هـ/١٢٩١م ليسجل نهاية مرحلة، وأصبحت قبرس عندئذ المركز الرئيسي للمسيحية الغربية في شرقي البحر المتوسط ، و بات عليها أن تجد طريقة للحياة بسلام مع الحكام المسلمين، وأن تبذل في الوقت نفسه وسعها من أجل ازدهارها التجاري و مصالحها الاقتصادية ؟ فهل تمكنت من العيش بسلام وآمان و بعيداً عن الفوضى و الصراعات؟ لقد كانت الفترة الطويلة لحكم الفرنجة في قبرس فترة رفاهية ورخاء بالنسبة للآخرين جميعاً ما عدا الشعب اليوناني في قبرس ، عاش خلالها اليونانيون القبرسييون تحت ظل العبودية والرق والسخرة ، فيما عدا قليل من رجال الثقافة و الأدب الذين اجتذبهم الفرنجة لأغراضهم الخاصة مثل الفيلسوف جرجيوس لابيئيس و المؤرخ ليونتيوس مخارياس (مؤرخ عصره) ومع نهاية الحكم اللوزينياني لقبرس قبع يونانيو قبرس تحت سيطرة الجنويين الذين بقوا في فاماجوستا الغنية حوالي قرن من الزمن حتى طردوا منها شر طردة سنة٨٧٩هـ/١٤٧٤م ، فهل تخلصت قبرس من سيطرة الجنويين عليها إلى الأبد ، وإذا كان الأمر كذلك ، فإن الخطأ الفادح الذي ارتكبه الملك القبرسي فيما بعد (جيمس دي لوزينيان الثاني) (٨٧٨-٨٩٦هـ/ ١٤٦٤-١٤٧٣) حينما تزوج بنت البندقية المدعوة إيكاترين كورنارو **AIKATERIN CORNARE** عام ٨٧٦هـ/ ١٤٧١ م ، لقد كلف هذ الخطأ الذي وقع فيه الملك جيمس وأوقع به البلاد الشئ الكثير ، فبعد تقليص النفوذ الجنوي في قبرس أصبح للبندقية اليد العليا في الجزيرة ، وتحت قناع الحماية نزعت البندقية هذا القناع لتستبدله بقناع الاحتلال ومن نوع جديد ، فأعلنت سيادتها المباشرة على كامل قبرس بشكل صريح وواضح ، ومع مرور الأيام أثبتت التجارب إن هذا الاحتلال لم يكن أفضل من سالفيه ، ولم يلبث أن ظهر مجدداً خطر آخر بحلية مختلفة محدق بقبرس وألا وهو الخطر التركي ، وعلى هذا المنوال رضخت قبرس للاحتلال العثماني عام (٩٧٨-١٢٩٥هـ/١٥٧٠-١٨٧٨م) ،

وهكذا تواليك حتى الزمن الحاضر، ومن هنا يمكن القول: ألم يحن الوقت ويــئن الأوان لكــي تلتقط هذه الجزيرة أنفاسها وتتنفس الصعداء لتزيل عنها تلك الغيوم السو[illegible]ماءها وأرضها ؟ وهل ستستطيع ؟ هل كان ذلك مرده أخطاء في سياسة ملوكها وعدم قدرتهم التحليلية أم أن عمليات القرصنة والمغامرات التي اتسمت بها العصور الوسطى، والتي كانت سلاحاً ذو حدين أم لضعفهم ؟ أم أن شهرتها وموقعها الاستراتيجي وغناها بالثروات الطبيعيــة والمعدنيــة سبب لها آلامها ومعاناتها ؟ أم لكل تلك الأمور ؟ أم لأسباب مجهولة؟

في الحقيقة والحق يقال إن هذه الجزيرة لم تنعم بالاســتقراروالهدوء طــوال تاريخهــا الغنــي بالأحداث والمفاجآت ، فهل كان حكم الزمن عليها قاسياً إلى هذه الدرجة ؟ أم هي التي تســببت بما جرى لها، وهل كانت هي الضحية، ودفعت ثمن ما جرى في أحداث الحروب الصليبية ، الأمر الذي جرّ عليها الكوارث والويلات ، فما أن تنهض قليلاً حتى تعود وتسقط من جديد على يد محتل جديد ومختلف عن الذي سبقه .

<u>ومن خلال دراستي لهذه الأطروحة كان لا بد من ذكر أهم النتائج التي تم التوصل إليها:</u>

- تأثر الشرق تأثراً سلبياً نتيجة للاحتلال الصليبي والاجتياح المغولي، حيــث تعطلــت طــرق التجارة البحرية، كما فقدت بعض المدن أهميتها التجارية جراء تلك السيطرة مثل حلب،أنطاكيا، وزاد الاتصال بين الغرب الأوربي والصين ومناطق السيطرة المغولية من أجل تحقيق المكاسب السياسية والاقتصادية.
- برهنت الدراسة على أهمية الدور الذي قامت فيه قبرص بالنسبة للفرنجة الصليبيين ولمنطقــة الشرق، فكان لها الفضل في استمرار بقائهم على الساحل الشامي لأطول مدة ممكنة.
- صحيح أن قبرص ساهمت في بقاء واستمرار الصليبيين في الشرق بمــا قدمتــه لهــم مــن مساعدات شتى، لكن ذلك ألحق بها الضرر، وجر عليها كوارث عديدة(حروب– فوضى– فــتن داخلية) استنفدت خيراتها وقواها، وأصبحت بــؤرة فســاد، ومســرحاً للصــراعات الفرنجيــة المتكررة، ومنافسات الطوائف الدينية، والجاليات الإيطالية التي كثيراً ما أربكت الحياة السياسية والتجارية على السواء، والشعب القبرسي وحده دفع الثمن غالياً.
- أدرك الفرنج حقيقة مفادها أن من يستطيع فرض السيطرة على البحر المتوسط سيطرة تامــة يستطيع فرض وجوده على المدن الواقعة على سواحله أو المطلة عليــه وبالتــالي الانطــلاق السريع للسيطرة على مراكز الثقل الأخرى.

- كان لاحتلال جزيرة قبرص مسوغاتها السياسية، فهي تؤمن حماية بعيدة للساحل الشامي الفرنجي من خلال وضع حاميات عسكرية فيها تقوم بواجبات الرصد والإنذار والتعرض لأساطيل المسلمين بإقامة أسطول قوي يتحرك بسرعة وباستمرار على الشواطئ للتصدي لكل عدو و احباطه.
- موقع قبرص الاستراتيجي هو أحد الأسباب الرئيسية للاحتلال والحروب فوق أرضها مداً أو جزراً، فلا تزال قبرص وإلى الآن تستحوذ على اهتمام كثير من الدول لا سيما (تركيا، بريطانيا) من أجل رعاية مصالحهم ومسؤولياتهم الدولية والإقليمية ، وسبباً آخر للصراع والحروب والتنافس الدولي عليها وصلت إلى درجة أن عدها البعض فلسطين أخرى؟
- أثبتت الدراسة سعي وتنافس كل من الصليبيين والمسلمين لاستقطاب قوة المغول إلى جانبهم، وذلك من أجل تحقيق مصالح كل جهة على العموم، وهذا ما أظهرته الحملة السياسية لبيبرس حين تحالف مع بركة خان لإشغال المغول في الحروب الداخلية فيما بينهم، وحرمان الصليبيين من فرصة الاستعانة بأية مساعدة ضد الشام، الأمر الذي مكنه من توزيع نشاطه على الجبهتين الصليبية والمغولية.
- بشكل عام لم يكن المسلمون قط البادئين بعمليات الهجوم والاعتداء على قبرص ما لم تكن هي البادئة أولاً بمهاجمتهم.
- كانت قبرص تشرف على التجارة بين الشرق والغرب، لطالما كان لها أسطولها القوي، فإنها استطاعت دائماً أن تأخذ بنصيب كبير من أرباح تلك التجارة، لذلك بقيت هذه الجزيرة خاضعة لإشراف مالي وحربي دقيق من جانب المسؤولين عليها.
- لم يكن يتم تتويج ملوك قبرص في مكان واحد خلال هذه الحقبة بالنسبة لملوك قبرص فبعضهم توج في نيقوسيا (هنري الأول) وآخر في فاماجوستا(بطرس الثاني) وآخر في صور(تتويج إيزابيلا وفريدريك، هنري الثاني) وإن دل هذا على شيء فهو دليل على شيء هام وهو انعدام الأمن والفوضى والقلاقل السياسية التي حدثت في الجزيرة وليس لشيء آخر.
- سواء أكان احتلال جزيرة قبرص جزءاً من خطة استراتيجيه كبيرة من ريتشارد أو من سواه فإن الاستيلاء عليها كان أمراً جانبياً فقط تحول فيما بعد إلى عملية رئيسة وفي كلا الحالين فإن

موقع قبرس ومواردها كانت في النهاية سوف تجعلها جزءاً من نصيب الدول الأوربية المشاركة في الحملات الصليبية

- أصبحت قبرس في القرن ٦هـ/ ١٢م تحت حكم السلالة اللوزينيانيه الذين حكموها قرابة ٣٠٠ سنة وفي القرن ٧هـ/ ١٣م أصبحت منطقة تجمع القوات العسكرية التي تنطلق منها الحملات الصليبية ، ثم أصبحت القاعدة العسكرية الأساسية للعالم المسيحي في الشرق خلال القرنين (٨-٩هـ/ ١٤-١٥م)
- دفعت المشاكل الفرنجية – الفرنجية والنزاعات فيما بينهم الأرمن إلى البحث عن حليف جديد قوي لهم، فكان مجرد ظهور المغول كعدو جديد مدمر لمقدرات سلاجقة الروم وغيرهم من المسلمين دافعاً للأرمن لنقض عهودهم، وخلع تبعيتهم لسلاجقة الروم، ومن ثم تحالفهم مع المغول، كما كانت لها آثارها الايجابية على المسلمين في التقاء مصالحهم مع مصالح سلاجقة الروم في النصف الثاني من القرن ٧هـ/١٣م من أجل تقويض مملكة أرمينيا الصغرى.
- دلل البحث على أهم الأحداث التي شهدتها المنطقة، وما تمخض عنها من تحالفات سياسية وعسكرية متعددة، ومنافسات اقتصادية نوعية واعتداءات متكررة ومسارعة الأرمن للتحالف مع أعداء الإسلام والمسلمين من(صليبيين ومغول).
- عدت الحملة على الإسكندرية إحدى أغرب حملات الحروب الصليبية على المشرق العربي وعلى مدينة الإسكندرية بالذات تزعمها لأول مرة ملك قبرس.
- أكدت الحروب والغارات الصليبية المتتالية على حاجة المسلمين إلى تحصين السواحل وخاصة (بيروت) وبناء أسطول بحري قوي يهاجمون به جزيرة قبرس التي أصبحت خطراً يهدد حياتهم.
- حقق الانتعاش الاقتصادي لمملكة أرمينيا الصغرى انتعاشاً لميناء إياس الذي لفت إليه انتباه الصليبيين أنفسهم، فسعى بطرس للاستيلاء عليه.
- صحيح أن الفرنجة أقحموا النظام الإقطاعي الغربي اللاتيني على قبرس إلا أنها بقيت لاتينية ظاهرياً وإغريقية في الجوهر.

▪ أهم ما تمخضت عنه الحملة الصليبية الثالثة من النتائج لا في تاريخ قبرس والحروب الصليبية فحسب ، بل في تاريخ الشرق بوجه عام هو دخول قبرس دائرة الحروب الصليبية لاسيما بعد احتلالها من قبل ريتشارد قلب الأسد ، وأضحت مركزاً دائماً للتموين لبقايا الصليبيين في الشرق، كما أصبحت محوراً لكثير من الحركات الصليبية في الشرق والغرب لعدة قرون ولا عجب أن صارت قوة للفرنج ·

▪ بقيت نيقوسيا(ليفكوسيا)العاصمة الإدارية لقبرس في حين سرقت مدينة فاماجوستا الأضواء إليها فازدهرت ازدهاراً كبيراً بسبب تجارتها الرابحة ولأن سورية كانت قريبة منها اعتاد الناس على إرسال سفنهم لنقل بضائعهم إلى فاماجوستا وجميع السفن كانت تصلها من البندقية وجنوة وفلورنسا وبيزا وقطلونيا ومن بلدان الغرب، يجدون التوابل هناك، فيحملون سفنهم بكل ما يحتاجونه ثم يعودون إلى ديارهم، ولذلك كان شعب فاماجوستا أغنياء جداً إلى درجة يمكن عدها فيه العاصمة التجارية لقبرس الأمر الذي أصبحت فيه هدفاً للحسد ، وتعرض هذا الازدهار إلى الدمار فيما بعد، وخصوصاً بعد تتويج بطرس الأصغر ابن الملك بطرس·

▪ لم تكن الاسكندرية المتضرر الوحيد من جراء الاجتياح القبرسي الفرنجي عليها بل ألحق الضرر بالفرنجة أنفسهم فتوقفت تجارتهم وتكدست بضائعهم ·

▪ لا تزال المشكلة الحقيقية بين المسلمين والفرنجة الصليبيين قائمة حتى الآن مع اختلاف في التسمية والزمان والمكان نفسه، وشكل الاستعمار، فالصهاينة لا يزالون يحتلون عدداً لا يستهان به من مدن الشام والأراضي المقدسة، و مهما حاولت إسرائيل الركض إلى تحقيق النصر على العرب و المسلمين، سوف تصل إلى نهايتها المحتومة ، لأن المقاومة مستمرة مما يؤدي إلى عقم الانتصار" ·

▪ إن الفهم الواعي والفكر المستنير يجعلنا دائماً متحسسين لمكامن الخطر مراقبين لتطورات الأحداث و عبر عبر التاريخ بقي الصراع قائماً بين الحق و الباطل، وبين الخير والشر، فلتلتهم النار كل من يحاول الدسائس والمس بحقوق الوطن ولحمة أبناءه الغر الميامين لأننا أبناء أمة تستنهض قيم رسول الله (ص) وأنبياء الحق الذين نعترف بهم ضمن مسيرة التاريخ وقيم الحق والخير والجمال التي نادوا بها وعملوا على إعلائها·

ومثلما تمكن المسلمون في نهاية المطاف من تصفية الوجود الصليبي والقضاء عليهم في الشام، وهذا ما نأمله نحن العرب من تحرير كامل أراضينا العربية المحتلة لتعود الأمة العربية واحدة يؤمها الأمن والسلام الدائمين.

١- المصادر العربية:

١	ابن الأثير (أبو الحسن علي بن محمد) (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م): ـ الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٧م
٢	ابن إياس (محمد بن أحمد) (ت ٩٣٠هـ/١٥٢٣م): ـ بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، دار المعارف، القاهرة،١٩٥١م. وحققه د. عمرو مصطفى، قسم١، الهيئة المصرية، القاهرة، ١٩٨٢م
٣	الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن عبد الله) (ت ٦٥٠ هـ / ١١٦٥ م): ـ نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٩م
٤	الأصفهاني (عماد الدين محمد) (ت . ٥٩٧هـ): ـ الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق محمد محمود صبيح، دار القومية، لم يرد مكان وتاريخ الطبع.
٥	الأنطاكي (يحيى بن سعيد) (ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٧ م): ـ صلة تاريخ أوتيخا، أو تاريخ الأنطاكي، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، طرابلس ـ جروس برس، ١٩٩٠م
٦	ابن بطوطة (شمس الدين محمد بن إبراهيم اللواتي) (ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م): ـ تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق عبد الهادي التازي، الرياض، ١٩٩٧م.
٧	البدر العيني (بدر الدين محمد): ـ عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، من خلال الموسوعه الشامية، د. سهيل زكار، دار الفكر ١٩٩٥م
٨	.البغدادي (صفي الدين عبد المؤمن) (٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م): ـ مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ج٣، ١٩٥٥م.
٩	البكري (أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز) (ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤م): ـ المسالك والممالك، تحقيق أدريان فان ليوفن، المؤسسة الوطنية للترجمة، دار العربية للكتاب، ١٩٩٢م.
١٠	البلاذري (أحمد جابر): ـ البلدان وفتوحها وأحكامها، حققه د.سهيل زكار، دار الفكر، ١٩٩٢م.
١١	ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة، حققه محمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ١١، ١٩٩٢م
١٢	ابن الجزري(شمس الدين أبي عبد الله الجزري القرشي(ت٧٤٨هـ): - المختار من تاريخ ابن الجزري حوادث الزمان وأبنائه، تحقيق خضر المنشداوي، دار الكتاب العربي، ١٩٨٨م.
١٣	ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، حققه محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، القاهرةج٣، لم يرد تاريخ الطبع.
١٤	الحموي (شهاب الدين ياقوت بن عبد الله) (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م): ـ معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.
١٥	الحسن بن عمر: (ابن حبيبن الحسن بن عمر بن حبيب)(ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م)

	تذكرة النبيه في أيام المنصور و بنيه، تحقيق محمد أمين و سعيد عاشور ، مكتبة النهضة ، ١٩٨٦م.
١٦	ابن حبيب (شهاب الدين): درة الأسلاك في دولة الأتراك، دار الكتب المصرية، ج٣. لم يرد تاريخ الطبع.
١٧	ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن علي) (ت ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م): ـ صورة الأرض، بيروت، ١٩٧٩م.
١٨	ابن خلدون (عبد الرحمن): ـ تاريخ ابن خلدون، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، ج٥، ١٩٨١م
١٩	ابن خياط العصفري (خليفة)(ت٢٤٠/٨٥٤هـ) ـ تاريخ خليفة بن خياط،القسم الأول حققه د. سهيل زكار، لم يرد تاريخ الطبع.
٢٠	ابن دقماق(صارم الدين ابراهيم)ت(٨٠٩هـ): نزهة الأيام في تاريخ الإسلام، تحقيق د.سمير طيارة المكتبة العصرية، بيروت ط١ /١٩٩٩م.
٢١	الذهبي (الحافظ شمس الدين): ـ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام، حوادث ووفيات ٦٤١ - ٦٥٠هـ، حققه د.بشار معروف-مؤسسة الرسالة، ١٩٨٨.
٢٢	السخاوي (محمد بن عبد الرحمن بن محمد) (ت ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م): ـ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، القاهرة، ١٩٣٦م.
٢٣	ابن الشحنة(أبو الفضل محمدبن الشحنة)ت(٩٢١هـ): ـ الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، دار الكتاب العربي في سورية، ١٩٨٤م.
٢٤	ابن شداد (يوسف بن رافع بن تميم) (ت. ٦٨٤هـ): النوادر السلطانية، تحقيق د. جمال الشيال ، ١٩٦٤م
٢٥	أبو شامة (أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل)(ت٦٦٥هـ). ـ عيون الروضتين في أخبار الدولتين، حققه أحمد البيسومي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩١م. ـ الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، حققه د.إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٧م.
٢٦	الشابشتي (أبو الحسن): ـ الديارات، تحقيق كوركيس عواد، دار الرائد العربي، ط٣، ١٩٨٦م.
٢٧	صالح بن يحيى: ـ تاريخ بيروت وأمراء بني الغرب، دار الفكر الحديث ،١٩٩٠م
٢٨	الطبري (أبو جعفرمحمد بن جرير): ـ تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت.
٢٩	ابن العبري (أبو الفرج غريغوريوس بن أهرون) (ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦م): ـ تاريخ الزمان، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦م
٣٠	ابن العديم (كمال الدين عمر بن أحمد) ت(٦٦٠هـ): ـ زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق سهيل زكار، دمشق ـ دار الكتاب العربي، ١٩٩٧م.

٣١	العليمي (مجير الدين الحنبلي) ت(٨٦٠-٩٢٧هـ): ـ الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، عدنان يونس، مؤسسة الكتب الثقافيه، ١٩٩٩م
٣٢	العمري (ابن فضل الله): ـ مسالك الأبصار في ممالك الأنصار، تحقيق دورديتا كرافولسكي، بيروت، ١٩٨٦.
٣٣	ابن عبد الظاهر(محي الدين): – الروض الظاهر في سيرة الملك الظاهر، الرياض، ١٩٧٦م – تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، حققه د. مراد كامل، الجمهورية المتحدة وزارة الثقافة، ط ١، ١٩٦١م
٣٤	ابن العميد(المكين بن جرجس): ـ أخبار الأيوبيين، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر، بدون تاريخ.
٣٥	أبو الفداء (عماد الدين إسماعيل بن علي) (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١م) ـ تقويم البلدان، طبع مدينة باريس، ١٨٥٠م. – المختصر في أخبار البشر ، بيروت ، دون تاريخ
٣٦	ابن الفرات(ناصر الدين محمد): ـ تاريخ ابن الفرات، تحقيق قسطنطين زريق، بيروت ،١٩٤٢م.
٣٧	ابن قاضي شهبة (بدر الدين محمد) (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م): ـ تاريخ ابن قاضي شهبة، تحقيق عدنان درويش، ١٩٩٤م
٣٨	القرماني(أحمد بن يوسف)(ت ١٠١٩هـ/١٦١٠م): ـ أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، تحقيق د.أحمد حطيط، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٢م
٣٩	القزويني (زكريا بن محمد) (ت ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م): ـ آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م. ـ عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، تحقيق فاروق سعد، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢، ١٩٧٧م.
٤٠	القلقشندي (أحمد بن عبد الله) (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م): ـ صبح الأعشى في صناعة الإنشا، مطبعة دار الكتب القاهرة، ج١، ١٩٦٣م.
٤١	الكرخي (ابراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري): ـ المسالك والممالك، تحقيق د. محمد جابر عبد العال، وزارة الثقافه، والارشاد والقومي .
٤٢	ابن كثير الدمشقي(عماد الدين): البداية و النهاية، حققه عبد الله التركي، دار عالم الكتب، ١٩٩٧م
٤٣	أبو المحاسن (جمال الدين بن تغري بردي الأتابكي) (ت ٨١٣هـ/ ١٤١٠م): ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدم له محمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٩٢م. المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ، تحقيق د.نبيل عبد العزيز، ١٩٨٨م.
٤٤	محمد بن صصري: ـ الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية، حققه د.وليم بريز، أستاذ الدراسات الشرقية في كاليفورنيا، لم يرد تاريخ الطبع.

٤٥	المسعودي(أبو المحاسن علي بن الحسين): ـ مروج الذهب و معادن الجوهر، تحقيق محي الدين عبد الحميد مصر،١٩٦٤م٠
٤٦	مقديش (محمود): ـ نزهة الأقطار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق علي الزواري، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٨م.
٤٧	المقدسي (محمد بن أحمد) (ت ٣٩٠هـ / ١٠٠٠م): ـ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق محمد مخزوم، دار إحياء التراث، بيروت، ١٩٨٧م.
٤٨	المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي) (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م): ـ السلوك لمعرفة دول الملوك، نشره مصطفى زيادة، الجزء الأول، القسم الثالث، الطبعة الثانية، مطبعة لجنة التأليف، ١٩٧٠م. والجزء الثاني، القسم الأول، مطبعة لجنة التأليف، ١٩٧١م. والجزء الثاني، القسم الثالث، ١٩٥٨م. والجزء الثالث، القسم الأول، حققه سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، ١٩٧٠م
٤٩	المنصوري (بيبرس): ـ مختار الأخبار، تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك، حققه د. عبد الحميد حمدان، الدار المصرية، ١٩٩٣. ـ التحفة الملوكية في الدولة التركية، نشره عبد الحميد صالح ، الدار المصرية، ١٩٨٧م
٥٠	النويري(شهاب الدين)(ت٧٣٣هـ): ـ نهاية الأرب في فنون الأدب، الجزء الثامن والعشرون، تحقيق محمد أمين، ومحمد حلمي، القاهرة ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م. وتحقيق سعيد عاشور، الهيئة المصرية العامة، ١٩٨٥م.
٥١	النويري (محمد بن قاسم الإسكندراني) (ت ٧٧٥هـ/ ١٣٧٢م): ـ "الإلمام بالأعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في وقعة الإسكندرية"، الموسوعة الشامية، تحقيق وتأليف وترجمة سهيل زكار، دمشق، ٢٠٠٥م، ج٤٩
٥٢	الهروي: الإشارات إلى معرفة الزيارات، حققه جانين سورديل،دمشق،١٩٥٣م
٥٣	ابن الوردي (سراج الدين)ت(٨٦١هـ): ـ خريدة العجائب وفريدة الغرائب، حققه محمود فاخوري، دار الشرق العربي، سوريا، ١٩٩١م
٥٤	ابن الوردي (زين الدين عمر): ـ تتمة المختصر في أخبار البشر، تحقيق أحمد البدراوي، ج٢، دار المعرفة، بيروت، ط2 /١٩٧٠مـ المختصر في أخبار البشر، بيروت، دون تاريخ
٥٥	ابن واصل(جمال الدين بن سالم)ت(٦٥٩هـ): ـ مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق جمال الدين الشيال، وزارة الثقافة دار القلم، القاهرة، ١٩٦٠.

المصادر والمراجع الأجنبية: –

١	ATIYA, THECRUSADES IN THE LTE MIDDLE AGES .
٢	Cyprus (ahistorical sketch) pub wshed by the pres and information republicofcyprus .p8
٣	Cyprus,1000 years of history and civilization, Cyprus torism organization,2002,p,8
٤	Gabrieli Francesco ،arab his to rians of the crusades ،London
٥	sir david(ed).footprints in cypress London1994 ،Hunt
٦	ibrahim touyali: Alanya (Alaiyye) ،Istana ،1946 ،p.4
٧	jean thoraval :les grandes etapes dela civili satiom frangise ،bordas ،Paris ، 1978
٨	KENNETH SETTON:A HISTORY OF CRUSADES ،LONDON AND BECCLS ، VOLUME2.
٩	Makhiaras.(recita l concerning0. the sweet land of cyprus.edited bydawkins(2vols)oxford. ،1932
١٠	SETTON. ،AHISTORY OF THE CRUSADES ،LONDON
١١	The king Dom of cypras 1191-1297- Wolff ،H.W / The later crusades ، 1969،
١٢	Vasilevs :history of the b yzantine. ،emire vol.1
١٣	Wolff,r.l:hazard,h.w.(ed) the later crusades 1189-1311(1969)p1

٣- المصادر الأجنبية المعربة:

١	إ. ج، كنغ: ــ ملاحق كتاب الاسبتارية في الأرض المقدسة، من خلال الموسوعة الشامية ترجمة د. سهيل زكار، دمشق، ج٣٣، ١٩٩٨م.
٢	أرنولد: ــ رواية أرنولد عن فلسطين، ترجمة د. سهيل زكار من خلال الموسوعة الشامية، ج ٣٧ ، دمشق.
٣	أمبرويز: ــ "صليبية ريتشارد قلب الأسد"، الموسوعة الشامية، تحقيق وتأليف وترجمة سهيل زكار، دمشق، ج٣٢، ١٩٩٨م.
٤	بادربورن (أولفر): ــ الاستيلاء على دمياط، من خلال الموسوعة الشامية ترجمة سهيل زكار، موسوعة، دار الفكر، ج٣٤، ١٩٩٨م.
٥	بورتشارد (راهب دير جبل صهيون) (٦٧٩هـ/١٢٨٠م): ــ"وصف بورتشارد للأرض المقدسة"، الموسوعة الشامية، تحقيق وتأليف وترجمة سهيل زكار، دمشق، ١٩٩٩م.
٦	التطيلي(بنيامين): رحلة بنيامين، ترجمة عذرا حداد، بغداد، ١٩٥٤م.
٧	جوانفيل (جون) (٧١٨هـ/ ١٣١٨م): ــ القديس لويس، الموسوعة الشامية، تحقيق وتأليف وترجمة سهيل زكار، دمشق، ١٩٩٩م، ج٣٥. ونسخة ترجمه حسن حبشي، مصر، ١٩٦٨م.
٨	جولات الراهب الدومنيكاني من خلال الموسوعة الشامية، ج ٣٨، دار الفكر،دمشق، ٢٠٠٠م
٩	حاج مجهول من القرن الثاني عشر: ــ "رحلات غربية"، (هذا هو الطريق إلى الأرض المقدسة) من خلال الموسوعة الشامية، تحقيق وتأليف وترجمة سهيل زكار، ج٣٧، دمشق، ١٩٩٩م.
١٠	دوبوا(بيير): استرداد الأرض المقدسة، من خلال الموسوعة الشامية، دار الفكر، ج٣٦، ١٩٩٩م،
١١	دي فتري(جاك):

	المنتقى من تاريخ القدس من خلال الموسوعة الشامية ،ج٣٣، دار الفكر ، دمشق ١٩٩٨م.
١٢	دي نوفار (فيليب) (ت ٦٦٣هـ/ ١٢٦٥م): : حروب فريدريك الثاني ضد الابلينين في سورية وقبرص من خلال الموسوعة الشامية ،ج ٣٤ ، دار الفكر ١٩٩٨م.
١٣	سانوتو (مارينو) (٧٤٣هـ/ ١٣٤٣م): ـ " الأسرار ، مشاريع من بعد الحملة السابعة "، الموسوعة الشامية، تحقيق وتأليف وترجمة سهيل زكار، دمشق، ج٣٨، ١٩٩٩م.
١٤	سمباط : التاريخ المعزو إلى القائد سمباط الأرمني ، من خلال الموسوعة الشامية ، ج٣٥ ، دار الفكر دمشق،١٩٩٩م.
١٥	الصوري (وليم): ـ تاريخ الأعمال المنجزة فيما وراء البحار، حققه د. سهيل زكار، دار الفكر، ١٩٩٩.
١٦	فابري(فيليكس): جولات الراهب فيلكس فابري ورحلاته حوالي (١٤٨٠-١٤٨٣م) من خلال الموسوعة الشامية ، تأليف د.سهيل زكار ، دار الفكر ، دمشق،ج٣٨ ، ٢٠٠٠م.
١٧	فيتلوس: رسالة فيتلوس في وصف الأراضي المقدسة، من خلال الموسوعة الشامية ، ج٣١، دار الفكر ، دمشق
١٨	فليها ردين: ـ الاستيلاء على القسطنطينية، ترجمة د. سهيل زكار، من خلال الموسوعة الشامية،ج١١ دمشق، ١٩٩٥.
١٩	فوقاس (يوانس): وصف مختصر للقلاع والمدن من أنطاكية حتى القدس، من خلال الموسوعة الشامية ج٣٤، ١٩٩٨
٢٠	الفيتري (يعقوب): ـ تاريخ بيت المقدس، ترجمة سعيد البيشاوي، دار الشروق، ١٩٩٨م.
٢١	الفارس الداوي الصوري (٦٥٣هـ/١٢٥٥م): ـ" أعمال القبارصة"، الموسوعة الشامية، تحقيق وتأليف وترجمة سهيل زكار، دمشق، ٢٠٠٦م.
٢٢	مؤرخ مجهول: ـ حملة ريتشارد، من خلال الموسوعة الشامية ترجمة د. سهيل زكار، دار الفكر دمشق ١٩٨٨م.
٢٣	مؤلف مجهول : تاريخ هرقل ، من خلال الموسوعة الشامية ج٥١، دار الفكر ، دمشق، ٢٠٠٣م
٢٤	ماب (وولتر):

	ما جاء عند وولتر ماب عن الحروب الصليبية من خلال الموسوعة الشامية ج٣٥، دار الفكر، ١٩٩٩م
٢٥	ماخوت (غليوم دي ماخوت): الاستيلاء على الإسكندرية، من خلال الموسوعة الشامية ، ترجمة د. سهيل زكار، ج٤٩، دار الفكر ٢٠٠٦م
٢٦	مارشال (كريستوفر) فن الحرب في الشرق اللاتيني ترجمة د. سهيل زكار، من خلال الموسوعة الشامية،٢٠٠٧م.
٢٧	ماكارياس (ليونتيوس): ــ تاريخ قبرص خلال الحروب الصليبية (مرويات تتعلق بأرض قبرص الحلوة)، تأليف وترجمة وتحقيق، د.سهيل زكار من خلال الموسوعة الشامية، (ملحق) دمشق ٢٠١٠م.
٢٨	ميخائيل السوري الكبير: ــ روايات ميخائيل السوري الكبير، من خلال الموسوعة الشامية دار الفكر، ١٩٩٥م.

٤- المراجع العربية:

١	إبراهيم حسن(علي): تاريخ المماليك البحرية في عصر الناصر ، مكتبة النهضة المصرية ، ط٢، ١٩٤٨م
٢	أحمد علي (عبد اللطيف): ــ التاريخ اليوناني، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧١م
٣	أرسلان (الأمير شكيب): ــ تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وايطاليا وجزائر البحر المتوسط، منشورات مكتبة الحياة، ١٩٨٣م.
٤	أمين (محمد فتحي): ــ الغزو المغولي لديار الإسلام، الأوائل، سورية، ٢٠٠٥
٥	أحمد الشنتناوي- ابراهيم خورشيد: دائرة المعارف الإسلامية، مج ٤، دار المعرفة، بيروت، لم يذكر تاريخ الطبع.
٦	إسماعيل(اكتمال):الآثار الاجتماعية و الاقتصادية للحملات العسكرية المغولية على بلاد الشام ، دمشق، ١٩٩٤م.
٧	البستاني(بطرس):دائرة المعارف ، دار المعرفة ، بيروت ، بدون تاريخ ، مج ٨

٨	باذياب(نورة):- إفادة الفتح الاسلامي لحصن كالورنوس و تحويله إلى ميناء علائية ، مجلة المؤرخ المصـــري ، العدد ٢١ ، كلية الآداب ، القاهرة ، ١٩٩٨م. - السياسة الأمنية للسلطان السلجوقة علاء الدين كيقباد و أثرها على التقدم الاقتصادي لبلاده ، مجلة المـــؤرخ العربي، العدد ٨
٩	جوني(وفاء):- دمشق و المملكة اللاتينية في القدس ، دار الفكر ، ١٩٩٧م. - الحياة الإدارية و السياسية في الإمارات الفرنجية، ١٩٨٩م.
١٠	حتي(فيليب): ـــ تاريخ سورية و لبنان و فلسطين ، دار الثقافة ، بيروت ، لم يرد تاريخ الطبع.
١١	حجازي(حسين): ـــ جزيرة أرواد و الجذور الفينيقية على ضوء الاكتشافات الجديدة ، دار أماني ، ١٩٨٩م.
١٢	أبو حرب (محمد خير): ـــ المعجم المدرسي ، إصدار وزارة التربية، ١٩٨٥م.
١٣	حطيط(عدنان): ـــ قبرص و لعبة الأمم ، بيروت ، ٢٠٠٢م.
١٤	حمادة(محمد ماهر): - وثائق الحروب الصليبية و الغزو المغولي ، منشورات الرسالة ، ١٩٨٢م.
١٥	داوود (أحمد): ـــ تاريخ سورية الحضاري، دار المشرق للطباعة و النشر ، ٢٠٠٤م.
١٦	رستم(أسد): - الروم في سياستهم و حضارتهم و دينهم و ثقافتهم ، دار المكشوف ، لبنان ، ١٩٥٦م.
١٧	زكار (سهيل)ـــ بيطار (أمينة): ـــ تاريخ الدولة العربية في المشرق من السلاجقة حتى سقوط بغداد، مطبعة دمشق، ط ٣، ١٩٩٨م.
١٨	زكار(سهيل)، جوني (وفاء)،اسماعيل(اكتمال): ـــ حروب الفرنجة الصليبية ، جامعة دمشق ، ٢٠٠٤/٢٠٠٥م.
١٩	الزنتاني(عبد الوهاب محمد): ـــ قبرص من معاوية إلى أجاويد (٦٤٨م-١٩٧٤م)دار غريب ، القاهرة ، ٢٠٠٢م.
٢٠	زيتون(عادل): ـــ العلاقات الاقتصادية بين الشرق و الغرب في العصور الوسطى ، دار دمشق ، ١٩٨٠م. - العلاقـــات السياسية و الكنسية بين الشرق البيزنطي و الغرب اللاتيني في العصور الوسطى ، دار دمشق ، ١٩٨٠

	- تاريخ العصور الوسطى الأوربية ، جامعة دمشق ، ١٩٩٣م.
٢١	زيدان(محمد عمر): دور الأرمن في الحروب الصليبية و الغزوات المغولية ، رسالة ماجستيرباشراف د. وفاء [illegible] ، دمشق ، ٢٠٠٧م.
٢٢	سرور(محمد جمال الدين): ـــ دولة بني قلاوون في مصر(الحالة السياسية و الاقتصادية)، دار الفكر العربي، مطبعة الاعتماد، ١٩٤٧م
٢٣	شاكر (محمود): ـــ المسلمون في قبرص، منشورات العصر الحديث، ١٩٧٤م.
٢٤	شبارو(عصام): ـــ تاريخ بيروت منذ أقدم العصور حتى القرن العشرين، دار مصباح الفكر، لبنان، ١٩٨٧. ـــ السلاطين في المشرق العربي، دار النهضة، بيروت، ١٩٩٤م. ـــ تاريخ المشرق العربي الإسلامي، دار الفكر بيروت ١٩٩٩م.
٢٥	الصياد (فؤاد عبد المعطى): ـــ مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمذاني' دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م.
٢٦	طقوش(محمد سهيل): تاريخ المماليك في مصر و بلاد الشام ، دار النفائس ، ١٩٩٧م
٢٧	عاشور(سعيد عبد الفتاح): ـــ أوربا العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو ـــ المصرية ١٩٨٦. ـــ قبرس والحروب الصليبيه، الهيئة العامة للكتاب القاهرة، ط٢، ٢٠٠٢م.
٢٨	العبادي (سالم): ـــ تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، بيروت ، دار النهضة، ١٩٨١م.
٢٩	العبار (أحمد عبد اللطيف): ـــ مشكلة قبرص بين الماضي والحاضر وأثرها على الموقف الدولي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٥٦م.
٣٠	عثمان (أحمد): ـــ تاريخ قبرص جزيرة الجمال والألم منذ القدم وإلى اليوم، القاهرة، ١٩٩٧م.
٣١	العريني (السيد الباز): ـــ المغول، دار النهضة، بيروت، ١٩٨١م.
٣٢	عز الدين (محمد كمال الدين):

	ـــ المقريزي مؤرخاً، عالم الكتب، ١٩٩٠م.
٣٣	العسلي(بسام): ـــ فن الحرب الإسلامي في أيام عهود الخلفاء الراشدين و الأمويين، دار الفكر، ١٩٨٨،٥مج
٣٤	عطية (حسين): ـــ إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون، المعرفة الجامعية، القاهرة، ١٩٨٩م.
٣٥	علي (أحمد علي): ـــ تاريخ بلاد الشام، مجلد(٥) دمشق ، ٢٠٠٠م.
٣٦	عمران (محمود سعيد) : تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، ٢٠٠٦م
٣٧	الغزولي(ناديا) : مدينة صور في حقبة الحروب الصليبية ،رسالة ماجستير ، جامعة دمشق، ٢٠٠٢م
٣٨	مجموعة من أساتذة التاريخ و الجغرافيا في لبنان و العالم العربي: أطلس العالم الصحيح ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ،١٩٨٥م.
٣٩	مجموعة من المؤلفين : دراسات عن المقريزي ، الهيئة المصرية ، وزارة الثقافة ، ١٩٧١م.
٤٠	مركز الدراسات العسكرية: - المعجم الجغرافي لسورية ، دمشق ، ١٩٩٢م.
٤١	مصلح (حفظ الله): العلاقات بين المغول والصليبيين وأثرها على الأمة العربية الإسلامية "رسالة ماجستير"، بإشراف د.إبراهيم زعرور، دمشق ٢٠٠٦
٤٢	المطوي (محمد العروسي): ـــ الحروب الصليبية، دار الغرب الإسلامي، تونس
٤٣	ندا(صبحي): قبرص البحرية الإسلامية، دار البشير للثقافة والعلوم، طنطا، ١٩٩٩م
٤٤	نسيم (جوزيف): ـــ العدوان الصليبي على مصر، هزيمة لويس التاسع في المنصورة وفارسكور، دار النهضة، ١٩٨١م.
٤٥	نوار(صلاح الدين): - العدوان الصليبي على العالم الإسلامي ، جامعة القاهرة ، دار الدعوة ، ١٩٩٢م.

٤٦	وزارة الإعلام في لبنان: ــ صراع الحيتان الكبيرة على الجزيرة الصغيرة، دار العروة الوثقى، بيروت، لبنان، لم يرد تاريخ الطبع

ه‍- المراجع الأجنبية المعربة:

.1	– إديوري (بيترو): ــ **قبرص والحروب الصليبية**، دار الملتقى، بيروت، ١٩٩٧م.
.2	– بندس (أشيل أميليا): ــ **تاريخ قبرص .. ماذا أعرف**، شركة أنترسبيس للنشر، قبرص، مكتبة ريمون الحديدة، لبنان، دون تاريخ.
.3	– أ بوسيف، أ . يفيموف: ــ المنجد في الكيمياء، ترجمة د. عيسى مسوح، دار موسكو، ١٩٨٧م.
.4	– بروكلمان (كارل): ــ **تاريخ الشعوب الإسلامية**، نقله إلى العربية نبيه أمين فارس – دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦٨.
.5	– باركر(أرنست): ــ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني ،ط٢،دار النهضة العربية ، د.ت ، لم يرد تاريخ الطبع.
.6	– جروسيه(رنيه): الحروب الصليبية صراع الشرق و الغرب ، ترجمة أحمد إيبش ، دار قتيبة ، دمشق ٢٠٠٢م
.7	– ديورانت(ول) : قصة الحضارة ، مجلد (١) ترجمة زكي محمود ،الإدارة الثقافية، لم يرد مكان و تاريخ الطبع.
.8	– د.ق سبيريداكس: موجز تاريخ قبرص ، ترجمة يعقوب الكليمي، نشره مكتب الاعلانات العامة ، قبرص ، مطبعة الجارة ، الاسكندرية ، ١٩٧١م.
.9	– رنسيمان (ستيفن): – تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة الباز العريني ، ١٩٦٨م.
.10	– زابوروف(ميخائيل): – الصليبيون في الشرق ، دار التقدم ، موسكو، ١٩٨٦م.
.11	– سميث(جوناثان رايلي): – الاسبتارية فرسان القديس يوحنا في بين المقدس و قبرص، ترجمة العميد صبحي الجابي ، مركز الدراسات العسكرية ، ١٩٨٤م.

.12	- سيتون(كنث م): - البابوية و الحروب الصليبية في مشرق البحر المتوسط من خلال الموسوعة الشامية ، تحقيق و تأليف و ترجمة سهيل زكار ، ج٥٥، دمشق ، ٢٠٠٨م.
.13	- (كرستوفر) مارشال: - فن الحرب في الشرق اللاتيني من خلال الموسوعة الشامية ، تحقيق و ترجمة سهيل زكار ، ج٨٣، ٢٠٠٧م.
.14	- كوهلر: - قطعة من ترجمة ذاتية لفيليب دي مونتفرات ، فقرات من ج١، من خلال الموسوعة الشامية ، ج٣٤، ١٩٩٨م.
.15	- هايد(ف): - تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى ، مراجعة عز الدين مودة ، الهيئة المصرية ، ١٩٨٥م.

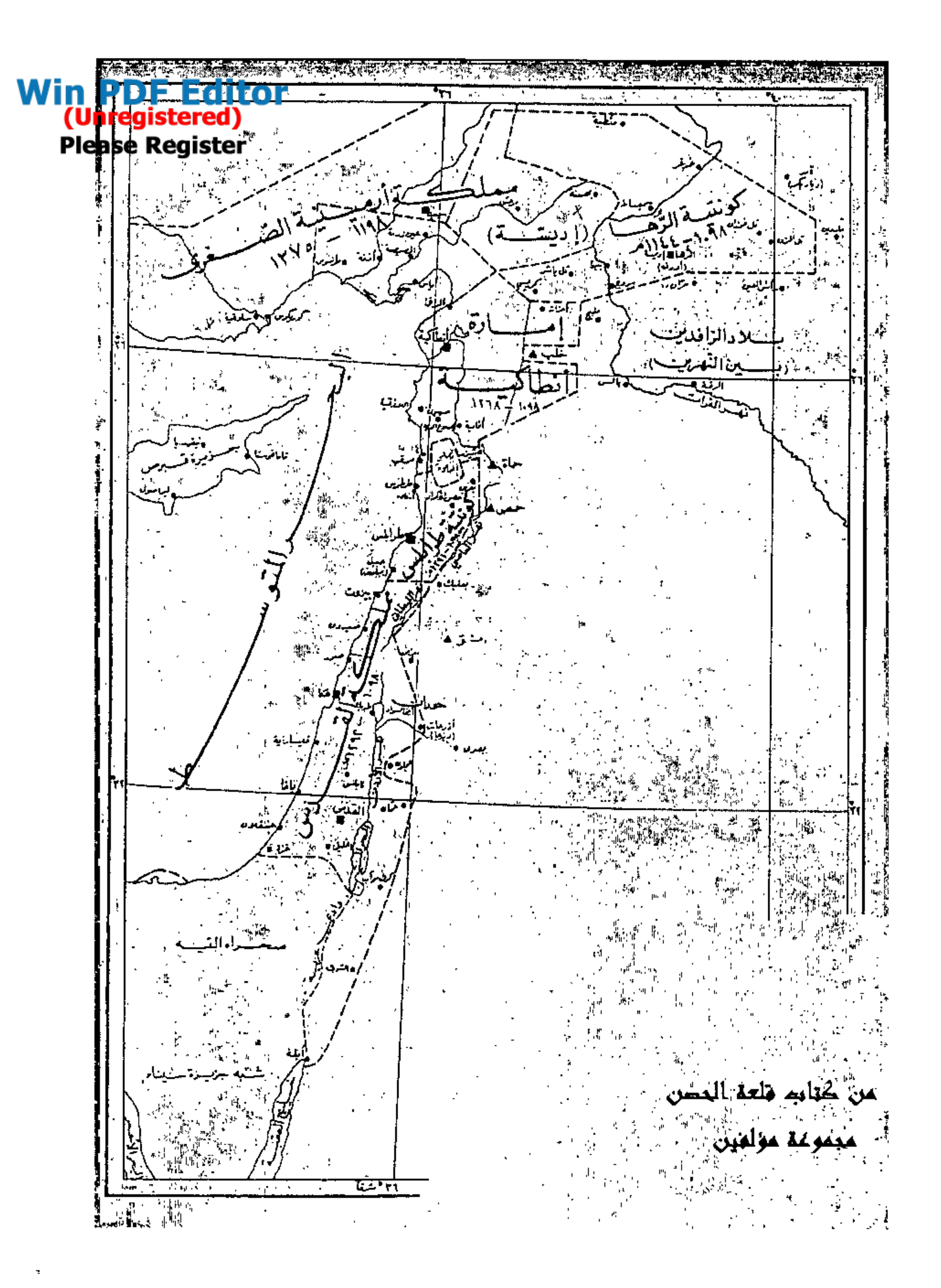

لويس التاسع

بطرس الأول

http://www.q8y7b.com/atlas/images/cyprusmap_symbology__.jpg ٢٠٠٧/١٠/٠٧



خريطة الامارات الصليبية ومملكة صلاح الدين الأيوبي
بعد الحرب الصليبية الثالثة



من كتاب قلعة الحصن

مجموعة مؤلفين



ريتشارد قلب الأسد



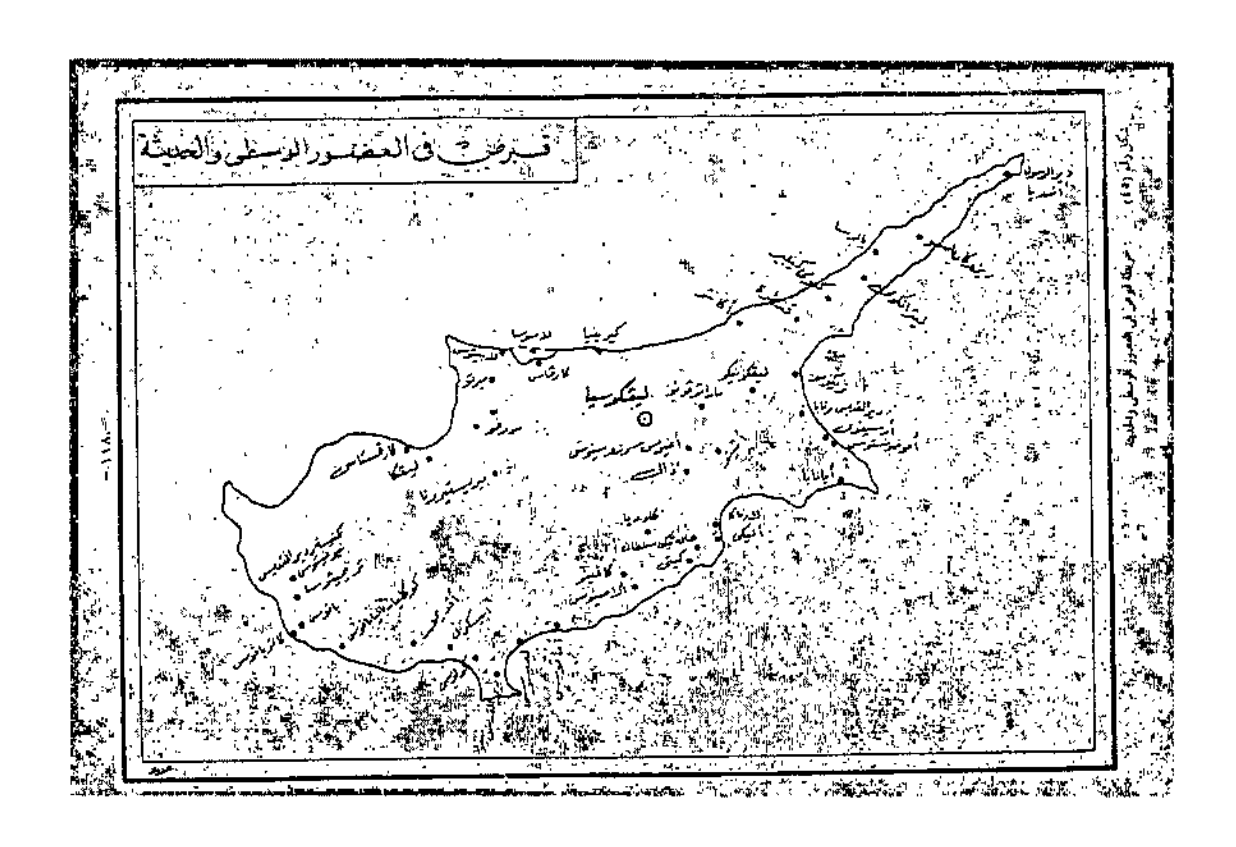
: خريطة قبرص في العصور الوسطى والحديثة

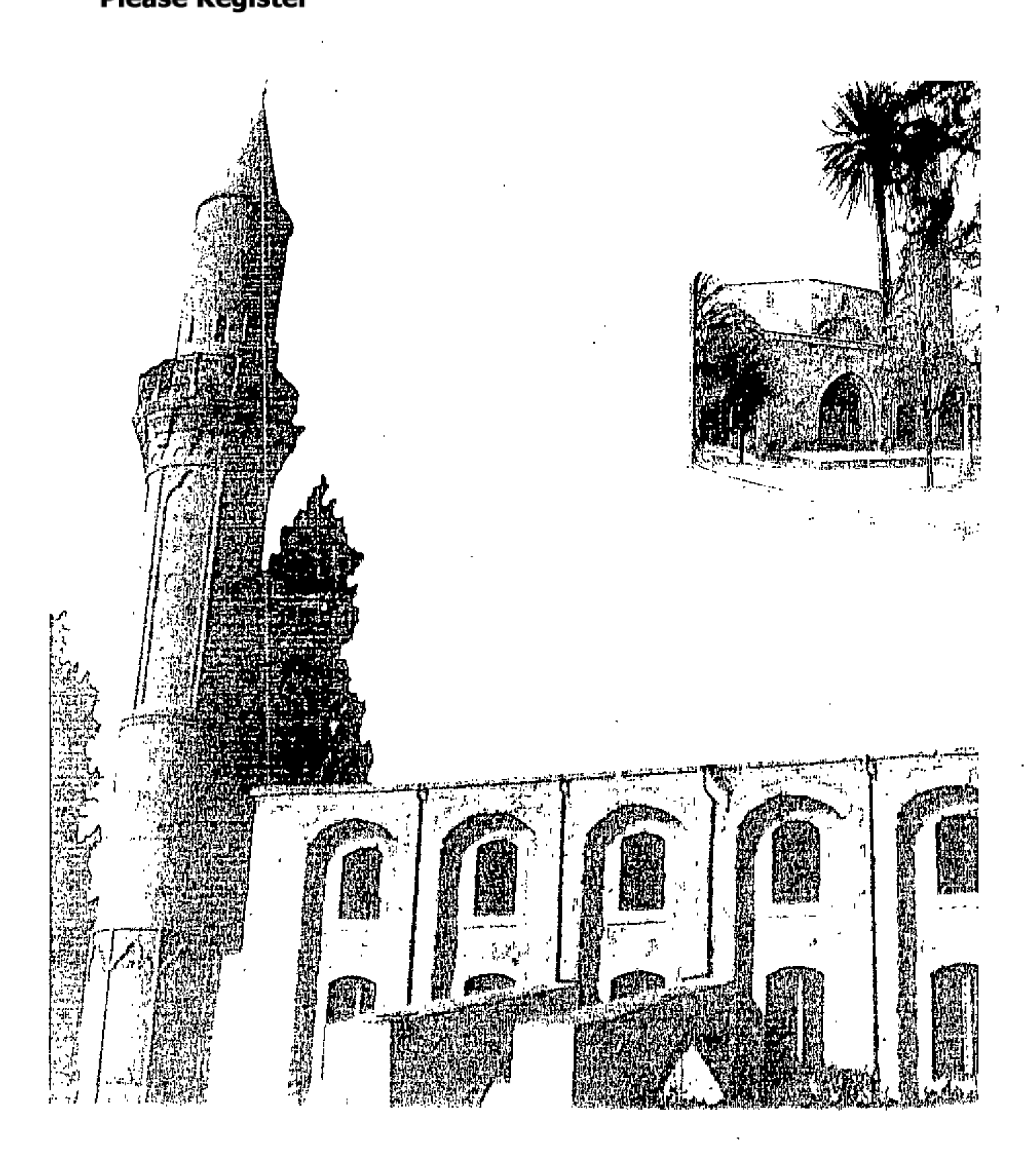
نقلاً من كتاب أحمد عثمان، تاريخ قبرص

خريطة رقم (١)

خريطة توضح الطريق الذي سلكه الصليبيون حين اجتياحهم للاسكندرية

نقلاً من جوزيف نسيم، العدوان الصليبي على بلاد الشام، ١٩٨١، ص٥٥





منظر آخر لمسجد هالة سلطان تيكي (أم حرام)

مسجد في ليماسول القديمة.

نقلاً من كتاب أحمد عثمان، تاريخ قبرص

The Maskūkat Collection

مجموعة المسكوكات

Crusader Kingdom of Cyprus - Lusignan
Cyprus
Guy de Lusignan
1192 - 1194



http://www.qAyYb.com/atlas/images/cyprusmap_symbology__.jpg ٢٠٠٧/١٠/٠٧

THE role of cybrus during the crusaders wars from late 6th century hijra (14th century)586-784 hijra / 1190-1383

APH.D research(thesis) presented to Damascus University-History faculty
History of Arabs and Islam.

Introduction:

The subject of the relations between the Muslim East and Christian West during the intermediate period in history is one of the topics that need extensive study, the crusading movement was the most important manifestation of the phenomenon of these relations in various fields of economic, social, cultural and religious....
As this movement drawn parties other than the Western Christians to the conflict in the Middle Islamic such as Byzantines, Mongols and Armenians all that led to the complexity of the situation as it went through mixed conditions linked in the first place with the conditions of all Muslims in the East and the Christians in the West, that period of time has revealed the meaning of the Crusades during the real relations that prevailed between the Foreigners Crusaders and Muslims in a time when Egypt became the center of gravity for the Islamic world and a point of Islamic resistance against the Crusaders ,also become a target of the Crusades from the 13th century Which had the greatest impact in the decline of light from the northern Levant and coastal cities as centers of Islamic Jihad on one hand and turning the Crusader target from Jerusalem to Cairo . The island of Cyprus, the subject of this letter is one of Crusades passes that held a prominent role in the evolution of the conditions of the Foreigners Crusaders strength or weakness and participated also in shaping crusade public policy against Muslims or others, and this is what constitutes a historical supportive to expose the history of the Crusades through this island.
Cyprus was and still part and parcel of the Arab orient geographically, historically, politically and strategically in the past, present and future, Cyprus geographically is not only close to the Arab World, but it is closer to some of its countries than some of these countries to other Arab countries, it is part of the Eastern Mediterranean which the coast of the Levant (Syria, Lebanon and

Palestine) overlook to.
This island is dozens of kilometers away from Latakia, Beirut and Haifa, and the distance between it and Por Said is no more than 360 km this excellent geographic location of Cyprus between the three continents allowed it to become an important center, but it was a leading cause of the greed of neighboring countries since the ancient times until this period of time.

various currents converged on this island from the east and west, and all that had reflected the unique nature of the hallmarks of time and the echoes of history, but Between this and that we know very little about the history of Cyprus, especially with regard to its role in that important era. And our knowledge about this old neighbor bordering the eastern corner of the Mediterranean Sea remained negligible.

This island have set up military and naval base and point of concentration for the Crusaders in the Mediterranean Sea which is one of the strongest sites for the Syrian coast and become a strategic dimension to the Fereng which contributed to the consolidation of the crusade according to the Arab historian Ibn al-Atheer ((the force of Fereng)) and had accommodated their institutions even after the fall of the last strongholds of the Crusaders in the Arab Islamic Middle East, and secured the means of communication to and from Europe without interruption.

It has been estimated for this island not to have an option to belong to any one, not even to itself, that was clear through the plots and conspiracies by the consuls of Genoa and the Venetian in order to control it and plundered without mercy, and this is what will be proved by facts and events in the bearer of this study.

The Search Problematic:

The search presents a problem of great importance, namely, the study of the history of Cyprus and its role in the era of the Crusades .the subject is new in this area of study and the information on it though infrequent, are essential in order to clarify the picture and updatethe fact.

Most studies have poured their attention to the study of the Crusades in general without paying or drawing attention to the important history of the island, but only mentioned it in the context of the historic event in general.

The role that Cyprus occupied in the events of the Crusades had not been studied in a large academic way, and this is what should be done here because the Levant is the closest to Cyprus and the most affected by its events.

From here it was necessary to look to the Crusades and to see a new structure through the island , summed up by an academic study not addressed by old studies, especially after the Third Crusade, , even after the liberation of Akka and the end of the Crusades in the Levant .

Cyprus Has become a refuge for all the crusade in the Levant, including monastic military organizations and then started the royal family that go back to the last king of Jerusalem before Huttin, where the Crusades take off against Alexandria, and the Syrian coast and their kings claimed to be the kings of Jerusalem and want to recover. Accordingly, we address in this research the role of Cyprus in these wars taking into account the status and accuracy of events in the narrative with documentation and scientific analysis.

Reasons for the choice of search:

1 -The lack in the Arab library of research based on this subject including the trace of the history of Cyprus and its political relations and the desire to give importance to the history of an island adjacent to us in an important period of time after a time when our knowledge about this old neighbor was negligible.
2 - Also what the modern Western historians wrote on the role of Cyprus in the Crusades reflects only the Western view, but no one has singled out a large area to search the history of this island at some length from modern Arabs historians.

THE research includes

The research Importance and its objectives:

The importance of this study comes from the importance of the idea it discusses (Cyprus and the Crusades) which is an important period in the history of east and west alike.

The research aims to:

1 - shed light on the history of the island of Cyprus in an era when it had control over the field of the Crusades after Europe abandoned that field.

2 - The research aims to examine the relations between the island and among its neighbors of Byzantines, Crusaders, Mongols,

Mamluks and the states ofItaly

3- The research aims to highlight the role of the Crusade leaders who ruled the island by requests for a crusade campaigns from this island.

Research Methodology:

This research will be based on a critical compared analysis according to the available information for a difficult subject, interlocking parties, polyvalent, various sources and assets, full of issues and important points that needed to be stopped on and treat it from Arabic point of view in order to reach the truth and pure historical knowledge.

THE RESEACH INCLUDES FOUR CHAPTERS PRECEEDED BY AN INTRODUCTION AND AN ALYTIC COMPARATIVE STUDY TO THE most important Arabic and western sources.

I have also enclosed anews paper in my research stating the homes of the most important resources, references of two kinds and maps.

In the introduction , I have talked a bout the importance of the topic and its intertemporal limits and the reason of my choice , After this approach , The first chapter comes with this title(general narrative: geographical- historical) The first chapter is divided into two parts : The first part includes several points ,The most important . one are Naming , location , cybrus geographical borders. The second point of this chapter talks a bout the island geographical and topographical .basing on the saying :"history and geography are two integrated sciences , so I cant but mention it.

The third point of this chapter Ihave a study a bout the most important ecomomic resources.i have several main objects such as : agriculture, professions, commerce and a simple glimpse about population and its origins, I have also talked a bout archilecture works.the second real of the first chapters start in a historical and political glimpse a bout Cyprus.This part covers the period till the crosseders invasion . It has several points : the most important ones are muslems and cybrus development through Umayyad and abassy period to byzantinian regain of cybrus.

The second chapter of this seminar littles (cybrus and cross- wars)the chapter is one of this island , ones in which I have talked a bout the imporlance of this island .its generals siluation before Richard

(the LIONS HEART) occupation to the island , the reason of his occupation. French luzinian family ruling till the unified both crowns of cybrus and JERUSALEM(595/1198)The reasons which caused the two crowns separation after the death of AMOURY ,the continual conflicts and revolutions especially between EMPIRE party and the war lords till the end of the ebleenia wars and the conguer of the EMPIRE PARTY AND The seventh cross invasion which considered cybrus as its base (642m/1244D).

The Third chapter of this seminar title (cybrus and the first empire)I Have studied Mamlouks state start and establishment and AZaher by bersvictories which enabled him to sigh an armistice with IZABEAH the lady of Beirut 667m/1268D history to invade cybrus and his future to do so.

I also talked a bout the king doms crowns unifying when cybrus king become the ruler and the importance of cybrus role in protecting akka , and the political relations between cybrus and neighbouring forces such as Maghoul and Arman which are the most important events in cybrus which affected the current of events and the political changes which later on caused passive results reflected on cybrus itself such as the conflict between henry 2 cybrus king and his brother Amlreek the ruler of SOUR and the interfering of the military monks in this conflict and the monks prkoke to each other. I have also mentioned the most important reasons which caused the arrest of (TEMPLARI) organization members and their official trail which lead to the ultimate abolition of the organization , the other monk organization (hospitari)moving to another island (RUDOS)and resultion the political and commercial situation of cybrus till HUG TV rule and his most important deeds during his period. Then I moved to the fourth chapter which is the last chapter of the seminar .IT titles (the cybrus cross invention to ALEXANDRIA and the SYRIAN- AL SHAMI COAST AND ARMANI CITIES INVASION)I discussed several important causes such as IZMIR issue and its resultion Muslims and crossodars and cybrus king tries to carry out a big cross invasion to regain the holy land , petters rule to cybrus and his tries to occupy kalornos(Alaeyah)and Antalyah castle before his journey to Europe which lasted for a period of time .

IT was for asking help for preparing for the next crossoders invasion , but what detained that invasion is creet events and its spark of

revolution in that venus territory till the revolution and the enormous disaster happened that is the choice of ALEXANDRIA as the aim of that invasion in the year 767m/1365D and the wild deeds which ALFERANG commited in the city and its citizens and the franks attackes and piracy work on the shami coast (Jableh, lattakia, Banyas and other Arman cities such as(IYAS)till they signed an agreement and a preace treaty between the two parties . Ihave also talked a bout the most important internal conflicts which happened in cybrus in that period and the dispute which resulted from them .
IT caused weakness and cybrus was occupied by gunawah in the year 775m/1373D.
AT last I wish my humble effort was satisfactory and acceptable and I cant but offer my thanks and complements to my teacher the honest overseer mother D.r WAFFA JONNY WHO took care of me during my calamity and her supervising on my seminar all through this period and her continuous en couraging , god bless her .ialso thank our great teacher D.r SUHAIL ZAKAR who has offered various kinds of help since the beginning of my high studies.I also thank respectable doctor iktimal ismaeel for her help and her advice. I thank the members of the committee and all who have contributed in offering my scientific help.